

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة -

قسم: الكتاب والسنة
تخصص: التفسير وعلوم القرآن



كلية أصول الدين
الرقم التسلسلي:
رقم التسجيل:

منهج فضل حسن عباس في الدفاع عن القرآن الكريم
- دراسة تحليلية نقدية -

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ل م د

تخصص: التفسير وعلوم القرآن.

إشراف الأستاذة الدكتورة:

أ د: حدة سابق.

إعداد الطالب:

نعيمة بلفروم.

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الصفة	الرتبة	الجامعة الأصلية
هدى حراق	رئيسا	أستاذ التعليم العالي	الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
حدة سابق	مشرفا ومقررا	أستاذ التعليم العالي	الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
نبيل مسالتي	عضوا	دكتور	الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
محي الدين بن عمار	عضوا	أستاذ التعليم العالي	جامعة الحاج لخضر باتية 01.
عباس منصر	عضوا	دكتور	جامعة حمه لخضر الوادي.
محمد لقريز.	عضوا	دكتور	جامعة محمد بوضياف مسيلة.

السنة الدراسية: 1444-1445هـ / 2023-2024م

أَهْمِيَاءُ :

إلى وأصحب العزيز رحمة الله تعالى، وحشره في زمرة الأنبياء والمرسلين
وأصحابيهم.

إلى وأصحابي الكريمة التي تكبرت الصعاب في تربيتنا ورعايتنا، ومهتبت لي طريق
العلم أكل الله في عمرها بالعمل الصالح.

إلى رفيق دربي وشريك حياتي، وسندي في طريق العلم والابتكاري: ياسين
كشاك.

إلى وأصحب الصغبرين: رؤيس ونقود الرحمن أنبهما الله نيانا حسنا.

إلى إخواني وأخوانتي وأزواجهم وأولادهم فرحاً وفرحاً حفظهم الله ورعاهم.

إلى عائلتي زوجتي وعالي رأسهم وأصحبهم: بوزيد كشاك أمه الله في عمره.

إلى مشايخي وأساتذتي وعائلتي وصديقاتي وكل معارفي.

أهمني أكرم عملي جعله الله في ميزان حسناتي وأصحب.

شكر وتقدير:

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ - النمل: 19- فاللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذة الدكتورة: حدة سابق مشرفتي في هذا المرحلة المباركة، التي رافقتني ولم تبخل عليا بالنصائح والإرشادات، والتوجيهات جزاها الله خير الجزاء، هي وزوجها الدكتور الفاضل: مختار نصيرة فله كل الشكر والتقدير على حرصه ومساعداته وتوجيهاته القيمة، جزاهما الله خير الجزاء وجعلها في ميزان حسناتهما. كما أتقدم بالشكر والعرفان لأساتذة قسم الكتاب والسنة فردا فردا على مجهوداتهم وتوجيهاتهم ورحابة صدرهم.

دون أن أنسى سيادة العميد: أحمد عبدلي الذي كان خير معين ومرشد في هذه المرحلة الصعبة هو ونائبه، وكل الموظفين في المصلحة، وكل من قدم لنا يد العون من قريب أو بعيد. وللجنة المناقشة حظها في الشكر والتقدير، لمنحهم لنا من أوقاتهم واهتماماتهم، وإثرائهم لهذه الرسالة بالملاحظات القيمة التي ترفع من مستواها. جعلها الله في ميزان حسنات الجميع. والحمد لله رب العالمين.

المقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً، حمداً يليق بكريم وجهه وعظيم سلطانه، فاللهم لك الحمد ولك والشكر، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله، حبيبي وقرّة عيني محمد ﷺ قائد الأمة وشفيعها، خاتم الأنبياء والرسل، وعلى أصحابه وأزواجه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم هو خاتم الكتب السماوية، والرسالة المصطفاة التي حباها الله وخلدها إلى يوم يرث الأرض ومن عليها، ولثقل هذه الرسالة وأهميتها وعالميتها مقارنة بالكتب السماوية الأخرى، نالت من الاهتمام والدراسة القسط الأكبر، وكان هذا الاهتمام والدراسة على جانبين اثنين سارا على تفاوت في القيمة والأهداف:

* **دراسات إسلامية دعوية** خدمت القرآن الكريم منذ نزوله على النبي ﷺ، فهؤلاء اهتموا بالقرآن الكريم حفظاً وتدارساً خاصة مع بداية التأليف، فقد نالت الدراسات القرآنية القسط الأكبر مقارنة بالعلوم الأخرى، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على حرص الأمة على تراثها وكتابها، واستمرت هذه الدراسات إلى يومنا هذا، وقد تنوعت هذه الأخيرة، فدرست لغة القرآن وأسباب نزوله، وناسخه ومنسوخه، وتفسير آياته ومفرداته....

* **دراسات غربية هدامة** حرصت على ضرب الإسلام من جذوره، محاولة اقتلاعه بكل ما أوتوا من قوة، وهذا التيار مثله المستشرقون خاصة، فقد وفروا كل الإمكانيات البشرية والمادية لمحاربة الإسلام ومنع انتشاره في الغرب، ليس هذا فقط، بل وتشكيك المسلمين بدينهم، وللأسف فقد انطلت خدعهم هذه على فئة من المسلمين، درسوا علمهم وتخرجوا من جامعاتهم، فحاربوا دينهم بأفكار أساتذتهم المستشرقين، وهؤلاء يمثلهم التيار الحداثي العلماني.

لهذا نجد بين هذا وذاك حرباً ضروساً على الدوام، لا تحمد أبداً مادامت الحياة، وهذه سنة الله في خلقه، حرب بين الخير والشر.

والشيخ **فضل حسن عباس رحمه الله** يعد من بين العلماء الذين كرسوا حياتهم للدفاع عن القرآن الكريم والإسلام، وهذا ما نلاحظه من خلال مؤلفاته المتعددة، فهو لا يدع فرصة إلا وينصر فيها الحق

ويرد على الضالين والمشككين، وهذا باستخدام مناهج متنوعة للرد على شبهات المفتريين عن القرآن الكريم وعلومه، ملتزماً بالموضوعية والأمانة العلمية بعيداً عن التحيز والهوى.

عنوان البحث:

قصد هذا البحث تتبع منهج الشيخ فضل حسن عباس رحمه الله في الدفاع عن القرآن الكريم من خلال الرد على شبهات المستشرقين والحدائثيين، وغيرهم من المشككين، مع تحليل لمنهجه نقداً وتقويماً فجاء البحث تحت عنوان:

منهج فضل حسن عباس في الدفاع عن القرآن الكريم - دراسة تحليلية نقدية -.

الإشكالية:

إن موضوع الدفاع عن القرآن الكريم من أهم المواضيع العلمية المعاصرة التي تجول في الساحة الفكرية، وهذا نظراً لكثرة المتربصين بالإسلام والقرآن الكريم، فالهجمات على الإسلام في العصر الحديث كانت من الداخل والخارج على حد سواء، والشيخ فضل حسن عباس رحمه الله يقف بالمرصاد يرد على هؤلاء، فلا يدخر جهداً ولا وقتاً للدفاع عن القرآن الكريم، وكثرة مؤلفاته وتنوعها خير دليل على ذلك، حيث إن عملية الدفاع عنده قامت على صعيدين اثنين يُكْمَلُ الواحد منهما الآخر: الجانب التأصيلي، فهو يؤصل للعلوم ويدرسها من مختلف جوانبها، ويركز على النقاط التي يستغلها المشككون، فيزيد في تنفيذها وتبجيلها، أما الجانب العملي: وهو ثمرة للأول متمثلاً في إيراد الشبهات والرد عليها وفق مناهج دفاعية متنوعة.

ويقودنا هذا إلى طرح الإشكالية التالية: ما هو منهج فضل حسن عباس رحمه الله في الدفاع عن القرآن الكريم والرد على الشبهات الموجهة له؟ وللإجابة على هذه الإشكالية المهمة يتوجب علينا أن نقف عند مجموعة من التساؤلات الفرعية التي تساهم في الإجابة عن الإشكال الرئيس وهي:

✓ ما هي أبرز جهود الشيخ فضل حسن عباس رحمه الله في مجال الدفاع عن القرآن الكريم وعلومه، وما هي أهم مؤلفاته التي اهتمت بالموضوع؟

✓ ما نوع الشبهات التي تناولها الشيخ؟ وما هي الأطراف التي طرحتها وخاضت فيها؟ هل ميز

بينها؟ وهل كانت كلها بنفس المستوى؟

✓ ماهي أهم المناهج التي استعان بها الشيخ فضل للرد على الشبه والافتراءات، هل نوع فيها؟ هل أحسن اختيارها؟ وما هو المعيار الذي اعتمده في إيرادها؟ وإلى أي درجة وفق في ذلك؟

أسباب اختيار الموضوع: دفعتني مجموعة من المبررات لاختيار هذا الموضوع لعل أهمها:

✓ الاهتمام بحقل الدراسات القرآنية خاصة ما يتعلق بالقرآن الكريم وعلومه، من جانبه التأصيلي والتطبيقي، فقد أحببت أن تكون رسالتي في مرحلة الدكتوراه في إطار الدفاع عن القرآن الكريم والدُّب عن حرَمات الإسلام.

✓ شح المؤلفات والمصادر التي تتحدث عن المناهج الدفاعية عن القرآن الكريم والسنة النبوية في شقها النظري، فأغلب العلماء يطبقون هذه المناهج دون التعريف بها والتفعيد لها، وهذا ما يشكّل نوعاً من الصعوبة خاصة لدى المعتبرين، فهم أكثر عرضة للهجمات الشرسة التي تشن على الإسلام والقرآن.

✓ الاطلاع على مختلف الشبهات والافتراءات التي تطرح في الساحة الفكرية حول القرآن الكريم وعلومه، وموقف العلماء منها رداً وتفنيداً، ومدى تطبيق قواعد البحث العلمي خاصة ما تعلق بالموضوعية.

✓ لعل أهم سبب لاختيار هذا الموضوع هو اقتراح المشرفة الفاضلة: د حدة سابق، حيث تبلورت الفكرة عندها بعد عقد لقاء علمي بينها وبين الدكتور فضل حسن عباس رحمه الله أثناء تواجها بالأردن، فاقترحت الموضوع على اللجنة العلمية فقبل، ثم أشرفت هي على العمل جزاها الله جبر الجزاء.

أهداف البحث: من أهم الأهداف التي عمل البحث على تحقيقها، والوصول إليها ما يلي:

✓ الكشف عن جهود الشيخ فضل حسن عباس رحمه الله في الدفاع عن القرآن الكريم وعلومه، والتطرق إلى مختلف الشبهات التي أوردها وردَّ عليها، واستخراج أهم المناهج المستعملة وتقييمها.

✓ المساهمة في مجال علم الدفاع عن القرآن الكريم، والمشاركة في التعريف بأهم المناهج التي يحتاجها الداعية في هذا المجال، وهذا بوضع تعريفات واصطلاحات لهذا العلم المستقبلي.

✓ بيان أهمية الدفاع عن القرآن الكريم ومحوريته بين علوم القرآن، ووجوب إفراده بالمؤلفات

مثله مثل علوم القرآن والتفسير، فهو لا يقل أهمية عنهما، بل على العكس؛ هذا ما يحتاجه العوام من أجل الدفاع عن دينهم وكتابهم، خاصة المغتربين الذين لا يستطيعون أن يلموا بمختلف أنواع العلوم الشرعية، فنوفر لهم مراجع تقدم لهم نظرة عامة عن أهم الشبهات، وأهم القواعد والأسس التي يرد بها على هؤلاء، فتزيد ثقتهم بدينهم، بدلا من الشعور بالذل والنقص.

الدراسات السابقة:

إن المطلع على ما ألف حديثا يجد الكثير من الدراسات والأبحاث التي اهتمت بمجال الدفاع عن القرآن الكريم؛ لكن الذي يجدر التنبيه إليه أنني لم أعر على من خص هذا الموضوع بالبحث بنفس العنوان، باستثناء دراسات تتقاطع مع البحث في بعض حيثياته منها:

✓ كتاب: التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم عرض ونقد ل: منى محمد بهي الدين الشافعي، دار اليسر، ط1، 1429م.

أصل الكتاب بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن من كلية الدراسات الإسلامية والعربية-بنات- جامعة الأزهر.

سبب اختيار الباحثة لهذا الموضوع هو كثرة التشويش والخلط المتعمد، وكثرة تكرار الشبهات في وسائل الإعلام المختلفة، وإبراز أصحابها في صورة الحكماء المخلصين تارة، أو المجتهدين المقهورين تارة... مما جعل الأمر يختلط على كثير من الناس خصوصا غير المتخصصين في العلوم الشرعية، فأرادت الباحثة أن تتصدى لهذه الشبهات ودحضها وتوضح ما فيها.

لقد احتوت الرسالة على تمهيد حول علم التفسير وعناية العلماء به، ثم الباب الأول تناولت فيه تعريف التيار العلماني الحديث وبيان هدف العلمانيين من الخوض في التفسير، أما الباب الثاني فتحدثت فيه عن شبهات العلمانيين حول القرآن الكريم وتفسيره، ثم جاء الباب الثالث بعنوان موقف العلمانيين من مناهج علم التفسير بالمأثور والرأي، وختمت بالباب الرابع بعنوان أسباب تهافت أقوال العلمانيين في التفسير من إلحاد وتحريف، أو اللامنهجية والقصور المنهجي، أو التناقض.

ولقد تفردت هذا الرسالة عن الدراسات الآتية ببيان مناهج الدفاع عن القرآن الكريم عند الشيخ

فضل حسن عباس مع تقييمها ونقدها لعمل الشيخ رحمه الله.

✓ كتاب: الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن الكريم دراسة ونقد، ل: أحمد محمد الفاضل، مركز ناقد الثقافى، ط1، 2008م.

وهو كتاب مطبوع أصله رسالة دكتوراه، ألفها صاحبها بسبب عدم وجود دراسات وافية في الاتجاهات في علوم القرآن مقارنة بما دون في اتجاهات التفسير.

أما محتوى الرسالة، فقد استُهلّت بتمهيد حول مفهوم العلمانية، يليه الباب الأول: تحدث فيه عن مفهوم الوحي والنبوة عند العلمانيين،، أما الباب الثاني فقد تحدث فيه عن تاريخية أحكام القرآن من أسباب النزول والمكي والمدني و...، مع نقد الباحث للقول بتاريخية هذه المباحث القرآنية، الباب الثالث تطرق فيه إلى اختراقات النص القرآني كالمحكّم والمتشابه و...، وبين الباحث فيها فساد آرائهم، مع خاتمة فيها أهم نتائج الموضوع.

✓ كتاب: دراسات في علم الانتصار للقرآن الكريم، ل: محمد بن زين العابدين رستم، دار الحرية الأزهرية للدراسات والنشر، ط01، 1440هـ/2019م.

حيث تناول الباحث تعريفا للعلم وبعض شبهات المستشرقين والحداثيين حول القرآن الكريم وعلومه مع نقدها وردّها.

✓ مقال: الانتصار للقرآن الكريم من بطون المؤلفات إلى واجهات الشاشات الواقع والمأمول، ل: فاطمة الزهراء ضيف وفلاح خير الدين:

الدراسة عبارة عن مقال صدر عن مخبر الدراسات القرآنية والمقاصدية، جامعة وهران، 31-12-2021، حيث تناول الباحثان تعريفا لعلم الانتصار وجهود العلماء فيه، إضافة إلى كيفية توظيف الأفلام التاريخية والوثائقية والدراما التلفزيونية والإعلام للنهوض بانتصار القرآن الكريم.

✓ مقال: علم الانتصار للقرآن الكريم وموقعه بين مباحث علوم القرآن الكريم، ل: عبد الرحيم خير الله عمر الشريف:

وهو عبارة عن مقال منشور في مجلة التبيان للدراسات القرآنية سنة 1434هـ، تحدث فيها الباحث عن تعريف للعلم ولحمة تاريخية عنه ومكانته بين مباحث علوم القرآن.

مناهج البحث: اعتمد البحث على مجموعة من المناهج البحثية المتداخلة أهمها:

المنهج الاستقرائي: وذلك أثناء جمع وتتبع الشبهات والافتراءات التي طالت القرآن الكريم وعلومه، والتي نوقشت في مؤلفات الشيخ فضل حسن عباس رحمه الله، وتقسيمها حسب موضوعاتها ودلالاتها كل يدرج في المكان الخاص به.

المنهج التحليلي: فبعد الاستقراء تأتي مرحلة تحليل الشبهات المثارة في الموضوع، بالإضافة إلى تحليل طريقة الشيخ فضل حسن عباس رحمه الله في ردّها.

المنهج النقدي: وهو لب البحث وجوهره، فمن خلاله أستشف المنهج الدفاعي المستعمل في سبيل الرد على الشبهات، وهذا النقد يشمل نقد فضل حسن عباس للشبهات المطروحة وردّها، كما يشمل أيضا نقد أسلوب الشيخ في رده من أجل تقييم منهج الشيخ الدفاعي، هل أصاب في ذلك أم لا؟ وما هي جوانب القوة والضعف في ردوده؟...

المنهج المقارن: وهذا من خلال مقارنة منهج الشيخ في ردوده على الشبهات والافتراءات التي تثار حول القرآن الكريم بردود العلماء في الموضوع، لتقييم عمل الشيخ ومعرفة مدى توفيقه في ذلك.

المنهج التاريخي: وقد تجسد هذا المنهج أثناء التعريف بالاستشراق والحداثة والفرق الإسلامية، وكيفية تشكلها وعوامل انتشارها.

منهجية كتابة البحث:

- ✓ الآيات القرآنية كتبت برواية ورش عن نافع، وأرفقتها باسم السورة، ورقم الآية في المتن.
- ✓ الأحاديث النبوية خرجتها من مظانها، فإن وردت في الصحيحين أقتصر على أحدها ذاكرة الكتاب والباب ورقم الحديث (ح)، وإلا فمن كتب السنة، وضعتها بين قوسين () باللون الداكن.
- ✓ لكثرة الأعلام الواردة في البحث، ارتأيت أن أترجم للأعلام الذين صدرت منهم الشبهة فقط – إن وجدت له ترجمة-؛ لأنهم محور البحث وأساسه الذي قام عليه.

✓ أذكر اسم الكتاب، ثم اسم الكاتب، ثم المحقق إن وجد (تحقيق)، ثم دار النشر، والطبعة والسنة، حيث أثبت ما ورد من معلومات فقط، ثم الجزء مع الصفحة (ج/ص)،

✓ كون كتب فضل حسن عباس رحمه الله هي محل الدراسة فقد كثر النقل منها، لهذا فإني عمدت إلى تلخيص أقواله ما أمكن، فأذكر اسم الكتاب فيه مختصراً فأشير أحياناً بكلمة (ينظر) إلى ملخص كلامه، وفي الأغلب أذكر الكتاب دون الإشارة إلى أنه تلخيص، وهذا الذي طغى على البحث، كما أني أذكر اسم الكتاب مختصراً إلا في حالة التشابه أذكر المعلومات كاملة.

✓ معلومات الكتاب أثبتها كلها في أول ذكر له، حتى لو ثبت اسم الكتاب أو اسم مؤلفه في المتن، أما فيما يليه فأكتفي بذكر اسم الكتاب فقط في الهامش.

أهم المصادر والمراجع المعتمدة في البحث: يمكن أن تُقسم المصادر والمراجع التي خدمت البحث إلى قسمين رئيسيين:

القسم الأول: كتب فضل حسن عباس رحمه الله، فالبحث قائم على استخراج منهج دفاع الشيخ عن القرآن الكريم منها، ولعل أهمها: إتقان البرهان في علوم القرآن، التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومدارسه، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، القراءات القرآنية وما يتعلق بها، بلاغتنا المفترى عليها...

القسم الثاني: مصادر خدمت البحث من جوانب عدة، فتنوعت واختلفت، وفيما يلي أبرزها:

معاجم اللغة: لسان العرب لابن منظور، مقاييس اللغة لابن فارس، تاج العروس للزبيدي.

كتب التفسير وعلوم القرآن: تفسير الطبري لابن جرير، التحرير والتنوير لطاهر بن عاشور، البرهان في علوم القرآن للزركشي، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي...

كتب الحديث النبوي: صحيح البخاري، صحيح مسلم، السنن.

كتب متخصصة في الاستشراق أو الحداثة أو نقد التراث، وهذه هي الأكثر استعمالاً وتوظيفا مثل: القرآن الكريم في دراسات المستشرقين ل: مشتاق بشير الغزالي، القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي لمحمد أبو ليلة، الفهم الاستشراقي لتفسير القرآن لعادل ماجد محمد، العلمانيون

والقرآن الكريم لأحمد إدريس الطحان، روح الحداثة لطفه عبد الرحمن...

خطة البحث: استهل البحث بمدخل تمهيدي، وباين.

المدخل التمهيدي: التعريف بحدود البحث.

المبحث الأول: ترجمة فضل حسن عباس رحمه الله وأهم مؤلفاته.

المبحث الثاني: الدفاع عن القرآن الكريم وأهم مناهجه.

الباب الأول: منهج فضل حسن عباس في الدفاع عن القرآن الكريم من خلال الرد

على شبهات غير المسلمين.

الفصل الأول: منهج فضل حسن عباس في الدفاع عن القرآن الكريم من خلال الرد على شبهات

المستشرقين.

المبحث الأول: تعريف علم الاستشراق.

المبحث الثاني: منهج فضل حسن عباس في الرد على شبهات المستشرقين.

الفصل الثاني: منهج فضل حسن عباس في الدفاع عن القرآن الكريم من خلال الرد على

الشبهات التي طرحت حول مادة (القرآن الكريم) في الموسوعة البريطانية من خلال كتاب - قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية -.

المبحث الأول: التعريف بالموسوعة البريطانية وسياستها التحريرية، وبمحتويات مادة (القرآن

الكريم) الموجودة فيها.

المبحث الثاني: منهج فضل حسن عباس في الرد على الشبهات التي طرحت حول مادة (القرآن

الكريم) في الموسوعة البريطانية.

الباب الثاني: منهج فضل حسن عباس في الدفاع عن القرآن الكريم من خلال الرد على

شبهات بعض المنتسبين للإسلام.

الفصل الأول: منهج فضل حسن عباس في الدفاع عن القرآن الكريم من خلال الرد على

شبهات الحداثيين.

المبحث الأول: الحداثة في العالم العربي الإسلامي.

المبحث الثاني: منهج الشيخ فضل في الرد على شبهات الحدائين.

الفصل الثاني: منهج فضل حسن عباس في الدفاع عن القرآن الكريم من خلال الرد على شبهات بعض الفرق الإسلامية.

المبحث الأول: مدخل إلى التعريف بالفرق الإسلامية.

المبحث الثاني: منهج فضل حسن عباس في الرد على شبهات بعض الفرق الإسلامية.

الخاتمة: وختتمت البحث بخاتمة تحوي أهم النتائج التي توصل إليها البحث، مع التنبيه على أهم التوصيات والمقترحات التي تعد آفاقا مستقبلية للبحث.

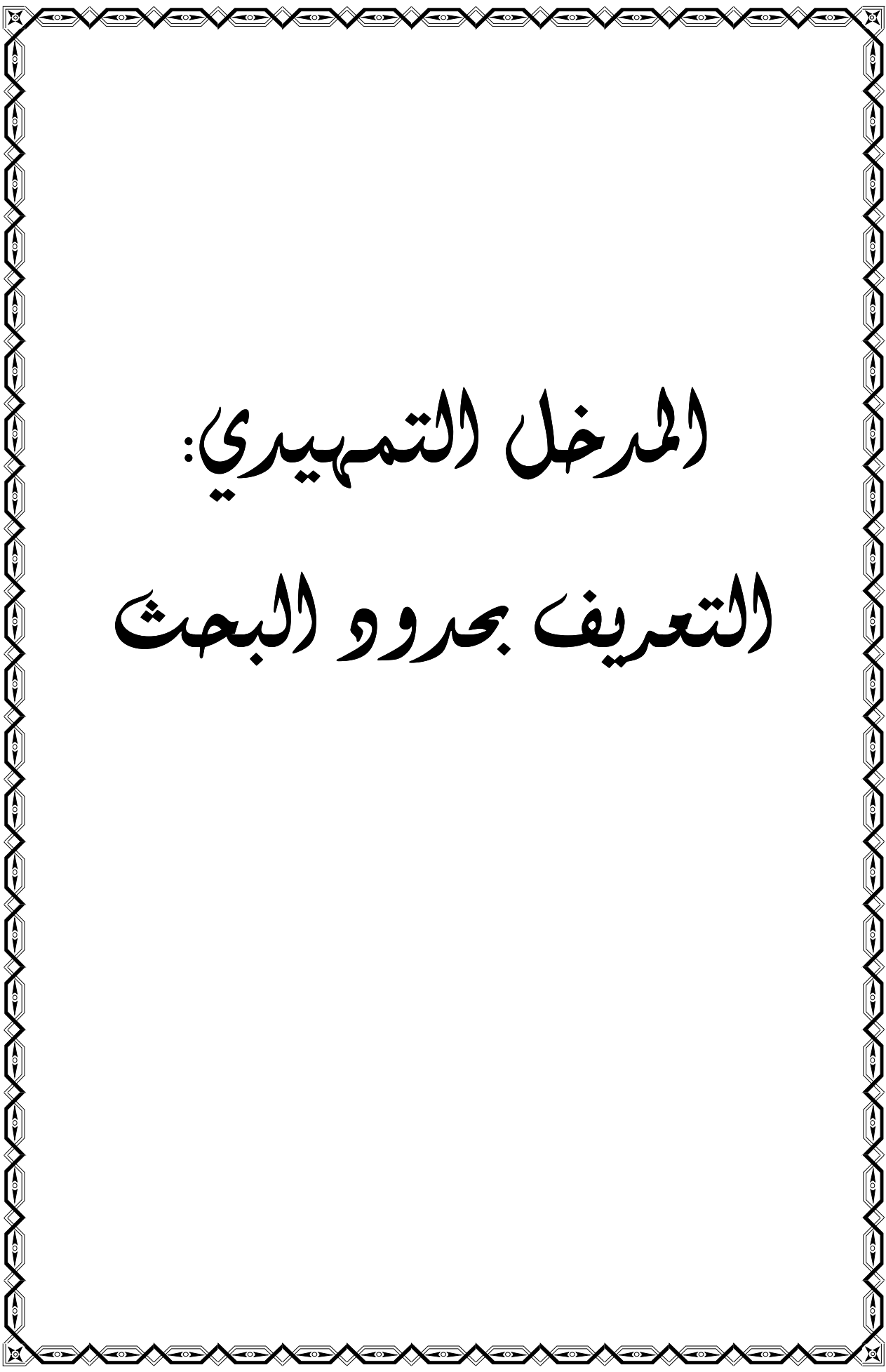
صعوبات البحث: اعترضت البحث مجموعة من الصعوبات والتحديات التي حالت بينه وبين إخراجها على الصورة المنشودة والمبتغاة، ولعل أهمها ما يلي:

- قلة مصادر ومراجع علم الدفاع عن القرآن الكريم، فالعلماء منذ القدم حتى يومنا يركزون على الجانب التطبيقي، فلم أعثر على كتب تنظر للعلم وتحيطه من مختلف جوانبه كباقي العلوم الأخرى، هذا ما أدى إلى عرقلة عملية البحث وجعلها قاصرة.

- ضعف التكوين في مجال الدفاع عن القرآن الكريم بالنسبة لطلبة الدراسات العليا، فالساحة العلمية تعج بالحروب الفكرية والدينية، والبحوث والدراسات تتهاطل كالسيل الجارف على الأمة الإسلامية في ظل غياب مثل هذه الدراسات النظرية التي تقوي المسلم من الوقوع في الزلل.

- عدم توفر بعض كتب ومقالات الشيخ فضل حسن عباس، وهذا إما لفقدتها أو انعدامها في بلدنا أو في المواقع الإلكترونية بادية الأمر، لكن بعد جهد وبحت تحصلت والحمد لله على كتب الشيخ فضل، فقد اتصلت بالدكتورة سناء فضل حسن عباس ابنة الشيخ فضل فوفرت لي كتابه في التفسير الذي ألفه مع ثلة من العلماء، كما وفر لي الدكتور أحمد القوقا تفسير الشيخ الإذاعي، والذي طبعته جمعية المحافظة على القرآن الكريم بعد أن أفرغته، فنلت نسخة كاملة طبعت لتوزع كهدايا، فالكتاب لم يخرج بعد للمعارض والمكتبات، كما أن الدكتور حميد قوفي قد زودني ببعض مقالاته المفقودة كون أغلبها قد أدرجت في مؤلفات الشيخ بعدها، فجزا الله دكاترتنا ومشايخنا خير الجزاء.

وصلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.



المرخل التمهيدي: التعريف بحروو البحث

تعد السيرة الذاتية للعلم، وسيرته العلمية من أهم المداخل التي يعرج عليها الباحث عندما يتناول في دراسته موضوعا ما من خلال مؤلفاته، وفضل حسن عباس رحمه الله من بين العلماء المعاصرين الذين حملوا لواء الدعوة والدفاع عن القرآن الكريم، فكانت حياته منذ صغره مكرسة لتعليم القرآن الكريم حفظا وفهما، وقد كان الشيخ موسوعة علمية فذة، قلما تجد لها مثيلا في عصرنا الحالي.

وفيما يلي سأحاول على عجاله سرد سيرة مختصرة ل: فضل حسن عباس رحمه الله، بالإضافة إلى التعريف بأهم كتبه التي ألفها في مجال التفسير وعلوم القرآن.

المبحث الأول: ترجمة فضل حسن عباس رحمه الله وأهم مؤلفاته

المطلب الأول: ترجمة فضل حسن عباس رحمه الله.

الفرع الأول: اسمه ونسبه ومولده وأهله.

هو الشيخ العلامة المفسر، الأستاذ الدكتور أبو محمد فضل بن حسن بن أحمد آل عباس الصّفوري الشافعي.

ولد أستاذنا رحمه الله في عام 1351هـ الموافق ل 1932 م،¹ في بلدة صفورية، وهي قرية من قرى قضاء الناصرة الذي يضم خمسا وعشرين قرية، تقع اليوم على بعد سبعة أميال شمال غرب الناصرة، وقد تخرج في هذه البلدة من أهل العلم كثر، وبالنسبة إليها (الصفوري)، ويطلقون على أهلها اليوم لقب (الصفافرة).²

أستاذنا الراحل وهبه الله وجها أبيض مشرقا مليئا بالوضاءة والأنوار، والسكينة والوقار، ترى في محياه بركة الأبرار، وهيبة العلماء الكبار، أحمر الخدين، كفيف العينين، معتدل القامة، لطيف الوسامة والابتسام، من رآه هابه، ومن خالطه أحبه، اشتعل رأسه ولحيته شيئا، وامتلاً مظهره وشكله جمالا وحسنا، حريص كل الحرص على رتابة مظهره، وأناقة ملبسه، له صوت جهوري مسموع، فيه بجة نادرة الشبيه والمثيل، يصل إلى قلبك قبل سمعك...³

تزوج أستاذنا رحمه الله زوجتين، أما الزوجة الأولى وهي إحدى قريباته في لبنان، تزوجها سنة 1956م، اسمها فتحية سليمان عباس، وهي الأم الفاضلة الصابرة المجاهدة، أطال الله في عمرها على خير، وهي الزوجة التي مات أستاذنا رحمه الله، وبقيت في عصمته، وقد أنجبا تسع بنات وستة أولاد.

¹ - قمة الأعلام، محمد خير رمضان يوسف، - فريز/ محمد روميث، دار الوفاق للدراسات والنشر، 1/7.

² - لآئي مضيفة من حياة العلامة أ.د. فضل حسن عباس رحمه الله، د محمد بن يوسف الحوراني العسقلاني، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ط1، 1434هـ/2013م، ص 10.

³ - البلاغة القرآنية عند العلامة الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس وأثرها في الإعجاز والتفسير دراسة تحليل ونقد، عبد الله حماد عبد الله العوايصة، إشراف: د جمال محمود أبو حسان، رسالة دكتوراه في التفسير، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، كلية الدراسات العليا، قسم أصول الدين، 2014، ص 28.

أما الأولاد فهم: محمد وهو الأكبر وبه يكنى، وهو مهندس معماري، وحسن وهو طبيب، وقد توفي بعد الشيخ بسنتين في مكة المكرمة، وقد كان يعمل هناك، دفن في العليا حيث السيدة "خديجة" رضي الله عنها، وحسين، وجعفر، وعبد الله بكالوريوس فيزياء، وعبد الرحمن، وأما البنات تسع وهن: أم عاصم-نسيبة- بكالوريوس شريعة، و أم ليث- صفاء- بكالوريوس شريعة، و أم خلدون - سناء- دكتوراه تخصص تفسير وعلوم القرآن، و أم عبد الرحمن- مروة- بكالوريوس تاريخ، وفاطمة درست اللغة العربية -توفيت-، و أم موسى- عائشة- درست إحياء في كلية العلوم، و أم محمد- زينب-، ولبابة درست الشريعة و أمامة، وتوفيت رحمها الله في مقتبل عمرها بمرض ألم بها في القلب، ولأستاذنا رحمه الله ما ينيف على خمسين حفيدا جعلهم الله من الصالحين، ولقد كان الشيخ رحمه الله ضريرا منذ ولادته.¹

ومعظم بناته قد درسن الشريعة وهن أربعة، والخامسة درست اللغة العربية، وهذا يدل على تأثرهنَّ بوالدهنَّ، فقد كن يقرأن له الكتب، وقد أثمرت إحداهنَّ بأن أكملت المشوار لتكون دكتورة في التفسير وعلوم القرآن وهي الدكتورة سناء.

الفرع الثاني: نشأته.

نشأ الشيخ نشأة دينية منذ صغره، فهو من أسرة صالحة، وكان بيت والده مؤثرا للعلماء الذين يرسلهم خاله الشيخ العلامة يوسف عبد الرزاق، المدرس بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف إلى فلسطين ليعلموا الناس دينهم خاصة في شهر رمضان، وقد أضحى بيت والد الشيخ محط رحال العلماء في فلسطين، يجلسون مجالس علم وفضل وأدب، وكان شيخنا فضل عباس يجلس مستمعا يحفظ من الشعر والنثر ومسائل العلم ما شاء الله تعالى له أن يحفظ.

حفظ مولانا الأستاذ القرآن الكريم في بلده وهو ابن عشر سنين، وقد فتح الله تعالى عليه فحفظ القرآن كاملا عن ظهر قلب في واحد وخمسين يوما، ثم حفظ من المتون العلمية: متن الغاية والتقريب في فقه الشافعية، و متن الرحبية في الفرائض، والجوهرة في علم التوحيد، وألفية ابن مالك.

¹ - فضل حسن عباس وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، محمد بن يوسف بن اسماعيل الهبيل الجوراني، رسالة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، كلية الدراسات العليا، قسم أصول الدين، 2011م/2012م، ص 18-19. حوار منير الباحثين مع الدكتور سناء، العالم الرباني وعلامة التفسير الشيخ فضل حسن عباس، مع ماجدة العولقي، 3 ديسمبر 2016 م الساعة: 09:10.

وبعد هذا انتقل إلى الدراسة في عكا، ودرس فيها العلوم الشرعية حيث درس في المدرسة الأحمدية بجامع الجزائر، وبقي فيها عامين 1946م/1947م وكان من أساتذته في تلك المدرسة: الشيخ مشهور الضامن مفتي مدينة نابلس، والأستاذ فواز صالح، والأستاذ عزت مرعي وغيرهم، ثم بعد ذلك وحين بلغ هذا الفتى الثانية عشرة، قرر والده أن يُرحله في نيل العلم وطلبه فقصد مصر؛ لمكانتها العلمية عند الناس جميعا، وكان والده غنيا من أصحاب الأملاك في فلسطين فأوصى ولده بالعلم، وأن لا يهتم بالرزق.

يمضي هذا الفتى اليافع إلى بلاد مصر وكان محط رحاله منزل خاله الشيخ يوسف رحمه الله تعالى، وينتقل إلى مرحلة الثانوية، وذلك عام 1948م، وفي أول العام تقدم لامتحان كلية أصول الدين بالأزهر الشريف فتفوق فيها، وقد قيض الله له من العلماء الأفاضل المشهود لهم بمتانة العلم والموسوعية، والأصالة والتحقيق والتدقيق، ومن يحملون هم الأمة الإسلامية، والتضحية في سبيلها وفي سبيل تنشئة الأجيال تنشئة إيمانية حقة... ثم تخرج منها سنة 1952م، وكان عمره حينها عشرين سنة، فكان أصغر طالب يتخرج فيها على الإطلاق¹

بقي الشيخ العلامة في مصر إلى سنة 1953م، حين جاءه نبأ وفاة والده بלבنا، وأي إنسان مرهف الحس يتأثر بوفاة عزيز عليه بل أعز الناس عليه وأحبهم إلى قلبه؛ فعاد شيخنا العلامة إلى لبنان، ومكث فيها سنة دون عمل، ولقد مضى عزمه في البحث عن عمل، وهو في ذلك عف النفس شديد الحساسية لما يمكن أن يقال في مثل هذه المواقف... ثم قاده لطف الله تعالى إلى العمل في الأوقاف في صيدا في لبنان لمدة سنتين من 1954-1956م، وعمل بعد ذلك مع المفتي المجاهد الشيخ محمد أمين الحسيني، ذاك الرجل العالم الشهير، الذي تربو شهرته عن كل تعريف.

عمل شيخنا مع المفتي المجاهد في مكتبه من سنة 1956م إلى 1965م، كانت هذه السنوات التسع كفاحا سياسيا مريرا مع القوميين العرب، ومع اليساريين والشيوعيين، ومع وكالة الإغاثة الظالمية التي أذقت الناس ما لم يكن في الحسبان، ومع المكتب الثاني في بيروت (مكتب المخابرات)، إذ كان يلقي بظلم لا يكاد يُتصور على أهل فلسطين، لا سيما وقد كانت لبنان ساحة فسيحة لتطاحن هذه

¹ - ينظر: العلامة الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس كيف عرفته، د جمال محمود أبو حسان، ص 5-6 / سلسلة تراجم علماء الأردن 2، الدكتور فضل حسن عباس، د جمال محمود أبو حسان، الجامعة الإسلامية العالمية، ص 3-4. / فضل حسن عباس وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، ص 21-22-23.

الأحزاب وغيرها...¹

ثم سعى له الشيخ محمد عزة الشريف رحمة الله عليه على عمل في الأردن؛ ليشغل فيه الشيخ ويفيد الناس مما آتاه الله تعالى، فعُين واعظاً في عمان الأردن في تاريخ 1965/10/5م، وبعد سنة من ذلك التاريخ عُين مدرسا في كلية الشريعة بعمان سنة 1966م، حيث أُسند إليه تدريس علوم التفسير والحديث والتوحيد واللغة العربية، وتلاوة القرآن الحكيم، واستمر في التدريس في كلية الشريعة إلى سنة 1971م، وخلال مدة تدريسه تلك تحصل على درجة الماجستير من الأزهر الشريف سنة 1967م، وفي سنة 1972م حصل على درجة دكتوراه من الأزهر الشريف أيضا، وكانت رسالته في (اتجاهات التفسير في مصر والشام)².

وفي آخر سنة 1972م عين في المعهد الشرعي لتأهيل الوعاظ بعمان الأردن، واستمر في ذلك إلى سنة 1974م، ثم انتقل إلى الإمارات العربية ليعمل في نفس المجال ما بين عامي 1975-1978م، ثم استقر به الحال مدرسا في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية وذلك في عام 1978م، وبقي في الجامعة الأردنية حتى تقاعد منها عام 2002م، حصل على رتبة (الأستاذية) في علم التفسير، ولم تفتّر عزيمته، ولم يرض أن يطلق على العالم لفظ (متقاعد)، حيث العطاء والبذل وخدمة هذا الدين هو الطريق الذي لا ينتهي إلا بانتهاء الأجل المحتوم، فيواصل الأستاذ مشواره العلمي في جامعة اليرموك من سنة 2002-2007م، وبعدها انتقل إلى جامعة العلوم الإسلامية العالمية من سنة 2008 إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى.³

ولقد كان يلقي الدروس في بيته، وفي الإذاعات، وفي المعاهد العلمية والمنتديات وحلقات العلم، وقد سجلت له الإذاعة الأردنية 400 حلقة إذاعية في تلاوة وتفسير القرآن، وقد أهديت إليه دراسات وصدرت في كتاب: "دراسات إسلامية وعربية مهداة إلى العلامة الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس بمناسبة بلوغه السبعين" تحرير جمال محمود أبو حسان - عمان.⁴

¹ - دراسات إسلامية وعربية مهداة إلى العلامة فضل حسن عباس، ص 8-9.

² - المرجع نفسه، ص 10.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 11، / البلاغة القرآنية عند العلامة الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس وأثرها في الإعجاز والتفسير دراسة تحليل ونقد، 2014م، ص 33. - بتصرف-

⁴ - قمة الأعلام، محمد خير رمضان يوسف، 1/7.

الفرع الثالث: شيوخه وتلاميذه ومؤلفاته.

أولاً: شيوخه:

تلقى الشيخ فضل حسن عباس رحمه الله العلم على جمع كبير من العلماء والفضلاء، وأدّل على ذلك علمه الغزير، وثقافته العالية وأخلاقه السامية وهمة العالية، وهذه ما اكتسبها إلا من شيوخه ومعلميه، ولعل من أبرز شيوخه ومعلميه¹:

• الشيخ العلامة يوسف عبد الرزاق المشهدي:

ولد الشيخ يوسف عبد الرزاق المشهدي رحمه الله عليه سنة 1907م، ونشأ في بلده المشهد وهي من قرى الناصرة في فلسطين، تلقى مبادئ القراءة والكتابة ومبادئ العلوم على والده المرحوم عبد الرزاق، ثم انتقل إلى مدرسة الناصرة، ولما أنهى دراسته فيها أحب والده أن يُدرس ولده الشرع الحنيف، فأرسله إلى عكا حيث المدرسة الأحمدية، ثم أرسله والده إلى الأزهر الشريف فحصل على الشهادة الأولى، ثم نال العالمية المصرية في مدة لا تزيد عن سبع سنين، مع أن الوقت المقرر لها ست عشرة سنة، وكان موت الرجل كرامة، فقد مات بعد صلاة العصر ثاني أيام عيد الفطر رحمه الله عليه.²

• الشيخ العلامة محمد سليمان الشندويلي:

هو إمام من أئمة القراءات في مصر، قرأ عليه الأستاذ فضل حسن عباس رحمه الله القرآن أكثر من مرة، ومنحه إجازة في ذلك، ثم منحه إجازة في رواية حفص بسنده المتصل إلى سيد الأولين والآخريين محمد ﷺ إلى جبريل عليه السلام أمين السماء.³

• الشيخ مشهور الضامن:

هو الشيخ مشهور الضامن بركات، ولد سنة 1918م، في مدينة نابلس بفلسطين، وهو من

¹ - لمن اراد الاستزادة فقد أحصى الدكتور الجوراني عددا كبيرا من شيوخه الذين أوردوا الدكتور في مصنفاته أو تحدث عنهم، ينظر: فضل حسن عباس وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، محمد بن يوسف بن اسماعيل الهبيل الجوراني، رسالة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، 2012/2011، ص 37-43.

² - فضل حسن عباس وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، ص 38.

³ - القراءات القرآنية وما يتعلق بها، د فضل حسن عباس، دار النفائس، ط1، 1428هـ/2008م، ص 9.

عشيرة المساعيد المنتسبة إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من قبيلة هذيل، نشأ في بيعة متدينة، درس الشريعة في الأزهر الشريف، وهناك التقى بالإمام حسن البنا، ودخل في جماعة الإخوان، وقد كان مهتماً بالقضية الفلسطينية أيما اهتمام، ثم ذهب إلى فلسطين، وعين فيها مدرسا في المدرسة الأحمديّة في عكا، توفي يوم 1998م في مدينة عمان بالأردن.¹

• الشيخ أحمد العلوطي:

هو الشيخ أحمد العلوطي نسبة لقرية عيلوط وهو إمام بلدة الفضل في طفولته حيث كان يحفظ القرآن عن ظهر قلب، فاتفق معه والد الفضل على مكافأة معينة مقابل تحفيظ ابنه الفضل، وقد كان متفرغا للآذان فقط، فحفظ عليه الفضل القرآن حفظا جيدا، لكن بدون ترتيل.²

• العلامة الدكتور محمد عبد الله دراز (1377هـ-1958م):

عالم أديب ولد في قرية محلة دياي بمصر، وانتسب إلى معهد الإسكندرية الديني، وحصل على الشهادة الثانوية الأزهرية، وعلى شهادة العالمية، ثم تعلم اللغة الفرنسية، واختير للتدريس بالقسم العالي بالأزهر، ثم أرسل في بعثة علمية إلى فرنسا، وحصل على شهادة الدكتوراه من السوربون، وعاد فاشتغل بالتدريس في جامعة القاهرة، وفي دار العلوم وفي كلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية، ونال عضوية جماعة كبار العلماء، وكان عضوا في اللجنة العليا لسياسة التعليم، وفي مجلس الإذاعة، وفي اللجنة الاستشارية الثقافية في الأزهر، واشترك في المؤتمر العلمي الإسلامي بمدينة لاهور بباكستان، وتوفي بها فجأة في 16 جمادى الآخرة. 1234 هـ.

من مؤلفاته: تاريخ آداب اللغة العربية، منهل العرفان في تقويم البلدان، كتاب في مبادئ علم الأخلاق.³

• الأستاذ فواز صالح رحمه الله.

• الأستاذ عزت مرعي رحمه الله.

¹ - مشهور ضامن، مجلة المجتمع، 11-11-2006، موقع ويكيبيديا الاخوان المسلمين، 7-11-2012، الساعة 13:23.

² - القراءات القرآنية وما يتعلق بها، ص 8.

³ - معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة، مكتبة المثنى - بيروت / دار إحياء التراث العربي بيروت، 212/10.

- الشيخ العلامة الدكتور محمد يوسف موسى رحمه الله.
- الشيخ محمود الغنيمي رحمه الله.
- الشيخ محمد أبو الروس رحمه الله.
- الشيخ العلامة محمد الأودن رحمه الله.
- الشيخ إبراهيم زيدان رحمه الله.
- الشيخ محمد البصار رحمه الله.....¹

ثانيا: تلاميذه:

تلمذ على يد الشيخ عدد كبير من الطلاب والتلاميذ؛ وذلك لتنوع أماكن تدريسه: من مساجد ومعاهد ومدارس وحتى الجامعات، مع تنوع جنسيات طلابه في البلاد العربية الإسلامية، فقد توافد الطلاب عليه من مختلف الأماكن كفلسطين، ولبنان والإمارات والأردن إذ درس بها، أما ليبيا والجزائر وتونس والعراق، وتركيا ومصر وسوريا وغيرها فهي بلدان للطلبة الذين قصدوا الشيخ لأخذ عنه، هذا ما أكسب الشيخ تلاميذ ومحبين من كل مكان، حتى غدا أغلب تلاميذه من أكبر الأساتذة في الجامعات²، لهذا صعب عليّ عدّهم ولعل أبرزهم:

- الأستاذ الدكتور عبد الناصر أبو البصل رئيس جامعة العلوم الإسلامية العالمية في الأردن.
- الدكتور أحمد نوفل أستاذ جامعي في الجامعة الأردنية.
- الأستاذ الدكتور شحادة العمري مدير المعهد العالي للقراءات القرآنية بجامعة العلوم الإسلامية العالمية في الأردن.
- الدكتور أحمد البشاييرة أستاذ جامعة العلوم الإسلامية العالمية في الأردن.
- الدكتور جمال أبو حسان رئيس قسم أصول الدين في جامعة العلوم الإسلامية العالمية في الأردن.

¹ - فضل حسن عباس وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، ص 39-41.

² - ينظر: منير الباحثين، حوار مع الدكتورة سناء حول الدكتور فضل مع ماجدة العولقي.

- الأستاذ الدكتور محمد خازر المجالي عميد كلية الشريعة بالجامعة الأردنية.
- الدكتور سليمان دقور أستاذ جامعي في الجامعة الأردنية.
- الدكتور جهاد نصيرات رئيس قسم أصول الدين في الجامعة الأردنية.¹

وهذه قطرة من فيض إذ لا يتسع المقام لذكرهم جميعا.

ثالثا: مؤلفاته:

خلّف لنا الشيخ فضل حسن عباس رحمه الله مكتبة علمية زاخرة من الكتب والمجلات في عدة مجالات، قد أغنى بها المكتبة الإسلامية، وأخذ منها مقررات دراسية في المدارس والجامعات، وهذا إن دلّ على شيء فهو دليل على القيمة العلمية لكتبه، ولعل السر وراء انتشار كتبه ومؤلفات طريقته البديعة في التأليف والكتابة، فلم يكن هم الشيخ التأليف والكتابة، لكن همه تمثل في تزويد المكتبة بكتب لم يُصنّف في بابها، وهذا ما ذكره في مقدمات كتبه، كما أن له منهجا فريدا في التأليف، فقبل أن يؤلف في موضوع معين يقوم باستقراء كل ما كتب حول الموضوع، وهذا ما نلاحظه في بداية أغلب المواضيع المتناولة، ثم يقوم بتحليل ومناقشة ما قرأ والتعقيب عليها، ثم يدلي بدلوه في الموضوع، هذا هو المنهج الغالب في كتبه، أما إن وجد الموضوع قد قتل بحثا، فيتعفف حينها عن الكتابة فيه؛ لأن نيته الإفادة لا الإعادة.

كما تنوعت كتاباته بين الكتب والأبحاث المنشورة، أما فيما يخص المواضيع المؤلفة فيها، فقد اهتم بالتفسير وعلوم القرآن، كما اهتم بالفقه والبلاغة والرقائق.

مؤلفاته في التفسير وعلوم القرآن:

أولا: الكتب المطبوعة:

- التفسير الإذاعي
- التفسير المنهجي
- التفسير والمفسرون في العصر الحديث
- إتقان البرهان في علوم القرآن

¹ - فضل حسن عباس وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، ص 44.

- إعجاز القرآن الكريم
- قصص القرآن الكريم صدق حدث وسمو هدف، وإرهاف حس، وتهذيب نفس.
- قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية.
- القراءات القرآنية وما يتعلق بها.

ثانيا: الأبحاث المنشورة:

- شبهات في نشأة التفسير.
- أثر اللغة العربية في تذوق القرآن الكريم وفهمه (وقد ضمنها في كتاب أساسيات التفسير واتجاهاته).
- بيان إعجاز القرآن للإمام الخطابي تحليل ومقارنة ونقد.
- إعجاز القرآن للإمام الباقلاني دراسة وتحليل ونقد.
- النكت في إعجاز القرآن للرماني تحليل ونقد.
- قضية التكرار في كتاب الله.
- شبهات حول القراءات القرآنية.
- الكلمة القرآنية وأثرها في الدراسات اللغوية.
- مفردات القرآن الكريم مظهر من مظاهر إعجازه.

مؤلفاته في البلاغة العربية:

أولا: الكتب المطبوعة:

- البلاغة فنونها وأفنانها "علم المعاني".
- البلاغة فنونها وأفنانها "علم البيان والبديع".
- بلاغتنا المفترى عليها بين الأصالة والتبعية.
- لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن.

ثانيا: الأبحاث المنشورة:

- الدكتورة بنت الشاطيء والبيان القرآني.
- القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية.
- قضية الزوائد في كتاب الله تعالى.

- سلامة الحرف من الزيادة والحذف.

مؤلفاته في الفقه:

- التوضيح في صلاقي التراويح والتساويح.
- التبيان والإتحاف في أحكام الصيام والاعتكاف.
- أنوار المشكاة في أحكام الزكاة.
- فقهنا بين التسلط والتوسط.
- الإسراء والمعراج دروس ونفحات.
- الأحوال الشخصية.

مؤلفات في الرقائق والمواعظ: وهي سلسلة وسمها الشيخ رحمه الله ب: روضة التائبين، وهي

تتضمن كتابين اثنين وهما:

- خماسيات مختارة في تهذيب النفس الأمانة.
- مجالس التراويح.

مصنفات لم تتم:

صرح محمد يوسف الجوراني بأن هذه الكتب من تأليف الشيخ، لكنها لازالت عبارة عن مخطوط، بعضها اكتمل وبقي في المسودات، وبعضها لم يكمل بعض أجزاءه.

- كشف اللثام عن نحو ابن هشام.
- إعجاز القرآن المجيد-عرض ونقد وتجديد-.
- المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.
- شرح كتاب الإيمان من صحيح مسلم.¹

الفرع الرابع: ثناء العلماء عليه ووفاته.

أولاً: ثناء العلماء عليه.

للشيخ فضل حسن عباس رحمه الله منزلة عالية، وقدر كبير بين العلماء، ويتضح ذلك في شهاداتهم حول علم الشيخ وموسوعيته في حياته، وحتى بعد موته، فقد اعتبروا أن العالم الإسلامي قد

¹ - فضل حسن عباس وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، ص 65-66.

خسر أحد الأعمدة التي كان يرتكز عليها، ولعل فيما يلي بعض أقوال أهل العلم فيه، وفي أخلاقه وعلمه.

يقول محمد بركات أبو علي: " تنوعت ثقافة الدكتور فضل في أصولها التفسيرية والتشريعية والفقهية، فكانت هذه البوابة الكبرى التي من خلالها يرى علوم العربية، وعلوم الإنسان، ويجعل هذه العلوم مجتمعة في الكشف عن الإعجاز القرآني..."¹

ويقول سليمان الدقور: " وإن الأستاذ الدكتور فضل من العلماء الريانيين الذين عاشوا القرآن وتفيؤوا ظلاله، فما فتأت مجالسه يؤمها طلبة العلم القرآني، الراغبون في الوصول إلى (حكمة الإشراف) على اعتبار أن العلم نور يشرق في قلب العالم إذا تطهر من الذنوب...، لقد كان لأستاذنا رحمه الله هبة تجعل مريده يستعصي عليه الكلام أحيانا في حضرته، ولكنها هبة القرآن ونور البصيرة"².

وأما الأستاذ نور الدين محمد عتر فقد ترجم ذلك قائلا: " بعد هذه الجولات الماتعة في حقائق أيقنة من حدائق الدكتور الشيخ فضل حسن عباس حفظه الله وأمتع المسلمين بطول بقائه، واستمرار نفعه، نخلص إلى أننا أمام علم شامخ من أعلام العلم، وطود عظيم من فضلاء التحقيق..."³.

ويقول محمد أبو موسى متحدثا عن الشيخ فضل حسن عباس: "... فهو عالم في النحو، وعالم في الفقه، وفي التفسير وعلوم القرآن، وعلوم الحديث والأصول، وكل هذه العلوم يساند بعضها البعض، وهي علوم الأمة."⁴

يقول صلاح الخالدي: " كان الرجل قرآنيا، عاش عمره مع القرآن تلاوة وتفسيرا وتعلما وتعلما، وحينما كان يقرأ القرآن تشعر بتفاعله معه وأنه كان يقرأه بقلبه وكيانه، لقد كان يحمل دعوة القرآن، ويجب أحباب القرآن، ويكره أعداء القرآن"⁵.

¹ - دراسات إسلامية وعربية مهداة إلى العلامة الدكتور فضل حسن عباس بمناسبة بلوغه السبعين"، د جمال أبو حسان، دار الرازي، ص 41.

² - سلسلة تراجم علماء الأردن، 2، الدكتور الشيخ فضل حسن عباس، ص 26.

³ - دراسات إسلامية وعربية مهداة إلى العلامة الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس بمناسبة بلوغه السبعين، ص 78.

⁴ - المرحوم فضل حسن عباس نفحة من سيرته العطرة، نقلا عن رسالة" فضل حسن عباس وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، ص 47.

⁵ - جريدة السبيل الأردنية" الأجل المحتوم يسبق الرجل القرآني قبل توجهه لأداء العمرة" نقلا عن رسالة" فضل حسن عباس وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، ص 49.

ولقد انضم بهاء الدين البستنحي و أيمن عارف زايد أبيات شعرية يرثيان فيها الشيخ فضل عباس لمن أراد الاطلاع عليها يعود إلى كتاب: لآلئ مضيئة من حياة العلامة الدكتور فضل حسن عباس رحمه الله.¹

ثانيا: وفاته:

تُقدر حياة الواحد منا بأعماله وإنجازاته، وما خلفه من منافع للناس، وليس بعدد الأعوام التي عمر فيها، فبعد حياة مليئة بالعلم والترحال والمؤلفات والفوائد، شاء الله عز وجل أن يسترد أمانته إليه، فتوفي الشيخ رحمه الله صباح يوم الأربعاء السادس من ربيع الأول 1432هـ، الموافق ل: 9 شباط 2011م، وهو قاصد بيت الله الحرام لأداء مناسك العمرة، رحمة الله تعالى عليه.²

المطلب الثاني: مؤلفات الشيخ فضل حسن عباس.

الفرع الأول: كتبه في مجال علوم القرآن.

أولاً: كتاب "إتقان البرهان في علوم القرآن".

يعد كتاب إتقان البرهان في علوم القرآن من أهم كتب علوم القرآن المعاصرة، وسبب تسميته بهذا الاسم كما يقول الشيخ، تيمنا واعترافا لمؤلفي هذين الكتابين: البرهان في علوم القرآن للزركشي، والإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي.

الكتاب في مجلدين وله طبعتان، طُبع الكتاب أول مرة في مكتبة الفرقان في عمان حيث طبع الجزء الأول فقط سنة 1997م، أما الجزء الثاني فقط طبع في دار النفائس سنة 2010م، أما الطبعة الثانية فكانت في دار النفائس سنة 2015م، وهي الطبعة الأجود والأفضل.

كتب جمال أبو حسان مقدمة في الطبعة الثانية للكتاب بعنوان: فتح جديد في دراسة علوم القرآن، وقد تناول فيها نظرة شاملة على الكتاب، ذكر فيها مسلك الشيخ في دراسته لعلوم القرآن حيث يقول: "تجد التحقيق العلمي قد انفتح بابه، والتحقيق والتمحيص قد ظهرت آثاره، فما من مسألة إلا وأنت واحد فيها بغيتك تحقيقا وتمحيصا، وما من مبحث إلا وأنت واحد فيه -إن شاء الله-

¹ - لآلئ مضيئة، محمد الجوراني العسقلاني، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ص25-45..

² - سلسلة تراجم علماء الأردن 2، ص 16.

شفاء نفسك، ولم يكتف الأستاذ بتحقيق الموضوعات وتمحيصها بل عرج على أباطيل الأدعياء والأعداء على حد سواء فزلزل بنيانها وهدم أركانها، فيا سرور طلبة العلم وأساتذته بهذا الفتح الجديد¹.

وبهذا تبين لنا مسلك الشيخ في دراسته لمباحث علوم القرآن، فقد اعتمد على التحقيق والتمحيص في أغلب المسائل، ولم يكتف بهذا فقط، بل ركز أيضا على نقطة مهمة جدا، ألا وهي الرد على الشبه والأباطيل التي طرحت في مختلف مباحث علوم القرآن، والرد عليها بأسلوب علمي رصين وأمانة علمية، فهو يذكر الشبهة ويحللها ويرد عليها بدون تعصب أو تحيز.

ثانيا: كتاب "قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية نقد مطاعن ورد شبهات".

والكتاب عبارة عن رد علمي محكم على الموسوعة البريطانية التي تجنى كاتبوها على القرآن الكريم، فتصدي لها الأستاذ العلامة وزلزل بنيانها، وما أوردته من شبهات وتخريصات بأسلوب علمي محكم ورصين.²

حيث كان سبب تأليف الشيخ لهذا الكتاب ما افترج من شبهات وادعاءات من قبل هذه الموسوعة البريطانية، والتي كان من المفترض أن تلتزم الأمانة العلمية والموضوعية، لكنها حادت عن المنهج العلمي، وهذا ما دفع الشيخ للرد عليها ودحض شبهاتها حيث يقول: "لقد أثرت حول القرآن الكريم شبهات، ونسجت أقاويل، وكُتبت في ذلك أسفار، ولكننا مع هذا كله ما كنا نظن أن تكون مثل هذه الشبهات في موسوعة كانت أول سماتها العلم والمعرفة، وكان آخر ما يدور في خلدنا أن تكون الموسوعة العلمية بعيدة عن المنهجية والموضوعية.... وهذه الدراسة التي نقدمها للناس على اختلاف ثقافتهم ومذاهبهم تتصل بإحدى هذه الموسوعات وأكثرها شهرة، وهي الموسوعة البريطانية (british encyclopedia)، ولقد دهشت كثيرا حينما اطلعت على بعض القضايا القرآنية في الموسوعة، ودفعني حب الاطلاع والدفاع عنه أن أدرس عن كذب ما جاء تحت مادة (قرآن)، ورأيت بعد دراسة هادئة أن هناك قضايا كثيرة بحاجة إلى مناقشة، ونرجو أن يجد القراء في هذه الدراسة ما يتفق مع المنهج العلمي،

¹ - إتيان البرهان في علوم القرآن فضل حسن عباس، دار النفائس، ط2، 1436هـ/ 2010م، ص 6.

² - سلسلة تراجم علماء الأردن 2 الدكتور الشيخ فضل حسن عباس، ص 11-12.

والموضوعية القائمة على أسس متينة من دقة البحث، وتجنب العصبية وإبعاد الهوى¹
طبع الكتاب مرتين، الأولى صدرت عن دار البشير في عمان، في طبعتين اثنتين²، ثم أعيدت
طباعته في دار الفتح في عمان في ثلاث طبعات، آخرها سنة 1421هـ/2000م.
فالكتاب حري بالقراءة المتدبرة؛ لأن قراءته تعني قراءة كتب متعددة؛ لأن هذا الإفك يتردد في
كتب مستشرقين كثيرين مثل "جولد تسيهر" و"نولد كه" و"ماسيه"، وغيرهم الذين تنطبق عليهم ثنائية
الحقد والجهل التي بسطها الشيخ فضل حسن عباس رحمه الله.

والذي لفت نظري في الكتاب ثقافة الباحث التي أظهرت اطلاعه الواسع على البلاغة العربية،
ونقد علم الكلام، وقبل كل هذه المعارف الدينية من فقه وتفسير وسيرة، مما لا تعدمه في رجل شريعة
كالشيخ فضل، وقد تجلّى إبداعه في كثير من المواضيع، إذ لم يرهق القارئ بالمقتبسات، بل بمراجعة
قليلة، ونستطيع أن نقول: اجتهاد وافق الحق.³

ثالثاً: كتابي "قصص القرآن الكريم إبحاؤه ونفحاته"، و"قصص القرآن الكريم صدق حدث
وسمو هدف، وإرهاف حس، وتهذيب نفس".

كتاب (قصص القرآن إبحاؤه ونفحاته) هو الكتاب الأول للشيخ، حيث جمع فيه كل الآيات
المتعلقة بالقصص القرآني ورتبها حسب النزول، وجمع المتشابه ببعضه، مع الاهتمام ببعض القضايا التي
نستفيد منها من القصص القرآنية، طبع في دار الفرقان عمان، في طبعة واحدة سنة 1987م.

و الكتاب الثاني (قصص القرآن الكريم صدق حدث وسمو هدف، وإرهاف حس وتهذيب نفس)
هذا الكتاب عبارة عن نسخة مطورة للكتاب السابق، إذ زاد عليه الأستاذ ما يقارب حجمه، فعنى
بالدروس التربوية في القصة القرآنية، وتحقيق ما يتعلق بقضايا التاريخ، وبعض المهمات المتعلقة بعموم
القصص، وقد ناقش الشيخ كثيراً من الآراء الشائعة في القصص القرآني، وأضرب صفحاً عن كل

¹ - قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية نقد مطاعن ورد شبهات، فضل حسن عباس، دار الفتح عمان- الأردن، ط1، 1421هـ/2000م، ص 8-7.

² - فضل حسن عباس وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، ص 55.

³ - دراسة بعض مؤلفات العلامة الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس، ص 72.

الإسرائيليات التي ملأت كتب السابقين بعد أن حذر منها.¹

طبعته دار النفائس في الأردن، في ثلاث طبعات، آخرها سنة 1430هـ/2010م.

الفرع الثاني: كتبه في التفسير.

أولاً: كتاب " تفسير القرآن المجيد".

كان لي شرف عظيم أني كنت ممن تحصل على هذا التفسير المبارك، قبل أن تعرض نسخه للبيع، فقد تحصلت عليه كهدية من قبل رئيس جمعية المحافظة على القرآن الكريم الدكتور أحمد القوقا، فجزاه الله عني خير الجزاء، والتفسير يتكون من خمسة مجلدات متوسطة الحجم، فيها تفسير للقرآن الكريم بأكمله، صادر عن جمعية المحافظة على القرآن الكريم في الأردن.

وأصل هذا التفسير تفرغ حلقات إذاعية قدمها الشيخ على الإذاعة، وقد عرضها مرتين اثنتين:

الأولى: قدمها في الإذاعة الأردنية في مطلع السبعينيات، حيث يقول الشيخ عن هذه الحلقات ما يلي: " وقد وفقني الله تبارك وتعالى قبل ثلث قرن تحديدا في سنة 1971 م ففسرت القرآن الكريم كاملا للإذاعة الأردنية، وكانت تجربة رائدة إذ كانت الأولى من نوعها، لأنني لم أكن مفسرا فحسب، بل كنت أتلو الآيات الكريمات وأفسرها ثم أتلو غيرها، وكانت هذه الحلقة الواحدة خمس عشرة دقيقة، وقد استغرق هذا التفسير أربعمئة حلقة أي ما يقارب من مائة ساعة، وقد أذيع عدة سنين، وأظنه لا يزال يذاع في الإذاعات الموجهة خارج الأردن والله الحمد والمنة"²

وقد كان له أثر كبير على مستمعيه، وعليه ملاحظات، كما أنه كان مختصرا جدا.

ثم بقي هذا التفسير مقصورا على تلك الإذاعة، ثم انقطع خبره، فلا تسمع له همسا، وقد تقدم أحد الباحثين لبحث رسالة علمية فيه، فما كان من الإذاعة إلا أن وقفت سدا منيعا بينه وبين تلبية رغبته...³

¹ - سلسلة تراجم علماء الأردن، ص 11.

² - التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، فضل حسن عباس، دار النفائس، ط1، 1437هـ/2016م، 1/206.

³ - ينظر: لآلي مضيئة، ص21/ فضل حسن عباس وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، ص 229.

الثاني: قدمها في إذاعة حياة fm: بعد تلك الحادثة لاح للشيخ أن يفسره ثانية، دعاه لذلك ثمة ملحوظات فيه، وتغيير بعض الاختيارات، فبدأ بحمد الله في تسجيل هذا التفسير في المرة الثانية في إذاعة حياة fm.¹

لتقوم جمعية المحافظة على القرآن الكريم بتحويل هذا التفسير الإذاعي إلى تفسير ورقي ملموس، أطلقت عليه اسم (تفسير القرآن المجيد)؛ وهذا لأن الشيخ رحمه الله هو من أراد تسميته بهذا الاسم، وليعلم أن اللجنة المكلفة بإخراج التفسير أغلبهم من تلامذته، من بينهم ابنته سناء، للخروج بهذا العمل العلمي الضخم فبارك الله فيهم، وجزاهم الله كل خير.

ثانيا: كتاب "التفسير المنهجي للقرآن الكريم".

وهو تفسير مدرسي للقرآن الكريم بأكمله، أعده الشيخ مع ثلة من المتخصصين في الدراسات القرآنية، وقد طبع في عشرة مجلدات، وكان حظ الشيخ فضل منها أربعة أجزاء (الفاحة، والبقرة، وآل عمران، والنساء)، وقد صدر عن دار المنهل في عمان، بطبعة واحدة سنة 2006م، والكتب الأربعة تشبه الكتب المدرسية من حيث حجمها.

وقد كان منهج كتابة التفسير التي وضعها القائمون ما قرره في المقدمة حيث قال: "وميزة هذه التفسير أنه أعد ليكون منهجا للتدريس في المدارس التي تلتزم في منهجها تدريس الطلبة تفسير القرآن الكريم كاملا، والتزم مؤلفوه السير على نمط متقارب متدرج..."²

ثالثا: كتاب "التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث".

هذه السلسلة: التفسير والمفسرون، أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث عبارة عن ثلاث مجلدات معتبرة الحجم، طبعت في دار النفائس الأردن، في طبعتها الأولى، سنة 1437هـ/2016م، للشيخ فضل حسن عباس، وأصل هذه السلسلة كتابين اثنين للشيخ، وهما عبارة عن رسالته في الدكتوراه، وقع فيها أخطاء في الطباعة والسقط، وقد أوصى الشيخ في حياته بإعادة طبعه

¹ - لآلى مضيئة، ص 21

*المؤلفون هم: الدكتور فضل حسن عباس، الدكتور أحمد نوفل، الدكتور صلاح الخالدي، الأستاذ الدكتور أحمد شكري، الدكتور جمال أبو حسان.

² - التفسير المنهجي، فضل حسن عباس، دار المنهل، ط1، 2006م، ص 7.

في حلة قشبية، ومصححة منقحة يفيد منها أهل الدراسات القرآنية، وهذا ما حدث فعلا، فخرجت السلسلة في حلة علمية طيبة.¹

الكتاب الأول: التفسير أساسياته واتجاهاته.

وقد طبع في مكتبة دنديس، سنة 1426هـ/2005م، في طبعة واحدة، والكتاب عبارة عن دراسة في أصول التفسير واتجاهات المفسرين، حقق فيه الأستاذ كثير من الأمور المتعلقة بباب أصول التفسير واتجاهات المفسرين، فيه نظرات ثاقبة فيما يتعلق بهذا الباب.²

وسبب تأليف الكتاب كما يقول الشيخ: "والحق أن هذه النهضة، حرية بالدرس والتحليل، لذا حُبب إليّ أن تكون هذه النهضة موضوع هذا الكتاب، وذلك لأن بعض مناهج المفسرين في هذا العصر لم تدرس دراسة وافية، وبعضها لم يعرض له أحد من الباحثين هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن في بعض هذه المناهج من الهفوات والكبوات ما يجب التنبيه عليه حتى لا يخدع به الدارسون، وفي البعض الآخر نوع من الإبداع والروعة مما يجب الإشادة به".³

الكتاب الثاني: المفسرون مدارسهم ومناهجهم

الكتاب عبارة عن دراسة معمقة في مناهج المفسرين ومدارسهم، طوف فيه الأستاذ مدارس التفسير المختلفة، وعرف بكثير من المفسرين، أما بخصوص المنهج فهو نفس منهج تأليف الكتاب الأول.⁴

وطبع في دار النفائس عمان، 1427هـ في طبعة واحدة.

¹ - فضل حسن عباس وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، ص 56.

² - سلسلة تراجم علماء الأردن، ص 12.

³ - التفسير أساسياته واتجاهاته، فضل حسن عباس، مكتبة دنديس، ط1، 1426هـ/2005م، ص 6.

⁴ - سلسلة تراجم علماء الأردن، ص 13.

المبحث الثاني: الدفاع عن القرآن الكريم وأهم مناهجه.

علم الدفاع عن القرآن الكريم من العلوم المعاصرة التي يعمل العلماء على تقييده، ووضع أسسه وقواعده؛ وهذا نظرا للهجمات الشرسة التي يتعرض لها القرآن الكريم من الداخل والخارج، فبعد أن كان اليهود والنصارى هم الذين يثيرون الشبه والافتراءات، زاد التكالب على القرآن الكريم في الآونة الأخيرة، فأصبح بعض من أبنائها العاقين يشككون فيه، ويتطاولون على دينهم وقرآنهم زاعمين أنهم يدافعون عنه، ويريدون أن يخرجوه من قوقعة التقليد، لكنهم بفعلهم هذا يهدمون الإسلام.

لكن الله تعالى قد منح هذه الأمة علماء شجعان على مر العصور، تحارب من أجل إعلاء كلمة الحق وتذب عن حرمانه، وترد كل الشبه والافتراءات، بكل موضوعية وأمانة علمية.

سطر هؤلاء العلماء مجموعة من المناهج العلمية التي تقف بالمرصاد أمام هذا السيل الجارف من الشبهات، فتدحضها عن بكرة أبيها، وشعارهم في ذلك إمتثال آداب الحوار والمناظرة، ونصرة الحق دون تعصب أو هوى، فأعلوا كلمة الحق، فأسلم بذلك من يبحث عن الحقيقة دون تعصب، ووقف المنصف أمام الإسلام وكتابه مقدسا له.

المطلب الأول: الدفاع عن القرآن الكريم.

الفرع الأول: تعريف علم الدفاع عن القرآن الكريم.

يعد علم الدفاع على القرآن الكريم أو كما يسميه البعض علم الانتصار للقرآن الكريم من بين العلوم المعاصرة التي لم تقم كعلم مستقل له تعريف وقواعد وحدود، رغم اهتمام القدماء به في مؤلفاتهم إلا أنهم لم يفرده في مصنفات خاصة، ويصطلحوا عليه كما فعلوا مع العلوم الأخرى، لهذا سأحاول أن أجمع أهم التعاريف التي اصطلحت على هذا العلم الحديث، والذي يحاول بعض العلماء تقييده.

علم الانتصار: هو العلم الذي يبحث في فهم الشبهات المثارة حول القرآن الكريم، والانتصار منها بالحجة المؤيدة والدليل الصحيح.¹ أو هو العلم الذي يبحث في معرفة الشبهات المثارة حول القرآن الكريم، والرد عليها بالحجة الصحيحة.²

والملاحظ أنهما يركزان على الحجة والدليل الصحيح وهو لب عملية الدفاع.

كما يمكن القول بأن الانتصار للقرآن الكريم هو العلم بالشبهات المثارة على كتاب الله وبذل الوسع في دفعها بجملة من العلوم والوسائل العقلية والنقلية والمادية.³

من خلال هذه التعريفات المقترحة تبين أنها تركز كثيرا على دليل ردّ هذه الشبهات المثارة، فتارة تقول بالحجة المؤيدة بالدليل الصحيح، وتارة بالحجة الصحيحة، وتارة أخرى بدفعها بجملة من العلوم والوسائل العقلية والنقلية والمادية.

كما أن هذه التعريفات قد ركزت على طريقة الرد التي يجب أن تكون خاضعة للموضوعية، والأمانة العلمية وعدم التعصب، إضافة إلى آداب الحوار والمناظرة فلا تحوي على تهجم أو انتقاص من الطرف المخالف.

¹ - دراسات في علم الانتصار للقرآن الكريم، محمد بن زين العابدين رستم، دار الخزانة الأزهرية، ط1، 1440هـ/2019م، ص 20-21.

² - علم الانتصار للقرآن الكريم وموقعه من بين مباحث علوم القرآن الكريم، عبد الرحيم خير الله عمر الشريف، مجلة تبيان للدراسات القرآنية، العدد 13، 1434هـ، ص20.

³ - الانتصار للقرآن الكريم (دراسة تأصيلية)، سهاد أحمد قنبر، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد41، ملحق2، 2014م، ص788.

أما تعريفى المقترح لعلم الدفاع عن القرآن الكريم فهو: الأساليب والطرق المتنوعة التي يسلكها الداعية أو العالم في سبيل الرد على الشبهات التي تثار في حق القرآن الكريم وما يتعلق به، لتدفع عنه أي شك أو ريب يمكن أن يطرح من مخالف أو غيره.

الفرع الثاني: التأصيل لعلم الدفاع عن القرآن الكريم.

إن علم الدفاع عن القرآن الكريم من العلوم الحديثة التي يعمل العلماء على تأصيله، ووضع قواعده وأسسها التي تُشترط أن تتوفر ليرتقي إلى درجة علم مستقل، فالذي لا يُتخلف فيه أن علم الدفاع هذا رافق نزول القرآن الكريم من أول لحظات نزوله، فقد دافع عنه رسول الله ﷺ ودافع عنه الصحابة والتابعون حتى يومنا هذا، والدفاع عن القرآن الكريم أيضا رافق الحركة العلمية أثناء تدوين الكتب والمصنفات في العلوم الشرعية، فالعلماء منذ القدم يعرضون في كتبهم لشبهات الخصوم ويردون عليها في أقرب فرصة تتاح لهم، وحتى عند الفرق الإسلامية مع انحرافها، كان هدف أغلبها الدفاع عن القرآن الكريم والذب عن حرمانه كالمعتزلة مثلا.

ويؤكد هذا بعض العناوين كالانتصارات للطوفي، والانتصار للقرآن الكريم للباقلاني.

وكتب علوم القرآن والتفاسير تحوي على كمية كبيرة من الردود على الشبهات والافتراءات في طياتها ك: الإتقان والبرهان ومناهل العرفان ...

إذا فعلم الدفاع عن القرآن الكريم قديم النشأة، وإن لم تخصص له مؤلفات منفردة، وفي العصر الحديث ومع كثرة نشاط الحركة الاستشراقية التبشيرية والاستعمارية، والتي رافقتها التيارات الفكرية العلمانية المعاصرة، زاد الخطر على الأمة الإسلامية؛ وهذا بسبب تطور التكنولوجيا، وإدخال العوام في الحركات الهدامة والدعوة إلى الالتحاق بها، فزاد الخطر الذي يحدق بالأمة فكانت هناك محاولات للتأصيل لعلم الدفاع عن القرآن الكريم أو الانتصار للقرآن الكريم كما يسميه البعض، وهذا من خلال اقتراح تعريف لهذا العلم وبيان أهم أسسه وقواعده...، والجهود متواصلة إلى اليوم لتقعيد العلم وفصله عن مواضيع علوم القرآن.

ويجدر الإشارة إلى كتاب مباحث في علوم القرآن¹ ل: محمد نبيل غنام، فنجده قسمه إلى قسمين:

القسم الأول خصصه لعلوم القرآن، أما القسم الثاني: من أساليب الغزو الفكري (الطعن في القرآن الكريم)، وهذه أول خطوة للفصل بين علوم القرآن، وبين علم الدفاع عن القرآن الكريم مستقبلاً.

الفرع الثالث: جهود العلماء في الدفاع عن القرآن الكريم.

برع علماءنا في مختلف العلوم الشرعية من تفسير وحديث، وكذا في الفقه والأحكام والعقيدة...، كل عالم انبرى لعلم من العلوم أو لأكثر من علم حسب توجهه، وقدرة استيعابه وميوله، وقد كان لموضوع الدفاع عن القرآن الكريم النصيب الأوفر من كل هذه العلوم، حيث إن المفسر يتطرق إلى الشبهات التي أثيرت حول تفسير آيات الله تعالى، والفقيه والأصولي أثناء تنظيره للقواعد الفقهية والأصولية وغيرها يتطرق إلى الشبهات التي أثيرت حول هذا الموضوع ويرد عليها... وهلم جرا.

وكما قلت من قبل أن علم الدفاع عن القرآن الكريم ليس علماً مستقلاً بنفسه له تعريف ومؤلفات خاصة، فهو مبثوث في مختلف الكتب الشرعية في شقه النظري، حيث إن هناك من العلماء من يذكر الشبهات والافتراءات في ثنايا كتبهم ويرد عليها مباشرة، وهناك آخرون يفردها في كتب ومؤلفات خاصة. كما أننا نجد من العلماء من يفردها شخصاً بعينه للرد على شبهاته أو كتاباً معيناً... وفيما يلي سأحاول أن أتطرق لبعض مؤلفات القدامى في مجال الدفاع عن القرآن الكريم بنوع من الاختصار.

أولاً: جهود القدامى في الدفاع عن القرآن الكريم.

- ابن قتيبة: ألف ابن قتيبة كتاب (تأويل مشكل القرآن) بهدف الدفاع عن لغة القرآن الكريم، والرد على الطاعنين في كتاب الله والمشككين فيه حيث يقول: "وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا، واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله بأفهام كليلية، وأبصار عليلية، ونظر مدخول، حرفوا الكلام عن مواضعه...، فأحببت أن أنصح عن كتاب الله، وأرمي من ورائه بالحجج

¹ - بحوث في علوم القرآن، محمد نبيل غنام، دار الهداية للطباعة والنشر، ط1، 1990م.

النيرة، والبراهين البينة، وأكشف للناس ما يلبسون.¹

والذي يظهر أن هناك من الملحدين من تكلم في نظم القرآن الكريم وأسلوبه في الخطاب وفصاحته ومقاصد معانيه؛ ما دفع بابن قتيبة لتأليف هذا الكتاب مدافعا فيه عن كتاب الله تعالى، وراذًا على شبهات هؤلاء الملحدين.

-الباقلائي: كفانا الباقلائي عناء البحث عن سبب تأليفه لكتابه (الانتصار)، حيث أفصح عنه في مقدمة كتابه كما هي عادة المؤلفين في الغالب حيث يقول: "إقامة البرهان على استفاضة أمره وإحاطة السلف بعلمه، وانقطاع العذر في نقله وقيام الحجة على الخلق به، وإبطال ما يدعيه أهل الضلال من تحريفه وتغييره ودخول الخلل فيه، وذهاب شيء منه، وزيادة أمور فيهن وما يدعيه أهل الإلحاد وشيعتهم من منتحلي الإسلام... ونحن بحول الله وعونه نأتي في ذلك بجمل تزيل الريب والشبهة وتوقف على الواضحة...".²

إن أغلب ما ذكره الباقلائي هنا يتعلق بالدفاع عن القرآن الكريم والرد على الشبهات والافتراءات التي أثيرت حوله، ولا شك أن هذا يشمل علم الدفاع عن القرآن الكريم والانتصار له.

-الجاحظ:

من خلال كتابه (المختار في الرد على النصارى)، حيث ذكر الجاحظ بعض شبه النصارى التي كتب له بها بعض الغيورين على الدين ممن أرادوا منه الرد عليها، فرد عليها الجاحظ ودحضها. ورغم أن ابن قتيبة قد أبدى سخطه على صنيع الجاحظ، واتهمه بأنه يورد فيها حجج النصارى على المسلمين، فإذا صار إلى الرد عليهم تجوز في الحجة، وكأنه أراد تنبيههم على ما لا يعرفون...، إلا أن رأيه هذا وإن صدق على بعض الردود التي لم يتوسع فيها ويتعمق، إلا أن الأمر لا يصل إلى إضعاف المسلمين بنقل آراء النصارى لهم.³

¹ - تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ت: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ص 23.

² - الانتصار للقرآن، أبو بكر الباقلائي، ت: محمد عصام القضاة، دار الفتوح- عمان، دار ابن حزم- بيروت، ط1، 1422هـ/ 2001م، 56/1.

³ - مع الجاحظ في رسالة الرد على النصارى، إبراهيم عوض، مكتبة زهراء الشرق- القاهرة، ص 7-9.

والذي يستفاد من تعقيب ابن قتيبة على الجاحظ، أن منهج أهل السنة في الرد على النصارى وغيرهم، هو الإجمال في عرض شبههم، والتفصيل في الرد عليها، كي لا تكون سلما لغيرهم.

- سليمان بن عبد القوي الطوفي:

أورد الطوفي سبب تأليفه كتابه (الانتصارات الإسلامية في كشف الشبه النصرانية) في مقدمة كتابه حيث يقول: "فإني رأيت كتابا صنفه بعض النصارى، يطعن به في دين الإسلام، ويقدم به في نبوة محمد عليه -أفضل الصلالم والسلام- فرأيت مناقضته إلى الله ورسوله قربانا، ورجوت بها مغفرة من الله ورضوانا، حذرا من أن يستخف ذلك بعض ضعفاء المسلمين، فيورثه شكاً في الدين".¹

ويحسن بي أن أنبه أن عبد المحسن بن زين المطيري جعل مبحثا مستقلا في رسالته يعتبر ككشاف للمؤلفات التي صنف في مجال الدفاع عن القرآن الكريم في القرن الرابع للهجرة، حيث قسمها إلى مطبوعة، و مخطوطة، و مفقودة، مع إرفاقها بمختلف المعلومات التي تفيد القارئ كالتطبعات ودور النشر ومكان تواجد المخطوطات...²

ثانيا: جهود المحدثين في الدفاع عن القرآن الكريم:

زحرت المكتبة الإسلامية الحديثة بكتب الدفاع عن القرآن الكريم وعلومه في العصر الحالي، وهذا نظرا للهجمة الشرسة التي يتعرض لها القرآن الكريم من أعدائه، والذي يميز هذه المرحلة عن سابقتها أن الشبه المطروحة لم تكن من أعداء الإسلام فقط، بل ظهر نوع جديد من بني جلدتنا يجارون الإسلام، ويدعوا إلى التخلص من التراث الإسلامي القديم، وهذا يمثل التيار الحدائثي والعلماني المعاصر، لهذا أصبح التكالب على الإسلام والقرآن زائدا، دون أن ننسى بعض أصحاب الفرق الإسلامية المنحرفة التي تُلقى بالشبهات والافتراءات على القرآن الكريم وعلومه.

ويمكن أن نقسم جهود المحدثين في الدفاع عن القرآن الكريم إلى ثلاثة أقسام: مؤلفات في دفاع عن القرآن من شبهات المستشرقين، مؤلفات في الدفاع عن القرآن الكريم من شبهات التيار الحدائثي،

¹ - الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، سليمان بن عبد القوي الطوفي، ت: أحمد حجازي أحمد السقا، مكتبة الناظدة- القاهرة، ص 27.

² - دعاوي الطاعين في القرآن الكريم في القرن الرابع الهجري والرد عليها، عبد المحسن بن زين بن متعب المطيري، دار البشائر الإسلامية بيروت- لبنان، ط1، 1427هـ/ 2006م، ص 58-70.

مؤلفات في الدفاع عن القرآن من شبهات بعض أتباع الفرق الإسلامية المعاصرة.

1: مؤلفات في الدفاع عن القرآن من شبهات المستشرقين:

تنوعت المؤلفات التي دونت حول الاستشراق، حيث نجد منها ما يدرس الحركة الاستشراقية من مختلف جوانبها ويرد عليها مثل كتاب (الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم) ل: "مصطفى بن حسني السباعي"، وكتاب (المستشرقون والقرآن الكريم) ل: محمد أمين بني عامر...، كما أننا نجد من يرد على الموسوعات الاستشراقية التي تدعي الموضوعية مثل (قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية) ل: فضل حسن عباس، وكتاب (دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية أضاليل وأباطيل ل: إبراهيم عوض...، دون أن أنسى الدراسات التي تتناول شخصا معيناً بمؤلف ككتاب: دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين لمحمد الغزالي، حيث إنه رد على كتاب العقيدة والشريعة ل: جولد تسيهر... هكذا تنوعت الكتب والمؤلفات في مجال الدفاع عن القرآن الكريم بتنوع كتابات المستشرقين.

2: مؤلفات في الدفاع عن القرآن الكريم من شبهات التيار الحداثي.

لحداثة كتابات التيار العلماني المعاصر ولضخامة إنتاجهم وتنوعه، رافقت كتابات العلماء المدافعين عن دينهم هذه الحركة الهدامة منذ ظهورها إلى يومنا الحالي، فقد وقفوا بالمرصاد بالرغم من أن أغلب دراساتهم تتميز بالضحالة والهوان، إلا أن العلماء لم يتركوها خشية التعشيش في عقول ضعاف النفوس، فألفوا كتباً ومقالات في الرد عليهم خاصة أصحاب القراءات المعاصرة وحكموا عليها بالتهافت، وقد تنوعت هذه العناوين وتعددت ك: القراءات المعاصرة للقرآن في الميزان ل: أحمد عمران وتهافت القراءات المعاصرة ل: منير الشواف، النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر ل: القطب الريسوني...، كما خصت كتب الحداثيين بالدراسة ككتاب شحور (الكتاب والقرآن) حيث ألف يوسف الصيداوي كتاباً نقده فيه هذا المؤلف (بيضة الديك).

3: مؤلفات في الدفاع عن القرآن من شبهات بعض أتباع الفرق:

زاغت بعض الفرق الإسلامية عن الطريق السوي في بعض المواضيع العقدية خاصة، لكنها تختلف عن الاستشراق والحداثة في شبهاتها المثارة، فهدفها كان الدفاع عن القرآن الكريم لا التشكيك فيه، لكنها زلت في طريقها وبشت شبه حول القرآن الكريم وعلومه، وهذا ما نلاحظه عند المعتزلة مثلاً،

فبالرغم أن لهم شبهات وأخطاء إلا أنها تسعى إلى نشر الإسلام والدفاع عنه، كما أننا نجد أشخاصا من أهل السنة والجماعة قد زاغوا عن الطريق المستقيم من خلال تبني أفكار وآراء تخالف ما أجمعت عليه الأمة، وبالتالي فأراؤهم تلك تعد شبهة مثارة وجب دراستها والرد عليها، حيث إنه لا يشفع لهم إسلامهم لتغطية قولهم، وتمثل لهذا بالمدرسة العقلية الحديثة في التفسير بقيادة محمد عبده، فقد كانت للمدرسة شطحات وخرجات غير مقبولة، ردَّ عليها العلماء وبينوا خطأها، كما يمكن أن أدرج هنا اجتهادات النحويين واللغويين والقراء في القرآن الكريم المخالفة لإجماع الأمة.

كل هذا رد عليه علماؤنا وبينوا علته وفساده بالأدلة والبراهين، هذا ما يدل على أن وحدة الدين والمعتقد لا تشفع لصاحبها أمام الحق، فالمناقشة قد شملت الأفكار والآراء وليس الأشخاص وهذه هي الموضوعية والأمانة العلمية.

المطلب الثاني: محاضن الشبهات المثارة عن القرآن الكريم وآليات طرحها.

الفرع الأول: محاضن الشبهات المثارة عن القرآن الكريم.¹

إن المتتبع للشبه المطروحة حول القرآن الكريم يجد أن مصادرها الأساسية لا تخرج عن: تراث الفرق الإسلامية، الفكر الاستشراقي، الفكر الحدائثي.

أولاً: التراث:

التراث الإسلامي ثروة حقيقية للأمة الإسلامية، حيث خلف العلماء مؤلفات قيمة في مختلف العلوم والفنون، لكن هذا التراث يحتاج إلى تحقيق وتمحيص من قبل العلماء والنقاد، لما فيه من روايات وآراء مخالفة للدين الإسلامي وأحكامه.

فبعلم الدفاع عن القرآن الكريم نسلك نظرة فاحصة لهذا التراث وما شمله من شبه وافتراعات حول القرآن الكريم وعلومه، وعلى العامل في هذا العلم تتبع كل ما ورد في الموضوع بنظرة علمية نقدية ثاقبة، ترد الشبهات وتدحظها عن بكرة أبيها بكل موضوعية وأمانة علمية، بعيد عن التحيز والتعصب.

¹ - الانتصار للقرآن الكريم، إسهام في التقعيد، أحمد بوعود، المؤتمر الدولي الأول لتطوير الدراسات القرآنية، www.tafsir.net، ص 59/22.

ولعل كتب الفرق الإسلامية المنحرفة هي المقصودة غالبا في هذا المجال، لكن هذا لا يمنع أن يكون لبعض علماء أهل السنة والجماعة هفوات في هذا الموضوع، وعلى العلماء الرد على ما نقلوه من شبه بغض النظر عن قائلها، فالبغيه هنا هو الدفاع عن القرآن الكريم لا مراعاة الأشخاص والفتات. وكان للمدرسة العقلية الحديثة - من حيث وقوعها في الزلات في مجال الدراسات القرآنية - نصيب من ذلك.

ثانيا: الفكر الاستشراقي:

والذي نعني به كل فكر غربي غير مسلم ونظرته للقرآن الكريم، وهذا من خلال مؤلفاتهم وموسوعاتهم العلمية و...، فالاستشراق قد أولى الدراسات القرآنية عناية كبيرة، وقد سخر لها من الجهد والعتاد مالا يستهان به، لكن الذي يغلب على الدراسات الاستشراقية في مجال الدراسات القرآنية هو التعصب والهوى، والدراسات الموضوعية عندهم في هذا المجال قليلة جدا.

اهتم المستشرقون بالقرآن الكريم أيما اهتمام، وهذا ظاهر من خلال الدراسات الاستشراقية العديدة التي شملت مختلف العلوم الشرعية، فقد اهتموا بعلم التفسير وعلوم القرآن، كما اهتموا بالفقه والقصص والعقائد وبثوا فيها سمومهم وشبهاتهم، لكن الذي يلحظ من هذه الشبه والافتراءات أن المحدثين منهم يجتزون شبه المستشرقين القدامى، دون زيادة بل جل كلامهم عبارة عن ترداد لا جديد فيه، ولو أنهم كلفوا أنفسهم عناء البحث والسؤال لظهر لهم بطلان تلك الشبه.

فلم يكتف المستشرقون بترجمة كتب الفرق المنحرفة ونشرها، ونشر دراسات حول القرآن الكريم في مؤلفات مستقلة أو في رسائل أكاديمية علمية كما يُدعى، بل تطور الوضع وأسسوا موسوعات علمية ضخمة لدراسة القرآن الكريم مثل "دائرة المعارف الإسلامية البريطانية" تدعي الموضوعية والأمانة العلمية، لكن الذي يؤسف أنها لم تلتزم بما اشترطته على نفسها، فقد غلب عليها الهوى والتعصب، وتبنت آراء شاذة ومغرضة، ففقدت قيمتها العلمية بالرغم من اعتبارها صرحا علميا فريدا من نوعه في غير مجال الدراسات القرآنية.

ثالثا: الفكر الحدائى:

الحدائىون هم مفكرون ينتمون إلى الإسلام، لكنهم يتصدون لدراسة القرآن بدافع الحدائىة والتحدىث، ولىس بالقواعد اللى سطرها العلماء منذ القدم، لهذا يمكن الحكم على هذه الدراسات بالفساد والعلة من أول الأمر.

فالحدائىون هم الأبناء غير الشرعىين للحركة الاستشراقىة، حىث إن أغلبهم درسوا فى مدارسهم وتربوا على أىدى أساتذتهم، ورضعوا ثقافتهم، لهذا لا نستغرب آرائهم وأفكارهم الهدامة، فالمناهج اللى يدعون إلى تطبقها على القرآن الكرىم مناهج غربىة بحتة؛ طبقها الغربىون على كتبهم المقدسة، فأراد هؤلاء المحسوبىن على الإسلام أن يحدوا حدوً أساتذتهم فى تطبق هذه المناهج البشرىة، فباءت كل محاولاتهم بالفشل.

واشتملت كتب هؤلاء الحدائىىن على شبه وافتراءات حول القرآن الكرىم وعلومه، وبإلقاء نظرة سطحىة على هؤلاء المؤلفات نجد المسحة الفلسفىة غالبة على كتاباتهم، فهم يستعملون ألفاظا فلسفىة معقدة غير مفهومة للقارئ، تحتاج إلى شرح وبيان، وهذا من بىن عىوب كتاباتهم.

والحدائىون غير متخصصىن فى الدراسات القرآنىة، وبالتالى فهم غرباء على هذا العلم ولا يجوز لهم أن يقتحموا مجالاً لا ىبرعون فىه، والنتىجة واضحة وأكىدة فكتب بعضهم لا ترقى إلى درجة كونها كتباً علمىة.

الفرع الثانى: آلىات طرح علم الدفاع عن القرآن الكرىم¹.

بعد أن عرفنا أهم الفئات اللى ىنبغى أن ىعنى بعلم الدفاع عن القرآن الكرىم من حىث تفنىد شبهاتها، أتطرق إلى كىفىة طرح الشبهات والرد عليها ردا علمىا محكما، فتأتى أولا مرحلة الوصف، ثم مرحلة التحلىل، وأخىرا مرحلة النقد، واللى تعد جوهر عملىة الدفاع والمغزى من دراسته، وهذه الخطوة الأخىرة هى الثمرة اللى ىركز عليها الباحث واللى ىشترط معها الأمانة والموضوعىة.

¹ - الانتصار للقرآن الكرىم إسهام فى التعقید، ص54-58.

أولاً: الوصف:

الوصف لغة هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات...¹، أو هي تلك التي يعمد فيها الكاتب إلى تصوير ما يريد أو يخطر له أو يشاهد في أسلوب مؤثر، يتتبع فيه الدقائق، ويلاحق التفاصيل الصغيرة في المشهد، وينقل أثر ذلك في نفسه...² إذا فالوصف عبارة عن ذكر مختلف أحوال الشيء وهيئاته بالتدقيق والتفصيل دون إغفال شيء منه ليكون على الصورة الحقيقية.

وانطلاقاً من المعنى اللغوي فالوصف هنا أن يذكر المدافع عن القرآن الكريم كل تفاصيل الشبهة، ويوردها لنا على أبين وجه عند صاحبها، حيث يورد لنا مصدر الشبهة أهي من التراث الإسلامي، أم من عند المستشرقين أم من عند الحدائين، كما يجب أن ينقل فحوى الشبهة كاملة غير منقوصة كما أوردتها صاحبها بكل أمانة، ضف إلى ذلك أنه يحسن به أن يصنفها، إن كانت تنتمي إلى الشبهات المتعلقة بالقرآن الكريم أو علومه أو بالتفسير.

والذي يجدر الإشارة إليه هنا أن مرحلة الوصف يسبقها الاستقراء بنوعيتها حسب طبيعة الدراسة، وهي من الأهمية بمكان في سبيل الرد على الشبهة، حيث يجمع كل تفاصيل الشبهة في مجموعات متشابهة قصد تصنيفها وإدراجها في مكانها المناسب مرتبة منظمة.

وعلى هذا الصنيع اعتمدت في أطروحتي هذه، فقد جمعت مختلف الشبه التي طرحت حول القرآن الكريم وعلومه، وقمت بتصنيفها، فما كان من التراث أدرجته وحده، وما كان من الفكر الاستشراقي أو الحدائي أدرجته منفرداً كذلك، ثم قسمت هذه الشبهات بعدها إلى شبهات متعلقة بكتاب الله تعالى باعتباره كتاباً سماوياً، وشبهات متعلقة بعلوم القرآن، وشبهات متعلقة بالتفسير وغيره من العلوم.

ثانياً: التحليل:

وهي المرحلة الثانية في الرد على الشبهات المثارة، وأهتم هنا بتشريح النصوص التي وردت فيها الشبهة وهذا بتفكيكها إن كانت الشبهة مركبة، وذكر معطياتها وبيان المراد من طرحها، مع شرح ما كان

¹ - العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1401هـ/1981م، 294/2.

² - التحرير الأدبي، حسين علي محمد حسين، مكتبة العبيكان، ط5، 1425هـ/2004م، ص 177.

منها غامضا أو غير مفهوم، إضافة إلى شرح الحجج التي استشهد بها صاحب الشبهة، وسبب تبني هذا الرأي وإن كان خافيا للعيان.¹

وعملي هنا هو تحليل الشبهات التي جمعتها من مؤلفات "فضل حسن عباس رحمه الله" بعد أن صنفتها في مجالاتها الخاصة، فكان العمل قائما على تحليل وتفكيك هذه الشبهات وشرح المفاهيم الغامضة منها، مع بيان مصدر الشبهة، وسبب تبني هذا الرأي في بعض الأحيان، والأهم من هذا كله استخراج حجج الخصم، وترتيبها والعمل على اختصارها دون الإخلال بمعناها، وهذه آخر خطوة هنا لتبدأ مرحلة النقد والتقييم.

وتحليلي كان على نوعين: النوع الأول خاص بتحليل "فضل حسن عباس رحمه الله" للشبهات التي طرحها في مؤلفاته، والنوع الثاني هو تحليل الباحثة لطريقة تناول الشيخ "فضل حسن عباس رحمه الله" لهذه الشبهات وكيفية الرد عليها والتعليق على ذلك.

ثالثا: النقد:

النقد هو عملية تقويم وتصحيح وترشيد، ولا يكون بمعنى النقص دائما، بل هو محاكمة إلى قواعد متفق عليها أو نسق كلي.²

يعد النقد جوهر علم الدفاع عن القرآن الكريم، وغايته ولبه، لذا ينبغي أن يكون مؤسسا علميا ومبنيًا على قواعد³ متينة، والنقد الذي نقصده هنا هو النقد البناء الذي يقوم على آداب الحوار، وليس ذلك النقد الهدام الذي يحكمه الهوى والتعصب والذي نلحظه في أغلب دراسات المستشرقين والحداثيين.

فعندما ينجح الداعية في عملية النقد والتقويم يفتح الباب ليُقبل غير المسلمين على دين الله، ويحاول أن يرد المسلمين الذين زاغوا عن الطريق ويقوي إيمان البقية منهم، فهو دين العالمية جمعاء.

والمنهج النقدي المتبع في هذه الأطروحة كان على نوعين أيضا كما في التحليل تماما، النوع الأول

¹ - الانتصار للقرآن... إسهام في التقعيد، ص 58. - بتصرف -

² - أبجديات البحث في العلوم الشرعية، ص 98.

³ - الانتصار للقرآن الكريم إسهام في التقعيد، ص 58-59.

نقد الشيخ فضل حسن عباس لمحتوى الشبهات التي أوردها؟ كيف كان نقده لهذه الشبهات؟ وما هي أهم القواعد والمناهج التي استعملها...؟، أما النوع الثاني فهو نقد الباحث لطريقة الشيخ "فضل حسن عباس رحمه الله" في الرد على الشبهات ما هي أهم المناهج التي استخدمها في ذلك مع تعدادها؟ هل وفق في رده على هذه الشبهات أم لا؟ إلى أي مدى يعد رده ومناهجه الدفاعية ناجعة؟ ماهي جوانب قوة وضعف هذا الرد؟ ماهي النقائص التي اعتلته؟ وهذا هو لب البحث، والسبب الرئيس لإعداد البحث وإنجازه، وينتج عنه استخراج المناهج الدفاعية التي استخدمها الشيخ مع تحليلها ونقدها وتقويمها.

المطلب الثالث: مناهج علم الدفاع عن القرآن الكريم.

تعد مناهج الدفاع عن القرآن الكريم هو لب هذا البحث وسبب قيامه؛ وهذا لأنه يشمل عنوان البحث ومغزاه ومرتكزه، فالحديث عن المناهج بحر لا شاطئ له، لكن في حقل الدراسات القرآنية هناك مناهج بحثية معينة تتلاءم مع طبيعة الدراسات القرآنية خاصة في مجال الدفاع عنها والذب عن حرمتها. والذي سأركز عليه هنا هي أهم مناهج الدفاع عن القرآن الكريم وعلومه التي يستخدمها العلماء في دراستهم، حيث إن استخدام هذه المناهج راجع إلى طبيعة الشبهة ومحتواها، فربما هناك منهج دفاعي يصلح في رد شبهة ولا يصلح في رد شبهة أخرى في حقل الدراسات القرآنية، لهذا يمكن القول بأن طبيعة الشبهة هي التي تحدد المنهج الدفاعي أو المناهج الدفاعية الصالحة لدحضها، كما يمكن أن يستعمل أكثر من منهج دفاعي، كل هذا تحدده الشبهة ومحتواها.

وليعلم أن أهم المناهج الدفاعية في حقل الدراسات القرآنية يمكن أن تحصر فيما يلي: المنهج النقلي، المنهج العقلي المنطقي، المنهج الحسي العلمي، المنهج التاريخي، منهج الرد بأقوال المخالفين أنفسهم سواء كانوا مستشرقين أم حديثين أم من الفرقة الإسلامية القديمة أو المعاصرة.

الفرع الأول: المنهج النقلي.

كل ما ورد في الكتاب والسنة يسمى أدلة نقلية، يقال لها السماعية أو الخبرية أو المأثورة كلها بمعنى واحد، وهي الأدلة المسموعة المنقولة عن كتاب الله العزيز والسنة المطهرة أو الأدلة التي نقلها إلينا

نقلا الحديث والرواة.¹

الاحتجاج بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من أهم مناهج الدفاع المتينة التي يعتمد عليها الداعية في عمله الدعوي في سبيل الرد على شبهات الخصوم وافتراءاتهم، فلا أقوى من كلام الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ، أمامهما يخر الجبل الشامخ والسييل الجارف، فلا كلام بعدهما.

لهذا يمكن أن أعرف المنهج النقلي بأنه استخدام نصوص قرآنية أو أحاديث نبوية للرد على الشبهات التي تثار حول القرآن الكريم أو السنة النبوية وغيرهما.² ويستعمل هذا المنهج غالبا مع المسلمين الذين يؤمنون بالإسلام إذا ما زاغوا عن الطريق وانحرفوا، كما يمكن استعماله أيضا مع غير المسلمين لما فيه أدلة عقلية ومنطقية وعلمية تقنع الباحث المنصف المتجرد.

وأدلة الكتاب والسنة تقوم بها على الحجة، وتتضح بها المحجة؛ وذلك لما تضمنته من الأدلة الواضحة، كما أن الدعاة يحتاجون إليها لتتضح لهم طبيعة ما يدعون إليه، وكذلك تتضح لهم جملة من الأمور التي تساعدهم على إيصال دين الإسلام الخفيف إلى كافة الناس.³

ولا منهج أقوى وأنجح من كلام الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام.

وبالتالي فالمنهج النقلي في بحثنا هذا إذا أطلقناه فإننا نقصد به القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال الصحابة.

والمنهج النقلي هو المنهج الغالب في مجال الدفاع عن القرآن الكريم وعلومه، فدفاع الواحد عن نفسه أحسن فهو أعلم بحاله، وكلام الله أعلى وأجل، فكما تكفل الله بحفظ كتابه تكفل أيضا بالدفاع عنه والرد على كل مفتر.

¹ - العقل والنقل عند ابن رشد، أبو محمد محمد أمان بن علي جامي علي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط11، 1398هـ/ 1978م، ص78.

² - ينظر: منهج الدعوة الإسلامية في الرد على الشبهات دراسة منهجية تأصيلية، شميم أحمد بن عبد الحكيم، إشراف: بدر بن ناصر البدر، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية السعودية، كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب الرياض، 1429هـ/ 2008م، ص 368-369. -بتصرف-

³ - الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر، عبد الرحيم بن محمد المغدوي، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط2، 1431هـ/ 2010م، ص186.

الفرع الثاني: المنهج العقلي المنطقي.

العقل جوهر روحاني خلقه الله تعالى بيدن الإنسان، وقيل هو نور من القلب يعرف الحق والباطل... والصحيح أنه جوهر مجرد يدرك الفانيات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة.¹
أما المنطق فهو آلية قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر.²
وبالتالي فكل من العقل والمنطق يبحث عن حقيقة الشيء وجوهره والبعد عن الخطأ والزلل أثناء البحث.

والمنهج العقلي في دراستنا هو: استعمال الأدلة والأساليب التي يغلب عليها مخاطبة عقل المدعو لإزالة الشك والشبهة عن نفسه.³
وقيل: هو النظام الدعوي ومجموع الأساليب الدعوية التي تركز على العقل وتدعو إلى التفكير والتدبر والاعتبار.⁴

وإذا حاولت وضع تعريف يشمل العقل والمنطق معا يمكن القول إن المنهج العقلي المنطقي هو: استعمال القواعد العقلية والمنطقية في سبيل الرد على الشبهات والافتراءات التي طالت القرآن الكريم وعلومه لدحضها.

والداعية أثناء تطبيقه للمنهج العقلي المنطقي يستعمل مصطلحات هذه العلوم، حيث يقول مثلاً: من المعقول، من المنطقي، ولهذا ليس من الصعب أن نستشف هذا المنهج، فهو بارز لا يحتاج إلى بذل الجهد، والباحث العاقل الذي هدفه البحث الموضوعي يتوقف عند هذه الحجج العقلية المنطقية، وينقاد إلى الطريق القويم دون مراوغة أو تلاعب.

¹ - ينظر: التعريفات، الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط1، 1403هـ/1983م، ص 152

² - معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب- القاهرة، 1424هـ/ 2004م، ص 117.

³ - منهج الدعوة الإسلامية في الرد على الشبهات، ص381.

⁴ - ينظر: المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، ط3، 1415هـ/1995م، ص 208. أصول الدعوة ومناهجها دراسة تأصيلية تحليلية، رمضان محمد مطايرد وآخرون، 2019م، ص274.

وهذا المنهج يصلح تطبيقه على المسلمين، كما يمكن تطبيقه مع المستشرقين الموضوعيين، والحدائين الذين يركزون في بحوثهم على الفلسفة والمنطق والعقل.

الفرع الثالث: المنهج الحسي التجريبي-المنهج العلمي-

يعرف المنهج التجريبي باستخدام التجربة في قياس وضبط المتغيرات المختلفة،¹ فالمنهج التجريبي يعتمد على التجربة والعينات أكثر، فهو يتعامل مع المحسوسات والملموسات، لهذا فهو يصلح في العلوم التجريبية أكثر، لكن هذا لا يمنع أن يستخدم في العلوم الاجتماعية والإنسانية والإسلامية.

فالقرآن الكريم قد استخدم هذا المنهج في بعض الحالات لدحض شبهات المشككين في بعض الحقائق العلمية المثبتة في القرآن الكريم.

وبناء على هذا فالمنهج الحسي التجريبي في مجال الدفاع عن القرآن الكريم هو: النظم الدعوية التي تركز على الحواس وتعتمد على المشاهدات والتجارب...، ويستعمل هذا المنهج أكثر مع الذين ينكرون البديهييات العقلية، ولا يؤمنون إلا بالحقائق المعتمدة على الملموسات والمحسوسات.²

ويمكن القول بأن هذا هو المنهج المفضل للعلماء للرد على الشبهات؛ لأنه يتعلق بالملموس والمحسوس الذي لا يعاند فيه المشككون كثيرا، خاصة من يخالفنا في الدين الذين يؤمنون بالمادة أكثر من أي دليل آخر، وقد كان هذا المنهج السبب في إسلام العديد من العلماء الغربيين المنصفين.

والذي يجدر الإشارة إليه هنا أن العلماء في سبيل الرد على الشبهات المطروحة حول القرآن الكريم والسنة النبوية لا يستخدمون هذا المنهج كثيرا؛ وهذا بسبب طبيعة الشبهات المطروحة التي ترد إما نقلا أو عقلا، لأن مجال الدراسة هو العلوم الإنسانية، وهذا المنهج يعتمد على وضع فرضيات ثم إجراء الدراسات والتجارب والمعائنات، وكل هذا لا يتوفر في حقل الدراسات القرآنية باستثناء الردود العلمية التي ساقها القرآن الكريم، لهذا لا يُستغرب غياب هذا المنهج في أطروحتي.

¹ - أصول البحث العلمي ومناهجه، أحمد بدر، المكتبة الأكاديمية، ص 229-331.

² - أصول الدعوة ومناهجها دراسة تأصيلية تحليلية، ص 281.

الفرع الرابع: المنهج التاريخي.

ويعتمد هذا المنهج على الوثائق ونقدها وتحديد الحقائق التاريخية... كل هذا من أجل فهم الماضي ومحاولة فهم الحاضر على ضوء الأحداث والتطورات الماضية.¹ والذي يعيننا في بحثنا هذا هو تعريف المنهج التاريخي في مجال الدفاع عن القرآن الكريم وعلومه، والذي يمكن أن أعرفه بما يلي: هو الاعتماد على الوقائع والحوادث التاريخية التي وقعت في الماضي والاستعانة بها في سبيل الرد على الشبهات والافتراءات الخاصة بوقائع تاريخية مضت.

من فوائد دراسة التاريخ التعرف على السنن الربانية للأمم السابقة، فعلى القارئ أن يدرك حجم العظات والعبر التي يحويها التاريخ البشري منذ خليقة آدم عليه السلام، فقصص الأنبياء والأمم السابقة وما حلَّ بهم سواء كان خيرا أم شرا، فنأخذ بالأسباب التي أخذت بها الأمم الصالحة والأنبياء، وتجنب ما اقترفته الأمم الغابرة من معاصي وآثام... فما حصل معهم سيحصل معنا حتما خيرا كان أم شرا...، لهذا على المسلم أن يتعظ بالأمم السابقة ويصلح حاله، فلا يجب الاستهانة بالتاريخ.

أما فيما يخص المنهج التاريخي في الدفاع عن القرآن الكريم فقد استخدم في الرد على بعض الشبهات التي مست الحوادث التاريخية بالتزيف والغلط، فيُستشهد بهذه الحوادث للرد على تلك الشبه، فلا يبقى أدنى شك في الموضوع.، وبالتالي فهذا المنهج يصلح تطبيقه على غير المسلمين الذين يؤمنون بالوقائع التاريخ المؤرخة، فلا يجدون مجالا للرفض.

الفرع الخامس: منهج الرد بأقوال المنصفين من المخالفين -المستشرقين-

الانتصاف هو أن يعطيه من نفسه النصف من الحق، وتنصفت أخذت حقي منه كاملا حتى صرت أنا وهو على النصف سواء.² والمقصود بالمنصفين هنا المستشرقون.

إن هؤلاء المنصفين هم مفاتيح للمجتمعات الغربية في سبيل دعوتهم للإسلام وكف شرهم عنه؛ وهذا لأنهم أدرى بمجتمعاتهم، وأعرف بثقافتهم، والأقرب إليهم منهجا وفكرا وتوجها، فتأثيرهم أفضل بكثير من غيرهم مثل " رجاء جارودي" الفيلسوف الفرنسي الذي تحول إلى مفكر إسلامي، و " موريس

¹ - أصول البحث العلمي ومناهجه، ص 228.

² - المحيط في اللغة، ابن عباد بن عباس الطالقاني، عالم الكتب بيروت- لبنان، ط1، 1414هـ / 1994م، 227/2.

بوكاي" الطبيب الفرنسي ومؤلفاته معروفة، والمستشرق الفرنسي "دينيه"...

أخذنا على سبيل المثال المستشرق الفرنسي "دينيه" الذي أدى به البحث الخالص إلى اعتناق الإسلام، والدفاع عنه عند أقومهم الغربيين، فقد أعجب بالإسلام فسمى نفسه "ناصر الدين دينيه" وعاش في الجزائر وألف مع عالم جزائري كتابا في سيرة رسول الله ﷺ، وله كتاب: "أشعة خاصة بنور الإسلام" بين فيه تحامل قومه على الإسلام ورسوله.¹

وأغلب المنصفين قادتهم الحقيقة إلى الإسلام في الأخير، لكن هناك منهم من لم يعلن إسلامه، لكن آراءه وأفكاره عن الإسلام سوية في غالب الأحيان ومنصفة؛ وهذا لأنهم التزموا بالموضوعية والأمانة العلمية فتوصلوا إلى الطريق السوي.

وليعلم أن هذا الإنصاف ربما صدر عن رغبة استقطاب، وتوظيف القوى الإسلامية لخدمة أهدافهم الاستشراقية، وهذا ما يقتضي الحذر في التعامل مع الفكر الاستشراقي الذي يتدثر بدثار الموضوعية...²

لهذا أقول إن شهادة هؤلاء المنصفين ثقيلة في مجال الدفاع عن القرآن الكريم خاصة عند أقومهم، فعندما يُوردها الداعية في رد شبهة معينة تلقى صدا كبيرا عند الغربيين ويقتنعون بها نظرا لرجحان كفة قائلها عندهم، فتزول الشبهة عندهم، وهذا هو غرض الداعية وهدفه الرئيسي.

فيمكن أن يُعرف منهج الرد بأقوال المنصفين من القوم بأنه استخدام لشهادات المنصفين من المستشرقين للرد على الشبهات التي طرحها خصوم الإسلام عن القرآن وغيره، وهذا من أقوى المناهج التي يرد بها على المتعصبين؛ لأنه صادر من بني جلدتهم ويصعب عليهم الرد عليها أو تكذيبها.

هذه هي أغلب المناهج الدفاعية التي يستعملها الداعية في سبيل الدفاع عن القرآن الكريم وعلومه، والذي يجدر الإشارة إليه هنا أن طبيعة الشبهة هي التي تحدد نوع المنهج الدفاعي الذي يجب استعماله، فهناك من الشبهات من ترد بالمنهج النقلي فقط، وهناك من تحتاج إلى المنهج النقلي والعقلي المنطقي، وهناك من تحتاج إلى أغلب المناهج لدحضها؛ هذا كله تحدده نوع الشبهة وخطورتها،

¹ - الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، ط2، 1399هـ / 1979م، ص 25.

² - الاستشراق بين الإنصاف والتحامل، إياد إبراهيم الباوي، مجلة الفتح، العدد31، 2007م، ص4.

واستخدام هذه المناهج أيضا تختلف باختلاف طارحها، إن كانت من التراث الإسلامي أو من الاستشراق، أو من التيار الحدائثي، فالمنهج الذي يقنع المستشرق لا يقنع المسلم مثلا، وما يقنع به المسلمون لا يقنع به الحدائثيون والمستشرقون...لهذا يمكن القول بأن طبيعة المنهج المستعمل في الرد يتحدد من خلال نوع الشبهة ومصدرها وطرحها.

الباب الأول:

منهج فضل حسن عباس في الدفاع عن القرآن
الكريم من خلال الرد على شبهات غير
المسلمين.

الفصل الأول:

منهج فضل حسن عباس في الدفاع عن القرآن
الكريم من خلال الرو على شبهات المستشرقين

المبحث الأول:

تعريف علم الاستشراق.

المبحث الثاني:

منهج فضل حسن عباس في الرو على شبهات
المستشرقين

حظي كتاب الله تعالى بدراسات عديدة من قبل المستشرقين، وتوزعت هذه الدراسات في الجامعات، فعمد أغلبهم إلى بث الشبهات والسموم؛ وهذا من أجل التقليل من قيمة القرآن، إضافة إلى اجتناب إسلام قومهم وأتباعهم، لكن الله عز وجل قيض لهذا الكتاب أئمة وعلماء يدافعون عليه، ويتصدون كتابات هؤلاء بالنقد والدراسة.

فهم يقفون كالسد المنيع لنصرة الإسلام، والشيخ "فضل حسن عباس رحمه الله" من بين العلماء الذين كرسوا حياتهم لذلك، فنجد أغلب مؤلفاته فيها دفاع عن القرآن وعلومه ورد على الشبهات والافتراءات.

وفيما يلي تعريف مختصر بالمستشرقين وأهدافهم ومناهجهم، وأهم المناهج الدفاعية التي استخدمها الشيخ "فضل حسن عباس رحمه الله" للدفاع عن القرآن الكريم وعلومه.

المبحث الأول: تعريف علم الاستشراق.

رافق الاستشراق الحروب الصليبية منذ بدايتها، على شكل حركات التبشير والاستعمار للأراضي الإسلامية، والتي كان هدفها محاربة الإسلام والقضاء عليه في أوسع النطاق، خاصة في مجتمعاتهم، فراحوا يؤلفون الكتب لتشويه الإسلام ومحاربة القرآن وعلومه، وأما في العصر الحديث فيعقدون الملتقيات والمؤتمرات، ويخصصون كراسي علمية في جامعاتهم للدراسات القرآنية، حتى الموسوعات العلمية ألفوها حول القرآن الكريم والدين الإسلامي، متبحرين بالموضوعية والأمانة العلمية كما يقولون، لكن هذا مجرد شعار لا أساس له من الصحة.

وسأطرق إلى مفهوم الاستشراق وأهدافه ووسائله اختصاراً.

المطلب الأول: مفهوم الاستشراق.

يعد مصطلح الاستشراق من المصطلحات الحديثة، حيث إنه ظهر سنة 1779م في إنجلترا، ليعم بعد ذلك؛ لهذا فإن تحديد مفهومه اللغوي في المعاجم العربية لن يفني بالعرض، وقريبا منه ما جاء في "لسان العرب" عند مفهوم مصطلح الشرق حيث يقول ابن منظور: "شرق: شرقت الشمس تشرق شروقا وشرقا: طلعت، واسم الموضع المشرق".¹ وهذا بعيد عن المقصود.

وأما عن المعنى الاصطلاحي للاستشراق فقد اختلف كل حسب وجهة نظره، ولقد حاولت أن أقف على مجموعة من التعريفات التي أطلقها أصحاب التخصص، والتي تُخدم بحثنا هذا.

يقول قاسم السامرائي: "إن الاستشراق مصطلح في غاية الغموض والإبهام؛... ودلالة المصطلح عند العرب أو عند المسلمين لا تخرج من مفهوم: دراسة الإسلام ديننا وما يتبعه من لغات أهله، وتواريخهم ومظاهر حضارتهم".²

أما "محمد زقزوق" فقد عرفه قائلا: "الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي، وكلمة مستشرق بالمعنى العام تطلق على كل علم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله: أقصاه ووسطه وأدناه، في لغته وآدابه وحضارته وأديانه...، وقد ظهر هذا المصطلح أولا في إنجلترا عام 1779م، وفي فرنسا في عام 1799م، وأدرج مفهوم الاستشراق في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام 1838م".³

ويراد بالاستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأهمه، ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره؛ لكنه في العصور الوسيطة كان يُقصد بها دراسة العبرية لصلاتها بالدين، ودراسة العربية لعلاقتها بالعلم؛ إذ بينما كان الشرق من أدناه إلى أقصاه مغمورا بما تشعه منابر بغداد والقاهرة من أضواء المدنية والعلم؛ وكان الغرب من بحره إلى محيطه يعمه في غياهب من الجهل الكثيف والبربرية الجموح.⁴

¹ - لسان العرب، ابن منظور، دار صادر - بيروت، ط3، 1414هـ، 173/10.

² - الاستشراق بين الموضوعية والانفعالية، قاسم السامرائي، منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، ط1، 1403هـ/1983م، ص108.

³ - الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود محمد زقزوق، دار المعارف، ص18-20.

⁴ - تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية والعليا، أحمد حسين الزيات، دار النهضة مصر، ص512.

ثم علينا أن نصنف أسماءهم في شبه ما يسمى بالطبقات على صنفين:

- من حيث الزمن: طبقة القدماء مثل "جرير دوريباك" والقديس "توماس الإكويني" وطبقة المحدثين مثل "كاره دوق" و"جولد تسيهر"¹.

- من حيث الاتجاه العام نحو الإسلام والمسلمين لكتابتهم: فهناك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية، وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها.²

المطلب الثاني: تاريخ الاستشراق.

تنوعت أقوال العلماء واختلفت في تاريخ نشأة الاستشراق، حيث وقع الاختلاف بينهم في فترة بداية الاستشراق على عدة أقوال، لكن يمكن تخيُّر قول من هؤلاء نظراً لاجتماع مجموعة من العلماء حوله، وهو رأي مصطفى السباعي ونجيب العقيقي³ حيث يرجعون إلى القرن العاشر للميلاد.

يقول مصطفى السباعي: "لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عنى بالدراسات الشرقية، ولا أي وقت كان ذلك، ولكن المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس في أبان عظمتها ومجدها، وتثقفوا في مدارسها، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغتهم، وتعلموا على علماء المسلمين في مختلف العلوم، وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات"⁴.

إذا يمكن القول بأن تاريخ بداية الاستشراق هو قدوم بعض الرهبان إلى الأندلس أيام ازدهارها، والتعلم في مدارسها، وترجمة القرآن والكتب العربية الأخرى.

ومن أوائل هؤلاء الرهبان، الراهب الفرنسي "جربرت" الذي انتُخب بابا لكنيسة روما عام 999م، بعد تعلمه في معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده "بطرس المحترم" و... لم ينقطع منذ ذلك الوقت وجود أفراد درسوا الإسلام واللغة العربية، وترجموا القرآن وبعض الكتب العربية والأدبية حتى جاء القرن الثامن

¹ - جولد تسيهر: ولد في الثاني والعشرين من يونيو سنة 1850م بمدينة أشتولفينبرج في بلاد الماجر، من أسرة يهودية ذات مكانة وقدر كبير، اهتم بالدراسات العربية عامة والإسلامية الدينية خاصة، كان منهج جولد تسيهر منهجاً وسطاً استطاع به أن يتجنب خطرين: خطر الضيق والسطحية في المنهج العلمي وخطر الإفراط في السعة والتأويلات البعيدة الخيالية في المنهج الوجداني الاستدلالي، توفي في الثالث عشر من شهر نوفمبر 1921م، في مدينة بودابست. ينظر: موسوعة المستشرقين، ص 197-199

² - إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مالك بن نبي، دار الإرشاد، ط1، 1388هـ/1969م، ص 5.

³ - المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف، ط4، 110/1.

⁴ - الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ص 18.

عشر، وهو العصر الذي بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الإسلامي والاستيلاء على ممتلكاته... وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام 1873م، ثم تتالى عقد المؤتمرات التي تلقى فيها الدراسات عن الشرق، وأديانه وحضارته وما تزال تعقد حتى هذه الأيام.¹

إذا فالاستشراق قد بدأ منذ دقت جيوش الفتح الإسلامي أبواب أوروبا العريضة، وكان المسلمون قد احتلوا عرش السيادة الدولية...، وفي أعقاب الحروب الصليبية، وضعت خطة لغزو المسلمين بوسائل أخرى غير الحرب المسلحة، واقتضت خطة الغزو الجديد التوسع في الدراسات الاستشراقية، لتكون مهذا لهذا الغزو، وإعدادا لشروطه الفكرية والنفسية بقيادة رجال الكهنوت الأوربيين، حيث قاموا بترجمة كتب كثيرة للمسلمين إلى لغتهم...، ثم أسس المستشرقون المعاهد والجمعيات، وفروعا في الجامعات لهذه الدراسات بهدف تشويه الإسلام والتاريخ الإسلامي...²

المطلب الثالث: دوافع الاستشراق.

للحركة الاستشراقية دوافع وأهداف، خاصة ما يتعلق بالقرآن والدراسات الإسلامية، وهي كثيرة ومتعددة، وسأحاول ذكر أهم الدوافع التي سعت الحركة الاستشراقية تحقيقها في مجال الدراسات الإسلامية.

الفرع الأول: الدافع الديني أو المذهبي ضد الإسلام والمسلمين.

يعد الدافع الديني من أهم دوافع الحركة الاستشراقية، وليس من الصعب معرفته، فهو الدافع الأول والأهم منذ بداية الاستشراق، حيث ترأس رجال الكنيسة وعلماء اللاهوت هذه الحركة، وكان هدفهم الأول الطعن في الإسلام والقرآن، وتشويه نظريته عند المسيحيين والعالم أجمع.

ويستطيع كل باحث عن تاريخ الاستشراق أن يتبين بما لا يدع الشك أن الهدف الديني كان وراء نشأة الاستشراق، ودعم الدراسات الإسلامية والعربية في أوروبا، وقد صاحب الاستشراق طوال مراحل تاريخه، ولم يستطع أن يتخلص منه بصفة نهائية، وحتى نهاية القرن التاسع عشر لم يكن الاستشراق قد

¹ - الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ص 18.

² - ينظر: أجنحة المكر الثلاثة، ص 123-125.

حرر نفسه من إزار الخلفية الدينية التي اشتق منها أصلا إلا بدرجة ضئيلة.¹

وقد كانت الحركة الاستشراقية في طريق تحقيق هدفها الديني تسير في اتجاهات ثلاثة:

- محاربة الإسلام والبحث عن نقاط ضعف فيه وإبرازها، والزعم بأنه دين مأخوذ من المسيحية واليهودية، والانتقاص من قيمته والخط من قدر نبيه...

- حماية المسيحيين من خطره بحجب حقائقه عنهم، وإطلاعهم على ما فيه من نقائص مزعومة، وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين.²

- التبشير وتنصير المسلمين، حيث إنهم لم يتناسوه في دراستهم العلمية، فهم رجال دين، فأخذوا يهدفون إلى تشويه سمعة الإسلام في نفوس رواد ثقافتهم من المسلمين، لإدخال الوهن إلى العقيدة الإسلامية، والتشكيك في التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية، وكل ما يتصل بالإسلام من علم وأدب وتراث.³

الفرع الثاني: الدافع العلمي.

ويقصد به دراسة علوم الشرق في مختلف التخصصات العلمية، ونقلها إلى الغرب؛ لتنهض أوروبا وتتقدم نحو الرقي الحضاري الذي سبقها به المسلمون بمسافات شاسعة إبان ازدهار الحضارة الإسلامية، حيث كان الغرب يعيش في ظلام دامس.⁴

وهذا الصنف قليل جدا، وهم مع إخلاصهم في البحث والدراسة لا يسلمون من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق، إما لجهلهم بأساليب اللغة العربية، وإما لجهلهم بالأجواء الإسلامية التاريخية على حقيقتها، فيحبون أن يصورها كما يتصورون مجتمعاتهم، ناسين الفروق الطبيعية والنفسية والزمنية التي تفرق بين الأجواء التاريخية التي يدرسونها، وبين الأجواء الحاضرة التي يعيشونها.

وهذه الفئة أسلم الفئات؛ إذ سرعان ما يرجعون إلى الحق حين يتبين لهم، ومن هؤلاء من يؤدي

¹ - الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص 73

² - انظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص 74. / الاستشراق بين الحقيقة والتضليل مدخل علمي لدراسة الإستشراق، اسماعيل علي محمد، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط3، 1421هـ/2000م، ص 31.

³ - الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ص 21.

⁴ - الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، ص 38-39.

بهم البحث الخالص لوجه الحق إلى اعتناق الإسلام، والدفاع عنه في أوساط أقوامهم الغربيين.¹

الفرع الثالث: الدافع الاستعماري والسياسي.

لم ييأس الصليبيون بعد هزيمتهم في الحروب الصليبية من العودة إلى احتلال بلاد العرب وسائر بلاد المسلمين، فأتجهوا لدراسة هذه البلدان، وكل شؤونها: من عقيدة، وعادات، وأخلاق، وثورات، ولغات، وتاريخ، وغير ذلك مما يتعلق بها من جغرافية وسكان، بغية أن يتعرفوا على مواطن القوة فيها فيضعفوها، وعلى مواطن الضعف فيغتتموها.²

ومن هنا اتجه الغرب إلى الاستشراق لخدمة الهدف الاستعماري للعالم الإسلامي، وتلقف الحركة الاستشراقية، وجعلها محل رعايته سواء أكان ذلك في مرحلة الإعداد لوثبتهم على العالم الإسلامي، وقبل الاحتلال الفعلي لأقطاره، أم كان ذلك في المرحلة التالية، بعد أن تم بالفعل بسط نفوذه واستيلاءه على البلاد الإسلامية المستعمرة.³

وفي العصر الحاضر، وبعد استقلال أكثر الدول العربية والإسلامية، ففي كل سفارة من سفارات الدول الغربية لدى هذه الدول سكرتير أو ملحق ثقافي يحسن اللغة العربية؛ ليتمكن من الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة فيتعرف على أفكارهم، ويث فيهم الاتجاهات السياسية ما تريده دولته، وكثيرا ما كان لهذا الاتصال أثره الخطير في الماضي حين كان السفراء الغربيون ييثون الدسائس للتفرقة بين الدول العربية بعضها مع بعض...⁴.

ولا تنكر جملة من الدوافع الثانوية: النفسية، التجارية، الاقتصادية، والتاريخية، مرتبطة بالدوافع التي ذكرت من قبل.

¹ - الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ص 32.

² - أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، ص 129.

³ - الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، ص 56.

⁴ - الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ص 23-24.

المطلب الرابع: وسائل المستشرقين لتحقيق أهدافهم.

اعتمد الاستشراق على وسائل متعددة من أجل الوصول إلى الغايات التي يطمح لها، فما ترك وسيلة من الوسائل إلا واعتمدها، فقد ألف الكتب والموسوعات والمجلات ونشرها، كما أنه عقد المؤتمرات وأنشأ الكراسي العلمية، واشترك في المجمع العلمية، كل هذا لهدم الإسلام وإضعاف المسلمين. وسوف أعرض أهم الوسائل التي استخدمها المستشرقون بنوع من الاختصار:

الفرع الأول: حركة التأليف.

الكتب: حيث ألفت كتب في موضوعات مختلفة عن الإسلام والرسول ﷺ، والقرآن، وتاريخ المسلمين ومجتمعاتهم، وفي معظم هذه الكتب كثير من التحريف المتعمد في نقل النصوص...، وفي تفسير الوقائع التاريخية وتعليل أحداثها.¹

كما اهتموا أيضا بعملية تحقيق كتب التراث في الشرق عامة، والإسلام خاصة في كل موضوع من مواضع القرآن الكريم، والسنة المطهرة والسير النبوية والفقهاء وعلم الكلام.

الموسوعات العلمية: حيث اعتنوا بإصدار الموسوعات عن الشرق وعلومه، ومن أخطر هذه الموسوعات: دائرة المعارف الإسلامية، والتي صدرت بعدة لغات عالمية، وقد كتبت بأسلوب علمي ميسر للمثقف العام مما جعلها موضع إقبال العلماء أنفسهم...²

المجلات: حيث يملك الاستشراق اليوم الكثير من المجلات السيارة في كثير من البلدان الأوربية، تتناول مباحثها الشرق في لغاته، وأديانه، وعلومه، وآدابه، وفنونه، قديمها وحديثها.³

الفرع الثاني: المؤتمرات والندوات واللقاءات.

حيث اتخذ المستشرقون من المؤتمرات وسيلة لطرح أفكارهم، ونشر آرائهم، وهذا باشتراك جموع غفيرة من المستشرقين لمناقشة مئات القضايا والبحوث المتعلقة بالشرق في كافة جوانبه، خاصة ما يتصل

¹ - أجنحة المكر الثلاثة، ص 136.

² - آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره " دراسة ونقد"، عمر بن ابراهيم رضوان، دار طيبة، 1/ 49-50.

³ - الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، ص 86.

بالدراسات الإسلامية، وهذه المؤتمرات منها ما هو دولي ومنها ما هو إقليمي.¹

أما الندوات واللقاءات فيستدرجون فيها بعض المسلمين، من حيث يشعر هؤلاء أو لا يشعرون؛ لتحريف الإسلام دفاعاً عنه حيناً، وتطويماً له حتى يساير المفاهيم الغربية حيناً آخر، بجيلة مرونة الشريعة الإسلامية.²

الفرع الثالث: الكراسي العلمية والمدارس والجامعات.

استخدم المستشرقون التدريس في الجامعة لنشر أفكارهم، وتوصلوا بذلك لتحقيق أغراضهم، وخاصة من خلال إنشاء أقسام للدراسات الإسلامية والعربية بالجامعات الغربية، حيث يتأسس هذه الأقسام أساتذة يهود، يسعون بكياسة إلى التشكيك في الوحي والسنة، وفي تجريح الرسول والصحابة، وتجريح كبار حملة الإسلام في تاريخه الفكري والحركي.³

أما بخصوص المدارس والجامعات، فقد وجد المستشرقون بأنها الوسيلة الأفضل لغسل العقول، فنشروا المدارس والجامعات داخل البلاد العربية، حيث تهدف هذه إلى تخريج مستشرقين ومبشرين ومناصرين لهم من بني جلدتنا، وقد استهدفوا الناس اللذين ينتمون إلى أفكارهم، أو على الأقل معجبون بحضارتهم وحياتهم...، فقاموا بإنشاء مدارس وجامعات داخل البلاد العربية وفي الدول الأوربية.⁴

المطلب الخامس: الآثار المترتبة عن الدراسات الاستشراقية.

ترتب العديد من الآثار السلبية والإيجابية على الدراسات التي قام بها المستشرقون على اختلاف أنواعها، ولقد فاقت النتائج السلبية الإيجابية؛ وهذا بسبب عدم اتباع المستشرقين للمنهج العلمي الرصين، فلو أنهم اتبعوا الأمانة والموضوعية لوصلوا إلى نتائج مهمة ومبهرة؛ لأنهم يكرسون لمثل هذه الدراسات إمكانيات مادية ومعنوية كبيرة.

¹ - الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، ص 98.

² - أجنحة المكر الثلاثة، ص 135.

³ - الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، ص 88-89.

⁴ - المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي، طارق سرى، مكتبة الناظدة، ط1، 2006م، ص 67-74.

الفرع الأول: الآثار الإيجابية.

لقد حاول المستشرقون الطعن في الدين الإسلامي، والتشكيك في قدسية القرآن الكريم، وهذا ببث شبههم وافتراءاتهم الباطلة، فما تركوا علما إلا وحاولوا التشكيك في صحته، واستعملوا في سبيل ذلك كل الوسائل، هذا ما أثار قريحة العلماء الربانيين، خاصة المتخصصين في العلوم الإسلامية، أو العلوم المتصلة بها، فقد تصدى هؤلاء العلماء للحملة الشرسة التي قادها المستشرقون، فراحوا يؤلفون الكتب التي ترد على هؤلاء وتبين زيف ما يدعون، وهذا بالاعتماد على منهج علمي موضوعي.

أما العناصر الإيجابية فتتمثل في العناية بالمخطوطات العربية في المكتبات الغربية، وفهرستها، وتحقيق العديد من أمهات الكتب العربية في شتى مجالات الفكر الإسلامي، والقيام بالعديد من الدراسات اللغوية المفيدة والموسوعات والمعاجم النافعة، وغير ذلك من دراسات في مجالات العلوم والفنون الإسلامية.¹

يقول طارق سري: "لقد أثرت الحركة الفكرية الاستشراقية على خلق علماء مسلمين مهتمين بالبحث والتنقيب، في أوقات كثيرة انتشر فيها الجمود الفكري بين علماء المسلمين، ودفعت طريقة المستشرقين في البحث والتنقيب ببعض الباحثين المسلمين إلى الاهتمام بالبحث وتوثيق المعلومات، حتى يصبح كل منها إنشائيا، وجاء ذلك نتيجة الحقائق المزورة التي ادعاها المستشرقون، فكان لزاما على الباحثين المسلمين الذين يريدون إظهار الحقيقة أن يكشفوا الحقائق الأصلية بالبحث والتنقيب وتوثيق ما أظهروه من حقائق، سواء كانت تاريخية أو عقائدية".²

وفي مقابل هذا كان هناك مستشرقون سلكوا منهجا علميا في دراستهم للقرآن، فقادهم ذلك إلى معرفة الحق، فأسلموا وأكملوا دراساتهم حول القرآن الكريم وحققوا نتائج مهمة.

ومثال ذلك المستشرق الفرنسي الفنان "دينيه" الذي عاش في الجزائر، فأعجب بالإسلام وأعلن إسلامه، وتسمى باسم ناصر الدين دينيه، وألف مع عالم جزائري³ كتابا عن سيرة الرسول ﷺ، وله

¹ - الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود محمد زقزوق، دار المعارف، د ط، ص 13.

² - المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي، 57.

³ - رستم راشد.

كتاب " أشعة خاصة بنور الإسلام" بين فيه تحامل قومه على الإسلام ورسوله.¹

الفرع الثاني: الآثار السلبية.

أغلب الدراسات الاستشراقية ذات آثار سلبية؛ وهذا لعدم تطبيقها للمنهج العلمي، فقد قامت بتزوير الحقائق وتلفيقها، ثم تقريرها على أنها حقائق مطلقة، وقد تأثر بهذا المستشرقون، وبعض الباحثين المسلمين، الذين تبنا أفكارهم وأطروحاتهم، وراحوا يروجون لأفكارهم وأطروحاتهم على أنها الحقيقة الثابتة التي يمكن مناقشتها.

فعمد الاستشراق إلى إعلاء شأن المذاهب والتيارات المنحرفة، ومساعدتها على الظهور والانتشار مرة أخرى، وهذا للنيل من الإسلام والقرآن، ظنا منهم بأن تراث هذه الفرق كان خاضعا للتأثير الأجنبي، بخاصة تأثير عقائد أهل الكتاب²، يقول جولد تسيهر في هذا المقام: " وكما تقدم تعاليم الإسلام، حتى في مرحلته البدائية، صورة من مذهبي الانتخاب والمزج (من اليهودية والنصرانية وديانة الفرس وغيرها)... وقد أمكن في وقت مبكر إثبات أن الأنظار والمسائل العقيدية التي كانت في محل الاعتبار في القرنين الأولين عند علماء الكلام الإسلاميين، قد برزت تحت تأثير النشاط العقدي في داخل الكنائس والفرق المسيحية الشرقية..."³

تبنى المستشرقون الحرب على الأئمة والمجددين، محاولين بذلك الحط من قيمتهم العلمية والأخلاقية، ووصل الأمر إلى حد التلفيق والتزوير، فلقد هاجموا الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأحمد ابن حنبل وغيرهم كثيرون، ولقد اتهم أحدهم الأئمة بإلغاء بعض التشريعات الإسلامية التي كانت موجودة على عهد الرسول ﷺ.

ولقد كانوا يساندون الاستعمار في محاولة القضاء على الحركات والتيارات الإسلامية، وكان لكل منهم سلاحه، فهم يحاولون شحن النفوس ضد تلك التيارات التي تحاول إصلاح المسلمين، بينما يستخدم الاستعمار سلاح القوة لقمعها.

¹ - المستشرقون ما لهم وما عليهم، ص 33

² - ينظر: علم التفسير في كتابات المستشرقين، عبد الرزاق بن اسماعيل هرماس، كلية الآداب جامعة القاضي عياض، المغرب، ص 90.

³ - مذاهب التفسير الإسلامي، إجنس جولدتسيهر، ترجمة: عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، 1374هـ/1955م، ص 171.

ومن السلبيات التي أثرت تأثيراً مباشراً على المجتمع الإسلامي، هو خلق جيل من الباحثين موالين لهم، ينشرون الأخلاق الفاسدة والعقائد المزيفة، ويدافعون عنها بحجة أنهم من بني جلدتهم ويحاولون التجديد¹.

المطلب السادس: مناهج دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين.

الفرع الأول: منهج النقد الأعلى والأدنى وأهم قواعد المستشرقين في تطبيق ذلك.

تأثر المستشرقون بمنهج النقد الأعلى والأدنى إلى مدى بعيد، حيث طبقوه على الكتاب المقدس التوراة والإنجيل وكتب أخرى، وقد حقق لهم نتائج مبهرة، حيث توصلوا إلى أن ما هو موجود بين أيديهم اليوم ليس هو المنزل على سيدنا موسى، بل هو من تأليف الرهبان والأخبار، ويستند هذا المنهج على مجموعة من القواعد أهمها:

- لا بد للباحث أن يستخدم قاعدة الشك المنهجي، فلا يجزم بشيء يتعلق بالراوي إلا بعد التثبت من ذلك بأسباب قوية.
- دراسة البيئات السياسية والاجتماعية والأحداث التاريخية والصراعات العقديّة، ومدى انعكاساتها على الكاتب وبالتالي على النص.
- كيفت جمع النص أولاً؟ وما الأيادي التي تناولته؟ وما النسخ التي اشتمل عليها؟.
- لا يؤخذ النص ككل، بل يحلل إلى أجزاء ويدرك كل جزء على حدة.
- التحليل الداخلي الدقيق للنص للعثور على الأخطاء والاختلافات والتناقضات.
- ملاحظة تطور الفكر العقدي من عصر إلى آخر؛ لاكتشاف اختلاف تواريخ كتابة أجزاء النص.²

الفرع الثاني: القرآن الكريم وتطبيق قواعد النقد الأعلى والأدنى.

كانت أول محاولة لتطبيق قواعد النقد الأعلى والأدنى على القرآن الكريم ما قام به المستشرقون في شأن ترتيبه حسب النزول.

¹ - المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي، ص 62.

² - الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم في دائرتي المعارف الإسلامية والبريطانية، محمد السعيد جمال الدين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ص 13.

وقد توسع المستشرق الألماني "تيو دور نولدكه"¹ في دراسة النص القرآني لترتيبه زمنيا حسب نزوله، وهو عمل قائم على النقد الداخلي، معتمدا تاريخيا على الكتب المتعلقة بأسباب النزول.²

وقد رد عبد الرحمن بدوي على عمل نولدكه، وقال بأنه لا يصلح تطبيقه على القرآن الكريم حيث يقول: "فيما يخص الأسلوب، فلو كان مفيدا في التمييز بين الفترات الطويلة فلن يفيد فيما يتعلق بالتمييز بين التتابع التاريخي للسور في فترة قصيرة، في الواقع إن كل الفترة المكية لا تعطي إلا (12) سنة 610-622 م، فبأي حق ندعى إذا التمييز بين أسلوب كاتب خلال (12) سنة فقط؟ ناهيك عن استطاعتنا التمييز في تلك الفترة بين ثلاث فترات قصيرة، فلموضوع التمييز ظروف كثيرة، إنه من الشطط إن لم يكن من الكذب أن نزع استطاعتنا ترتيب السور تاريخيا في الفترة المكية حسب الأسلوب".³

فهذا المنهج تطبيقه غير صالح البتة على القرآن الكريم، ويشهد ويلمح "كامن آري" و"تور أندريه" إلى عيوب تطبيق منهج النقد الأعلى والأدنى على دراسة النص القرآني، وحصرا تلك العيوب في طريقة تحليل النص إلى أجزاء صغيرة وفق أصول الكم الرياضي، والكيف المنطقي والترتيب الزمني، ونبها إلى أن النص القرآني يعلو على هذه المعايير كلها، وهذا كله حق بلا جدل... فمنهج النقد الأعلى والأدنى إن صح تطبيقه في دراسة العهدين القديم والحديث مما يسمى الكتاب المقدس، بل وفي سائر النصوص التاريخية التي هي نصوص بشرية، فلا يصح تطبيق معاييرها على نص ينتمي إلى مجال آخر، وميدان مختلف غير المجال البشري المحدود.

ومن هنا يتبين لنا فساد المنهج الذي يطبقه المستشرقون في دراستهم القرآنية من حيث المبدأ.⁴

¹ - نولدكه: شيخ المستشرقين الألمان غير المدافع، ولد في الثاني من مارس 1836م بمدينة هارنوج، حصل على الدكتوراه الأولى في 1856م برسالة عن "تاريخ القرآن"، أتقن اللغة الفارسية والتركية والسانسكريتية، اهتم بدراسة النحو العربي والشعري العربي القديم، فعين أستاذا للغات السامية... توفي سنة 1930م. ينظر: موسوعة المستشرقين، ص 595-598.

² - ينظر: دفاع عن القرآن ضد منتقديه، عبد الرحمن بدوي، ترجمة: كمال جاد الله، الدار العالمية للكتب والنشر، ص 117-118. / الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم في دائرتي المعارف الإسلامية والبريطانية، ص 13.

³ - دفاع عن القرآن ضد منتقديه، ص 121-122.

⁴ - الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم في دائرتي المعارف الإسلامية والبريطانية، ص 16.

المطلب السابع: مدى تطبيق المنهج العلمي عند المستشرقين.

يُعرف المستشرقون بالمنهج العلمي، وقد رتّم على استخدامه وتطبيقه في دراستهم وبحوثهم الواسعة، لكن إذا كان ميدان الدراسة هو الإسلام، فيصبح التزامهم بالمنهج العلمي كلاماً نظرياً، وحدثاً فارغاً من أي مضمون، وليس له ظلال على أرض الواقع.¹

الموقف الأوروبي غالباً موقف كره في غير مبالاة اتجاه الإسلام، على عكس تعاملهم مع سائر الأديان والثقافات، بل هو كره جذوره عميقة يقوم في الأكثر على صدود من التعصب الشديد العقلي والعاطفي، فلا تتقبل أوروبا تعاليم الفلسفة البوذية أو الهندوسية، ولكنها تقف أمامها بموقف عقلي متزن؛ إلا أنها حالما تتجه إلى الإسلام يختل التوازن، ويظهر في جميع بحوثهم على الأكثر كما لو أن الإسلام لا يمكن أن يعالج على أنه موضوع بحث في البحث العلمي، بل على أنه متهم يقف أمام قضاؤه.²

وسنذكر هنا أهم المسالك التي يتبعها المستشرقون في دراستهم للإسلام:

الفرع الأول: وضع الفكرة ابتداءً، وتكوين آراء وافتراضات حولها، ثم البحث عن الأدلة

التي تؤيدها.

من مقتضيات البحث العلمي النزيه أن يبدأ المرء في بحثه وهو خالي الذهن من أحكام مسبقة، ثم تتحدد آراؤه من خلال ما تجمع لديه من أدلة ومعطيات، لكن المستشرقين خالفوا هذا المنهج، حيث يقومون بالاعتقاد قبل الدليل، والاستنتاج قبل المقدمات.³

وعلى الجملة فإن طريقة الاستقراء والاستنتاج التي يتبعها أكثر المستشرقين تذكرنا بوقائع دواوين التفتيش، تلك الدواوين التي أنشأتها الكنيسة الكاثوليكية لخصومها في العصور الوسطى، أي أن تلك الطريقة لم يتفق لها أن نظرت في القرائن التاريخية بتجرد، ولكنها كانت في كل دعوى تبدأ باستنتاج متفق عليه من قبل، قد أملاه تعصبها لرأيها، ويختار المستشرقون شهودهم حسب الاستنتاج الذي يقصدون

¹ - الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، ص 122.

² - الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، نقله إلى العربية: عمر فروخ، دار العلم للملايين - بيروت، ط3، 1951م، ص 50-51.

³ - الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، ص 125.

أن يصلوا إليه مبدئياً¹.

فالمستشرقون لم يدخلوا بدافع البحث، إنما بعقلية الناقد الهدام لا يعرف الموضوعية والأمانة العلمية.

يقول الدكتور حسين الهروي: إني أعلم أن المستشرقين ينقصهم في مباحثهم عن الإسلام الروح العلمية، وأن لهم في الاستقصاء طريقة لا تُشرف العلم، وهي أنهم يفرضون فرضاً ثم يلتمسون الدليل عليه... والحق أن الغرب كان ظالماً مرتين: أولاً عندما ادعى أنه صاحب منهج علمي، ثانياً عندما عجزت أهواءه عن أن تردده إلى الحق في تطبيق المنهج العلمي على الفكر الإسلامي.²

لهذا نستطيع أن نحكم على بطلان دراساتهم العديدة؛ بسبب فساد منطلقاتها وبدايتها.

الفرع الثاني: تحكيم الهوى ونزعات العداة للإسلام والمسلمين، والتعصب الأعمى للنصرانية.

يقول محمود شاعر عن الأهواء: الأهواء هي الداء المبين، والشر المستطير، والفساد الأكبر، إن هو ألم بأي عمل إمامة خفية الديب بله الوطاء المتشاكل، أحاله إلى عمل مستقذر منبوذ كرهه، حتى ولو جاء هذا العمل في أحسن ثيابه وحليه وعطره وأتمها زينة...³

لقد تحرك الكثير من المستشرقين بباعث من الحقد والتعصب؛ لتحقيق العديد من الأهداف الدينية والسياسية والعلمية المشبوهة، واتخذوا لذلك نهجاً في التشكيك، والمغالطة، وتشويه الحقائق، والافتراء، والتزوير، وهو نهج لا يسلم منه أو من بعضه إلا عدد يسير منهم، كما اتبعوا لبلوغ ما يريدون كل وسيلة تتيح لهم بث سمومهم، ونشر أباطيلهم.⁴

وكان القسيس لامانس من أكثر المستشرقين عداوة للإسلام، وقد ضاق ذرعاً من رؤية الإسلام ينتشر شيئاً فشيئاً، ويبسط ظله يوماً فيوماً، على إفريقيا وآسيا، ويضيق صدر القسيس، فإذا به يستخط

¹ - الإسلام على مفترق الطرق، ص 51.

² - مقدمات العلوم والمناهج محاولة لبناء منهج علمي متكامل، أنور الجندي، دار الأنصار 848/4.

³ - رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود محمد شاعر، مكتبة الأسرة، 1997م، ص 66.

⁴ - ينظر: الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، أحمد عبد الرحيم السايح، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1417هـ/1996م، ص 52.

على القدر نفسه، فيقول: "لماذا جاء القرآن فجأة، ليقضي على التأثير اللطيف الذي كان الإنجيل قد أخذ يحدثه في ابن البادية".¹

الفرع الثالث: الكذب وعدم تحري الأمانة في النقل.

بعد أن تصدى المسلمون للحملات الصليبية، وهزموها شر هزيمة، وجد المستشرقون أن هناك من يحمل لواء الإسلام، وأنه لا يبالي بالحياة الدنيا، وكل ذلك من أثر العقيدة الإسلامية التي لم يستطيعوا أن يهزموها، فزادوا عنفا وشراسة وواصلوا طريقهم في تبني قضايا التزوير في التراث الإسلامي من عقيدة وتاريخ وكتب، واعتقد البعض أن تلك الأكاذيب حقائق غائبة توصل إليها المستشرقون، وتحمس هؤلاء السذج تحمسا منقطع النظير لذلك المنهج.²

وهذا أكبر خطأ وقع المستشرقون في دراساتهم الإسلامية، فلا شيء يقوم على الكذب وبالأخص الدراسات الدينية.

فمنهج المستشرقين يعتمد على الكذب وقلب الحقائق وعكسها، وترك الأمانة فيما ينقلون من نصوص، وذلك لإثبات آرائهم الفاسدة، ومعتقداتهم السيئة، التي كونوها سبقا قبل البحث والدراسة.³

الفرع الرابع: الاعتماد على منهج الانتقاء في المصادر وفي الروايات، والاهتمام بالفرق والأقليات.

ركز المستشرقون في دراساتهم على منهج الانتقاء بصفة غير معقولة، فهم يعتمدون على كتب جامعة لا متخصصة في الموضوع، وهذه الكتب الجامعة لم تتحر الصحة والنقد والروايات السليمة، كما أنهم يعتمدون على الأخبار الضعيفة والروايات المنقطعة، هذا لبناء أحكامهم المسبقة، وأغراضهم المعينة. وكل هذا الانتقاء لأنهم لم يجدوا في المصادر القرآنية الموثوقة ما يسعفهم لتسويغ ما يصبون إليه، والذي نلاحظه في المصادر المعتمدة من قبل المستشرقين المعاصرين هي أنها نفسها التي كان يعتمدونها أسلافهم من المستشرقين القدامى، على الرغم من صدور الكثير من الكتب الموثوق بها والمعتمدة في

¹ - أوروبا والإسلام، عبد الحليم محمود، ص 135.

² - المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق، ص 121.

³ - الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، ص 130-131.

الدراسات القرآنية، وهم بهذا الصنيع يرمون إلى الإبقاء على الشبهات والافتراءات التي نسجها المستشرقون الأولون.¹

أما فيما يخص الفرق، فقد اعتمد المستشرقون على تفاسير بعض الفرق المنسوبة للإسلام مع تمجيد طريقتهم في التفسير، واعتبار تلك التفاسير من التفاسير المثلى، وأهلها أصحاب العقل الحر، مع ذمهم وانتقاصهم لكتب التفسير بالمأثور.²

الفرع الخامس: دراسة الإسلام بعقلية أوروبية مسيحية.

جمهور المستشرقين يدرسون الإسلام بحسب العقلية الأوروبية المسيحية ومقاييسها، دون الأخذ في الاعتبار طبيعة الشرق الإسلامي وعاداته وظروفه، بل ومتجاهلين خصائص الدعوة الإسلامية، وطبيعة الرسالة التي بعث الله بها سيدنا محمد ﷺ.³

لقد تأثر المستشرقون أبلغ التأثر في دراستهم بمنهج تم تطويره لنقد الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل)، ولما حقق هذا المنهج نتائج باهرة في النقد، عمد المستشرقون إلى تطبيق قواعد هذا النقد على القرآن الكريم؛ لكي يصلوا إلى نتائج مماثلة لسابقتها.⁴

لكنهم أخطؤوا في ذلك؛ فلا وجه للمقارنة بين المسيحية والإسلام، أو بين القرآن والتوراة والإنجيل لما بينهما من فروق في التفسيرات التي طرأت على الكتب والرسالات السابقة للإسلام، وتحولها عن طابعها الأصيل.⁵

لهذا يمكن القول بأن دراسات المستشرقين للقرآن الكريم كانت بعيدة كل البعد عن تطبيق المنهج العلمي والموضوعي الذي يدعون تطبيقه.

والحقيقة التي لمستها من خلال دراستي أن كل المسالك التي ذكرتها حقيقة يدركها القارئ لأول وهلة.

¹ - مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم، حسن عزوزي، ص ص 13-20

² - الفهم الاستشراقي لتفسير القرآن الكريم، عادل ماجد محمد، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، كلية الفقه، 1428هـ/2007م، ص 59.

³ - الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، ص 146.

⁴ - الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم في دائرتي المعارف الإسلامية والبريطانية، ص 8.

⁵ - مقدمات العلوم والمناهج، 142/5.

المبحث الثاني: منهج فضل حسن عباس في الرد على شبهات المستشرقين.

تعددت الشبهات التي طرحها المستشرقون حول القرآن الكريم وعلومه، فقد أورد لنا الشيخ "فضل حسن عباس رحمه الله" عددا معتبرا من هذه الشبهات في أغلب مؤلفاته، فما إن تطرق لموضوع من المواضيع القرآنية إلا وأورد لنا أغلب الشبهات التي طرحت حوله، فيقوم بدراستها والرد عليها، وهذا باستخدام مناهج تتحدد تبعا للشبهة المطروحة، وفيما يلي دراسة تحليلية نقدية لمنهج الشيخ "فضل حسن عباس رحمه الله" في الدفاع عن القرآن الكريم من خلال الرد على شبهات المستشرقين.

المطلب الأول: شبهات المستشرقين على القرآن الكريم باعتباره كتابا سماويا.

تعرض القرآن الكريم منذ نزوله على النبي ﷺ إلى هجمات شرسة من قبل كفار قريش الذين حاولوا الطعن فيه من مختلف زواياه، ومع مرور الزمن تتالت هذه الهجمات من قبل أعداء هذا الدين، فما تركوا مدخلا إلا وقد بثوا فيه شبههم وطعوتهم على كتاب الله عز وجل، وهاهم المستشرقون قد وضعوا القرآن الكريم نصب أعينهم، وقد تذرعو بتطبيق الموضوعية في دراستهم هاته بهدف التشكيك في مصداقيته، ونفي صفة القدسية عليه، كما سبق وأن فعلوا مع كتبهم السماوية، ولكن هيهات فهذا الكتاب قد تولى المولى عز وجل حفظه من التحريف إلى يوم الدين.

اهتم الشيخ "فضل حسن عباس رحمه الله" بمجال الدراسات القرآنية أيما اهتمام، ولم يدخر جهدا في ذلك، فقد اهتم بالقرآن الكريم حفظا وأحكاما وتجويدا، ولم يكتف بذلك؛ بل أولى اهتمام كبيرا للعلوم التي تخدم هذا الكتاب السماوي المقدس، فدرس علوم القرآن والتفسير والحديث، واعتنى أيضا بالقصص والفقه واللغة والإعجاز والقراءات، ومختلف العلوم التي تعد سياجا لحماية القرآن من التحريف، ومن مختلف الشبه التي يرددتها المستشرقون وغيرهم من الحاقدين على الدين.

وقد خصص في كتابه إتقان البرهان في علوم القرآن فصلا تحت عنوان: شبهات المستشرقين، والذي خصصه للشبه التي طرحها هؤلاء على القرآن الكريم باعتباره كتابا سماويا، وقد أحسن في صنيعه هذا أن خصص لمثل هذا الموضوع فصلا خاصا، يعرض فيه هذه الشبه بعيدا عن مناقشته للشبه الواردة في مجال التفسير وعلوم القرن، ويمكن القول بأن هذا العمل قد تفرد به الشيخ عما هو معروف ومتداول في كتب علوم القرآن؛ وهذا نظرا لأهمية الموضوع عند الشيخ، وقد أفصح عن سبب إيراد هذا المبحث منفردا، وهو بيان البون الكبير بين ما يدعيه المستشرقون من موضوعية في البحث، وبين الزيغ الملحوظ في شبههم، وهذا ما حملني على فصل هذا المبحث عن المبحثين التاليين.

الشبهة الأولى: اعتبار أن القرآن الكريم قد جاء بدين، ولم يأت بنظريات، وأنه قد جاء بأحكام ولم يأت بعقائد.

أورد الشيخ فضل حسن عباس في هذا المجال شبهة للمستشرق "ده بوير" في كتابه "تاريخ الفلسفة في الإسلام"¹، حيث يقول هذا الأخير بأن القرآن الكريم قد جاء بدين ولم يأت بنظريات، حيث يقول: "جاء القرآن للمسلمين بدين ولم يجئهم بنظريات، وتلقوا فيه أحكاما ولكنهم لم يتلقوا فيه عقائد". ليتعقب الشيخ "فضل حسن عباس رحمه الله" هذا الافتراء مباشرة بقوله أنه كلام ليس له مقدمات، وهو عار عن الحقيقة، وبعيد عن الواقع... وتساءل عن مكان وجود العقائد إن لم تكن في القرآن الكريم؟ وقال أيضا بأن التراث الإسلامي الذي ملأ المكتبات كان القرآن أساسه ومبدأه، فالمسلمون قد أبدعوا في أصول الفقه وفي النظريات البلاغية، وفي التشريع وغيرها، وقد استمدوا ذلك كله من القرآن الكريم، وسيظل يمدهم بقضايا متعددة ومواضيع شتى، ثم جاء بشبهة أخرى لـ"جولد تسيهر" ليكمل مهزلة المستشرقين بقوله بأن العلماء قد أعطوا القرآن أكثر مما أعطاهم. وختم بقوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرًا لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ - النحل: 89-²

عرض لنا الشيخ فيما سبق شبهة خطيرة حول القرآن الكريم، مفادها بأن هذا القرآن مجرد دين جاء بأحكام، ولم يتضمن أي نظرية، كما أنه لم يدع لأبي عقيدة، وهذا الكلام خطير جدا في حق القرآن الكريم، فهو كتاب سماوي جاء بدين للبشرية جمعاء، جاء بأحكام وعقائد، وجاء أيضا بإعجاز بليغ، ونظريات مهمة، رغم أنها لم تكن من المواضيع التي اهتم بها كثيرا، ولكنها قد جاءت ضمن إعجاز وبلاغة هذا الكتاب العظيم، والتي لم ينتبه إليها إلا المتخصصون والعلماء الأفاضل.

والشيخ في تعقيبه على هذه الشبهة قال بأن هذا القرآن كما احتوى على أحكام فقد احتوى على عقائد، وقد استغرب من كلام هذا المستشرق، فالقرآن الكريم يحتوي على العقائد طبعاً.

وقد أحال القارئ على الفصل الأول من الكتاب الخاص بموضوع القرآن ليجد الرد على هذه

¹ - ده بوير: ولد سنة 1866م، وهو من أساتذة الفلسفة في جامعة أمستردام، من أهم آثاره: "الغزالي وابن رشد" ودراسة عن الكندي، وله مقال في دائرة المعارف الإسلامية مقالة عن ابن سينا... توفي سنة 1942م ينظر: المستشرقون، 2/ 317.

اختلفت تسميته بين المراجع: ده بور/ دي بور/ دي بوير.

² - إتيان البرهان في علوم القرآن، فضل حسن عباس، دار النفائس، ط2، 1437هـ/ 2015م، 2/ 350.

الشبهة، وعندما رجعت إلى ما أحال إليه الشيخ لم أجده في الفصل الأول ولا في الفصول الأخرى ردا ظاهرا إلا ما كان بين ثناياه، هذا مما قد يسجل على رد الشيخ هنا، فكان من المفترض أن يرد هنا على هذه الشبهة، فالموضع ليس محل للإحالة حسب الظاهر، أما ما يخص قول المستشرق عن النظريات فقد تساءل عن مقصوده من هذا الكلام.

من خلال رد الشيخ يمكن أن أستشف منهج الدفاع الذي استعمله في هذا الموضوع، والذي يظهر أنه قد استعان بالمنهج العقلي المنطقي بما أنه طرح بعض التساؤلات المنطقية حول محتوى القرآن الكريم... لكنه لم يفصل فيه كثيرا بسبب إحالته للقارئ على الرد.

ثم ذكر الشيخ شبهة أخرى لـ"جولد تسيهر" تتعلق بالموضوع، وهي أن المسلمين قد أعطوا القرآن أكثر ما أعطاهم¹، ولم يعقب عليها، وهذا مما يجب الرد عليه؛ لأنه قول خطير، ولربما لسخافة هذا القول استغنى الشيخ عن الرد، فكان أولى والله أعلم أنه لم يورد الشبهة مادام لم يرد عليها، هذا ما يظهر والله أعلم.

ولقد تعقب المعلق على كتاب "جولد تسيهر" - على شبهة هذا المستشرق في الهامش بالبيان حيث بين مقصوده من كلمة نظريات هنا، ورد عليها حيث يقول: "...أما كلام المؤلف هنا عن القرآن، ففيه من الحق بمقدار ما يقصد أن يقول إن القرآن لا يحوي نظريات مبلورة، على طريقة المؤلفين في العادة، ذلك أن القرآن نظرا لأنه كتاب إلهي لا يحصي الأشياء، ولا يعطي منطوق نظريات، بعد إحصاء وجود الشيء على نحو ما يفعل المؤلف العادي عندما تتصور نفسه بالرأي، أو عندما يسجل ما يصل إليه بعد الحين والحين من آثار العيان الحسي أو العقلي، كذا في ذلك ذهنه ومنصبا فيه فكره أحيانا؛ بل يتكلم القرآن عن موضعه كلاما مطلقا، هو بيان للشيء، كأنما أحواله هي التي تنطبق عنه..."².

ويُفهم من هذا أنه قد توضح لنا مقصد المستشرق من كلمة نظريات التي تساءل الشيخ عن المقصد منها.

أما رد المعلق عن هذه الشبهة فيقول: "فإن قول النقاد إنهم لم يجيئوا بنظريات أو عقائد قول في

¹ - ينظر: إتقان البرهان في علوم القرآن، فضل حسن عباس، دار النفائس، ط2، 1437هـ/2015م، 350/2.

² - تاريخ الفلسفة في الإسلام، دي بور، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد عبد الهادي أبو رويدة، دار النهضة العربية بيروت، ص 67. - الهامش-.

غير موضعه، وطبيعة الوحي أن يكون مغذياً للأرواح، ومهيئاً النفوس للتفكير الحق والعمل الصالح، وموجهها لها في الفكر والحياة، على منهج صحيح، يكون فيه العقل السليم المخاطب بالوحي، بعد أن تتصور النفس بمحتوى الوحي، فيصبح ممتزجاً بها وحالاً لها...¹

وفيما يخص الشبهة التي طرحها الشيخ عن "جولد تسيهر" بأن المسلمين قد أعطوا القرآن أكثر مما أعطاهم، ولم يتعقبها، فهذا افتراء ما بعده افتراء، فما قدمه القرآن الكريم للمسلمين وللعالمية جمعاء لا يمكن عده ولا إحصاءه، فمثل هذا الكلام إذا لا يصدر إلا من جاهل بمبادئ العلم؛ لأنه قول بلا تمحيص، فهو صادر عن حقد دفين من قبل "جولد تسيهر"، فالقرآن نفسه قد أعطاه هو قدراً من العلم والمعرفة، وهذا الذي جعله يدرسه ليطعن فيه، فلولا القرآن الكريم لما ذاع صيت هذا المستشرق.

الشبهة الثانية: وقوع التناقض في القرآن الكريم.

لخص الشيخ "فضل حسن عباس رحمه الله" شبه مجموعة من المستشرقين وهم: "ده بور" و"جرم"² و"جولد تسيهر" بأن قالوا بأن القرآن الكريم فيه تناقض، وأن المسلمين قبلوا هذا التناقض وسكتوا عنه.³

وإذا ما رجعنا إلى كتاب "تاريخ الفلسفة في الإسلام" للمستشرق "دي بور"، وبعد أن قال بالشبهة الأولى، وهي خلو القرآن من عقائد ونظريات، قال بصريح العبارة بوجود تناقض في القرآن وهذا نص الشبهة: "وقبل الرعيل الأول من المؤمنين ما في القرآن من تعارض، وهو الذي نُعلله نحن بتقلب الظروف التي عاش فيها النبي ﷺ باختلاف أحواله النفسية، وسلموا به دون أن يتساءلوا: كيف؟ أو لما"⁴.

¹ - تاريخ الفلسفة في الإسلام، ص 69. - الهامش -

² - جرم أو جرمة: ولد في 1864م، وهو أستاذ اللغات الشرقية في مونستر، من أهم مؤلفاته "محمد" و"ترجمة القرآن بادرورن" و"الإسلام واليهودية"... توفي في 1942م. ينظر: المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف، ط5، 2006م، 414/2.

³ - إتقان البرهان في علوم القرآن، 350/2.

⁴ - تاريخ الفلسفة في الإسلام، ص 69.

هذا يعني أن الشبهة التي ذكرها الشيخ هي من كلام "ده بور"، وتبعه هؤلاء المستشرقون¹ ووافقوه فيها، حيث يصور هؤلاء وغيرهم أن القرآن الكريم كتاب متناقض يغاير بعضه بعضا، وغير منسجم في أفكاره، وغير منتظم فيما يحويه، وكل ما فيه يخالف العقل، ويعوق الفكر.²

فجاء رد الشيخ مباشرة بأن القرآن الكريم قد رد على نفسه هذه الفرية، وجاء بثلاث آيات ترد هذا، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ^ط وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا^ط﴾ - النساء: 81 - فهذه الآية وغيرها ترد على دعوى التناقض هذه.

بعد أن أورد الشيخ هذه الآيات التي تعد كافية للرد على هذه الفرية - على حسب البعض طبعاً - قال بأن هذه الادعاءات تُذكره بادعاءات كفار قريش، ورغم أن الشيخ قد ذكر أمرا مهما وهو جهل المستشرقين باللغة وأسرارها، إلا أنه رجح جانب الحقد والتعمد أكثر من الجهل، فلقد قالوا بأن القرآن المكّي قد تحدث عن الحرية الشخصية، بعكس الآيات المدنية التي جاءت بغير هذا المنوال، ثم جاء للرد فاستشهد بآيات قرآنية في كلا العهدين وبين عكس ذلك، وأنه لا تناقض في القرآن الكريم.³

لقد اعتمد الشيخ فضل حسن عباس في سبيل الرد على هذه الشبهة على دليل قوي جدا، ألا وهو القرآن الكريم، كيف لا والمستشرقون قد افتروا على القرآن شبهة التناقض، فاختار لهم الشيخ من القرآن الكريم آيات تضرب بافتراءاتهم تلك عرض الحائط، فمثل هذه الشبه وغيرها قد افترت على القرآن الكريم زمن نزوله، فردها القرآن على نفسه وهذا أقوى رد وأقوى دليل، إضافة إلى تحليلات الشيخ المنطقية للشواهد القرآنية.

حينها يمكن القول بأن الشيخ فضل قد مزج بين المنهج النقلي والمنهج العقلي المنطقي في سبيل الرد على شبهة التناقض التي طُرحت هنا، وما أدلى به كان كافيا لدحض الشبهة جملة وتفصيلا.

¹ - منهم جولد تسيهر حيث يقول: "ومن العسير أن تستخلص من القرآن نفسه مذهباً عقدياً موحداً متجانساً وخالياً من التناقضات. ولم يصلنا من المعارف الدينية، الأكثر أهمية وخطراً، إلا آثار عامة نجد فيها، إذا بحثناها في تفاصيلها، أحيانا تعاليم متناقضة". أنظر: العقيدة والشريعة في الإسلام تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين الإسلامي، ابنجاس جولد تسيهر، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد يوسف موسى وآخرون، المركز القومي للترجمة القاهرة، 2013، ص 78.

² - ينظر: المستشرقون والقرآن الكريم، محمد أمين حسن محمد بني عامر، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط1، 2004م، ص 319.

³ - ينظر: إتقان البرهان في علوم القرآن، 350/2-352.

لقد تعرض حسن محمد بني عامر لموضوع دعوى التناقض في القرآن الكريم، ودرسه دراسة علمية وافية تعرض فيها لمختلف الشبهات التي طرحها المستشرقون، ورد عليها ردا علميا وافيا، كما أنه عرض لنماذج قرآنية ادعوا فيها وجود تناقض، وبين وجه الحق فيها، ضف إلى ذلك أنه جاء بنصوص من القرآن الكريم نفسه الذي رد على هذه الشبهة التي افتريت منذ القدم.¹

أما مترجم كتاب "تاريخ الفلسفة في الإسلام" محمد عبد الهادي، فقد رد على محتوى هذه الشبهة بالاستشهاد بالوقائع التاريخية التي رافقت القرآن زمن نزوله، إذ جاء بأمثلة حية حيث يقول في كلام مطول له: "... إن كلام المؤلف عن تسليم العرب للنبي فيما بلغه إليهم وعن عدم سؤالهم: كيف؟ أو لم؟ تعارضه الوقائع من جداهم للنبي وعنادهم له، وسؤالهم المستمر، وإعراضهم على ما كان يقول لهم، إلى أن آمنوا، واطمأنت نفوسهم في أكثر من عشرين عاما، والقرآن والحديث سجلان يثبتان أسئلة معاصري النبي، من العرب الوثنيين، وغير العرب من أهل الكتاب، فسألوا عن أوجه القمر.... بل تناقش الصحابة في مسألة القدر في عهد النبي ﷺ، وذكروا في مجادلاتهم آيات القرآن، فنهاهم النبي خوفا من أن يميل بهم الجدل عما لا بد لهم منه أولا...".²

أختم هذا الموضوع بكلام المستشرق جفري لانغ على عدم تناقض القرآن الكريم حيث تعتبر شهادته أقوى رد يختتم به هذا الموضوع حيث يقول: "إن أحد الانطباعات الإيجابية التي تنبثق بالتأكيد من مواجهات كهذه هو أن القرآن يبدو فعلا أنه خال من أية تناقضات حقيقية...".³

فأقول هؤلاء المنصفين تعزز المنهج التاريخي في الرد على هذه الشبهة وغيرها، وهو من أنفع المناهج الدفاعية عن القرآن الكريم ومباحثه، كما سبق وأن نبها على ذلك في محله.

الشبهة الثالثة: القول بأن القرآن الكريم ذو ذوق رديء للغاية، وأنه لا جديد فيه، مع وجود إطناب ممل.

على غير عادة الشيخ في رد الشبهات، استهل كلامه بأن قرر مجموعة من المسلمات التي لا

¹ - لمن أراد الاستزادة في الموضوع فاليردع إلى كتاب: المستشرقون والقرآن، - ص 319-343.

² - تاريخ الفلسفة في الإسلام، ص 69-هامش -

³ - الصراع من أجل الإيمان، جفري لانغ، ترجمة: منذر العبسي، دار الفكر دمشق سورية، ط2، 1421هـ/2000م، ص 66

يختلف فيها أحد والتي منها:

- أن القرآن الكريم نزل على أمة كان الكلام فيها بضاعتهم المفضلة، وتجارهم الراجعة.
 - أن الكلام عندهم كان من أكثر الأجناس التي يقع فيها التفاضل، فكانوا يدركون ذلك بفطرتهم.
 - أن كفار قريش رغم عدم إيمانهم إلا أن القرآن كان له أثر وهيمنة على قلوبهم¹.
- هذه البديهيات الثلاثة التي لا يجادل فيها أحد، خرج عنها البعض، منهم المستشرق "دوزي"² الذي قال عن القرآن أنه ذو ذوق رديء للغاية، ولا جديد فيه إلا القليل، وفيه إطناب بالغ وممل إلى حد بعيد، لبدأ الشيخ رده على الشبهة حسب ترتيبها، فقول المستشرق بأنه ذو ذوق رديء، قرنه الشيخ بشهادة الوليد بن المغيرة عن حلاوة القرآن والذي يشاركه في الكفر، لكنه كان أرفع منه ذوقاً وأرهف حساً.

أما الإطناب فقال بأن القرآن لغة إيجاز، يعطي أكبر قسط من المعنى بأقل قدر من اللفظ. وأما الملل فقد قال بأن هذه المسألة نسبية، لكن القرآن الكريم لا تمله الأسماع ولا تعافه النفوس؛ لأنها تجد فيه أنسا، وهذا ليس عند المؤمنين فقط، وإنما عند التواقين للمعرفة والمحبين للجمال.³

هذا التفصيل من الشيخ كان كافياً لرد هذه الشبهة، فقد استشهد بالتاريخ في يمثل ما جاء عن الوليد بن المغيرة الذي شهد بحسن نظم القرآن وحلاوته، هذا هو المنهج التاريخي في مجال الدفاع عن القرآن الكريم، بالإضافة إلى المنهج العقلي المنطقي حيث استعمل المنطق في الرد على هذا الشبهة، فراح يعطي أمثلة من التاريخ لأعمال مخلصين ك: شكسبير وجوته وغيرهم، وافترض الشيخ افتراء أحدهم على هؤلاء كما فعلوا بالقرآن، وما سيواجه هؤلاء من سخريه وضحك عن أقوالهم، كيف لا وهذا كلام لله عز وجل.

¹ - إتقان البرهان في علوم القرآن، 352/2.

² - دوزي: مستشرق هولندي، اشتهر بأبحاثه في تاريخ العرب في إسبانيا وبمعجمه "تكملة المعاجم العربية" ولد في 21 فبراير 1820م في لندن، يتقن اللغة الفرنسية والإنجليزية والألمانية والإيطالية والعربية، اهتم بدراسة التراث العربي، كما عين محافظاً مساعداً للمخطوطات الشرقية، كما عمل على مشروع تحقيق نصوص عربية، وله عدة مقالات في ذلك، وهو من أتباع الحزب الليبرالي...، توفي في لندن 1883. ينظر: موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين بيروت، ط3، 1993م، ص 259-263.

³ - ينظر: إتقان البرهان في علوم القرآن، 352/2-353.

وقال بأن مثل هذه الشبه لو كانت على غير لغة القرآن كالأحكام مثلا لا تحتمل مناقشتها، أما عن لغة القرآن فلا مجال لذلك، ثم جاء بكلام جميل لعبد الله دراز في الموضوع.¹

في ختام هذه الشبهة، يمكن القول بأن الشيخ هنا قد أجاد وأفاد في الرد مع اختصاره.

فهذه شبهة خطيرة يمكن أن تؤلف فيها مؤلفات، أما الشيخ فقد جاء بشاهد من التاريخ لمخالف موقفه منصف من لغة القرآن، كما استعمل المنطق في تحليله، وختم بكلام عبد الله دراز الذي اهتم بهذا المجال كثيرا.

حوى القرآن الكريم على القدر المعلى من البلاغة والبيان والفصاحة، وشمل على جميع شروط الكلام البليغ في كل سورة وآياته وكلماته، وقد أخذ من كل أنواع البلاغة بأوفر نصيب، فتجد فيه إيجاز القصر، والتشبيه الرفيع...، هذا وقد احتوى النظم القرآني على الجزالة، والتناسق، والاهتمام بالإيقاع، والانسجام في اللفظ والنغم، وقد حصل للصحابة - وهم أفصح الناس، وأعلمهم باللغة وبيانها - التأثير الكبير، ومن بينهم عمر بن الخطاب القرشي قبل إسلامه وبعده، والوليد بن المغيرة...²

يقول بلاشير³ وهو المستشرق المخالف: "إن القرآن ليس معجزة بمحتواه وتعليمه فقط، إنه أيضا ويمكن أن يكون قبل أي شيء آخر تحفة أدبية رائعة، تسمو على جميع ما أقرته الإنسانية وبلغته من التحف، إن الخليفة المقبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه المعارض الفظ في البداية للدين الجديد، قد غدا من أشد المتحمسين لنصرة الدين عقب سماعه لمقطع من القرآن"⁴

فهذه شهادة منصف منهم حول معجزة القرآن اللغوية تخرص هذا المفتري وكل مستشرق حاقد.

يقول إبراهيم خليل: "... فالقرآن الكريم يسبق العلم الحديث في كل مناحيه، من طب وفلك وجغرافيا وجيولوجيا وقانون واجتماع وتاريخ... ففي أيامنا هذه استطاع العلم أن يرى ما سبق إليه القرآن

¹ - ينظر: إتيان البرهان في علوم القرآن، 2/353-354.

² - دعوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها، ص 130-133

³ - بلاشير ريجي: ولد بلاشير في 30 يونيو 1900م، في ضاحية مونروج-باريس-، حصل على دكتوراه الدولة من جامعة باريس برسالتين: الأولى عن شاعر عربي من القرن الرابع الهجري "أبو الطيب المتنبي"، والثانية ترجمة فرنسية لكتاب "طبقات الأمم" ل"صاعد الأندلسي" مع تعليقات وفيرة مفيدة. عين أستاذا للغربية الفصحى في باريس، توفي في السابع من أغسطس 1973م. ينظر: موسوعة المستشرقين، ص 127.

⁴ - قالوا عن الإسلام، عماد الدين خليل، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ط1، 1412هـ/1992م، ص 53.

بالبیان والتعريف"¹.

ونختم الرد على هذه الشبهة، وقد جئنا بمختلف الردود متزينة بمناهج دفاعية مختلفة من الشيخ فضل حسن عباس أو من غيره من العلماء والمنصفين من المستشرقين فيجمل الرد.

الشبهة الرابعة: القول بأن القرآن الكريم موجه للعرب وحدهم.

في هذه الشبهة الأخيرة قرر الشيخ "فضل حسن عباس رحمه الله" أنها تحمل الرد في طياتها، وهذه الشبهة قد قال بها المستشرق "فنسك"² الذي قال بأن رسالة النبي ﷺ كانت للعرب وحدهم، وراح يبحث لنفسه عن دليل من القرآن الكريم، فاستدل ببعض الآيات التي تصف القرآن بأنه عربي، وأخرى تخص إنذار عشيرته وبلده، كما قال بأن الآيات التي تبين عموم الرسالة ترد إلى الآيات التي تبين خصوصية الدعوى، كما زعم أيضا أن ما جاء في السنة من إرسال النبي ﷺ الكتب إلى "كسرى" و"قيصر" وغيرها ليس صحيحا، بل هو من وضع الخلفاء لئسوغوا فتحاتهم لهذه البلاد وغيرها.³

شرح الشيخ في الرد على هذه الشبهة، فقال إن الآيات التي بينت عموم الدعوة كثيرة جدا، أما آيات الإنذار الخاصة فكانت في بداية الدعوة وهذا أمر طبيعي، وبخصوص الآيات التي تقول بعربية القرآن لا تدل على أنه للعرب وحدهم، وقد جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة أحاديث كثيرة تبين عموم الدعوة، وجاء بحديث في صحيح مسلم.

وبعد أن أخذ الشيخ هذا المستشرق الذي أقر بصدق النبوة ثم لم يؤمن، استهلال رده بمسلمات في الموضوع، وهو أمر مهم في الرد على قضية مثل هذا، كما أنه نوع أساليب الرد فاستشهد بآيات وأحاديث ترد عليه، كما استشهد بالواقع التاريخي وذكر نماذج منها، واستدل أيضا بالمنطق على بطلان شبهته.

لهذا يمكن القول بأن الشيخ "فضل حسن عباس رحمه الله" قد استخدم ثلاث مناهج دفاعية للرد

¹ - محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، إبراهيم خليل أحمد، دار المنار، 1409هـ/ 1989م، ص 47-48..

² - فنسك: مستشرق هولندي ولد في 1882م، كان أول إنتاجه الرسالة التي حصل بها على الدكتوراه في 1908م، بعنوان "محمد واليهود في المدينة"، كما وضع معجم بحسب الألفاظ للأحاديث الواردة في كتب السنة الصحاح الستة، كما عني بالإشراف على مؤلفات "اسنوك هرخرونية"... توفي سنة 1939م. ينظر: موسوعة المستشرقين، ص 416-417.

³ - إتيقان البرهان في علوم القرآن، 2/354-355.

على هذه الشبهة: المنهج النقلي، والمنهج العقلي المنطقي، والمنهج التاريخي.

وهذا يكفي لتكذيب هذه الشبهة المغرضة جزاه الله عنا كل خير.

وشهد توماس أرنولد في موضوع إرسال النبي ﷺ للملك رسائل، شهادة أهميتها بالغة للرد على افتراء "فنسك" حيث يقول في كتابه تحت عنوان "المد الإسلامي خارج الجزيرة العربية": "...وعلى إثر العودة من هذا السفر- يقصد الحديبية-، قام عليه السلام بتوجيه كتب دعوية إلى الملوك والرؤساء حول بلاد العرب، وقد كان ذلك في السنة السابعة من الهجرة... لم يلحق رسول الله ﷺ بربه إلا وقد كان الإسلام سائدا في الجزيرة العربية..."¹ وشهادة "توماس أرنولد" لها وزنها الثقيل في مجال الدفاع عن القرآن، تمثل منهج الرد بأقوال المنصفين من المستشرقين، هذا ما يخرس أفواه المفترين، ويطمئن قلوب الداخلين إلى الإسلام بأنه دين العالمية جمعاء فيقبلون على الإسلام بكل حيوية.

ثم ختم الشيخ فضل حسن عباس رحمه الله هذا الفصل² بأن قال بأن هذه الشبهات لا تقف أمام حقائق القرآن الساطعة.

ويجدر التنبيه أن شبهة التناقض من الشبه التي تولدت مبكرا، فقد طرحت من قبل النصارى قديما، وتبناها المستشرقون، وراحوا يرددونها، ويبحثون لها من القرآن الكريم على أدلة ليتقوى شبهتهم هذه، وقد تكفل شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على هذه الشبهة فمن رام الاستزادة في رد هذه الشبهة فعليه بكتاب: "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح"³

أما شبهة قولهم بأن رسول الله ﷺ جاء بلسان عربي ولم يأت بلسانهم، وشبهة القول بأن الرسول ﷺ لم ينشر الإسلام خارج الجزيرة العربية، وأن الذين قاموا بهذا العمل هم الخلفاء، فلا بن تيمية كلام جميل في رده، فقد تحدث عن موضوع عموم الرسالة وفصل فيه حيث يقول: "أنا نبين أن ما فيه من عموم رسالته لا ينافي ما فيه من أنه أرسل إلى العرب، كما أن ما فيه من إنذار عشيرته الأقربين، وأمر قريش لا

¹ - تاريخ الدعوة إلى الإسلام، وحيد الدين خان، ط1، 1413هـ/1992م، القاهرة، ص 39-40-41.

² - لمن أراد تفصيلا وافيا للرد على هذه الشبهات فاليعد إلى كتاب: نقض دعوى علمية النصرانية، فرج الله عبد الباري، دار الآفاق العربية، ط1، 2004م، ص 116-140.

³ - ينظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم بن محمد ابن تيمية، تحقيق علي بن الحسن وآخرون، دار العاصمة السعودية، ط2، 1419هـ/1999م، 2/22.

ينافي ما فيه من دعوة سائر العرب؛ فإن تخصيص بعض العام بالذكر إذا كان له سبب يقتضي التخصيص لم يدل على أن ما سوى المذكور مخالفة، وهذا الذي يسمى مفهوم المخالفة ودليل الخطاب...¹

المطلب الثاني: شبهات حول مباحث علوم القرآن.

الشبهة الأولى: أمية النبي ﷺ.

في حديث الشيخ "فضل حسن عباس رحمه الله" عن مبحث الوحي، وبعد أن عرض للموضوع بكل تفاصيله وأقسامه مجيداً مفيداً، راح يتحدث عن مصدر القرآن الكريم فجاء بنص من الموسوعة البريطانية التي تقول بأن أكثر المادة القصصية في القرآن الكريم مشتقة من مصادر نصرانية ويهودية متأخرة، وقد ألزم الشيخ نفسه بأن يلتزم بمنهجية هادئة هادفة، وراح يورد افتراضات حول القرآن الكريم، جملها شبهات للمستشرقين مع الرد عليها، ولكن مناقشة هذه الردود سأحيلها للمبحث الخاص بالموسوعة البريطانية، وسأكتفي هنا بإيراد شبهة لم ترد في الموسوعة وهي نفي المستشرقين لأمية النبي ﷺ.

نقل لنا الشيخ "فضل حسن عباس رحمه الله" نصاً عن المستشرق "رجيس بلاشير"، والتي تجاوز نصها الصفحتين، حيث ابتدأ بلاشير شبهته بتساؤل: هل كان محمد يعرف القراءة والكتابة؟ وقال بأن المسلمين ينفون معرفة النبي ﷺ للقراءة والكتابة انطلاقاً من اشتقاق كلمة أمي التي تعني جاهل، وصرح بأن بعض المستشرقين قد تبعوا المسلمين في ذلك، لكن الحقيقة كما يقول بأن معنى النبي الأمي: هو نبي الوثنيين... وللتدليل على ما يقول لجأ إلى بعض السطور المتناثرة في كتب السنة - كما يقول - للتدليل على صحة كلامه، حيث استدل بخبر صلح الحديبية عندما قال سهيل لرسول الله: (أكتب كما كنت تكتب من قبل...). فقال بأن كلامه هذا يدل على معرفة النبي للكتابة، إضافة إلى بعض الأخبار...² التي تشير أن النبي في مرض موته طلب كتفاً أو قطعة من الجلد، ودواة ليكتب وصيته السياسية، وعدم إجابة الصحابة له لمعارضة جانب أبي بكر وعائشة لجانب علي... فضلاً على أن أفراداً

¹ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، 380/1.

² - اعتمد بلاشير على خبر أورده ابن سعد في طبقاته، وهو خبر روي عن ابن عباس قال: ((اشتكى النبي ﷺ يوم الخميس فجعل، يعني ابن عباس، يبكي ويقول: يوم الخميس، وما يوم الخميس اشتد بالنبي ﷺ وجعه، فقال: انتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدها أبداً، قال: فقال بعض من كان عنده: إن نبي الله ليهجر، قال فقيل له: ألا تأتيك بما طلبت؟، قال: أو بعد ماذا؟، قال: فلم يدع به)). وهذا الخبر كما نرى لا وجود للزيادة التي أوردها بلاشير حول إبي بكر وعائشة وعلي بل هي من تليفق. ينظر: الطبقات الكبرى، محمد بن سعد أبو عبد الله البصري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر-بيروت، ط1، 1968م، 242/2.

من عائلته ﷺ كانوا يعرفون الكتابة.¹

هكذا كانت شبهة "بلاشير" فيما يخص أمية النبي ﷺ، والآن سأتطرق لمنهج الشيخ فضل حسن عباس رحمه الله في الرد على فحوى هذه الشبهة، وكيف دافع عن الرسول ﷺ.

استخدم الشيخ المنهج العقلي المنطقي، وتمثل هذا في الاستدلال بقواعد ومسلمات منطقية، فقد أبطل الشيخ فضل حسن عباس شبهة بلاشير من نفس الكتاب الذي نقل منه شبهته هذه، حيث أورد في الهامش أن من معاني اكتب معنى أمل، والإملاء كان دأب رسول الله ﷺ، وبالتالي فقد نقض "بلاشير" نفسه بنفسه، ولم تحتج شبهته هاته إلى البحث عن رد لها، بل كان من كلامه هو. وهذا يعد أقوى دليل على تكذيب فريته.

أما الخبر الثاني الذي استشهد به "بلاشير"، فقد قال الشيخ فضل عنه بأنه أضعف من الأول؛ لأنه قد اعتمد فيه على الطبقات الكبرى لابن سعد، وهذا الأخير لم يذكر قضية أبا بكر وعائشة وعلي، وبالتالي فبلاشير ربما قد استخدم مصدرا استشراقيا آخر لهدف أراد تحقيقه، وزاد الشيخ الرد بيانا بأن قال بأن النبي ﷺ في الحال العادية كان يدعوا بالدواة والقرطاس، فكيف يكتب لنفسه وشبح الموت مائل أمامه؟...².

فرد الشيخ كان ردا علميا شافيا وافيا، ومنهجه هذا كان ناجعا فعلا، فمن المحتمل أن يقوم الشيخ "فضل حسن عباس رحمه الله" هنا بالرد على الخبرين اللذين استشهد بهما "بلاشير" من الناحية الحديثية، فيثبت لنا مدى ضعف هذين الخبرين...، لكنه أثر استخدام المنطق والعقل للرد على "بلاشير" ليكون رده قويا مقنعا.

فلا رد أقوى من أن يكون النقض من الطرف المعادي نفسه، هذا ما يجرس فمه ويجف قلمه وأتباعه.

¹ - ينظر: إتقان البرهان، 84/1—87.

² - المرجع نفسه، 86/1—87. -بتصرف-

ليس هذا فقط فالشيخ قد كشف كذب "بلاشير" وافتراءه على كتب السنة، فزاد فيها أشياء تخدم مصلحته، وهذا مناف للأمانة العلمية ولقواعد البحث العلمي الذي يتفاخر وأتباعه باتباعها.

ووجب الإشارة إلى نقطة مهمة، وهي أن الشيخ فضل حسن عباس في قضية أمية النبي ﷺ قد نقل نص الشبهة والرد عليها حرفياً في حوالي ستة صفحات من كتاب "تاريخ القرآن" لعبد الصبور شاهين، حيث إنه لم يصرح بذلك في المتن كما جرت عادته في نقل النصوص بحرفها عندما يستلزم الأمر، فالإحالة هنا كانت في الهامش، وهذا الفعل في العموم يستوجب الإشارة والتصريح به في المتن ومنذ البداية؛ ليعلم القارئ بأن هذا الكلام ليس للشيخ فضل، وقد ورد في النقل ترجيح لقول يتوهم للقارئ أنه لشيخ فضل وهذا نصه: "...وهذا الاحتمال الثاني الذي نميل إلى ترجيحه في هذا المقام".¹ حيث إن هذا الترجيح لعبد الصبور شاهين لا ترجيح "فضل عباس" كما يتوهم.

وهذا لا ينقص الرد شيء، وإنما يزيده قوة على قوة، فقد تناولت كتب علوم القرآن خاصة المعاصرة منها موضوع أمية النبي ﷺ، وتناولت كذلك شبهات المستشرقين فيها، ولا زال أهل العلم ينقل بعضهم عن بعض قديماً وحديثاً.²

وليُعلم إن أغلب المستشرقين عرضوا شبهة إنكار أميته ﷺ، من بينهم بلاشير الذي عرض له الشيخ "فضل حسن عباس رحمه الله"؛ وهذا لأنه من أكثر المستشرقين اهتماماً بهذا الموضوع، ولعل هذا سبب اقتصار الشيخ "فضل حسن عباس رحمه الله" في إيراد شبهته دون المستشرقين الآخرين.

ومن بين العلماء الذين كتبوا في هذا الموضوع بطريقة علمية مؤصلة لخضر شايب حيث لم يقتصر لشبهة المستشرقين فقط، وإنما عرض لبعض المسلمين الذين ذكروا الشبهة، ثم رد عليهما رداً علمياً منطقياً، ولم يترك باباً للشك في الموضوع.

وزاد عليه دراسة حديثة ولغوية قيمة تحيط بالموضوع كل جوانبه، ولا تترك أي مجال للشك والريبة.³

¹ - إتيقان البرهان، 90/1.

² - ينظر مثلاً: الوحي القرآني من المنظور الاستشراقي ونقده، محمد ماضي، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ط1، 1416هـ/1996م، ص 111-116. / القرآن الكريم في دراسات المستشرقين دراسة في تاريخ القرآن: نزوله وتدوينه وجمعه، مشتاق الغزالي، دار النفائس، ط1، 1429هـ/2008م، ص 114-118... / المستشرقون والقرآن، عمر لطفي العالم، مركز دراسات العالم الإسلامي، ط1، 1991م، ص 70...
³ - لمن أراد الاستزادة في الموضوع، ويحصل على دراسة مفصلة حول هذه القضية الجوهرية يطلع على كتاب الدكتور لخضر شايب بعنوان: نبوة

محمد في الفكر الإستشراقي المعاصر، من صفحة: 389 إلى صفحة 412.

فجزى الله الشيخ فضل حسن عباس وكل عالم دافع عن رسول الله ﷺ، وأثبت أميته.

الشبهة الثانية: جمع القرآن الكريم.

بعد أن أتم الشيخ "فضل حسن عباس رحمه الله" من مبحث جمع القرآن الكريم خصص مبحثاً جديداً بعنوان: "الشبهات التي وردت على الفصل الثامن وردها "جمع القرآن الكريم".

فأورد مجموعة من الشبهات حول هذه المرحلة، كلها تدور حول حفظ القرآن الكريم وكتابته في العهود الثلاثة، فتارة يقولون بأن النبي ﷺ مات ولم يكن هناك قرآن مجموع، ومنهم من يقول بأن القرآن لم يحفظه إلا أربعة من الصحابة، وأن الصحابة ليسوا موضع ثقة، كما أن هناك من شكك في نية جمع أبي بكر وعمر وعثمان، والتي تبعهم فيها بعض بني جلدتنا رغم أن الشيخ فضل أحسن الظن ببعضهم.

ليأتي رد الشيخ فضل حسن عباس رحمه الله في المستوى، فقد رد على محتوى الشبهات بالمنهج النقلي ممزوجاً بالمنهج العقلي المنطقي، فبدأ أولاً بإيراد أحاديث ثابتة ترد على ما قاله المستشرقون، والاستدلال بأقوال المحدثين والعلماء في الموضوع، وكان بالإمكان الاكتفاء بهذا الرد على هذه الشبهات، لكن الشيخ فضل رحمه الله زاد الرد قوة باستعماله للمنطق والعقل في هذا؛ لأن هذا الرد لو كان رده محصوراً على المسلمين لكان ذلك كافياً، لكن هذا الرد موجه لغير المسلمين أيضاً، فهؤلاء لا يعترفون بالأحاديث ولا بحجيتها؛ لهذا كان لقواعد المنطق وتوظيفها هنا ركيذة أساسية لدحض الشبهة من جذورها.

وقد استعمل الشيخ عدة مصطلحات منطقية في الموضوع مثل: "ثم إن هذا القول يحمل بطلانه في ثناياه...، وهذه ملازمة غير صحيحة...، لكننا نشير إلى مغالطة وقع فيها "بلاشير"..."¹

في ختام الشبه التي تناولها الشيخ في موضوع جمع القرآن الكريم أقول إنه قد أجاد وأفاد في الرد عليها، حيث إنه لم يكتف برد الشبه بالأحاديث والآثار الصحيحة في الموضوع، إنما استعمل المنطق والعقل في ذلك، وهذا يحتسب للشيخ المعروف باطلاعه الواسع، وثقافته المتنوعة.

هناك نقطة وجب السؤال عنها، وهي سبب تخصيص الشيخ لمبحث خاص بالشبهات الواردة في الموضوع، وهو قد تعرض فيما قبله في مبحث الجمع إلى شبهات في الموضوع وردها، فلو أنه اكتفى

¹ - ينظر: إتقان البرهان، ص 285—297.

بإيراد مجمل الشبهات المطروحة في الموضوع لكان أحسن وتبقى وجهات نظر والله أعلم بصنيعه هذا.

الشبهة الثالثة: القراءات القرآنية.

خصص الشيخ فضل عباس رحمه الله لموضوع القراءات القرآنية كتابا مستقلا، كما أنه قد تعرض لهذا الموضوع في مؤلفاته الأخرى، فهو يدل على أهمية هذا الموضوع وخطورته، كيف لا وهو يُعنى بكيفية أداء كلام الله عز وجل لفظا ومعنى، ومن جهة أخرى فهو مرتبط ارتباطا وثيقا بمرحلة جمع القرآن بمراحله الثلاثة، وبالأحرف السبعة، وهاته المباحث قد لاقت من الشبه والطعون ما لم تتلقها المباحث الأخرى، ويمكن القول بأن أدلة الشبهات التي طرحت في هذا الموضوع من المستشرقين قديمة، فهم لم يأتوا بالجديد، بل كرروا ما قيل من قبل لا غير، وربما تلاعبوا بالمصطلحات وضخموها ليُخفي مصدر استلالها.

تمثل الشبهة الأولى التي عرض لها الشيخ في جانب القراءات القرآنية ما وصف به المستشرق "جولد تسيهر" للنص القرآني بالاضطراب وعدم الثبات بسبب تعدد وجوه القراءات، وقد تعقب الشيخ هذا الافتراء بأنه قول بعيد عن التمهيص؛ لأن كل القراءات مقطوع بصحة نسبتها إلى الوحي، لهذا فلا تناقض فيها، ثم جاء بكلام عبد الوهاب حمودة الذي رد بدوره على كلام هذا المستشرق، فقال إن هدفه من هذا القول هو إثبات أن هذا الاختلاف ناتج عن الهوى لا عن توقيف ورواية، لكنه -يقصد المستشرق- غفل عن الأسس الصحيحة التي تؤخذ بها القراءة، كما أنه نقل على مصادر غير جديدة بالنقل منها، فلو أنه نظر في التفاسير ووجد نفسه من الهوى لبان له الصواب، زد على ذلك أنه قد سوى بين القراءات صحيحها وضعيفها وشاذها.¹

يكمل الشيخ رده فيقر أن "جولد تسيهر" قد أثار العديد من الشبهات التي لا تقوم على أساس من المنطق أو العلم، ورغم عده شيخا للاستشراق نظرا لثقافته الواسعة، إلا أنه يستعمله لتزييف الحقائق، وهذا ما يشهده القارئ في كلامه.

هذا العرض السابق لمنهج الشيخ فضل في الرد على من وصف القراءات القرآنية بالاضطراب يمكن أن نطلق عليه في مجال الدفاع عن القرآن الكريم وعلومه بالمنهج العقلي المنطقي.

¹ - ينظر: إتيقان البرهان، 2/ 165-166.

أما الشبهة الثانية التي طرحها "جولد تسيهر"، والتي نقلها لنا الشيخ فضل فمحتواها أن اختلاف القراءة ناشئ عن طبيعة رسم المصحف والخط العربي، وهذا من خلال اختلاف النقاط الموضوعية فوق الهيكل وتحتها، بالإضافة إلى اختلاف الحركات، وقد استدلت بمجموعة من القراءات التي لا تصح باستثناء واحدة - كما يقول الشيخ -.

يشعر الشيخ فضل في الرد على هذه الفرية، فيقول إن العلماء مجمعون على خلاف ما قيل، وجاء بكلام "السيوطي" في ذلك، ثم جاء بأدلة من الواقع التاريخي، فأقر أن القرآن كان يحفظ بالتلقي إلى جانب الكتابة، كما أن القراءات كانت قبل تدوين المصحف، وعندما كتبت أرسل "عثمان بن عفان" مع كل مصحف إماماً للقراءة؛ فلو كان التعويل على المكتوب فقط لما بُعث الإمام، وأقوى ما يرد به هنا أن هناك الكثير من الكلمات في القرآن رسمها واحد لكنهم اختلفوا في جزء منها.¹

وهذا ما يمكن أن نسميه بالمنهج التاريخي.

هكذا رد الشيخ هذه الشبهة، فبعد أن أقر بأنه هناك إجماع للعلماء في هذه المسألة، وجاء بنص للسيوطي، مع أدلة من التاريخ نفسه لا يمكن للطاعن إنكارها، كما بين ذلك في نماذج، وهذا أقوى ما يرد به على هذه الشبهة.

هذا ما ذكره الشيخ فضل في كتاب "إتقان البرهان"، ونفس الشبهة ذكرها في كتابه "القراءات القرآنية وما يتعلق بها" لكنه هناك ذكر الأمثلة التي ساقها "جولد تسيهر"، كما أنه ذكر أمثلة لكلمات رسمها واحد واختلفت القراءة في بعضها، كما أضاف الجزء المتبقي في الشبهة وهو أن هناك اختلاف في القراءة بسبب اختلاف المجتهدين، وذكر لها أمثلة، لكن الشيخ قال إنها مما لا يعتد به العلماء، وناقش منها مثال واحداً، وبين بطلانه وقال إن هذا يسحب على باقي الأمثلة.²

الشبهة الثالثة التي تعرض لها الشيخ فضل حسن عباس في كتاب "إتقان البرهان" وهي تابعة لسابقتها، وهي أن اختلاف القراءات كان منشأها اختلاف النحويين والانتصار المذهبي بين البصريين والكوفيين، وقد صرح الشيخ ببطلان هذا القول؛ لأن القراءات تروى بالسند قبل نشوء المذاهب

¹ - ينظر: إتقان البرهان، 2/168-170.

² - القراءات القرآنية وما يتعلق بها، ص374.

النحوية، بل إن واقع القراءات إزاء النحو يبين بطلان ذلك، فإن هناك قراء خالفوا مذاهبهم النحوية في قراءتهم، وجاء بمثال حول ذلك، كما أن هناك قراءات متفق فيها بين القراء مخالفة للقياس النحوي، ضف إلى ذلك أن هناك آيات فيها أكثر من وجه فتأتي القراءة على وجه واحد منها¹، وجاء بأمثلة عديدة ومتنوعة في هذا الموضوع، وختم بقاعدة مهمة بعد عرضه للشبهات السابقة، وهي بمثابة قاعدة تدحض ما سبق وهي أن موافقة المصحف ولو احتمالاً، وموافقة العربية لا يمنحان القراءة القبول ما لم يكن هناك صحة سند.²

أما فيما يخص منهج الرد على هذه الشبهة المغرضة، فقد استعمل الشيخ فضل منهجين دفاعيين مهمين، الأول: المنهج النقلي والذي يتمثل في الاستشهاد بالآيات القرآنية التي تحوي على قراءات فيها اختلاف في المذاهب النحوية وصنيع النحويين معها، حيث إنهم يستندون إلى قواعد القراءة الصحيحة لا المذهب اللغوي الذي يتبعونه، ضف إلى ذلك المنهج العقلي المنطقي الذي كان مرافقاً للمنهج السابق، حيث راح الشيخ يشرح هذه الأمثلة، ويبين بطلان هذه الفرية، فبين مخالفة النحويين لمذاهبهم في بعض القراءات، بالإضافة إلى مخالفة القراءات نفسها لهذه المذاهب، والقاعدة التي ختم بها الشيخ هي العمدة في علم القراءات.

هذه القاعدة تغني عن كل ما أثير حول هذا الموضوع، والذي يدندن به هؤلاء الطاعنون، وهذه القاعدة الثمينة التي لو اتبعها كل من يدرس القراءات القرآنية لما خرج عما قاله علماءنا الأجلاء في الموضوع.

إن معظم الشبهات التي عرض لها الشيخ فيما سبق صادرة من شيخ المستشرقين "جولد تسيهر"، كيف لا ومعظم الشبه الواردة في هذا الموضوع من افتراء هذا المستشرق، وأغلب من جاء بعده قد استمد شبهه من أقواله، لكن هذا لا يعني أنه هو فقط من اهتم بالموضوع ودرسه، فأغلب ما قاله هنا كان فيه متأثراً بشيخه (نولدكه) الذي استمد منه أغلب أفكاره، ورغم أن الشيخ فضل قد اعتمد على الاختصار في هذا الموضوع حتى في كتاب "القراءات القرآنية" الذي يختص بالموضوع، إلا أنه قد اكتفى ببعض ما افترى في مجال القراءات المتواترة فقط حيث يقول: "والذي يعيننا نحن القراءات المتواترة، التي لا

¹ - إتقان البرهان، 172/2-173.

² - القراءات القرآنية وما يتعلق بها، ص 376-382.

ينبغي أن يرتاب مسلم في أنها جميعها قرآن من عند الله...¹، ولو أمتعنا كما ألفتنا في موضوعات أخرى، وشبهات مغايرة لاستفدنا كثيرا.

وما يستفاد من رد الشيخ على الشبهات المثارة حول القراءات، حصرها في نظر المستشرقين - بعد أن وصفوا القرآن بالاضطراب وعدم الثبات - في أمرين، أولهما الحرية الفردية للمجتهدين من المفسرين والنحاة والفقهاء وغيرهم، وثانيهما بسبب طبيعة رسم المصحف واحتمال الخط العربي لها.

كتب علوم القرآن وكتب القراءات القرآنية والرسم العثماني زاخرة بالرد على مثل هذه الشبهات، بين مقل ومكثر، ومطنب ومختصر، ويمكن القول بأن أغلب الشبهات المطروحة فيها مستمد من الموسوعة البريطانية أو من المستشرق (نولدكه) وتلميذه "جولد تسيهر" وغيرهم، فقد كرر ما قاله شيخه لكن بأسلوب جديد ودقيق عنه، حيث يقول عن شيخه: "وقد عاج هذه الظاهرة علاجا وافيا وبين علاقتها بفحص القرآن، زعيمنا الكبير: تيودور نولدكه THEODOR NULDEKE في كتابه الأصل البكر: تاريخ القرآن، الذي نال جائزة أكاديمية النقوش الأثرية بباريس...²".

ومحتوى شبهة (نولدكه) أن سبب اختلاف القراءات القرآنية يعود إما للحن ستقيمه العرب بألستها حيث يقول: "ويوجد بين أيدينا عدد من الروايات التي أخذت على هذا النص أخطاء مباشرة. ومن أشهر ما وردنا أن عثمان نفسه عندما اطلع على هذا النسخ التي أجزها الكتاب، وجد فيها حروف من اللحن، وأنه قال: (لا تغيروها فإن العرب ستعربها بألستها...)³. أو أنه خطأ النساخ أثناء نسخ المصحف العثماني، حيث يقول بعد أن روى عن عائشة رضي الله عنها بأن أقرت بثلاث أخطاء في القرآن حيث قالت: "هذا عمل الكتاب أخطؤوا في الكتاب...⁴". وهذه الروايات التي استشهد بها (نولدكه) عن عثمان وعائشة رضي الله عنهما بخصوص الأخطاء الواقعة في القرآن، نجد أن الشيخ قد أوردها في مبحث آخر بعيد عن مبحث القراءات القرآنية، تحت عنوان "أنماط الشبهات مثارة حول القرآن الكريم"، والذي خصصه لشبهات أثارها القدماء حول روايات تثير الريبة حول تواتر القرآن

¹ - القراءات القرآنية وما يتعلق بها، ص 355.

² - مذاهب التفسير الإسلامي، ص 7.

³ - تاريخ القرآن، تيودور نولدكه، تعديل: فريدريش شغالي، نقله إلى العربية جورج تامر، دار نشر جولد ألمز هيلدسهام - زوريخ - نيويورد، ط1، بيروت 2004 ص 443.

⁴ - المرجع نفسه، ص 444.

الكريم.¹، ولم ينسبها للمستشرق (نولدكه)، حيث إن مثل هذه الروايات وغيرها نجدها مبثوثة في كتب التفسير والحديث وغيرها، أوردها العلماء ولم يولوها القدر الكافي من العناية والتعقيب، ليأتي (نولدكه) وأمثاله من الحاقدين ليجعلوها بوابة لنقد القرآن الكريم، ولو أنهم التزموا بالمنهج العلمي المتبع لوصلوا إلى ضعف هذه الروايات وكذبها.

والشيخ فضل حسن عباس لما أورد هذه الروايات ردها رداً مجملاً أولاً؛ بأن قال بأنها لا تصح متناً ولا سنداً، ثم ردها رداً مفصلاً كل رواية على حدة وقد أجاد في ذلك.

هكذا كان موضوع القراءات القرآنية، وقد تعمدت الإطالة فيه لما طال الموضوع من شبهة وافتراءات من قبل المستشرقين؛ ولأنه متعلق بكيفية قراءة القرآن الكريم، فقد تعمدوا تخصيصه بالشبه والافتراءات لكي يثيروا الريب في نفوس المسلمين أولاً، وفي كل نفس تواقفة لقراءة القرآن ولو من غير المسلمين.

المطلب الثالث: شبهات حول تفسير القرآن الكريم.

الشبهة الأولى: الإسرائيلية.

اهتم الشيخ "فضل حسن عباس رحمه الله" بالحديث عن موضوع التفسير منذ نشأته، حيث تعرض لموضوع التفسير عند الصحابة، وقد تناول الموضوع من مختلف جوانبه، فتطرق إلى أسباب قلة الروايات عنهم، وعن بعض الشبهات التي أثيرت حولهم... إلى غير ذلك من المواضيع المهمة، وقد تطرق أثناء هذا كله إلى تقرير مهم جعله تحت عنوان: "أخبار أهل الكتاب ليست من مصادر التفسير عند الصحابة" حيث جاء الشيخ بأحاديث عن رسول الله ﷺ، وآثار عن الصحابة رضي الله عنهم تنفي أن يؤخذ شيء

¹ - الروايات هي: الرواية الأولى: عن ابن عباس أنه كان يقرأ: (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها) قال: وإنما تستأذنوا وهم من الكتاب. الرواية الثانية: عن ابن عباس أنه كان يقرأ قوله تعالى: ﴿بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ -الرعد:32- (أفلم يتبين)، قال كتب الكاتب الأخرى وهو ناعس. الرواية الثالثة: رواية عائشة في قولها عن الكتاب أنهم أخطؤوا، وهي في أربعة آيات، الرواية الرابعة: عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْنَكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ -آل عمران:80- هو خطأ الكاتب وهي قراءة ابن مسعود (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب)، الرواية الخامسة: رواية عثمان بن عفان في قوله أن في القرآن لحنا ستقيمه العرب بألسنتها. ينظر: إتيان البرهان، 170/2-171.

من مروياتهم، ليختم كلامه بقوله " لا نستطيع مطلقاً أن ندعي أن أخبار أهل الكتاب كانت مصدرًا من مصادر التفسير عند الصحابة".¹

فقد جزم الشيخ قطعاً بأن رواية أهل الكتاب لا مكان لها في موضوع التفسير، وقد كان من المفروض أن يذكر لنا تقسيمات أهل العلم في ذلك، وللعلماء في هذه المسألة أقوال وتفصيلات أذكرها في محلها بإذن الله.

خصص الشيخ لموضوع الإسرائيليات وموقف العلماء منها فصلاً كاملاً، حيث تناول موضوع رواية الصحابة للإسرائيليات، وقد بدأ الشيخ مباشرة في الموضوع دون مقدمات، وتمهيدات على غير العادة، فاستهل كلامه بالتساؤل إن كان الصحابة مولعين حقاً في رواية الإسرائيليات كما يدعي المستشرقين، حيث يقول هؤلاء بأن كبار أعلام الصحابة كابن عباس كانوا يكثر من الرواية على أهل الكتاب؛ بل ويعدون الكثير من أعلام الصحابة من تلاميذ كعب وغيره...²

هكذا نقل لنا الشيخ شبهة المستشرقين حول إكثار كبار الصحابة من الرواية عن أهل الكتاب.

ليتعقب الشيخ هذه الشبهة بقوله بأن هذا الكلام يحتاج إلى مناقشة علمية هادئة، حيث استهل بالإقرار أن هذا الكلام مجرد فرية بعيدة عن الصواب والسداد؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم تتلمذوا على سيد الخلق صلى الله عليه وسلم فكيف يتلمذون على من دونه؟ ولأنه من تربع على كرسي الأستاذية كيف له أن يجلس على كرسي من هو دونه؟ ثم ذكر مدى حفظ هؤلاء الصحابة للأحاديث وعلمهم الغزير، ونهيهم عن سؤال أهل الكتاب، فكيف ينهون عن شيء ويقدمون عليه؟³

لهذا يمكن أن القول بأن الشيخ فضل قد رد محتوى هذه الشبهة باستخدام المنطق والعقل، وهذا من خلال طرح مجموعة من التساؤلات المنطقية حول مصدر تلمذة الصحابة رضي الله عنهم...، فهم لن يتنازلوا ليدرسوا على من هم أقل منهم علماً.

كما أنه استعان بقاعدة علمية مهمة، وهي النهي عن شيء ثم الإقدام عليه، وهذا بعيد عن

¹ - ينظر: التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، 158/1-159.

² - ينظر: المصدر نفسه، 226/1-227.

³ - ينظر: المصدر نفسه، 227/1.

صحابة رسول الله ﷺ، هذا ما يطلق عليه في مجال الدفاع عن القرآن الكريم وعلومه بالمنهج العقلي المنطقي.

هذا فيما يخص الشبه العامة للمستشرقين، ثم شرع الشيخ في عرض شبهة شيخ المستشرقين "جولد تسيهر" في نفس الموضوع، والتي تجاوزت الصفحة والنصف في مضمونها، ولطولها سألخص محتوى الشبهة في نقاط:

أخبار تفيد رجوع ابن عباس في الأحوال التي يُحارمه فيه الشك إلى من يرجوا عنده علمها.

الرجوع إلى أبي الجلد الذي يظهر أنه "غيلان بن فروة الأزدي"، والذي يثني عليه في كتابه في تفسير معاني الألفاظ.

من المصادر المفضلة عند ابن عباس كعب الأخبار وابن سلام وغيرهما من الذين ارتفعت درجاتهم بإسلامهم.

عد أوتولوث¹ مدرسة ابن عباس ذات مسحة يهودية، والتي ذكر عنها الكثير من الفوائد... وجاء بأمثلة لهذه المشورة حول وقت صلاة الجمعة، وقراءة بعض الكلمات، والتي قال عنها افتراضات ذات طابع ساذج.²

ودون أي تعقيب على الشبهة السابقة، نقل الشيخ فضل حسن عباس رحمه الله رأي الإمام الذهبي في المسألة، عند رده على "جولد تسيهر" و"أحمد أمين" وقال بأن في كلامهما غلو في الرأي وبعد عن الصواب، فابن عباس كان ينقل عنهم ضمن دائرة محدودة، وهذا لاتفاق القرآن والإنجيل في مواضع... تتفق مع القرآن وتشهد له، أما ما عدا ذلك فابن عباس لا يقبله ولا يأخذ به.

بعد أن بين الشيخ فضل حسن عباس موقف الذهبي من المسألة وهي أن ابن عباس أخذ عن أهل الكتاب لكن دون توسع، روى الأثر الوارد عن ابن عباس الذي أخرجه البخاري عن نهي الصحابة

¹ - أوتولوث: ولد في 1899م في أولدنبورج في هالشتاين، وهو سياسي ينتمي إلى الحزب الديمقراطي الألماني، وهو عضو في مجلس الشورى الموحد في شليزفيغ، توفي في 29 ديسمبر 1965م. ينظر: <https://ar.m.wikipedia.org>، آخر تعديل 2000م. تاريخ الاطلاع: 2023-06-02م.

² - ينظر: التفسير والمفسرون أساسياته وأجهاته ومناهجه في العصر الحديث، 1/227-229.

الأخذ عن أهل الكتاب .¹

ثم عرض لنا رأي إبراهيم خليفة الذي كان له رأيان في المسألة يناقض أوله آخره، فبعد أن وافق إبراهيم خليفة الذهبي فيما ذهب إليه في أخذ ابن عباس عن أهل الكتاب دون توسع، نجد في كتاب آخر يقول أن ابن عباس نقل عنهم ما يتعارض مع العقيدة الصحيحة كعصمة الأنبياء مثلاً، فتعقب الشيخ فضل كلام إبراهيم خليفة الذي قال إنه لا يريد أن يسود صفحات الكتاب، وكيف رضي أن تُنسب هذه إلى ابن عباس، وهو رجل فطن ... وقال الشيخ أن ما روي عن ابن عباس في صحيح البخاري دليل على تبرئته...²

في هذا الموضوع كان رد الشيخ مختلفاً عما عهدناه عنه من قبل، فبعد أن أورد نص الشبهة لجولد تسيهر، جاء برد الذهبي حول الشبهة، ثم برد إبراهيم خليفة وإن تناقض في رأيه، وقد ناقش الاثنين معاً، وقال بأن كلامهما ومن تبعهما مردود، كما قال بأن ما نقله الذهبي عن ابن عباس عن عدم الرجوع إلى أهل الكتاب في أي مسألة هو الرأي الصائب في الموضوع، وقال بأن ابن عباس لم يرتض للمسلمين سؤال غيرهم وخاصة اليهود، فضلاً على أن يكون هو السائل، وليدلل الشيخ على ما يقول، وليرد على شبهة "جولد تسيهر" وغيره، درس الروايات التي جاءت تحمل سؤال ابن عباس أبا الجلد وغيره، وقال بأن تلك الروايات حكم عليها أئمتنا بالرفض... ليختم الشيخ فصله هذا بإيراد موقف العلماء من الإسرائيليات، والتي جاء فيها بقول الغزالي الذي يرى النهي، ومثله ابن كثير و ابن حجر فأغلبهم يرون النهي، ليختم الشيخ بعرض رأي ابن حجر الذي يقول بأن الإسرائيليات لا يجب أن يطلع عليها إلا من كان متمكناً من دينه، متضللاً في معرفة الأحكام.³

وهنا نتيجتان مهمتان تخص رأي الشيخ في موضوع الإسرائيليات وهي:

- أنه لا يعد الإسرائيليات من مصادر التفسير، وأن الصحابة ﷺ لم يرووا الإسرائيليات قطعا.
- أن الإسرائيليات لا يطلع عليها إلا من كان متمكناً من دينه، متضللاً في معرفة الأحكام،

وهذا رأي ابن حجر.

¹ - ينظر: التفسير والمفسرون أساسياته وأجهاته ومناهجه في العصر الحديث، 229/1-230.

² - ينظر: المصدر نفسه، 231/1-233.

³ - المصدر نفسه، 233/1-236.

وبعد الاطلاع على مجموعة من الكتب والتفاسير في هذا الموضوع، وبغية الوصول إلى رأي أجمع عليه أغلب العلماء في موضوع الإسرائيليات ورواية الصحابة لها، وكيفية التعامل معها، وجدت رأياً مخالفاً لما أقره الشيخ حول رواية الصحابة رضي الله عنهم للإسرائيليات، حيث أقرها أغلب العلماء والمفسرين لكن بشروط وقيود مضبوطة مقننة، ليس فيها ما يثير الريبة، والشك عن عدول صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطريق الصحيح، يقول الذهبي في هذا الموضوع: " لا شك أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا أحرص الناس على امتثال أوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجيهاته، وبخاصة ما كان يرجع من ذلك إلى أمر دينهم، ولا شك أن نفرًا منهم كانوا يرجعون إلى بعض من أسلم من أهل الكتاب، يأخذون عنهم بعض ما عندهم من جزئيات الحوادث التي عرضت لها كتبهم بتفصيل، وعرض لها القرآن الكريم بإيجاز وإجمال.

غير أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا في رجوعهم إلى أهل الكتاب يسرون على المنهج القويم الذي رسمه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان في عقولهم ذلك الميزان الشرعي الدقيق الذي استخلصوه من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن الرجوع إلى أهل الكتاب، فلم يكن سؤالهم لأهل الكتاب عن كل شيء، ولم يكونوا يصدقونهم في كل شيء... كذلك لم يسأل الصحابة رضي الله عنهم أهل الكتاب عن شيء مما يتصل بالعقيدة، أو يتصل بالأحكام التي شرع الله لهم، اكتفاءً بما عندهم في ذلك، اللهم إلا ما كان من سؤالهم لغرض الاستشهاد، والتأكيد لما جاء به القرآن الكريم، وإلزام المعاندين الحجة بشهادة ما في أيديهم من الكتاب"¹.

هذا هو الرأي الذي استقر عليه جمهور العلماء والمفسرين، فالصحابه رضي الله عنهم قد أخذوا من أهل الكتاب، وفق ميزان شرعي دقيق استشفوه من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، مع احتراز المواضيع التي يمنع الأخذ عنهم كالأمور العقديّة مثلاً، وإلا فهم الأدرى بعد الرسول صلى الله عليه وسلم.

وفي هذا الموضوع لم أستخرج منهج الشيخ في الرد على هذا الموضوع؛ لأنني وجدت أن رأي الشيخ ورده على هذه الشبهات مخالف لما عليه أكثر العلماء، وفي كتب علوم القرآن ما يرد على هذه الشبه والافتراءات، ولا يتسع المقام لذكرها.

¹ - الإسرائيليات في التفسير والحديث، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، ط4، 1411هـ/1990م، ص 55-56.

الشبهة الثانية: التفسيرات المنحرفة - الاتجاه البياني -.

عند حديث الشيخ فضل عن الاتجاه البياني في التفسير، وبعد أن فصل فيه وأبدع كما هو معروف في أسلوب الشيخ، ختم فصله هذا بإيراد شبهات حوله تحت عنوان "رد افتراءات على التفسير البياني"، فعرض لشبهة "نولدكه" التي قال عنها منذ البداية بأنها واهية باطلة متداعية، حيث عرض شبهة "نولدكه" حيث يقول: "كان غرض محمد الوحيد في السور المكية، تحويل الناس بطريق الإقناع عن عبادة الأصنام الباطلة إلى عبادة إله واحد، هذا هو الهدف الأساسي في دعوته مهما تشعب الموضوع، إلا أن محمداً بدلاً من أن يتجه إلى عقول السامعين يقنعها بالبراهين المنطقية، لجأ إلى الفن الخطابي؛ ليؤثر في عقولهم عن طريق الخيال والوجدان".

ثم ذكر الشيخ فضل أن جزءاً من هذه الشبهة ذكرت في "دائرة المعارف البريطانية" تحت "مادة قرآن" حيث يقول كاتب المقال: "فليس هناك مهارة أدبية عظيمة واضحة مبنية على التكرار الذي لا لزوم له لنفس الكلمات والجمل...".¹

استهل الشيخ فضل الرد على الشبهة الأولى، فقال بأن ما جاء في القرآن نفسه من آيات كثيرة تخاطب العقل وتقدم له البراهين المنطقية يكفي للرد على هذه الشبهة، والتي لا يمكن لنتائج الفلسفة على اختلاف عصورها أن تصل إلى ما وصل إليه القرآن، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿مَا آتَاكَ اللَّهُ مِنْ وَدِّعٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ إِلَهٍ﴾ - المؤمنون: 92-... وجاء الشيخ بآيات قرآنية أخرى، وقال بأن هناك الكثير من الآيات غير تلك تخاطب العقل، وتدفع الباطل بحجة المنطق، أما شبهة الموسوعة فسنجد ردها في المبحث الخاص بها.²

في هذه الجزئية نجد الشيخ فضل قد اعتمد على القرآن الكريم للرد على هذه الشبهة، حيث جاء بخمس آيات كأمثلة للرد على شبهة (نولدكه)، هذا ما يعرف بالمنهج النقلي؛ لكن حسب ما يظهر والله أعلم فإن رد الشيخ هنا، والمتمثل في الآيات القرآنية يحتاج إلى شرح وبيان لمحتوى هذه الآيات، وليبين

¹ - التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، 501/1.

² - ينظر: المرجع نفسه، 502/1.

لنا ما فيها من البراهين الساطعة للدعوة إلى عبادة الله وحده ونبذ عبادة الأصنام، وأن القرآن الكريم بعيد عن الخيال والوجدان.

ضف إلى ذلك أن الشيخ هنا لم يشير إلى أن هذا يخص القرآن المكي - كما ادعى (نولدكه) - بل عمم ذلك على القرآن كله، أما المستشرق فقد خص القرآن المكي دون غيره، ولم يشير لموضوع الفن الخطابي الذي يعد حسب رأبي مهما أثناء دعوة النبي ﷺ في العهد المكي والله أعلم.

أثناء عرض الزرقاني لموضوع الشبهات الواردة حول القرآن المكي والمدني رد على مثل هذه الشبهة، وجاء بآيات قرآنية مكية، وبيّن كيف أنّ فيها من الأدلة والبراهين عكس ما ورد في نص الشبهة حيث يقول: "...إن كذبهم في هذه الشبهة صريح مكشوف؛ لأن القسم المكي حافل بأقوى الأدلة، وأعظم الحجج على عقيدة الإسلام في الالهيات والنبوات والسمعيات؛ استمع إليه في سورة المؤمنون المكية، وهو يرفع قواعد التوحيد، ويزلزل بنيان الشرك إذ يقول الله تعالى: ﴿لَمَّا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ إِلَهٍ﴾ -المؤمنون: 92- وجاء بثمانية نماذج قرآنية أخرى لآيات مكية تبين حججها وأدلتها.¹ وهذه الآية خير ما يجتم بها هذا الموضوع.

الشبهة الثالثة: إعجاز القرآن - الإعجاز التشريعي -

بعد أن تحدث الشيخ فضل عن مبحث إعجاز القرآن تعريفه، مراحلها، وأنواع الإعجاز تطرق إلى عنوان الإعجاز التشريعي والذي تناوله بأسلوب متميز جدا، حيث تطرق فيه للحديث عن التشريع الذي كان سائداً قبل القرآن، وهو القانون الروماني الذي ساد قرابة ثلاثة عشر قرناً، وجاء بقول أبي زهرة في هذا الشأن، وبعدها تحدث عن تشريعات القرآن الكريم وما يُصطلح عليه في وقتنا الحالي، أخذ قاعدة من قواعد التشريع وهي الطلاق الذي قال عنها إن الناس وقفوا منه موقفاً متناقضاً، فمنهم من أباحه وفتح الباب فيه على مصرعيه، ومنهم من تشدد فيه وجعله أمراً ممنوعاً محرماً.

ثم تناول بعدها شبهة للمستشرقين في هذا الصدد، حيث عد المستشرقون الطلاق من مساوئ الإسلام، وزعموا أن فيه ظلماً للمرأة واستبداد للرجل.²

¹ - مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط3، 237/1.

² - إتقان البرهان، 235/1—256.

عندما جاء الشيخ للرد على هذه الشبهة، قال بأنه لن يتعجل في الرد عليها، فبدأ أولاً بذكر قواعد التشريع في قضية الطلاق، فأقر بأن الطلاق في الإسلام دون سبب حرام، وذكر مساوئه، ثم ذكر سبب جعل أمر الطلاق في يد الرجل، والذي يستطيع الرجل وضعه في يد المرأة، كما أشار إلى حق المرأة في الخلع وحدد عدد الطلقات، وفرق بين الطلاق قبل وبعد الدخول، وما يلزم عن كل منه من مهر...

ثم جاء الشيخ بآيات قرآنية تعضد هذا كله، حتى أنه خُصت سورة كاملة في هذا الموضوع وهي سورة الطلاق والتي كثر فيها الحث على التقوى، وبيان ما أعد الله للمتقين.¹

هذا شأن الطلاق في القرآن، ناهيك على ما هو موجود في السنة النبوية المطهرة، ثم تساءل الشيخ عن وجود تشريع من تشريعات البشر ارتقت إلى مثل هذه العدالة، ليس هذا الموضوع فقط، بل أي تشريع من تشريعات القرآن يقال فيها ما قيل في الطلاق.²

وصنيعه هذا يمثل المنهج النقلي في الدفاع عن إعجاز القرآن الكريم.

بعد أن أورد الشيخ هنا شبهة حول ظلم الإسلام للمرأة في موضوع الطلاق، ووضعه في يد الرجل، لم يتعرض الشيخ للرد عليه مباشرة فقد تمهل في ذلك، فبدأ أولاً بذكر قواعد تشريعية مهمة في موضوع الطلاق، والتي ينفي فيها ما ورد في نص الشبهة، ولم يكتف بذلك، وإنما جاء بآيات قرآنية تعضد ما قاله، فهو لم يترك الكلام دون تدليل؛ بل جاء بنصوص قرآنية تعضد ما قاله ليقوى دليله، ثم أشار بأن السنة النبوية كذلك قد اهتمت بهذا الموضوع، وشرحته وفصلته على أتم وجه، ليختتم الشيخ رده بأن تساءل عن وجود منظومة تشريعية اعتنت بموضوع الطلاق وفصلته وأنصفت فيه مثل القرآن الكريم، وقد أطال الشيخ في الرد على هذا الموضوع، فهو قد خصص له قرابة أربع صفحات لذلك.

لهذا يمكن الوصول إلى المناهج الدفاعية التي استخدمها الشيخ فضل في سبيل الرد على الشبهة الخاصة بموضوع الطلاق، فقد استعان بالمنهج النقلي، وهذا من خلال الاستشهاد بآيات قرآنية وأحاديث نبوية تُشرع للموضوع، وتبين العدالة الإلهية فيها، بالإضافة إلى المنهج العقلي المنطقي، وهذا من خلال التحليل العلمي لمحتوى هذه الآيات، والأحاديث النبوية وللموضوع عموماً، بالإضافة إلى

¹ - إتيان البرهان، 256/1-259.

² - ينظر: المرجع نفسه، 259/1/ إعجاز القرآن، الكريم، فضل حسن عباس، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط2، 2007م، ص 327-331.

طرح مجموعة من التساؤلات المنطقية حول التشريعات البشرية للموضوع ومدى إنصافها وعدالتها.

الشبهة الرابعة: أسباب اختلاف المفسرين.

تطرق الشيخ "فضل حسن عباس رحمه الله" لهذا الموضوع تحت عنوان "أكثر خلافات المفسرين يرجع إلى الرأي والاجتهاد وأمثلة ذلك" وراح يعدد الأمثلة، وفي المثال الخامس في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾ -النور: 61- قال بأن المفسرين قد اختلفوا في تفسيرها فهي في الجهاد كما في سورة الفتح، أم فيما يتعلق بشأن الأكل؟ كما جاء في قوله تعالى فيما بعد... ﴿عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِمَّنْ بِيُوتِكُمْ﴾ حيث إن أحد المستشرقين قد استغل هذا الخلاف بين المفسرين، فادعى أن الآية مقحمة هنا، مستنداً في دعواه الباطلة إلى نص ذكره البيضاوي، لكن هذا المستشرق حرف النص عن موضعه.¹

ثم أكمل الشيخ كلامه بأن قال بأن كلا القولين فيهما بعد...

وهنا اكتفى الشيخ بالإشارة إلى مصدر الشبهة، وهي أن أحد المستشرقين حرف كلام البيضاوي؛ حيث قال إن الآية مقحمة هنا ولم يزد على هذا.

فالشيخ لم يأت بكلام البيضاوي، ويبين لنا كيف حُرف، ولم يرد على نص الشبه التي تقول بأن الآية مقحمة، وهذا من الخلل المنهجي والمعرفي والله أعلم.

وبالعودة إلى تفسير البيضاوي سأبين خطأ قول هذه المستشرق وافتراءه، حيث قام باقتطاع الكلام وتحريفه من أجل بث شبهته وتدعيمها.

يقول الإمام البيضاوي في تفسير الآية: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾. ما نصه: "نفي لما كانوا يتخرجون من مؤاكلة الأصحاء حذراً من استقذارهم، أو أكلهم من بيت من يدفع إليهم المفتاح، ويبيح لهم التبسط فيه، إذا خرج من طيب قلب، أو من إجابة من دعاهم إلى بيوت آبائهم وأولادهم وأقاربهم، فيطعمونهم كراهة أن يكونوا كالأعمى عليهم، وهذا إنما

¹ - ينظر: التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، فضل حسن عباس، 302/1-303.

يكون إذا علم صاحب البيت بإذن أو قرينة أو كان في أول الإسلام، ثم نسخ بقوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤَدَّكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ الأحزاب: 53- وقيل نفي للخرج عنهم في القعود عن الجهاد وهو لا يلائم ما قبله ولا ما بعده...¹.

وهذا الجملة الأخيرة التي استغلها المستشرق للقول بأن الآية مقحمة، والإمام يقصد الجملة: (وقيل نفي للخرج عنهم في القعود عن الجهاد) وقال بأن هذا التفسير لا يلائم ما قبله من الآيات وما بعده، فاستغل المستشرق قول البيضاوي للتدليل على عدم تناسق الآيات، وهذا العمل لم ينبع من جهل، وإنما من حقد دفين وضغينة.

هذا الفعل الذي قام به هذا المستشرق ليس غريباً عنا، فهو صنيع أغلب المستشرقين، حيث يقومون بليّ أعناق الآيات والأحاديث، كما يقومون بليّ كلام العلماء واستخدامه لصالح أفكارهم وآرائهم؛ ليوهم غيرهم بصحته من خلال الاستدلال بكلام علمائنا، وهم متعمدون في ذلك، وليس لهم أي مبرر لهذا الفعل، سوى أنهم قد تخطوا قواعد البحث العلمي والأمانة العلمية التي يتغنون باستخدامها، وهم بهذا يعيدون كل البعد عن الأخلاقيات وفضائل الأمور.

الشبهة الخامسة: لغة القرآن اللغة العربية.

يعد الشيخ فضل حسن عاس من بين العلماء الأجلاء الذين اعتنوا بلغة القرآن الكريم، وأفردوا لها نصيباً وافراً من البحث والتأليف، سواء في مؤلفات خاصة مثل كتابه (البلاغة فنونها وأفنانها)، وكتاب (بلاغتنا المفترى عليها بين الأصالة والتبعية)، أو إدراجها كجزء مهم من كتبه الأخرى، والاهتمام بها باعتبارها لغة القرآن، فقد ألف في الإعجاز والتكرار والزوائد في كتاب الله، وأبدع في كل هذه الكتب، وكان له بصمة خاصة في هذا المجال.

وخلافاً لما عُهد عن الشيخ فضل، فهو هنا يتطرق للشبهة ثم يرد عليها رداً علمياً، ففي كتابه "بلاغتنا المفترى عليها بين الأصالة والتبعية"، قد خصص فصلاً كاملاً للحديث عن دعوات مشبوهة ضد العربية قديماً وحديثاً، والتي قال بأنها كانت مطروحة منذ القدم حتى يومنا الحالي، خاصة في عهد

¹ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط1، 1418هـ، 4/115/114.

الاستعمار الإنجليزي والفرنسي على حد سواء.¹

وأول هذه الشبهات الدعوة إلى العامية، حيث أقر بأن أول دعوة لها كانت سنة 1881م، من خلال جريدة المقتطف التي كانت تحمل لواء الدعوة لفكر المستعمر وآرائه، حيث اقترحت كتابة العلوم باللغة التي يتكلمها الناس في حياتهم العامة.

ثم أورد الشيخ دعوى "وليم ولكوكس"² الذي ألقى محاضرة نشرت في مجلة الأزهر بعنوان: "لما لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن؟" ويقر بأن سبب ذلك هو استخدام اللغة العربية الفصحى في الكتابة والقراءة، وينصحهم بنبذ هذه اللغة الصعبة الجامدة، واتخاذ العامية أداة للتعبير الأدبي، والافتداء بالأمة الإنجليزية التي أفادت فائدة عظيمة منذ هجرت اللاتينية.

ثم تأليف القاضي "ولمور" أحد قضاة المحكمة الاستئنافية في مصر كتاب (لغة القاهرة) حيث وضع للعامية قواعد، واقترح اتخاذها لغة للعلم والأدب، كما اقترح كتابتها بالحروف اللاتينية.

ثم انعقاد مؤتمر في تونس من قبل الاستعمار الفرنسي يعلن بكل صفاقة وكذب أن سبب انحطاط العرب، وتأخرهم وتقهقرهم إنما هي اللغة، فإذا أرادوا التقدم والازدهار فليطرحوها جانباً...³

ويجتم الشيخ كلامه بأن اقترح هؤلاء الحروف اللاتينية أداة لكتابة اللغة العربية تطاول على القرآن نفسه، فيصبح بعد ذلك قرآن لاتينياً وليس قرآناً عربياً، ثم ينقل الشيخ عن (نفوسة زكريا) ما قاله حول الغاية من هذه الدعوى، وهي محاولة القضاء على العربية الفصحى، وإحلال العامية محلها.⁴

كما نجد الشيخ قد خصص كتاباً كاملاً للدفاع عن اللغة العربية والبلاغة، فقد جاء أولاً بتمهيد حول أهمية الجدية لدى الأمم في محافظتها عن التراث، ليأتي الباب الأول للحديث عن اللغة العربية وخصائصها الذاتية والمكتسبة...، ثم الباب الثاني حول البلاغة حيث تحدث عن سليقة العرب اللغوية،

¹ - ينظر: بلاغتنا المفترى عليها بين الأصالة والتبعية، 153-154.

² - وليم ولكوكس: مهندس بناء بريطاني ولد سنة 1852م، عاش في مصر وأنشأ سد أسوان، وترجم الإنجيل اللهجة المصرية، كان أول من دعى إلى تبنيها بدلا من العربية الفصحى في مصر كلغة للكتابة والقراءة، إضافة لكونها لغة للتخاطب، ألف كتابا بعنوان "جناة عدن إلى عبور الأردن"، توفي سنة 1932م بالقاهرة. ينظر: <https://ar.m.wikipedia.org>، تاريخ الاطلاع: 02-06-2023.

³ - ينظر: بلاغتنا المفترى عليها بين الأصالة والتبعية، ص 153-158.

⁴ - ينظر، المرجع نفسه، ص 157-158.

وعن نشأة البلاغة وتطورها، ثم يأتي الباب الثالث وهو المغزى من الكتاب، وهو الذي طرح فيه هذه الشبهات، لهذا يمكن القول بأن منهج الشيخ في الدفاع عن القرآن الكريم هو منهج تأصيلي بأتم معنى الكلمة، فهو أصل للمسألة من جميع جوانبها، من حيث النشأة والتطور، ثم عرض لنا ما وُجّه لها من الشبه والطعون من قبل المستشرقين أو من غيرهم، فراح يعرض لنا ما قالوه، ولم يتوسع في الرد؛ لأنه قد سبق وأن رد على كل ما قالوه في فصول من كتابه، وأما تعقيبه فقد كان مختصراً معترضاً، يدل على حصره الشيخ عما تتعرض له لغة القرآن الكريم، ومن ثم القرآن الكريم من طعون من قبل هؤلاء الحاقدين.¹

وهذا الكتاب ليس الوحيد الذي يدافع فيه عن لغة القرآن، إنما كل كتبه ومقالاته تحتفى بلغة القرآن الكريم وصلاحتها لكل زمان ومكان، فمرتبها مرتبطة بمكانة القرآن الكريم.

¹ - يعتبر كتاب " بلاغتنا المفترى عليها بين الأصالة والتبعية" مؤلفاً بأكمله يدافع عن اللغة العربية من الجلدة إلى الجلدة.

خلاصة الفصل:

بعد الانتهاء من مبحث منهج فضل حسن عباس رحمه الله في الدفاع عن القرآن الكريم من خلال الرد على الشبهات التي طرحها المستشرقون، يمكننا سطر النتائج الآتية:

➤ أغلب الشبهات التي نقلها الشيخ فضل حسن عباس في هذا المبحث مبثوثة في كتب علوم القرآن بين مقل ومكثر، وبين مفصل ومجمل للشبهة، والشيخ فضل تطرق لهذه الشبهات ورد عليها بأسلوب علمي راقٍ، بعيد عن التعصب والهوى، وهذا ما يلزم به نفسه قبل الشروع في الرد، وهو ما يحتسب للشيخ رحمه الله وجزاه الله كل خير.

➤ خصص الشيخ فضل حسن عباس لشبهات المستشرقين فصلاً كاملاً في كتابه "إتقان البرهان في علوم القرآن"، حيث لخص فيه أغلب شبه المستشرقين حول القرآن الكريم وعلومه، مع رد مختصر، رغم أن الشيخ قد عرض لهذه الشبهات في مختلف كتبه، كما في مبحث جمع القرآن أو القراءات مثلاً، خصص في آخره مطلباً لعرض الشبهات المختلفة التي طالت ذلك الفصل، وأرفقها برد شافٍ كافٍ، لهذا يُستغرب إدراج ذلك الفصل الخاص الذي يحوي على شبهات عامة مع رد مختصر، فكان الأولى ألا يدرجها في ذلك الفصل الخاص بالشبهات، والله أعلم بصنيعه هذا.

➤ بالنسبة لطريقة إيراد الشيخ فضل حسن عباس لشبهات المستشرقين، فهو في بعض الحالات يُصدرها بمجموعة من المسلمات والبدييات في الموضوع العام المتعلق بالشبهة، والتي تعد كتمهيد تأسيلي للموضوع تكفي لرد الشبهة ودحضها، لكن الشيخ لا يكتفي بذلك بل يورد الرد الخاص بها بعد الفراغ من عرضها، حيث إنه يقوم بدراسة الشبهة وتحليلها وتفكيكها إن كانت مركبة أو طويلة، فيقسمها وينظمها في نقاط ومحاور تُسهل عملية الرد والمناقشة.

➤ التأكيد على أن أغلب الشبهات التي يطرحها المستشرقون طُرحت من دافع الحقد والتعمد، وليست لجهل منهم، لهذا فطريقة التعامل معها تختلف منطقياً، فالجاهل يرأف الداعية بحاله، ويحاول أن يكسر ذلك الحاجز بأدوات علمية وموضوعية، أما الحاقد الذي يحكمه هواه وتعصبه فلا يصلح معه التريث والموضوعية، بل تلزمه حجج دامغة تفضح غايته الخبيثة، فتتكشف أهدافه الدنية، ويصبح رأيه بلا قيمة، لهذا فالشيخ يفرق بين الجاهل والحاقد، وهذا ما يدل على رزانة الشيخ، وحكمته في التعامل

مع خصومه.

➤ بالنسبة للمناهج التي استعملها الشيخ في سبيل الرد على شبهات المستشرقين، فقد تنوعت واختلفت باختلاف الشبه وقوتها، من منهج عقلي منطقي، ومنهج نقلي، أو منهج تاريخي، وربما منهج الرد بأقوال المنصفين من المستشرقين.

➤ يعد المنهج العقلي المنطقي هو المنهج الغالب مقارنة بالمناهج الدفاعية الأخرى؛ وهذا يعود إلى طبيعة المستشرقين فهم يخالفوننا في الدين، فالمنهج النقلي لا يفي بالغرض معهم، لكن المنهج العقلي المنطقي لا يُماري فيه اثنان، فلا تقف حجة أمام العقل الرصين والمنطق السوي، ولما أدرك الشيخ ذلك اعتمد عليها في الرد على أغلب الشبه، مع إرفاقها بالمناهج الأخرى كل شبهة وما يصلح معها.

➤ إذا اعتمدت الشبهات على الروايات والأحاديث كأدلة لها؛ فإن الشيخ يردّها متناً وسنداً ويُبين بطلانها وضعفها، ولا يكتفي بذلك بل يفترض صحتها، ثم يثبت بالمنطق والعقل بطلانها وعدم صدقها، فتُلغى الشبهة مباشرة، وهذا يدل على موسوعية الشيخ وثقافته الواسعة، فلا يكتفي بمنهج واحد أو رد واحد بل ينوعه علّة يلقي في نفس القارئ- خاصة غير المسلم- القبول، فتزول شبهته ويدخل الإسلام قلبه، وهذه غاية كل داعية.

➤ هناك نقطة مهمة يجدر الإشارة إليها، وهي تحقيق الشيخ فضل حسن عباس رحمه الله لأسماء الأعلام، والحرص على إيرادها صحيحة، بالإضافة إلى التحقيق في الروايات والأقوال من متنها، فلا يقع خطأ أثناء النقل، كما أنه لا يرضى أن يُتّوّل أي أحد بقول لم يقله.

الفصل الثاني:

منهج فضل حسن عباس في الرفع عن القرآن
الكريم من خلال الرد على الشبهات التي
طرحها علي ماوة (القرآن الكريم) في الموسوعة
البريطانية من خلال كتابه- قضايا قرآنية في
الموسوعة البريطانية-

المبحث الأول: التعريف بالموسوعة البريطانية وسياستها التحريرية، وبمحتويات

مادة (القرآن الكريم) الموجودة فيها.

المبحث الثاني: منهج فضل حسن عباس في الرد على الشبهات التي طرحها

حول مادة (القرآن الكريم) في الموسوعة البريطانية.

لم يكتب المستشرقون بحاربة الإسلام في مؤلفاتهم الخاصة ومجامعهم العلمية، بل تعدّ بهم الأمر أن يعقدوا دوائر علمية عالمية تحارب الإسلام بشكل علني وصريح، وتعد الموسوعة البريطانية أحد هذه الأعمال، فقد خصصت لمادة القرآن الكريم فصلا مستقلا بثت فيه سمومها وحقدتها، وفي المقابل تجند الشيخ فضل للرد على هذه الشبهات، وهذا نظرا لخطورة محتواها وفسادها، فألف كتابا مستطابا مستقلا للرد عليهم، سماه (قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، نقد مطاعن ورد شبهات).

المبحث الأول: التعريف بالموسوعة البريطانية وسياستها التحريرية وبمحتويات مادة (القرآن الكريم) الموجودة فيها.

الموسوعة البريطانية من الموسوعات العلمية العالمية التي ألفها المستشرقون، وتناولت موضوعات مختلفة من بينها الإسلام، فقد خصت موضوع القرآن الكريم بالدراسة، وادعت في فحصها له تطبيق الموضوعية وشروط البحث العلمي الرصين.

وفيما يلي تعريف مختصر لهذه الموسوعة وسياستها التحريرية، مع التعريف بمحتويات مادة القرآن الكريم المدرجة فيها.

المطلب الأول: تعريف الموسوعة البريطانية، وسياستها التحريرية.

الفرع الأول: تعريف الموسوعة البريطانية Encyclopedia Britannica.

تعد دائرة المعارف البريطانية من أقدم الموسوعات التي ظهرت باللغة الإنجليزية، واكتسبت شهرة عالمية، حتى لا تكاد تخلو منها مكتبة من مكتبات العالم، فلا تجد مكتبة جامعية أو وطنية إلا وفيها نُسخ منها، بل إن الباحثين وكثيراً من الأسر تقتني هذه الموسوعة لمكتباتهم المنزلية؛ لسعة معلوماتها، وتعدد مصادرها، وتنوع معارفها ولشهرتها وانتشارها، ولاهتمام الناشرين بتحديث المعلومات فيها وتطويرها كل فترة.¹

صدرت الموسوعة البريطانية أول ما صدرت عام 1768م، عندما أخرج ثلاثة ناشرين اسكتلنديين كتاباً معرفياً...، طبعت أول مرة في اسكتلندا في ثلاث أجزاء تتألف من 2659 صفحة، ثم صدرت كاملة عام 1771م، ثم طبعت بعد ذلك خمس عشرة طبعة صدرت الطبعة ما قبل الأخيرة في شيكاغو الأمريكية بعدما نقلت ملكيتها إلى "وليام بنتون" عام 1941م، وهي مؤسسة خيرية يدعم دخلها قسم الاتصال الجماهيري في جامعة شيكاغو.

وصدرت الطبعة الخامسة عشرة والأخيرة عام 1982م، وُرُوجعت عام 1985م، وهي لا تزال تُراجع سنوياً.

تقع الموسوعة اليوم في ثلاثين مجلداً موزعة على ثلاثة أجزاء...، منها الموسوعة الشاملة وفيها يكتب عن موضوعات عامة ومهمة كالإسلام وتطور البشرية...، ويكتب فيها علماء ومؤلفون مبرزون، وتقع في سبعة عشر جزءاً...

ومنذ ظهور الحاسوب كانت الموسوعة البريطانية سباقةً للاستفادة من الفرص التي تمنحها هذه التقنية الحديثة، فصدرت الموسوعة على أسطوانات ليزر، بالإضافة إلى النسخة الورقية...².

¹ - موقف المستشرقين من القرآن الكريم دراسة في بعض دوائر المعارف الغربية، عدنان الوزان، ص 20-21.

² - السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية دراسة تحليلية لما كتب تحت مادة "محمد: النبي ورسالته"، وليد بلهيش العمري، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ص 05-60.

الفرع الثاني: السياسة التحريية للموسوعة البريطانية.

من خلال قراءة متأنية لسطورها، يمكن توزيع سياسة الموسوعة على محورين عامين تنطوي تحتها عدة عوامل:

أولاً: كيفية اختيار المعلومات المثبتة في الموسوعة.

لقد انتهجت الموسوعة البريطانية سياسة تحريية ليست ببعيدة عن أسلوب المستشرقين في كتاباتهم حول الإسلام والقرآن، وهذا ليس غريباً، فالموسوعة قد حُررت من قبل بعض هؤلاء المستشرقين الذين اعتادوا على تشويه الإسلام في كتاباتهم، ومن خلال ملاحظة مختلف المواد الخاصة بالقرآن في الموسوعة البريطانية نجد أنها تحيل إلى كتاب مستشرقين ومؤلفاتهم في اقتباساتها، والتي كان من المفترض أن تحيل إلى كتب العلماء المسلمين المختصين في الموضوع.

فمن المفترض على الموسوعة أن تنتهج أساليب البحث العلمي النزيه،¹ وعلى العكس من هذا تماماً، نجد الموسوعة تختار المعلومات بدقة عالية، وتنتخب صفوة من الكتاب المتخصصين، فعند تصفح مجلدات الموسوعة الموسعة يجد القارئ ملحفاً ببيوجرافيا بأسماء المراجع والمصادر المهمة التي أخذت منها المادة المكتوبة في الموسوعة، ليتأكد القارئ من أن الكتابات التي رُجع إليها معتمدة في مجال تخصصها ولها قيمتها العلمية، واختيرت من قبل أكاديمي بارز في مجاله.

ولكن عندما نقرأ القوائم الملحقة بموضوع الإسلام نجد أنها كلها كتابات مستشرقين معروفين من أمثال (نولدكه) و"وات" و"آربري"، وأن الزاوية التي تناول منها كتاب المواد، أو وجهها من قبل فريق التحرير إلى تناول الموضوع من زاوية مححفة في حق الإسلام وتاريخه.²

لهذا يمكن الوصول إلى نتيجة مهمة مفادها أن الموسوعة البريطانية في المواد الخاصة بالإسلام والقرآن تستخدم أسلوب الانتقاء، وهذا لا يجوز لموسوعة علمية تدعي النزاهة والأمانة العلمية.

¹ - ينظر: آليات المنهج الاستشراقي في الدراسات الإسلامية، ص 25- بتصرف.

² - السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية، ص 06-07.

ثانيا: مدى اتصاف الموسوعة البريطانية بالموضوعية.

شرط الباحث التجرد من الأهواء، وعدم الوقوع تحت سلطانها، فلا يميل الهوى بالباحث لإثبات ما يوافق هواه، ونفي ما عداه، فما بالك بمن يحدد الغرض أولا والنتيجة مسبقا، ثم يبدأ في البحث عما يؤيدها والتنقيب عما يثبتها، فهذا ليس علما وليس بحثا، مهما كانت صورته ومهما كان شكله.¹ وما يقال عن المستشرقين في عدم تطبيقهم للموضوعية في بحثهم العلمي للإسلام والقرآن، يقال على الموسوعة البريطانية التي تدعي تطبيق الموضوعية، وهي بعيدة عنها كل البعد.

يكاد يكون هناك إجماع عام في الدوائر العلمية على أن الموضوعية شيء نسبي، ورغم أن الموسوعة البريطانية تبدوا للقارئ غير المتمرس ذات صبغة موضوعية حول موضوع ما، إلا أن غطاء الموضوعية ينكشف سريعا أمام من هو على علم بالموضوع المطروح، وبخاصة فيما يتعلق بطروحاتها عن الإسلام، وهي وإن كانت تبدوا أعمالا علمية رصينة تستحق الرجوع إليها واقتباس طروحاتها، إلا أنها أحادية النظرة تفتقر إلى العلمية والموضوعية ويعوزها كثير من الإنصاف.²

المطلب الثاني: مادة (القرآن الكريم) في الموسوعة البريطانية.

دائرة المعارف البريطانية خلت من مادة مستقلة عن القرآن في طبعاتها القديمة، التي أحيل فيها إلى الرجوع تارة إلى مادة محمد، وتارة إلى مادة الأدب العربي (انظر طبعتي 1890 و 1926م)، حتى أفردت في طبعة سنة 1929م للقرآن مادة مستقلة تشتمل على ترجمة لكتاب ألماني بعنوان (موجزات شرقية) نشره المستشرق الألماني "تيودور نولدكه" في برلين سنة 1892م.

أما طبعة سنة 1974م، وهي الطبعة الخامسة عشرة، والتي بين أيدينا الآن، فقد كتب مادة القرآن باللغة الإنجليزية H.R (دون ذكر تعريف كاف)، وتقع هذه المادة في المجلد الخامس عشر، في نحو خمس صفحات على عمودين كاملين من الصفحة (341 - 345)، كتبها المستشرق "نودكه".³

¹ - الفهم الاستشراقي لتفسير القرآن الكريم، عادل ماجد محمد، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، كلية الفقه، 1428هـ/2007م، ص 49.

² - السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية، ص 6-8.

³ - ينظر: الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم في دائرتي المعارف الإسلامية والبريطانية، ص 05-06. / موقف المستشرقين من القرآن الكريم دراسة في بعض دوائر المعارف الغربية، ص 21.

وهدفت هذه الموسوعة في الأساس إلى حشد كل ما يمكن من شبهات وافتراءات، وسوقها في خطوط فكرية عامة، يلتفت إليها القارئ الذي يأخذ بما فيها باسم العلم والمعرفة؛ ليعملوا بذلك -سواءً عمداً أو عن غير عمد - على إدامة غرض الاستشراق الأول؛ وهو صدُّ الناس عن الإسلام؛ لينكصوا على أعقابهم خاسرين.¹

والمتتبع للموسوعة البريطانية في دراستها للقرآن الكريم وفق أصول المنهج الذي التزمت به، يتبين لنا إلى أي حد خرج المستشرقون عن الموضوعية، فعبثوا بالأدلة والشواهد كل العبث؛ لكي يخرجوا بأحكام اعتقدوها سلفاً.

وقد فافت الموسوعة البريطانية دائرة المعارف الإسلامية في الخطورة والتلاعب؛ وهذا لكون الموسوعة البريطانية موسوعة عامة تخاطب القارئ الغربي خاصة وتحظى أحكامها بقبوله، فزادت غلواً أن حشدت كل ما يمكن من مزاعم وافتراءات، وركزتها في حزمة مترابطة ومتراصة من القضايا التي تمم هذا القارئ؛ لكي تنفره من القرآن الكريم ومن الدين الإسلامي.²

وفيما يلي عرض مجمل للترجمات الجانبية التي وضعت حول مادة القرآن الكريم في الموسوعة البريطانية بشيء من الإيجاز، مع بعض التحليل والرد المجمل للشبهات المدرجة تحتها؛ وهذا لأن المقام مقام عرض لا رد.³

الفرع الأول: الترجمة الأولى حول القرآن لغة وجمعا وإعجازا.

جاء فيها تعريف القرآن الكريم لغة واصطلاحاً، أما لغة فقد قال بأن كلمة "قرآن" مشتقة من كلمة "قرأ" وهي كلمة سريانية، وفي الاصطلاح ذكروا بأن المسلمين يعتقدون بأنه الكتاب المقدس الموحى إلى النبي ﷺ، وقد وجد في اللوح المحفوظ...، كما ذكروا هنا مجموعة من الشبهات أهمها:

- لفظ "قرآن" ليس عربي الأصل، إنما أصله سرياني، وكان يستعمل في الكنيسة السريانية.
- إن القرآن قد جمع بعد وفاة النبي ﷺ، فعبارتهم توحي بأن هذا الجمع قد حصل فيه تلاعب.

¹ - قضايا قرآنية دعوية في الموسوعة البريطانية نقد مطاعن ورد شبهات، حمزة حسن سليمان، مجلة كلية الدعوة والإعلام، العدد 3، 2016م، ص 05.

² - الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم، ص 72.

³ - قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص 08.

• إعجاز لغة القرآن اللغة العربية مع جمالها، وأنه لا مجال لتقليده، فقالوا إن هذا الإعجاز من الجنون بعينه.

وللرد على مثل هذه الشبهات، أقول بأن كلمة "القرآن" عربية الأصل، وهذا بالبحث في جذورها اللغوية، وهذا افتراء غالب المستشرقين، فهذه ليست اللفظة الوحيدة التي ادعى بأنها ليست عربية الأصل، بل هناك الكثير من الألفاظ، أما عن حفظ القرآن بعد وفاة النبي ﷺ فهذا ليس صحيح، فقد حفظ القرآن الكريم في حياته ﷺ بطريقتين: التلقي والكتابة، فقد كان الصحابة يتنافسون في حفظه وكتابته، لكنه لم يُجمع في مكان واحد، وأما مسألة التحدي فقد تحدى رسول الله العرب أن يأتوا بمثله عبر مراحل، وقد كان هذا التحدي مبني على الثقة لا الوهم، ولم يتجرأ أحد على ذلك.

الفرع الثاني: الترجمة الثانية حول شكل القرآن ومضمونه.

ملخص الشبهة هو مقارنة بين القرآن والعهد الجديد من حيث الطول، حيث يقول هؤلاء بوجود تقارب كبير بينهما، ثم تحدث عن عدد أجزاء القرآن الثلاثين التي قسمت لتلاءم مع عدد أيام شهر رمضان، كما أنه تحدث عن ترتيب القرآن التي رتب من الأطول إلى الأقصر، باستثناء الفاتحة التي تعد أدعية قصيرة، حيث إن السور الأطول نزلت في النصف الثاني من الرسالة، والسور الأقصر نزلت في بداية الرسالة.

ثم تحدثت الموسوعة عن عناصر السورة، من عنوان وبسملة، ونوع السورة مكية أو مدنية، وعدد الآيات، والحروف المقطعة التي لم تشرح بشكلٍ مرضٍ.

كما جاء في الموسوعة أن أسلوب الآيات القصيرة كانت نثراً مقفى، وهذا أسلوب الكهنة والمنجمين، أما أسلوب السور الأخيرة فأياتها طويلة مفصلة، ومعقدة نثرياً، مما تسبب في صعوبة نهاية الآيات.

كما قال كاتبها أن كلمة "نحن" و "قل" ليست دليلاً على أن هذا وحى، ضف إلى ذلك أنه تحدث عن القصص القرآني وقال بأن آياتها موجزة ومقتضبة؛ وهذا لأنها ذُكرت للعبارة فقط، كما أنها متشابهة في أسلوبها ومضمونها...

أما السور الطويلة فهي تتناول مواضيع مختلفة، وكأن القرآن يعطي للقارئ انطباعاً بأنه مجرد إنشاء جاء بطريقة عشوائية، ويؤكد صحة ذلك ختم السور بآيات لا علاقة لها بما قبلها...¹

هذا الشبه من أخطر الشبه في هذه المادة، فهي مبنية على عدم التروي، بل تجنبت المنهجية الصحيحة، واعتمدت على المغالطة المتعمدة، وهو من أكثر الفصول اشتمالاً على شبه متعددة ومتنوعة، كل قضية منها تشكل موضوعاً خاصاً.

يقول الشيخ فضل حسن عباس رحمه الله أن مقارنة القرآن بالعهد الجديد لا تعيننا بقدر ما يعيننا جوهر القرآن وتفوقه على العهد الجديد وغيره بطبيعة نظمه ولغته الفريدة، كما أن ترتيب سور القرآن ليس ناشئاً عن الطول أو القصر، أو النزول في أول الرسالة أو آخره كما يقول هذا المستشرق، فنظرته هنا كانت سطحيةً جداً للمصحف ليعرف الترتيب، وهذا الحكم خاطئ ولا يجوز، وليس من الصعب معرفة ذلك.

أما فيما يخص عناصر السورة فقد خلطت الموسوعة بين ما هو أصلي في السورة، وبين ما زيد فيما بعد الجمع في المصاحف مثل: الاسم وعدد الآيات والمكي والمدني، أما الأحرف المقطعة فقد نالت حظها الوفير من الدراسات والأبحاث من قبل علماء المسلمين.

أما تقسيم أسلوب الآيات القرآنية إلى مكي ومدني، فكان الهدف من طرحه التأكيد على أن القرآن الكريم قد خضع لبيئات مختلفة، وبالتالي فقد تأثر باليهود...، وهذا كله غير صحيح، فكل من القرآن المكي والمدني قد عالج مجموعة من القضايا التي طرحت في ذلك الوقت، لهذا كان هناك اختلاف بين الأسلوب، ولكن هذا الاختلاف لم يكن من حيث الجودة وحسن الصياغة،..، كما أن أسلوب القرآن لا يشبه أسلوب الكهّان أبداً، والعرب أنفسهم نفت أن يكون سجع كهان، فكيف يدعي هؤلاء ذلك؟²

ختم الشيخ كلامه، بنفيه صحة كون القرآن الكريم نسخة لما ذكر في التوراة، كما نفى وجود تشابه بين القصص القرآنية في السور، فكل قصة تأتي بتفاصيل وحوادث مغايرة للتفاصيل التي ذكرت سابقاً.

¹ - قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص 33.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 43-48.

ويمكن أن يقال في رد الشيخ أنه رد مجمل غير كافٍ؛ فهذا الفصل كما يقول الشيخ من أخطر الفصول وأكثره احتواءً على الشبه، فكان الأولى التفصيل في تفنيد تلك الشبه والله أعلم.

الفرع الثالث: الترجمة الثالثة حول محتويات القرآن.

ورد في الموسوعة أنه من الصعب تصنيف محتويات القرآن حسب الفترة الزمنية؛ لأن ذلك يؤدي إلى تناقض، فالسور الأولى تركز على أن الله هو الخالق، وعن الثواب والعقاب، وعن الجنة والنار، ولا توجد فيه إشارة إلى وحدانية الخالق، كما أن رسول الله اعترف بالسلطة النسبية لثلاث آلهة ثم ألغى ذلك في وقت لاحق.

أما السور المتأخرة فقد جاءت لتؤكد على مبدأ وحدانية الخالق، كما أنها تُسفه الآلهة وعبدة الأصنام، كما أن الإشارة إلى يوم البعث والجنة والنار كان أقل ذكراً...، وأن الأنبياء المشار إليهم في القرآن هم أنفسهم المشار إليهم في التوراة والإنجيل، ضف إلى ذلك تغير أسلوب القرآن في نهاية العهد المكي، فأصبحت الآيات طويلة ولغتها تحولت إلى نثرٍ لطيفٍ، إضافة إلى وجود أمثال وقصص...، ولم يركز على نهاية العالم إنما ركز على وحدانية الخالق...

ركز المستشرقون على أسلوب القرآن كثيراً، وأخطؤوا حين قالوا بأنه من الصعب تصنيف موضوعات القرآن بسبب اختلاف الأزمنة، وهذا غير صحيح فمادام الموضوع واحد يمكن أن نرتبه حسب خصائص كل مرحلة، فمواضيع القرآن الكريم متماسكة فيما بينها، ولا يوجد بينها أي تناقض، والذي ينبغي معرفته هو أن كل مرحلة من العهد المكي أو المدني كانت لها مجموعة من المواضيع التي ركز عليها دون غيرها، وهذه المواضيع ذكرت تبعاً لمتطلبات الدعوة وهذا أمر منطقي جداً، لكن هذا لم يمس أسلوب القرآن الأدبي وحسن صياغته وجودته.

الفرع الرابع: الترجمة الرابعة حول مصير الإنسان.

حيث جاء في الموسوعة أن مصير الإنسان بيد الله، وأن الإيمان والكفر يكونان بقضاء الله وقدره، كما أن الإنسان ليس له حرية الإرادة، وأن رسول الله لا يلام على عدم إيمان قومه، إلا أن هناك آيات تركت للإنسان بعض الحرية.

كما جاء في الموسوعة بأن تعاليم محمد تؤكد بأن الوحي قد نزل على رسل من قبله.. مع وجود محاولات وجهود لربط الإسلام واليهودية.

وانتهى كاتب المقال إلى أن مضامين القرآن بأجزائه المتعددة وسوره المختلفة تتوافق مع متطلبات مراحل ظهوره في مكة المكرمة أو المدينة المنورة أو غيرها.¹

إن قضية القضاء والقدر والاختيار والجبر وحرية الإرادة وغيرها ليست وليدة الآيات القرآنية، وإنما هي مشكلة قديمة ظهرت في الفلسفات الإلهية قبل الإسلام، وتوجد أيضا في الديانات السماوية كاليهودية والنصرانية، بل نجد لها أثرا في الديانات الشرقية القديمة، وعلى هذا فليس القرآن سبب تعقيد هذه القضية، بل على العكس من ذلك نجد أن ما في القرآن والسنة كان الأقرب لحل هذه القضية المعقدة.²

لقد منح القرآن الكريم كل الحرية للناس، ولم يمنعهم من شيء، فالله عز وجل عادل لا يظلم عباده، فمن غير المعقول أن يحاسبهم على شيء أجبروا فيه، وهناك عدة آيات قرآنية تدلل على حرية الإنسان في اختياراته.

أما مسألة نزول الوحي قبل سيدنا محمد، على سيدنا إبراهيم مؤسس الدعوة إلى وحدانية الخالق، فهذا ليس صحيحا، فالله عز وجل قد جعل التوحيد فطرة في جميع خلقه، فمبدأ الوحدانية لم يتأسس مع سيدنا إبراهيم كما تدعي الموسوعة، كما أن الإسلام حاول توثيق علاقته مع الكل لا مع اليهود وحدهم، وهذه هي طبيعة القرآن.

الفرع الخامس: الترجمة الخامسة حول أصول القرآن طبقا للمسلمين.

تقول الموسوعة بأن القرآن نزل على محمد على مدى عشرين عامًا، وحين ينزل عليه جبريل كان يصاب بغيبوبة، وكان رسول الله عندما يعود لوعيه يتلو كلمات الوحي، وقد كان لنزول كثير من الآيات علاقة وثيقة مع أحداث في حياة رسول الله، كما حفظ القرآن الكثير من أتباعه، وقد كان رسول الله يأمر بكتابة القرآن على الورق والحجر وعسف النخيل، مع بيان أماكن وضع الآيات، لكن بعد معركة

¹ - موقف المستشرقين من القرآن الكريم دراسة في بعض دوائر المعارف الغربية، ص 25.

² - قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص 146.

اليمامة أثيرت مخاوف حول ضياع القرآن، فقرروا جمع القرآن من صدور الحفاظ وجميع مصادر كتابته، فكانت مهمة زيد بن ثابت وبعض الصحابة جمعه وتسليمه إلى عمر...، ثم خشي عثمان من القراءات المتعددة فقام بعملية تمحيص للقرآن...

ثم بين كاتب المقال أنواع نزول القرآن وهي خطاب الله من وراء الحجاب، أو بواسطة ملك.¹ من أهم الشبهات المطروحة هنا أن رسول الله يصاب بغيوبة عند نزول الوحي، وهذا ليس صحيحًا لأنه كان على دراية بالقرآن المنزل، والذي يدخل في غيبوبة لا يدري ماذا جرى له، كما أنّها أخطأت حين جعلت كل صور الوحي طريقة لنزول القرآن، فهذا غير صحيح؛ بل طريقة نزول القرآن هي الوحي بواسطة الملك جبريل لا غير.

الفرع السادس: الترجمة السادسة حول أصول القرآن في رأي المستشرقين.

المسلمون يعتقدون أن كل كلمة من القرآن قد تلقاها محمد مباشرة من ربه، لكن المستشرقين بعد أن حللوا محتويات القرآن استخلصوا بأن أغلب المادة القصصية مشتقة من مصادر يهودية ونصرانية متأخرة.

كما قالت الموسوعة بأن القرآن كان يكتب في مناسبات فقط... أما موضوع القراءات فقد قالت بأن طبعة القرآن العربية لم تكن كاملة؛ بسبب وجود حروف ساكنة متعددة تثير اللبلة، فالطبعة الصحيحة لا بد من حفظها في الصدور دون كتابتها، لكن هذه الطريقة أثارت اختلافًا نتيجة تعدد القراءات، وفي الأخير أُدخلت تحسينات على الطبعة العربية...²

هذا أهم ما قيل هنا.

تشكيكهم بأن كل القرآن من الله عز وجل فهو عبارة عن شك دون دليل وهذا لا يصح، فلا يمكننا أن نشكك في الحقائق دون دليل، ضف إلى ذلك أن قولهم بأن المادة القصصية للقرآن مقتبسة من غيرها من الأديان، فهذا ليس صحيحًا، فهناك اختلاف شاسع بينهما، وإن وجد هناك تشابه

¹ - قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص 163-171.

² - المرجع نفسه، ص 173-220.

فبحكم كونها من مصدر الوحي، لكن القرآن الكريم حفظه الله عز وجل من التحريف عكس الكتب الأخرى.

بخصوص قولهم بأن القرآن الكريم كان يكتب بعضه في مناسبات فهذا ليس صحيحاً البتة، فالقرآن الكريم بعد أن ينزل من السماء يحفظ في الصدور أولاً، ثم يكتب في وسائل مختلفة في الوقت نفسه، ولا ينتظرون مناسبة لكتابته، فهذا الكلام لا معنى له أصلاً.

يعد موضوع القراءات من بين أهم المواضيع التي اهتم بها المستشرقون وبثوا فيه سمومهم، حيث ادعت الموسوعة هنا بأن القرآن في طبعاته الأولى لم يكن كاملاً، وهذا يعود إلى طبيعة الخط العربي الذي لم يكن فيه نقط ولا شكل، وهذا مجرد افتراء لا أساس له؛ لأن أصل القراءة هي السماع أولاً، فالقرآن الكريم أول ما تلقى كان بالمشافهة، ثم جاءت الكتابة بعدها، وفي حلقات تعليم القرآن وتلقيه منذ عهد الصحابة يشترط أن تكون بقارئ يعلم المخارج والنطق الصحيح، وكل ما أدخل في المصحف بعدها من تحسينات، لا علاقة له بالقراءة الصحيحة أو كون الطبعة صحيحة، فالقرآن منذ نزوله إلى اليوم يقرأ بنفس الوجه.

الفرع السابع: الترجمة السابعة حول التفسير.

حيث قال كاتب المقال أن مدرسة البصرة تأسست بسبب تعامل القراء مع القرآن بكثرة، وقد أقرت المدرسة بأن القراءة التي لا تعتمد على مصحف عثمان مرفوضة، وأن القراءة يجب أن تؤخذ على إمام مشهور. ثم تحدث عن مسألة خلق القرآن التي قال بها المعتزلة، حيث إن المعتزلة تأثرت في قولها هذا بمبادئ الإغريق، وقد خالفهم في هذا أهل السنة والجماعة، لهذا ظهرت أحزاب ذات نزعات عقائدية، ففسر كل واحد منهم القرآن حسب اعتقاده، لهذا ظهر علم التفسير، ... وقد قال بأن أي تفسير لا يستند إلى حديث لرسول الله يرفض مباشرة.¹

ثم تحدث عن تفسير الطبري واعتبره دائرة معارف، وتفسير الكشاف للزمخشري الذي ذاع صيته رغم أن مؤلفه كان من المعتزلة، ثم تفاسير في العصر الحديث الذي حاول رواه انعاش الإسلام من كبوته، وحاول التوفيق بينه وبين مستجدات العصر أمثال محمد عبده الذي علق عليه الكاتب؛ لأنه

¹ - قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص 239-240.

حاول عبر تفسيرات ملتوية أن يثبت أن القرآن يتطابق مع النظريات الحديثة...¹

لرد على محتوى الشبهات التي طرحها كاتب المقال، أبدأ أولاً بموضوع القراءات فأقول إن تأسيس المدارس-البصرة وغيرها- ليس له علاقة بالقراء ونماء ملكتهم اللغوية، ولا علاقة بين الموضوعين أصلاً.

أما مسألة اشتراط هؤلاء القراء الأخذ على مصحف عثمان، وأن يكون القارئ مشهوراً فهذا غير صحيح بهذا الاطلاق، فالشرط الأول والأهم في القراءة هي التواتر وصحة الإسناد، أما الخط والقارئ فيأتيان تبعاً للشرط الأول.

أما مسألة خلق القرآن عند المعتزلة وأخذها من الإغريق...، فهذا دأب الاستشراق في إحياء تراث الفرق المنحرفة والإشادة بها خاصة في المواضيع التي اختلفت فيه مع أهل السنة، كما يرجعون كل الأمور إلى الحضارات القديمة اليهودية أو النصرانية وغيرها، وبخصوص قول الكاتب أن التفسير الذي لا يوافق الحديث يرد، فغير صحيح فالتفسير مراتب، كما أن رسول الله لم يفسر القرآن كله... فكيف يقال مثل هذا الكلام.

فيما يخص تفسير الطبري والزمخشري لم يكونا من أوائل التفاسير فقد سبقتهما تفاسير كثيرة، لكن تفسير الطبري يعد أول تفسير موسوعي.

الفرع الثامن: الترجمة الثامنة حول التراجم.²

أما هذا الفصل فقد جاء فيه الحديث عن القرآن وعن لغته، ثم تحدث عن طبقات القرآن الكريم بالعربية في أوروبا، ثم عن ترجمات القرآن الكريم، وعن سلباتها وعيوبها، وهذا الفصل لا يحتوي على شبهات.

¹ - قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص 240-245.

² - المرجع نفسه، ص 247.

المبحث الثاني: منهج فضل حسن عباس في الرد على الشبهات التي طرحت حول مادة (القرآن الكريم) في الموسوعة البريطانية.

يُعد الشيخ فضل حسن عباس من بين العلماء المعاصرين الذين رفعوا راية الدفاع عن الإسلام، وهذا من خلال خطبه وكتبه ومقالاته، ويعد كتابه (قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية نقد مطاعن، ورد شبهات) من أهم كتبه التي كتبها للدفاع عن القرآن الكريم، حيث خص مادة (قرآن) من الموسوعة لدراسة جلّ الشبهات ورد عليها؛ ورغب في أن يترجم كتابه إلى اللغة الإنجليزية ليطلع عليها المسلم وغيره، ويتركه يكتشف الحقيقة بمفرده.

جاءت مادة القرآن الكريم في الموسوعة تحت مجموعة من العناوين: تعريف القرآن، شكل القرآن ومضمونه، محتوياته، مصير الإنسان...، وكل واحد من هذه العناوين جعلها الشيخ عبارة عن فصول تتفرع عنه مجموعة من القضايا والجزئيات، وعند ملاحظتها نجد أنها متداخلة فيما بينها، ويمكن أن نجد تكراراً لبعض الموضوعات، لهذا ارتأيت أن أعيد تقسيمها؛ وهذا نظراً لتداخل المواضيع وتكرارها؛ من أجل الإيجاز وجمع ما تشابه منها؛ لأن المقام مقام إيجاز، واستخراج لمنهج الشيخ في رده لمحتوى هذه الشبه، لا لعرض الشبه نفسها.

وبعد النظر في محتوى الموضوعات ومراجعتها ظهر لي أن أقسمها حسب طبيعة موضوعاتها، وتناسقا مع باقي مطالب الرسالة فجعلتها في:

- شبهات حول القرآن الكريم.
- شبهات حول مباحث علوم القرآن.
- شبهات حول تفسير القرآن والعقيدة.

المطلب الأول: شبهات حول القرآن الكريم في الموسوعة البريطانية.

اهتمت الموسوعة البريطانية بالقرآن الكريم، وخصصت له مادة بأكملها لتبث فيها شبهها وافتراءاتها، وقد عمدت إلى دراسة كل الجوانب التي تحيط به من اسمٍ وشكلٍ ومضمونٍ وطرق جمعه...، وهي في كل هذا تبحث عن أي مدخل لتطعن في القرآن الكريم، وتضرب في قدسيته، وتثبت بشريته، لكن علماءنا جزاهم الله خيراً قد تصدوا لها وردوا عليها، سالكين نفس مسارها من حيث تتبع كل ما قيل عن القرآن الكريم ورده، وهذا الشيخ فضل حسن عباس قد وقف بالمرصاد للموسوعة البريطانية ورد عليها في كتاب مستقل بعنوان "قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية نقد مطاعن ورد شبهات".

الشبهة الأولى: حول أصل الكلمة (قرآن).

تعددت الشبهات والافتراءات التي وجهتها الموسوعة البريطانية في مادة "القرآن"، حول كل ما يتعلق بالقرآن الكريم، وقد قمت بتخصيص مبحث خاص بالقرآن الكريم، وبكل ما يتعلق به عموماً، من كونه كتاباً سماوياً مكتملاً، من حيث الاسم والأسلوب والمضمون، ومن جهة كونه وحياً من الله عز وجل، وأجملت مرحلة الجمع؛ لأنها خاصة بالقرآن الكريم ككتاب سماوي، أما باقي المواضيع الأخرى المتعلقة بالقرآن الكريم فسوف أخصص لها مبحثاً خاصاً ليكون العمل منظماً.

أولت الموسوعة البريطانية لكلمة (قرآن) عناية فريدة، وخصصتها بالدراسة، حيث أرجعت أصل الكلمة إلى السريانية، وقالت بأنها مشتقة من (قريانة) التي كانت تستعمل في الكنيسة السريانية¹.

شرع الشيخ فضل رده بالتأكيد على أن هذه الشبهة مصدرها الاستشراق، هذا ما يقودنا إلى القول بأن مصدر هؤلاء واحد على اختلاف الأزمنة والأمصا، فهم يتلقون الأقوال دون تحرر وتمحيص.

فهذه ليست الكلمة الوحيدة التي ادعي أنها ليست عربية.

ثم يعود الشيخ للرد على هذه الشبهة، فيبدأ أولاً ببيان كيفية محافظة العرب على لغتهم، وقد جعلها في وسيلتين اثنتين: أحدهما هي الحفاظ على لغتهم بالعناية بمفرداتها كي لا يدعي غيرهم بأنها غير عربية، وثانية وهي وسيلة لحماية العربية من أن يتسرب إليها ما هو بعيد عنها وأجنبي عليها...، وقد

¹ - ينظر: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص 25.

استشهد بكلام (العقاد) وهو يرد على هذه الشبهة بالذات، ووصف كلامه بأنه ينسجم مع المنهج المنطقي والمنطق العلمي.

لم يكتف الشيخ فضل حسن عباس بهذا، بل جاء بمجموعة من الكلمات ادعي أنها غير عربية، وأثبت عربيتها بإرجاعها إلى أصلها وهذا بعد أن درسها دراسة وافية...¹.

فالملكة العلمية والفكرية التي يتمتع بها الشيخ فضل جعلته لم يكتف بالرد على الشبهة المطروحة، بل جاء بما يشابهها ليردها كلها، فلا تبقى أي شبهة من هذا القبيل، وصنيعه هذا يشبه جواب الحكيم.

أما بالنسبة لمنهج دفاع الشيخ فضل فهو واضح للعيان وقد أقره هو بنفسه في كلامه عن رد (العقاد)، بعد أن أصل المسألة وبين لنا مصدر الشبهة، استعمل المنهج العقلي المنطقي، دون أن أنسى المنهج اللغوي وهذا قد تمثل في الجيء بالجذور اللغوية للكلمات لإثبات عربيتها، وقد أجاد وأفاد في هذا، وكفانا عناء البحث عن ردود أخرى للشبهة.

الشبهة الثانية: حول ترتيب سور وآيات القرآن الكريم.

ادعت الموسوعة البريطانية بأن سور القرآن منظمة حسب طولها وقصرها، باستثناء الفاتحة التي تعد أدعية قصيرة، حيث إن السور الطوال التي نزلت في النصف الثاني للرسالة قد وُضعت في أول الكتاب، أما السور القصار التي نزلت في النصف الأول من الرسالة وضعت في الجزء الأخير من الكتاب، هذا ملخص ما جاء في شبهة الموسوعة.

يبدأ الشيخ فضل رده، نافيا هذا القول مطلقاً جملةً وتفصيلاً، فابتدأ أولاً بالإقرار بأن سورة الفاتحة ليست عبارة عن أدعية فهي تحتوي على ذكر وثناء وحمد لله تعالى..، ثم يأتي دور الدعاء فيها ابتداءً من قوله تعالى: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ -الفاتحة: 05- واستشهد بحديث يتحدث عن موضوع سورة الفاتحة وهو معروف في بابها، ليختم رده بأن قال إن إطلاق القول هنا يعوزه الدقة.²

ومنه يمكن القول بأن الشيخ قد استخدم المنهج النقلي في الرد على هذه الشبهة، مع تحليل وتفصيل دقيق لموضوع السورة، وهذا ليرد شبهة الموسوعة، ويكتفي به؛ لأنه دقيق وواضح.

¹ - ينظر: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص 26-30.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 35-36.

أما فيما يخص علاقة ترتيب السور بالطول والقصر، السور الأطول نزلت في المرحلة الثانية للرسالة والأقصر في المرحلة الأولى، واستدلال الموسوعة بسورة البقرة الأولى وكونها الثانية، وبالقصار كالمعوذات التي خُتم بها المصحف، يقول الشيخ فضل بأن هذا الاستنتاج الذي اعتمد على مثال واحد خطيئاً جداً وغير صحيح، خاصة وأن عملية الاستقراء ليست صعبة كما يظهر، كما أن قولها بأن المعوذات هي القصار ليس صحيحاً أيضاً، لهذا فالشيخ رد على قضيتين اثنتين: الأولى وهي أن الطول والقصر ليس له علاقة بمكية ومدنية السورة، وقد جاء بالأمثلة في ذلك...، والثانية حول ترتيب المصحف، فهو لم يُرتب من الأطول إلى الأقصر، ولا المكي والمدني، ثم جاء بالأمثلة في ذلك أيضاً.

ليختم الشيخ أن ترتيب القرآن أمر توقيفي، إلا أن فيه سرّاً من أسرار الإعجاز في القرآن الكريم، فكل سورة ترتبط بما قبلها وما بعدها، والأمثلة التي استشهد بها خير دليل على دحض الشبهة من أصلها¹.

إذا فرد الشيخ هنا كان وفق المنهج المنطقي العقلي الذي جاء فيه بشرح وافٍ، مع تحليلٍ راقٍ، والمجيء بالأمثلة للسور وترتيبها وحجمها دليل ذلك، وخاتمته للموضوع التي تنص على أن الترتيب توقيفي -على أحد الأقوال- والذي اعتبره جزءاً من إعجاز القرآن الكريم خير دليل في ذلك.

لم تكتف الموسوعة البريطانية بإلقاء الشبه حول موضوع ترتيب سور القرآن وآياته، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك، فبعد أن قالت بأن الترتيب الزمني لنزول القرآن يعد من أكثر المشكلات التي تثير الجدل، استشهدت ببعض المحاولات الغربية في إعادة ترتيب القرآن الكريم مثل عمل "ثيودور" الذي نشر كتاباً بعنوان "تاريخ القرآن" سنة 1860م، حيث نظم فيه السور إلى أربع مجموعات معتمدة في ذلك على ثلاث فترات زمنية في مكة وفترة رابعة بالمدينة².

يستهل الشيخ رده أولاً بنقده لعنوان الفصل نفسه "رأي المستشرقين..."، وقال بأنه غير صحيح، فهو يوحى بأن ما ذكر قبل في الموسوعة كان بعيداً عن التأثير بالمستشرقين وهذا غير صحيح، فالذي يعود إلى كتب القوم يجد الكلام نفسه، لهذا رفض الشيخ هذا العنوان، ثم انتقل بعدها للحديث عن

¹ - ينظر: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص 36-37.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 173.

منهج المسلمين في قضية ترتيب القرآن، ولكنه لم يعرض لنا أمثلة حول ذلك ليتضح لنا الموضوع، بعدها تحدث عن سبب الخطأ لدى المستشرقين في ترتيب القرآن، وكان ذلك بكل إنصافٍ واعتدالٍ بعيداً عن التحيز. كما أنه نقل أقوالاً كثيرةً عن علمائنا في الموضوع، يختم الشيخ رده بدراسة نموذج استشراقي لـ"بلاشير" في محاولته لإعادة ترتيب القرآن، وهذا بمناقشته مناقشة علمية، وبيان لنا سبب الخطأ الذي وقع فيه أثناء تقسيماته.

يختم الشيخ الموضوع بالدعوة إلى البحث في موضوع الترتيب النزولي بالاعتماد على الأسس العلمية التي أقرها علماءنا في الموضوع؛ للوصول إلى نتائج مذهلة من حيث الصحة، هذه الدعوة موجهة إلى المسلمين وغيرهم من المستشرقين...¹.

بعد ما ذكرت رد الشيخ، وجب الآن استخراج منهج الدفاع الذي تبناه، والذي يتمثل في المنهج العقلي المنطقي، هذا المنهج الفريد الذي يصلح في مثل هذه الشبهات، فهو أولاً قد أزال علينا شبهة أرادت الموسوعة إبهامنا بها، ألا وهي عدم تأثرها بالمستشرقين وهذا باطل واضح للعيان، ولا يحتاج إلى بحث.

ثم راح الشيخ يدرس الموضوع عند المسلمين والمستشرقين، وأبرز لنا سبب خطئهم في الموضوع، ليدعو الشيخ في النهاية إلى محاولة خلق دراسات جادة تعتمد على الموضوعية والأسس العلمية التي أقرها العلماء في الموضوع علّهم يصلون إلى نتائج جديدة ومفيدة، فالباب مفتوح لكل طالب حق وعلم، المهم التحلي بالأمانة العلمية.

وأغفل الشيخ بعض المحاولات الجادة في إعادة ترتيب المصحف في عصرنا الحديث، والنتائج الإيجابية التي وصلت لها، لتكتمل دراسة الموضوع من مختلف الجوانب، وما دام قد استعرض لنا محاولة استشراقية في إعادة ترتيب المصحف ودرسها وبين سبب خطئها، فالأولى إرفاقها بإبراز جوانب الإيجاب والسلب في الدراسات المعاصرة في ترتيب المصحف لتكون بعدها دعوته إلى دراسات علمية جادة في الموضوع منصفة جداً.

¹ - ينظر: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص ص 174-188.

الشبهة الثالثة: حول الآيات القرآنية وأسلوبها.

لم تكتف الموسوعة البريطانية في بث سمومها وشبهها حول ترتيب السور القرآنية من حيث الطول والقصر، ومن حيث مكثها ومدنيها، بل نجدتها تتحدث أيضاً حول أسلوب هذه الآيات، وهذا بالنظر إلى طولها وقصرها، حيث تقول بأن أقصر الآيات نزلت في السور الأولى حيث إن أسلوب الوحي جاء نثراً مقفى، وقد كان أسلوب الكهنة والمنجمين، كما أن السور الأولى تتصف آياتها بالقصر وبقوتها الشعرية وتعبيرها الحيوي، أما السور الأخيرة فجاءت آياتها طويلة، مفصلة ومعقدة نثرية في مظهرها ولغتها، مما تسبب عنه اختلاف في ترقيم الآيات.¹

وعندما جاء الشيخ فضل للرد على هذه الافتراءات قسم الموضوع إلى ثلاث أقسام:

1. الأسلوب المكي والمدني: وقال بأن هذا الموضوع قد تعرض له المبشرون والمستشرقون، وكان من المفروض على هذه الموسوعة أن تنتهج النزاهة والإنصاف فيه، ثم بين الشيخ لنا سبب هذا التقسيم، والذي يرجع إلى محاولة إثبات أن القرآن كان خاضعاً للبيئات المختلفة، والثقافات المتغيرة، وإن هذه الفرية لا تقوم على أساس من المنطق كما يقول الشيخ، وراح يشرح ذلك، فقال بأن اختلاف الموضوع قد ينتج عنه اختلاف في الأسلوب من حيثية معينة، لكن ليس من حيثية الجودة وحسن الصياغة، وجاء بمثال واقعي يوضح ذلك، ليختم قوله بالإقرار بأن أسلوب القرآن الكريم كله سواء من حيث جودة النظم وروعة الأسلوب، إلا أن طبيعة الموضوع تتطلب بعضاً من التغيير في العرض لا أكثر.²

لهذا يمكن القول بأن الشيخ رد على الشبهة بالمنهج العقلي المنطقي، وخير دليل على ذلك ضربه للمثال والتحليل المنطقي الذي رافق الجزئية.

2. علاقة أسلوب القرآن بأسلوب الكهان والمنجمين: وقال الشيخ بأن هذا القول لم يقبله العرب الذين لم يكونوا أقل حقدًا وكراهيةً ممن جاء بعدهم، بما في ذلك أصحاب الموسوعة، فالوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة وغيرهما يرفضون بشدة أن يكون أسلوب القرآن مشابهاً لسجع الكهان... ولقد كانت جرأة العرب على وصف القرآن بالشعر أكثر من جرأتهم على وصفه بسجع الكهان، وذلك لأن

¹ - ينظر: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص 42.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 43-44.

الشعر له تأثير على النفس عكس سجع الكهان... وكما أن الآيات التي نفت الشعر عن القرآن أكثر من تلك التي نفت عنه قول كاهن، قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۚ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۚ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ - الحاقة: 39-40- و النبي ﷺ زجر أحدهم حاول تقليد الكهان ونقل شيخنا الحديث في ذلك.

فهذه عادة المستشرقين ورجال الكنيسة يبذلون جهدهم للطعن في أسلوب القرآن دون أسس منطقية.

ثم جاء الشيخ بكلام طويل لعباس محمود العقاد في هذا الصدد- قرابة أربعة صفحات- يدعم به ما قاله.¹

بعد عرض رد الشيخ فضل على هذه الجزئية، والتي ردها على أكمل وجه ولم يترك في ذهن القارئ أي شك أو استفهام، أذكر المنهج الدفاعي الذي استعمله هنا والذي يتمثل في منهجين اثنين:

الأول المنهج التاريخي، وهذا يظهر لنا أثناء استشهاد الشيخ بشهادات العرب الذين نفوا أن يكون القرآن من سجع الكهان أمثال الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة، والثاني هو المنهج النقلي الذي تمثل في الاستشهاد بآيات قرآنية وحديث نبوي، وقد مزج بين المنهجين بأسلوب علمي راقٍ جزاه الله عنا كل خير.

3. أمر الآيات طولاً وقصرًا: وهذا في افتراء الموسوعة على الآيات المدنية وصعوبة التمييز أين تنتهي بسبب طولها، لكن الشيخ فضل قرر بأن أمر الآيات توقيفي، فالرسول ﷺ هو من يرشد إلى نهاية الآية، واستشهد بقول ابن العربي في ذلك، أما سبب الاختلاف في عد الآيات، فيرجع إلى أن رسول الله كان يقف على آخر الآيات، فإذا علم ذلك، كان أحياناً يصلها بما بعده، فيظن البعض بأنها ليست رأس آية...، كما أن هذا الاختلاف لم يكن في المدنية فقط، بل كان في المكي والمدني على حد سواء، ولم يكن بسبب طول وتعقيد الآيات المدنية، والعدد المختلف فيها كانت في السور المكية أكثر منها في المدنية.

¹ - ينظر: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص 45-50

ليختم الشيخ رده بعرض دراسة لسورتين طويلتين مدنيتين، وأخرتين قصيرتين، وجاء بالخلاف في عد الآيات ليثبت خطأ مقولة الموسوعة¹.

وهذا ما يطلق عليه في مجال الدفاع عن القرآن الكريم وعلومه المنهج بالعقلي المنطقي، المبني على عدم التسليم للخصم، ونقض أمثله وشواهد، والاحتجاج بما يثبت خلاف مذهبهم.

وفي نهاية الرد على هذه الشبهة، يمكن أن نلاحظ المنهجية العلمية المنظمة التي تتسم بها ردود الشيخ فضل، والتي تجسد من خلال ما سبق، فهو بعد أن عرض لنا نص الموسوعة الذي يحتوي على الشبهة، بسط علينا الأمر، فابتدأ أولاً باستخراج مجموع الشبهات التي تحويها نص الموسوعة، ثم رد على كل واحدة من هذه الشبه الثلاثة، فكل شبهة استعمل فيها منهجاً دفاعياً مناسباً لها، وقد اختلفت المناهج كما هو موضح من خلال ما سبق، ولو أنه ردها كلها في شبهة واحدة لاختلط علينا الأمر، ولم نفهم أي جزء من الشبهة قد رد، كما أن المنهج الدفاعي سيكون ناقصاً وغير قوي وكاف، مادامت الشبهة لها عدة مداخل، لكن أسلوب الشيخ وموسوعيته ونظرته الفاحصة قد ردت على الشبه بعد عدّها كل بما يناسبها، وهذا لا يصدر إلا عن عالم رباني تأبى قريحته إلا أن ينصر دينه وكتابه فرحة الله عليه.

الشبهة الرابعة: حول أسلوب القرآن وموضوعاته.

أما أسلوب القرآن وموضوعاته، فقد أقرت الموسوعة بأن القرآن الكريم يمكن مقارنته بالعهد الجديد في طوله، كما أن هناك تغيير في أسلوب القرآن خاصة في نهاية الفترة التي قضاها الرسول ﷺ في مكة، وأنه من الصعب جداً تصنيف محتويات القرآن خاصة حسب الفترة الزمنية؛ لأن ذلك يؤدي إلى تناقض حسب زعمها.²

ابتدأ الشيخ تعقيبه بأن صرح بأن موضوع الحجم لا يهمه؛ لأن طبيعة نظم القرآن يمتاز بالإيجاز، وهذا الأمر لا يتعلق بجوهره.

أما ما يخص موضوعات القرآن واختلافها حسب الفترة الزمنية التي نزل فيها خاصة الفترة الأخيرة في مكة، فقد رد الشيخ عليه بأن موضوعات القرآن كلها موضوعات تربوية لا يمكن الاستغناء عنها وقد

¹ - ينظر: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص 50-55.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 31/99/136.

استشهد بآيات قرآنية في الموضوع، كما أنه يمكن أن نصنفها تصنيفاً خاصاً، وذلك بدراسة الموضوعات دراسة موضوعية تحت ما يسمى بالتفسير الموضوعي، وجاء بأمثلة لعدة موضوعات...، كما أنه جاء بمثال للمستشرق (جوليا بوم) في كتابه (تفصيل آيات القرآن) الذي استدرك عليه (ادوارد فوتيه) وترجمه إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقي.

وباستشهاد الشيخ فضل بعمل هذا المستشرق يمكن أن أستشف منهجاً دفاعياً قوياً يدحض شبهة الموسوعة البريطانية، وهو منهج الرد بأقوال المنصفين من القوم، وهذا ما يخرس الأفواه عندهم.

ثم ذكر الشيخ خطأين وقعت فيها الموسوعة: أحدهما فني، وهذا في قولها بأن صعوبة التصنيف راجعة لاختلاف الأزمان، وردّها ردّاً منطقيّاً بطرح مثال في ذلك، والآخر علمي وهو قولها عن اختلاف في القرآن حسب الفترات الزمنية التي نزل بها، فجاء الشيخ أولاً بآيات قرآنية تتحدث عن عدم وجود اختلاف في القرآن...، ثم بيّن الشيخ الهدف من قولهم هذا، وهو إثبات التناقض في القرآن الكريم، ثم فتح باب التحدي لإيجاد هذا التناقض والاختلاف، ثم تبرع بنفسه لإيجاد هذا التناقض الذي لم يحدده، ثم ذكر دعوى لأحد المستشرقين مشابهاً لهذه وردّها، ليختم برواية لابن عباس في رده على الرجل الذي قال بأنه وجد اختلافاً.¹

لقد كان رد الشيخ حول هذا القضية مبنياً على منهج متكامل قوي، حيث تنوع بين الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم والحديث النبوي، كما أنه استعمل المنطق لدحض الشبهة وجاء بأمثلة في ذلك، وهذا ما يمكن أن يُطلق عليه في مجال الدفاع عن القرآن الكريم: منهج نقلي ممزوج بمنهج عقلي منطقي راق، وهذا لا يصدر إلا عن قريحة عالم كرّس حياته للدفاع عن القرآن الكريم.

وإجمالاً فأسلوب القرآن الكريم وتغيّره من المواضيع التي طرحتها الموسوعة وقبلها المستشرقون، والذي أرادوا من خلاله ضرب القرآن الكريم وإثبات تناقضه، لكن هيهات أن يصلوا لذلك، فالقرآن الكريم نظمه فريد وأسلوبه راق، لا تجد فيه اختلافات وتناقضات، إنما تجد فيه التراص والتداخل في المواضيع بصورة تجعلك تتيقن أنه من عند المولى عز وجل وليس من صنع البشر، وإن ظهر للبعض وجود اختلاف، فهذا يرجع إلى رداءة ذوقه وسليقته المحرفة، فليراجع ذوقه لا القرآن الكريم.

¹ - ينظر: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص 99-106.

المطلب الثاني: شبهات حول مباحث علوم القرآن في الموسوعة البريطانية.

مباحث علوم القرآن من أبرز وأهم الموضوعات التي تناولتها الموسوعة البريطانية من حيث إيراد الشبه والطعون حولها، لكن الشيخ فضل قد رد عليها كلها، وبين خطأها بالدليل العقلي والعلمي على حد سواء.

وفيما يلي أغلب مباحث علوم القرآن التي تناولتها الموسوعة، مع بيان منهج الشيخ في الرد عليها.

الشبهة الأولى: حول الوحي.

شغل موضوع الوحي كل مُعاد للإسلام منذ نزوله، فقد طال هذا الموضوع الشبهات في عهد مبكر، ولقد كان حظ المستشرقين هي حصة الأسد منه، فما تركوا زاوية من زواياه إلا وبتوا حولها الشبه، ولم يقتصر الموضوع عليهم فقط، فها هي الموسوعات العلمية لديهم مثل الموسوعة الإسلامية والبريطانية تبث سمومها وشبهها في الموضوع، رغم ادعائها النزاهة والموضوعية.

لقد أقرت الموسوعة البريطانية بأن الوحي قد أجاب على أسئلة كثيرة، كما أنه تعرض لمسائل شخصية بين الرسول ﷺ ومعاصريه، فالموسوعة لا تشك في إخلاص النبي ﷺ في دعوته، فهي تقر أنه أوصل كل كلمة استلمها من الحق، لكنها عندما جاءت لتقر أنواع الوحي، قالت بأن طريقة نزول القرآن كان على شكل إيجاء، أو من وراء حجاب، أو بواسطة ملك، كما أن لفظ الإنزال كان خاصاً بالقرآن، وهذه طريقة تدل على نوع من الخيال دون أن يكون هناك صورة مرافقة لتوصيل هذا الخيال.¹

هكذا كان رأي الموسوعة في الوحي، آتي الآن لكيفية رد الشيخ فضل على الشبهة، فقد ابتداءً أولاً بتقديم شكر للموسوعة لاعترافها بإخلاص النبي ﷺ في تبليغ دعوته، إلا أنه قد أشار إلى نقطة مهمة ألا وهي تعرض القرآن الكريم لقضايا شخصية لرسول الله ومعاصريه، ووجه الحق فيها بأن الوحي يتعرض للمسائل التي تتصل بشؤون المسلمين، حيث إن هناك قضايا شخصية برسول الله مهمة لكن القرآن لم يتحدث عنها لا في الفترة المكية ولا في المدنية، كموت عمه وابنه وزواجه من عائشة كل هذا لم يذكر،

¹ - ينظر: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص 163-169.

في حين ذكر زواجه بالسيدة زينب؛ لأن هذا يتصل بالتشريع... وختم بقوله بأن ما ذكر من أحداث ذات صلة بالرسول ﷺ كان له أهمية في القضايا العامة، ويبنى عليه حكم يتصل بالمسلمين.¹

يعد الإنصاف من أهم السمات البارزة في كتابات الشيخ خاصة في مثل هذه الأطروحات، فهو على الرغم من أنه يرد على المخالف، إلا أنه قد بدأ أولاً بشكره والاعتراف بما هو صائب من كلامه، ثم يعود للرد على محتوى الشبهة، والتي بين فيها خطأها في اعتبار أن القرآن قد أورد قضايا شخصية لرسول الله مع معاصريه، فأقر بأن المذكور فيها له علاقة بالأحكام وأحوال الأمة فقط، ثم جاء بأمثلة لحالات شخصية في حياته ﷺ لم تذكر لأنه ليس لها علاقة بالأحكام، وأسلوب التمثيل هذا مهم جداً في رد الشبه. وهذا الرد يمكن أن يصنف ضمن المنهج العقلي المنطقي، حيث إنه أورد الجانب الصحيح من الشبهة والوجه الخاطئ منها، صحيح أن الوحي يتعرض لأحوال شخصية لرسول الله لكن ليس بصفة مطلقة، بل بصفة جزئية، حيث يذكر ما يتعلق بالتشريع وما يترتب عليه من أحكام، كما أنه استشهد بأمثلة توضح ذلك، والشيخ مشكور في هذا.

هذا ما يخص الجزء الأول من الشبهة، أما الجزء الثاني من شبهة الموسوعة، فهي حول أنواع الوحي...، وقد أقر الشيخ بأن القضية فيها أمران أدفهما الأول، والمتمثل في أنواع الوحي، وهذا ما جرّ إلى الوقوع في الخطأ الثاني حول الوساطة.

أرجع الشيخ فضل سبب خطأ الموسوعة في جعل الأنواع الثلاثة للوحي مصدر لنزول القرآن الكريم هو سوء فهم الآية الكريمة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحياً أَوْ مِنْ وَرَائِهِ حِجَابٍ﴾ - الشورى: 51- فبعد أن فسر الشيخ هذه الآية، قال بأن الرسالة الإلهية لا تخرج عن ثلاث طرق: الإلهام، من وراء الحجاب، الوحي بواسطة ملك، وهذه الأخيرة خاصة بالقرآن الكريم، حيث لم تأت أي آية بالطريقتين الأولى والثانية، بل كان وحي كله بواسطة ملك.

وجاء الشيخ بآيات قرآنية تدل على ذلك، أما الطريقة الأولى والثانية فخاصة بالأنبياء، وبعض ما ألهم به رسول الله غير القرآن.

¹ - ينظر: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص 163-164.

أما الخطأ الثاني فهو حول الإنزال وعدم ذكر الوسيط، فقد قال بأنهم فهموا بأن الإنزال كان بغير وساطة؛ وهذا بسبب تفسير اللفظ حرفياً... فالإنزال كان عامّاً للكتب السماوية، أما نفي الوسيط فقد استغرب الشيخ من قولهم، فقد ذُكر في القرآن الكريم باسمه وبوصفه، واستشهد الشيخ بآيات قرآنية تذكر الوسيط جبريل عليه السلام.¹

بعد عرض طريقة الشيخ فضل في الرد على هذه الشبه، نشكره على صنعة الجميل في شكر الموسوعة لإنصافها وموضوعيتها في بعض جوانب هذا الموضوع، وهذا يحتسب للشيخ.

أعود إلى بيان منهج رده على الشبهات خاصة، فقد مزج الشيخ بين منهجين دفاعيين قويين: المنهج العقلي المنطقي، والمنهج النقلي، حيث رد على الشبهة بموضوعية ومنطق متزن، ودعم ذلك بالاستشهاد بآيات قرآنية مع شرحها شرحاً وافياً، وقد وفق الشيخ في الرد على هذه الشبه.

ومن منهج الشيخ رحمه الله هو عدم التسليم بمقدمات الخصم، من حيث صحتها أو من حيث دلالتها على محل الشاهد، ومن حيث سياقها ولحاقها، ومن حيث قائلها، ومن مسلكه كذلك رد الشبهة برد أمثلتها أو ذكر أمثلة أخرى لا تخرج عما قاله أصحاب الشبهات، والأمثلة على هذا كله قد مرت معنا.

الشبهة الثانية: حول جمع القرآن الكريم.

موضوع جمع القرآن الكريم موضوع مهم ورئيسي في مباحث علوم القرآن، لكن الشيخ قال بأنه لن يطيل في هذا الموضوع كثيراً، وقد اكتفى بالإشارة إلى أربع نقاط مهمة اختصرها في:

الأمر الأولي: قول الموسوعة بأن رسول الله كان يصاب بغيوبة ونشوة: حيث قال الشيخ بأن بعض المستشرقين قد وصف تلك الحالة بالصرع، وهذا غير صحيح فالصرع يكون فيه النسيان أبرز سماته، ورسول الله ﷺ كان شديد التذكر، ثم صحح الشيخ قول الموسوعة التي أحسن الظن بها، وقال بأن رسول الله ﷺ كان يتهاى ليتلقى الوحي وكان في وعيه التام، ثم ذكر الشيخ حديث بدء الوحي حول كيفية مجيء الوحي، وحديثاً آخر لعائشة"، رضي الله عنها وجاء بمثال منطقي مشابه لهذا.

¹ - ينظر: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص 170-172.

الأمر الثاني: بين فيه الشيخ عمل رسول الله بعد تلقي الوحي: وهي قراءة ما أوحى إليه، واستدعاء الصحابة لكتابته.

الأمر الثالث: أن حفصة لم يكن لها أي عمل رسمي في الجمع، إلا أن الصحف قد وضعت عندها بعد موت "عمر".

الأمر الرابع: المصاحف العثمانية وخلوها من ذكر مكة ومدنية السور وعدد آياتها، فهذا قد كان متأخرا وهو اجتهاد من العلماء، وليس من القرآن وهذا معروف عند العامة.¹

هكذا كان عرض الشيخ فضل لموضوع جمع القرآن الكريم، فقد رد على الموضوع بنوع من الاختصار وحتى الرد كان مختصرا، فهو قد أحسن الظن بالموسوعة البريطانية، ولم يحمل عليها بل صحح لها وجهة نظرها في موضوع نزول الوحي، هذا الموضوع الذي تفنن فيه المستشرقون، وفي حالة رسول الله ﷺ أثناء نزول الوحي من وصفه بالصرع، وبغياب وعيه نهائيا، وعدم إدراك ما يحصل له في تلك الأثناء... لكن والله أعلم أن هذا الموضوع مهم جدا، ويجب أن يُرد عليه مثلما يرد على المستشرقين وغيرهم من الطاعنين في الموضوع؛ لأنها تمثل لحظة تلقي الوحي وإثباته في الصحف من قبل كتاب الوحي، وهذا ما ينتج عدة شبهات مرتبطة به من نقص وزيادة وعبث في القرآن...، رغم أنني أحترم رأي الشيخ فضل في مسلكها هذا، لكنني أشكك في نية الموسوعة وفي مصدر نقلها لهذه الشبهة، والتي أخذتها من المستشرقين طبعاً، فالواضح أنه يجب أن نرد على الموسوعة بما نرد به على المستشرقين من تشنيع قولهم، ورده بالأدلة والبراهين القاطعة التي أحصاها علماؤنا الأجلاء، والشيخ فضل سيد العارفين بذلك.

الشبهة الثالثة: حول القصص القرآني.

يعد موضوع القصص من الموضوعات الحيوية في علوم القرآن، وقد نال من الحظ ما لم تنله باقي المباحث من الكتابات والمنشورات، وهذا من خلال دراسة مختلف جوانبه؛ لاستخراج الفوائد التربوية والقيم والمواعظ، وتميز الأصيل عن الدخيل...، كما تناوله علماء من باب الطاعنين والحاقدين الذين يبثون الشبهات والافتراءات، فبعضهم يرجع القصص إلى أنها اقتبست من التوراة والإنجيل وغيرها من

¹ - ينظر: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص 166-169.

المصادر، وآخرون يقولون بأنها مجرد أساطير لا غير، والبعض يقول بتشابه القصص وتكرارها بدون فائدة...، والموسوعة البريطانية من بين هؤلاء الذين اهتموا بموضوع القصص، وقد أدلت بدلوها فيه وهذا ما سنراه فيما يلي.

جاء في الموسوعة البريطانية أن الآيات القصصية موجزة ومقتضبة، إلا أن قصص الأنبياء وأشخاص الكتاب المقدس تلمح وكأنها معروفة للسامعين، والتركيز فيها كان على العبرة المأخوذة منها لا على السرد القصصي، وعند التحليل الدقيق يظهر أن القليل من السور فيها تطابق في المحتوى والأسلوب، وأطول نص يتكلم عن موضوع واحد هي سورة يوسف.¹

ابتدأ الشيخ فضل رده على الموسوعة بمقدمة حول القصة ومكانتها في القرآن الكريم، واختلافها عما جاء في الكتب السابقة حتى في الجزء المشترك بينهما، ثم جاء للرد وقال بأن الموضوع يحتاج إلى تأن، فالعرب كانت تعلم بعض الأخبار عن قبلها، وقد كان لعامل الأسطورة والخيال الحظ الأوفر في معرفتهم تلك، أما ما جاء في القرآن من تفاصيل وحقائق لم يكن العرب يعلمونها، والقرآن نفسه يرد على هذا الافتراء، وجاء الشيخ بثلاث آيات في ذلك، فلو علمها العرب لقالوا هذه بضاعتنا ردت إلينا، كما جاء بقصة النضر بن الحارث وغيره الذي حاول إشغال العرب عن القرآن بسرده لقصص الفرس والروم...، وصرح الشيخ بوجود بعض التشابه في القصص الذي يعتبره البعض تكراراً، لكن الحق أن هذا غير صحيح، فلا توجد جملة أو قصة جاءت دون هدف أو معنى، وراح يأتي بأمثلة لنفس القصة ومواضعها في السور وما الجديد الذي جاءت به، وقال الشيخ بأن هذا الأمر واضح أكثر في غير القصص القرآني...²

لهذا يمكن القول بأن الشيخ فضل كان موضوعياً ومنصفاً إلى حد بعيد، فرغم ما في الشبهة من خطأ، إلا أنه ابتداءً ببيان وجه الحق من قولها، ثم رد باقي الشبهة.

أما فيما يخص منهج الشيخ في رده، فقد استشهد بنماذج تاريخية في القضية، وهذا ما يعرف بالمنهج التاريخي، كما أنه جاء بآيات قرآنية ترد ما افتري من إشاعات حول القصص، وهذا يمثل المنهج النقلي.

¹ - ينظر: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص 59.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 60-64.

وختاماً الاستشهاد بنماذج لقصص قرآنية في عدة مواضع ادعى فيها التكرار، والكشف عن وجود جديد في كل مرة، وبيان أن لا تكرار فيها مع تحليلها وبيان أوجه الإعجاز في تكرارها بألفاظ مختلف وأساليب متنوعة، وهذا يمثل المنهج العقلي المنطقي، ولهذا كان رد الشيخ شافياً وافياً باجتماع هذه المناهج الدفاعية المتنوعة.

أعود للشبهات التي طرحتها الموسوعة البريطانية في مجال القصص، حيث عرضت لنموذجين:

النموذج الأول: قصة سيدنا يوسف عليه السلام وقصة الغرائق، فأما قصة يوسف عليه السلام فقد قال بأنها أطول سورة تحدثت عن موضوع واحد، والتي أضافت تفصيلات خرافية معظمها جاءت من مصادر يهودية، وقد تعقيب الشيخ على هذا الافتراء على شقين، بعد أن أكد على أمرين مهمين: الأول أنه سيسير وفق المنهج العلمي النزيه المجرد من الأهواء، أما الأمر الثاني فهو وجود بعض القصص القرآنية التي يتشارك فيها القرآن مع الكتب الأخرى، مع وجود اختلافات جوهرية طبعاً.

يبدأ الشيخ فضل رده أولاً بعرض مقارنة بين التوراة والقرآن في قصة سيدنا يوسف عليه السلام، والتي استفادها من مالك بن نبي في كتابه (الظاهرة القرآنية)، حيث أجرى بينهما مقارنة، فقد جاء بالنصوص التي وردت في التوراة والآيات القرآنية في القصة، وما تفردوا به ...، وبعد أن جاء بالمقارنة على شكل جدول استدرك الشيخ فضل على عمل مالك بن نبي في بعض الحقائق التي نسيها سهواً، جاء بعدها لاستخراج استنتاجات تفيد أن القرآن الكريم تميز عن التوراة في هذه القصة، بمنطق علمي وسمو أخلاقي، ودقة تتوافق مع واقع التاريخ...

الأمر الثاني الذي أورده الشيخ بعد عقد المقارنة هي ذكر الأمور التي تفرد بها القرآن الكريم عن التوراة، وذكرها في ثلاثة عشر نقطة ختمها بنفي الخرافة عن قصة سيدنا يوسف في القرآن الكريم.¹

وهذا ما يمكن أن نطلق عليه المنهج العقلي المنطقي، بعد عقد هذه المقارنة وذكر ما تفرد به القرآن الكريم، لتسقط شبهة الاقتباس هذه.

النموذج الثاني: قصة الغرائق التي نقلتها الموسوعة، والتي تقول بأن محمد ﷺ قد اعترف بالسلطة النسبية لثلاثة آلهة، لكنه عاد وألغى ذلك بعدها، فابتدأ الشيخ فضل رده أولاً بشرح هذه

¹ - ينظر: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص 65-73.

القصة الملفقة، ثم جاء برد العلماء عليها حيث ردوا جل المرويّات نقلاً وعقلاً، فهذه رواية لم ترد في كتب السنة المعتمدة بأسانيد صحيحة أو مقبولة، أما عقلاً فقد جاء الشيخ بحجج عقلية آخرها احتمالات مع ردها كلها، ليحتم الشيخ بقوله إن هذه الحادثة لم تعرف إلا مؤخرًا، وهي من وضع الزنادقة مؤخرًا، فالروايات مضطربة، وتفسيرهم للآية: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ - الحج: 52- خاطئ...¹.

لهذا نقول بأن الشيخ فضل قد رد على قصة الغرائق بمنهجين دفاعيين اثنين، أولهما المنهج النقلية، وهذا حين درس الرواية الملفقة، وبين عدم صحة أسانيدنا وأنها من وضع الزنادقة مؤخرًا، أما المنهج الدفاعي الثاني فهو المنهج العقلي المنطقي، وهذا قد اتضح في رد الشبهة عقلاً، فقد جاء بعدة احتمالات مع ردها كلها، وقد مزج الشيخ بين المنهجين بطريقة علمية مميزة دحضت الشبهة عن بكرة أبيها.

الشبهة الرابعة: حول القراءات القرآنية

تقول الموسوعة البريطانية أن القراء هم المختصون بنصوص القرآن، وقد كانوا بنفس الوقت علماء فقه اللغة، ومن كثرة تعاملهم مع لغة القرآن نمت عندهم أصول قواعد اللغة العربية، حيث ظهرت مدرستان إحداهما في البصرة التي وضعت اللغة، والأخرى في الكوفة والتي اهتمت بالشواذ، ثم خرجوا بنظرية أن القراءة التي لا تعتمد على مصحف عثمان هي قراءة مرفوضة، وأن القراءة يؤخذ بها إن اعتمدت على قارئ مشهور ومعروف.²

بدأ الشيخ فضل كلامه عن اهتمام المسلمين بقراءة القرآن وتلاوته وحفظه، عكس العلوم الأخرى كالفقه والحديث والتفسير، فهكذا كان عصر الصحابة، ومع اتساع الرقعة الإسلامية ودخول غير العرب للإسلام، عُين في المساجد قُراء لتعليم الناس القراءة الصحيحة للقرآن، وفي هذا رد لقول الموسوعة أن هناك قراء متخصصون بقراءة القرآن.

¹ - ينظر: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص 118-122.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 231.

أما فيما يخص مصحف عثمان رضي الله عنه، فقد قال الشيخ بأن جمهور العلماء يرون أنه يشتمل على الأحرف السبعة، بعض هذه الحروف يحتمله الرسم، والبعض الآخر الذي لا يحتمل الرسم، موزع على المصاحف التي أرسلت إلى الأمصار، فالذي جاء في الموسوعة أن القراءة التي لا تعتمد على مصحف عثمان مرفوضة، وأن القراءة تأخذ على قارئ مشهور، لا يأخذ على إطلاقه، بل يحتاج إلى تصحيح، فهذان الشرطان لا يكفیان إلا إذا توفر التواتر وصحة الاسناد، وهذا مذهب العلماء، وجاء بمثلة على ذلك، ثم شرح الشيخ معنى هذا الشرط، وقال بأن الأئمة العشرة هم الذين جمعوا هذه الشروط، أما مدرستي البصرة والكوفة فليس لهما أي تأثير على القراءات.¹

بين الشيخ فضل هنا أصول القراءة الصحيحة، كما أنه قوم ما قالته الموسوعة وصححه؛ لأنها أغفلت عن أهم شرط لقبول القراءة وهو التواتر، فإذا غاب هذا الشرط بطلت القراءة أصلاً، لهذا عين العلماء القراء العشر الذين توفرت فيهم هذه الشروط لا غير.

لهذا يمكن اعتبار المنهج العقلي المنطقي هو منهج الرد على هذه الشبهة بالإضافة إلى المنهج النقلي، وهذا قد تمثل أثناء عرضه لأمثلة قرآنية للقراءات القرآنية وشروطها.

وفي موضع آخر في الموسوعة تحدثت الموسوعة عن الطبعة العربية للقرآن الكريم، وعدم كمالها؛ لوجود أحرف العلة فيها وما أثارته من بلبلة في الفهم...، ليقرر الشيخ بأن هذه القضية من أخطر القضايا التي لجأ إليها المبشرون والمستشرقون للنيل من القرآن الكريم، وعلى رأسهم (جولد تسيهر).

يبدأ الشيخ فضل بإقرار أربعة قواعد مهمة في علم القراءات، تكون الحصن الذي يحميها من مثل هذه الشبه، لينتقل إلى مقارنة قول الموسوعة بقول (جولد تسيهر) في الموضوع، ويصل إلى القول بوجود تشابه بينهما، وهذا ما يدل على أن الموسوعة قد رددت ما قاله هذا الأخير لا غير.

ثم جاء الشيخ لمناقشة قول هذا المستشرق المفتري، الذي اعتبر أن خصوصية الخط العربي كان سبباً في اختلاف القراءات، فقد رد عليه الشيخ وجاء بأمثلة دحض فيها قوله، ليرشدنا إلى كتب مهمة ردت على الموضوع، ويختم بقاعدة مهمة وهي أن القراءة سنة متبعة تخضع للنقل والمشافهة لا للرسم وحده.²

¹ - ينظر: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص 232-236.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 216-228.

فالشيخ فضل رد على الشبهة بتأصيلها وبيان مصدرها، ألا وهو الاستشراق، فبعد أن عُرف مصدرها، ناقش المستشرق (جولد تسيهر) وليس الموسوعة البريطانية، ورد عليه بأن جاء بأمثلة بين فيها أنه لا علاقة للخط العربي في اختلاف القراءات، إنما تصح القراءة إن توفرت فيها الشروط الثلاثة المذكورة سابقاً، وإلا فلا شيء يحدد صحتها، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه المنهج العقلي المنطقي في مجال الدفاع عن القرآن الكريم، وقد أجاد الشيخ وأفاد ببارك الله فيه.

المطلب الثالث: شبهات حول التفسير والعقيدة في الموسوعة البريطانية.

هناك بعض القضايا التي تطرقت لها الموسوعة البريطانية في التفسير والعقيدة، وقد اعتمدت منهج الانتقاء في اختيار المواضيع المتناولة، حيث استهدفت المواضيع التي وقع فيها الخلاف مثلاً، أو تعددت الأقوال فيها، كما أنها انتهجت منهج الانتقاء أيضاً في نوعية الكتب والتفاسير التي ساقته منها الأمثلة، رغم تحذير العلماء منها وبيان الخلل الذي وقعت فيه، لكنها غضت الطرف عن ذلك مادام ذلك يخدم توجهها وأهدافها، وفيما يلي مجموعة من القضايا التي وردت.

الشبهة الأولى: عناصر عملية التفسير ومراحله.

تطرقت الموسوعة إلى علم التفسير منذ نشأته حتى العصر الحديث، فحددت أهم الركائز التي يستند عليها علم التفسير من مناسبة نزول، وموافقة أحاديث رسول الله للتفسير، وقواعد اللغة والشعر... كل هذا لتوضيح آيات القرآن... كما أنها مثلت بكتاب الطبري الذي عدته أول تفسير للقرآن الكريم، ثم تفسير الزمخشري المعتزلي، فتفسير البيضاوي الذي يُعد تلخيصاً للكشاف¹.

وعندما جاء الشيخ فضل للتعقيب على هذه القضية بدأ أولاً ببيان قواعد التفسير وشروط المفسر وبينها، ثم قرر أمرين:

الأول: أن المسلمين قد أمروا بتدبر القرآن والاجتهاد في تفسير ما لم يفسر من قبل رسول الله ﷺ، وهذا القول يُرد ادعاء الموسوعة في رفض أي تفسير لا يسند إلى رسول الله.

الثاني: اعتبار تفسير الطبري أول تفسير قرآني، وهذا ما يُلح عليه المستشرقون ويحاولون إثباته،

¹ - ينظر: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص 239.

فالحق أن التفسير بدأ في عهد رسول الله ثم الصحابة والتابعون، ثم ابتداء التدوين في القرن الثاني للهجرة ودونت فيه كتب وفي القرن الذي يليه.

فتفسير الطبري إذا لم يكن أول تفسير عرف في تاريخ القرآن، وهو الذي ينقل في تفسيره عمّن قبله كثيرا كتفسير يحيى بن سلام، إلا أن تفسير الطبري كان أول تفسير موسوعي، ثم جاءت بعدها التفاسير على اختلافها...¹ وراح الشيخ يُعد في التفاسير التي جاءت بعد تفسير الطبري بما فيها المدارس التفسيرية.

هذا ما يمكن أن يُطلق عليه في مجال الدفاع عن القرآن الكريم وعلومه بالمنهج التاريخي، وهكذا قد تبين لنا نفي كون تفسير الطبري أول تفسير، فالشيخ فضل قد بين لنا تفاسير وجدت قبل تفسير الطبري، ثم جاء بسرد تاريخي للتفاسير التي جاءت بعده وصولاً إلى العصر الحديث، وبهذا يكمل ما تجاوزته الموسوعة من مراحل للتفسير.

تحدثت الموسوعة البريطانية عن المراحل التي مر بها التفسير، فبعد أن اعتبرت تفسير الطبري أول التفاسير انتقلت مباشرة للحديث عن التفسير في العصر الحديث، فقدمت لنا نموذجين للتفسير في العصر الحديث، أولها (محمد عبده) الذي حاول أن يثبت بأن أغلب نتائج العلم الحديث وما جاءت به النظريات الحديثة موجودة في القرآن الكريم، وقد حقق ذلك بواسطة تفسيرات ملتوية كتفسير سورة الجن بالميكروبات، وإقراره لنظرية (داروين) في تنازع البقاء.

أما النموذج الثاني فهو أبو الكلام آزاد - هندي - الذي شغل منصب وزير التعليم حيث اقترح دراسة الظروف التاريخية لنزول القرآن الكريم ليسهل علينا فهمه وتفسيره.

أما رد الشيخ على هذا فقد كان بالحديث على حركة التفسير في العصر الحديث: ظروفها وكيف انبثقت، والتي ترأسها مدرسة المنار بقيادة محمد عبده، وما كان للمدرسة من محاولات، أما افتراءات الموسوعة حول تفسير الجن بالميكروبات، فقد رده الشيخ، وقال بأنه استعمله كحجة ودليل على وجود الجن، أما فيما يخص نظرية (داروين)، فقد نفى الشيخ ذلك عن محمد عبده، فجاء بالنص من تفسيره، وبين أن (محمد عبده) لم يقل به، بل كان في معرض الرد على هؤلاء المفتونين بنظريات الغرب... أما

¹ - ينظر: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص 240-242.

محاولة العالم الهندي، فقد كان يحاول تفسير القرآن بدراسة البيئة وما حولها... وأيا كان في التفسيرات الحديثة للقرآن الكريم من تكلف، إلا أن أكثرها كان امتدادا لثروة النص القرآني؛ لأن النص القرآني لا تنقضي عجائبه....¹.

إن الرد الذي جاء به الشيخ للدفاع عن محمد عبده والعالم الهندي رد مقنع ويفي بغرض الرد على هذه الشبهة المبطنه، فهم يتهمون محمد عبده بالقول بنظرية داروين وغير ذلك، لكن الشيخ قد جاء بالنصوص التفسيرية من كتابه نفسها وشرحها، وبين لنا كذب وافتراء هؤلاء، حيث إنهم نسبوا للإمام ما لم يكتبه، وقولوه ما لم يقله، وبالتالي فهم كذبوا عليه، والشيخ بين مراد محمد عبده من كلامه وما يقصد من خلاله، ونفى ما نُسب له زورا، وهذا وفق منهج علمي مبني على العقل والمنطق، وقد كان رده هذا ودفاعه عنه مقنعا وكافيا لإخراص هؤلاء وأصحابهم، فلا دليل أقوى من الإتيان بكلام المتهم وبيان المقصد منه، فجزا الله خيرا الشيخ فضل على هذا.

الشبهة الثانية: الثواب والعقاب.

مسألة الثواب والعقاب من المسائل العقديّة التي شغلت العلماء والمتكلمين منذ القدم، كما أنّها قد نالت نصيبها في العهد الحديث، فها هي الموسوعة البريطانية تخوض فيه وتدلي بدلوها؛ حيث تقول هذه الأخيرة بأن الله يُجازي أو يُعاقب الناس على حسب موقفهم نحوه، كما أن هناك وصف لحساب الناس حيث إن بعضهم ينال نعيم الجنة وآخرون يعذبون في نار جهنم.²

حين جاء الشيخ فضل للتنقيب على هذا الكلام، بيّن أن الله عز وجل يُعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء، فهو عدلٌ في حكمه، شديد العقاب، سريع الحساب، وهو أيضا الغفور الرحيم الحليم، كما أنه لم يترك مسألة الثواب والعقاب لأمانى الناس، بل تكفل بها عز وجل، ثم قال الشيخ بأن قول الموسوعة أن الثواب والعقاب لا يرجع إلى موقف البشر من الله بهذا الإطلاق، فهذا قول تعوزه الدقة، وجعل الشيخ ضبطه لهذا الموضوع في نقاط:

¹ - ينظر: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص 243-246.

² - المرجع نفسه، ص 108.

• إن القرآن الكريم والسنة المطهرة قد بينت بأن ما يفعله البشر من طاعة أو عصيان أو كفر لن يضر الله شيئاً، وجاء بآية وحديث يدلل به على صحة قوله¹.

• جاء بأمثلة من دعوة الأنبياء الذين لم يجرّدوا قضية الإيمان من السلوكيات، والتشريعات العملية، وختّمها بدعوة رسول الله في السور المكية والمدنية على حد سواء، وجاء بنماذج قرآنية تفيد ذلك، ليصل إلى نتيجة تقول بأن قول الموسوعة يعوزه الدقة وينقصه الإنصاف، فالقرآن الكريم لا يجعل من الدين قواعد مجردة بعيدة عن حياتهم، ومن ثم آخرتهم، كما أن قضية الثواب والعقاب تنسجم مع المناهج التربوية ترغيباً وترهيباً، في القرآن وغيره، ومجازاة الله للإنسان ناشئة بعد الإيمان عما يقدمه الإنسان من خير².

إن رد الشيخ فضل على هذه القضية العقديّة الجوهرية كانت في قمة الروعة والإنصاف، فهو لم ينف قول الموسوعة ويرده إجمالاً، إنما قرر أنه قول يعوزه الدقة، وراح يشرح ذلك ويؤيّننه وفق منهج دفاعي متين، حيث إنه مزج بين المنهج النقلي الذي استدل فيه بآيات قرآنية وأحاديث نبوية، والمنهج العقلي المنطقي الذي وضع لنا أن أسلوب الترغيب والترهيب يدرج في المناهج التربوية عند غير المسلمين، وهذا أمر منطقي عند جميع الخلق دون استثناء، وقد أجاد الشيخ وأفاد.

الشبهة الثالثة: حرية الإرادة.

تقول الموسوعة البريطانية إن مصير الإنسان كله بيد خالقه، كما أن إيمانه وكفره يعتمدان على إرادة خالقه، فالآية تقول إنهم لا يؤمنون إلا إذا شاء الله، كما أنه ليس هناك حرية الإرادة للإنسان؛ لأن الأمر كله سيعود إلى خالقهم الذي قدر لهم أزلياً، إلا أن هنالك بعض الآيات التي تركت للإنسان بعض الحرية أن يستمع لما يقول النبي، وهو بعدها يقوم باختيار طريق الحق أو الضلال، فدور محمد كندير لهم قد أكد في الآيات³.

إن موضوع حرية الإرادة من بين القضايا التي كانت مطروحة منذ القدم، فهي ليست وليدة الآيات القرآنية كما تقول الموسوعة، فالقرآن الكريم ليس سبباً لذلك، بل على العكس كان الأقرب لحل

¹ - قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص 108-109.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 109-112.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 146.

هذه القضية كما يقول الشيخ فضل.

يبدأ الشيخ تعقيبه بتأصيل هذه المسألة وبيان مكنن التعقيد فيها، والذي أرجعه لصعوبة التوفيق بين عمل الخالق وطبيعة المخلوق...، ثم جاء بعلاج القرآن الكريم لهذه القضية، حيث قال بأن المتدبر لآيات الكتاب الكريم من أول آية نزلت يدرك بأن الباب مفتوح على مصرعيه للإنسان للرفي إلى درجات الخير، ووهبه قدرة النظر التي لم يهبها الله لغيره، كما أنه منح لهم كل الحرية دون منعهم عن أي شيء، وقد استدلل بآيات قرآنية، وقال بأنها كثيرة ولا تحصى، بل قد حدث القرآن عن أقوام احتجوا على كفرهم بأن الله شاء لهم الكفر لا الإيمان، وجاء بآيتين في تنقضان هذا الزعم.

ويزيد الأمر وضوحاً بأن المتدبر لآيات القرآن يدرك من الآيات الكثيرة بأن الله لا يظلم الناس شيئاً فهو لم يحملهم على المعصية، وإنما يأمرهم بالقسط...والقرآن في هذا متماش مع أصح القواعد العقلية والبراهين المنطقية.¹

ومنهج رد الشيخ جد واضح، فقد رد بالآيات القرآنية وشرحها، هذا ما يطلق عليه بالمنهج النقلي.

لم يكتف الشيخ فضل بهذا الرد النقلي المخرس، لكنه فضل أن يزيد الرد قوة ومثانة للذين لا يقتنعون بالقرآن؛ فجاء بطرح فرضية على شكل سؤال: لماذا لم يرغمهم الله على الإيمان؟ فأجاب الشيخ على هذا فقال بأن الله تعالى قادر على ذلك، ولكن ماذا يبقى من حكمة الخلق؟ فالتفاضل بين البشر ثابت، والتنافس هو الذي يدفع الناس إلى الرقي، فلو غير من طبيعة هؤلاء المنحرفين وسواهم بغيرهم، فيختل قانون العدل المطلق، ثم جاء الشيخ بمثال واقعي لطالب مجد وآخر كسول فلو أعطى الأستاذ لكليها نفس العلامة فهل نحكم عليه بالخيرية؟ فهو قادر أن يعكس المسألة وهذا يتنافى مع العدالة...ليختم الشيخ قوله بأنه إذا استعرض تلك الآيات، لوجدها جاءت في سياق تثبيت النبي ﷺ، الذي كان يتألم لعدم إيمان قومه؛ لأنه يريد لهم الخير وراح يستعرض بعض هذه الآيات.²

هذا هو المنهج العقلي المنطقي، فبعد طرح هذه الفرضية التي كانت في الصميم والإجابة المنطقية

¹ - ينظر: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص 147-149.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 149-150.

التي أقرها لن يبقى في الموضوع أي شك أو ريبه.

الشبهة الرابعة: قضية خلق القرآن.

تناولت الموسوعة مسألة خلق القرآن الكريم عند المعتزلة، حيث قالت بأن المعتزلة أرادت أن تتجنب أي شيء يعتدي على وحدانية الخالق، لذا فقد أنكروا المبدأ الذي يقول بأن القرآن موجود أزلياً، لأن هذا يعني أن شيئاً آخر بالإضافة إلى الخالق الأزلي موجود... إلا أن مبدأ المعتزلة رُفض من قبل المسلمين المتشددين...¹.

عندما نتوجه إلى رد الشيخ على هذه المسألة، نجد أنه قد عقب عليها باختصار شديد محل؛ لأن هذه المسألة بالتحديد مسألة مهمة خاض فيها المسلمون وتكلموا فيها كثيراً وتجادلوا، وربما كفر بعضهم بعضاً بسبب خطورتها، والنتائج التي يترتب عليها، ومن ثم استغلال الموسوعة أو المستشرقين لمثل هذه القضية للقدح في القرآن الكريم.

وسأوضح تعقيب الشيخ، ثم أحاول التعقيب عليه بأقوال العلماء المجتهدين على اختلاف آرائهم. يقول الشيخ بأن قضية خلق القرآن رغم ما أثير حولها من ضجيج إلا أنها لم تعد قضية ذات شأن، فالخفقون يعدون المسألة عبارة عن خلاف لفظي أكثر منه حقيقي، وراح الشيخ يُبين ذلك عند المعتزلة، وغيرهم من الأشاعرة وأهل السنة، وهو يبسط في ذلك، ويؤكد بأن كون القرآن مخلوقاً لا يمس بقدسية القرآن ولا بإعجازه، واستشهد بالزمخشري الذي جاءت الموسوعة بكلامه في المقدمة: " الحمد لله الذي خلق القرآن... " وقال بأن هذه العبارة ليست نفسها في المقدمة، كما أن المسلمين قد أخذوا على هذا الإمام وخالفوه في قضايا الاعتزال؛ وذلك لا يقلل من شأنه.²

فالشيخ لا يعير هذه المسألة الخطيرة قيمتها الحقيقية التي أعارها العلماء، فحتى لو كان يعتبر الخلاف لفظي، كان يجب عليه أن يذكر الرأي المخالف له في المسألة، وربما مناقشته لما لا، ليرجح في الأخير رأيه الذي يراه، وهذا من حقه، أما النقطة الثانية التي يمكن أن تُسجل عليه وهي عدم تعقبه على قول الموسوعة التي قالت عن المسلمين -أهل السنة - بأنهم متشددون؟ وهذا القول غير مقبول

¹ - ينظر: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص 236.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 238-239.

منها، ولا يجب السكوت عنه وعدم التعقيب عليه، لكن الشيخ وعلى غير عادته، لم يتعقبها؛ إلا أننا لا نقبله من الشيخ الذي عرف عليه الإنصاف والأمانة؟ إلا أن يكون الشيخ قد غفل عنها، لكن هذه قضية خطيرة جداً لا يمكن أن يغفل فيها المرء، ويتوجب عليه الثبوت والتدقيق.

المطلب الرابع: معارضة المناهج التي سلكها الشيخ فضل في الدفاع عن القرآن الكريم، بالمناهج التي سلكها غيره.

سبق وأن ذكرنا أن الشيخ خصص كتاباً مستقلاً يرد فيها على الشبهات التي طالت مادة القرآن الكريم، ومن أجل تقييم ردود الشيخ ومناهج الدفاع التي استخدمها؛ ارتأيت دراسة كتب أخرى درست هذه المادة من خلال هذه الموسوعة أو غيرها، فبالمقارنة يتبين مدى توفيق الشيخ في ردوده ومناهج دفاعه التي سلكها في سبيل ذلك، واخترت لأجل ذلك كتابين هما:

1. القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي دراسة تحليلية نقدية لمحمد محمد أبو ليلة.
2. دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية لإبراهيم عوض - دراسة مقارنة-.

وسأعمل على دراسة منهجهما باختصار، لتقييم عمل الشيخ، وبالله التوفيق.

الفرع الأول: منهج الدفاع عن القرآن الكريم من خلال كتاب (القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي دراسة تحليلية نقدية).

أولاً: مقدمة الكتاب.

ابتدأ محمد أبو ليلة كتابه هذا بمقدمة كما هي عادة الكُتّاب في بداية أي مؤلف، حيث شرع في الحديث عن مباحث علوم القرآن الكريم التي لها صلة مباشرة بالقرآن الكريم من: تعريف للقرآن الكريم، وأول ما نزل منه، المكي والمدني، عدد السور... لينتقل للحديث مباشرة إلى موضوع كتابه حيث يقول: " هذه أول دراسة نقدية شاملة على حد علمنا لآراء المستشرقين وبحوثهم حول القرآن الكريم، وبالتحديد في دائرة المعارف الإسلامية تحت مادة القرآن، وما يتصل بها من موضوعات".¹

¹ - القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، ص 16.

لقد بين الكاتب نسخة الموسوعة التي استعملها، وهي دائرة المعارف الإسلامية باللغة الإنجليزية الصادرة عن (دار برلين) للنشر بلندن في 1913هـ-1937م، والطبعة الجديدة الصادرة عن الدار نفسها بالاشتراك مع (دار لوزاك) للنشر بلندن عام 1960م، وقال بأن مدخل القرآن في الدائرة استغرق اثنين وثلاثين صفحة بحجم الموسوعة، تشتمل كل صفحة منها على عمودين كبيرين تتراوح عدد أسطر العمود الواحد ما بين (72-74) سطرا، كما أن المقال بقلم المستشرقين (أ.ت. ريلش و ج.د. بيرسون)¹. فبدأ بعرض كلامهما وشواهدهما، ثم بيان أهم النقاط التي يخالفه فيهما، ثم الرد عليها تعقيا أو مداخلة... ثم جاء بعناوين مقال القرآن في الموسوعة وعددها تسعة مواضيع، كل موضوع تندرج تحته عناوين فرعية مع مناقشات لطيفة جدا.²

ثانيا: منهج محمد أبو ليلة في الدفاع عن القرآن من خلال الرد على الشبهات.

تعددت مناهج محمد أبو ليلة التي سلكها في سبيل الدفاع عن القرآن الكريم، وقد تنوعت في الموضوع الواحد نفسه؛ وهذا بسبب طبيعة الشبهة المطروحة، فما يرد به على موضوع انتحال القرآن من الكتب الأخرى مثلا، لا يرد به على شبهة وجود ألفاظ أعجمية في القرآن، فالأولى يترك آيات القرآن الكريم لتدافع عن نفسها، والثانية يرد عليها بدراسة هذه المفردات والبحث عن أصولها اللغوية، لهذا يمكن القول بأن محتوى الشبهة هي التي تفرض أسلوب ردها ومنهج الدفاع عنه عموما.

وفيما يلي الأبواب التي تناولها بالدراسة مع تصور موجز للشبهة ومنهج أبي ليلة في ردها.

الباب الأول: القرآن (الأصل والمترادفات).

بعد أن أورد محمد أبو ليلة شبهة (ويلش) حول الأصل السرياني لكلمة قرآن، اختار بيان الأخطاء التي تضمنها كلام هذا المستشرق، والغرض الذي يهدف إليه من خلال طرحه هذا...، وقد اعتمد محمد على المنهج النقلي في رد هذه الشبهة، فراح يعرض للآيات القرآنية التي تتضمن كلمة (قرأ) ومعناها، ثم عرض للآيات التي تحدثت عن الفعل (تلى).

¹ - القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، ص 17.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 19-22.

لم يكتف أبو ليلة بهذا، إنما راح يدرس الأصل اللغوي للكلمة، فجاء بأقوال علماء اللغة فيها، ونفس المنهج استعمله مع لفظ (آية) التي قال عنها (ويلش) بأن أصلها سرياني...¹.

وهذا المنهج الأنسب ما دامت الشبهة تدور حول أصل الكلمة، خاصة عندما استعان بكلام علماء اللغة فيها وهذا من قبيل النقل بلا ريب.

الباب الثاني: محمد ﷺ والقرآن.

وتدور شبهة (ويلش) في هذا الموضوع عن انتحال الرسول ﷺ من كتب اليهود والنصارى، وقد أقر محمد أبو ليلة بأنها دعوى قديمة، إلا أن الجديد هنا هو محاولة المستشرق انتزاع الأدلة على ذلك من القرآن الكريم نفسه، حيث إنه فسر الآيات تفسيراً غريباً عجيباً مريباً، مما دل على سوء قصده.

وراح هذا المستشرق يأتي بنماذج من آيات قرآنية، ويحاول بكل ما أوتي من مكر يفسرها بأنها تدل على أن محمداً قد استنسخ من مصادر يهودية أو نصرانية أو عربية جاهلية، أما منهج أبو ليلة في الرد على هذه الشبهة الخطيرة، فقد كان متنوعاً مقنعاً، وقاطعاً للشبهة من جذورها، لهذا يمكن القول بأنه قد مزج بين عدة مناهج دفاعية لعل أهمها:

المنهج النقلي: حيث استخدم محمد أبو ليلة القرآن الكريم والسنة النبوية في الرد على شبهة المستشرق، خاصة القرآن الكريم الذي استعمله هو في طرح شبهته، حيث استدلل أبو ليلة بآيات قرآنية تُبين أن القرآن الكريم أنزل من قبل المولى عز وجل، وأخرى في اعتراض الكفار على عدم نزول القرآن مجملاً...، كما قال بأن كُلاً من التاريخ والقرآن والسنة سجلت أمية النبي ﷺ...².

المنهج العقلي المنطقي: وهذا في رده على قول المستشرق بأن رسول الله كان يكتب عن القوم من علومهم، فتساءل عن إمكانية كتابة النبي لما يملأ عليه -حسب زعمه-، والتاريخ والقرآن والسنة تثبت أميته؟ حيث قال بأنه لو كان هناك مدرسة أو إرسالية للتعليم، لتوجه إليها أغنياء قريش، ولو كان هناك معلم يُعلم الناس بالأجرة لعز ذلك عليه ليُتمه، والمرضعات رفضنه لذلك؟... فهل استفرد محمد بالمعلمين والمدرسين...؟، وهل كانت هذه الأساطير في متناول يده دون سائر الناس؟... فكيف لشخص

¹ - ينظر: القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، ص 51-60.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 103-104.

أعجمي اللسان، لم يسجل له التاريخ أي شأن، ولا يُعرف متى ولد وكيف عاش ومات أن يعطينا علمًا كالقرآن الكريم؟¹

الرد بأقوال المنصفين من القوم: وهذا من أهم مناهج الدفاع الذي يقتنع بها غير المسلمين؛ لأنه صادر عن واحد منهم، حيث استشهد أبو ليلة بقول (سنكس) عن (مسيو بارتلمي) ومختصر قوله إنه لم يرى ما يشبه القرآن في جميع أدوار التاريخ الديني للعالم الإنساني، وهذا ما يفسر به عدم قبول العرب أن يكون القرآن من معارف محمد الساذجة، وأنه لا بد أن يكون قد أملاه عليه جبريل من عند الله.

وهذه الشهادة يمكن أن تغنينا عما قبلها من الدلائل لصدورها من مستشرق مثلهم مُنصف.²

وقد مزج محمد أبو ليلة بين هذه المناهج الدفاعية بطريقة علمية مميزة تتم عن موسوعية، وتبحر في مجال الدفاع عن القرآن الكريم والذب عن حرمانه.

الباب الثالث: تاريخ القرآن بعد سنة 632م.

فيما يخص موضوع جمع القرآن الكريم، يقول (ويلش) بأن القرآن الكريم قد جُمع بعد وفاة رسول الله بسنتين، وهذا بالاستناد إلى رواية البخاري، ثم جاء بروايات أخرى قال بأنها تناقض ما هو موجود في كتب السنة المعتمدة... كما اعتبر بأن هناك مشكلات وصعوبات تعترض وجهة نظر المسلمين في موضوع الجمع، ووجود نسخة معتمدة للقرآن قبل عثمان.³

أما منهج محمد أبو ليلة في الرد على هاته الشبه وغيرها في موضوع جمع القرآن فهو المنهج النقلية - السنة النبوية - مع الاستعانة بأقوال العلماء في الموضوع، فقد قام أبو ليلة بعمل المحدثين في دراسة هاته الروايات، وذلك ببيان عدم تعارضها، فدعوى الاختلاف شكلية لا غير، كما قام بدراسة الروايات متناً وسنداً وبين ضُعفها، والذي يُلاحظ أن الشيخ ركز كثيراً على جمع "عثمان" ﷺ؛ لأنه موضع تركيز المستشرقين وغيرهم؛ للطعن في هذه المرحلة المباركة.

ومجمل صنيعه أنه ذكر روايات الجمع التي تبين سبب الجمع وطريقته، وماهية الشاهدين، والجمع

¹ - ينظر: القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، ص 105-108.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 108.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 143-146.

بين هذه الروايات، ويبيّن أن الاختلاف شكلي ظاهري، وغير حقيقي.

ليختم محمد أبو ليلة قوله بأن جمع القرآن الكريم بمراحله الثلاثة معروف لكل الصحابة، وأن دعواه حول وجود النسخة المعتمدة للقرآن قبل عثمان، خطأ ناتج عن سوء قراءة وسوء فهم لهذه المصادر.¹

أما ما يخص وقوع لحن في القرآن الكريم فقد استدل (برتون) برواية عكرمة حيث قال عثمان : (لا تغيروها فإن العرب ستغيرها...)، ورواية عثمان : (قد أحسنتم وأجملتم، إن في القرآن لحنا ستقيمه العرب)²، وقال محمد أبو ليلة بأن هاتين الروايتين طار بها نقاد الإسلام، واستنتجوا ما شاء لهم أن يستنتجوا، وقد رد عليهم ببيان ضعفهما، من حيث المتن والسند معاً، فإسنادهما مضطرب، أما في المتن ففيهما تناقض، فكيف يقر عثمان بأنهم أحسنوا وأجملوا، ثم يقول إن فيها لحناً؟ فهذا لا يعقل...؟ لكن أبو ليلة لم يكتف بذلك وافترض صحة الروايتين، وقال بأن اللحن هنا بمعنى "القراءات"..³

ومن خلال ما سبق يمكن أن أستنتج المنهج الدفاعي المستعمل، والذي يتمثل في المزج بين منهجين اثنين: المنهج النقلي الذي بين لنا ضعف الروايات متنا وسندا، بالإضافة إلى المنهج العقلي المنطقي الذي بين من خلاله محمد أبو ليلة تناقض الروايات، مع افتراض صحة الروايات وردها عقلاً، وقد مزج بين المنهجين بأسلوب علمي رائع.

الباب الرابع: بنية القرآن.

من أهم الشبه التي تناولها أبو ليلة في هذا الباب، والتي يتجلى فيها منهج الدفاع عن القرآن موضوعان مهمان يتصلان بالقرآن، أولهما: دعوى ضياع جزء من القرآن، أما الثاني: فيخص الحروف المقطعة في أوائل السور.

وفيما يلي بيان لمنهج الشيخ في الرد عليهما:

¹ - ينظر: القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، ص 146-157.

² - المصاحف، 1/120.

³ - ينظر: القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، ص 164-166.

تقول الدائرة بأن هناك فقرات من القرآن قد ضاعت، قال بهذا المستشرق (نولدكه)، ودائرة المعارف البريطانية وحتى علماء الشيعة وعوامهم، ومما أعطى الجراءة لهؤلاء ما ورد في بعض المصادر الإسلامية من روايات ضعيفة وأقوال غير محققة¹

راح أبو ليلة أولاً يستعرض الروايات التي أوردها ابن شاذان الشيعي، والتي تقول بأن عمر كان يرفض شهادة الرجل الواحد، وأن عثمان وضع صحيفة فيها قرآن فجاءت الشاة وأكلته، فذهب ما فيها من القرآن، ورواية عائشة التي وضعت القرآن تحت السرير فجاءت داجن فأكلت الصحيفة، وضياح صدر سورة براءة وسورة الأحزاب التي كانت بحجم سورة البقرة...

درس محمد أبو ليلة هذه الروايات ورد كل واحدة منها، وبين كذبها، حيث قال بأن كل هذه الروايات مضطربة، وفيها من الوهن وضعف الرواة ما فيها، ناهيك عن مخالفتها لإجماع الأمة حول القرآن الكريم.²

وهذا ما يطلق عليه المنهج النقلي، في صورة من صورته، ألا وهو المنهج النقدي ما دام الأمر يتعلق بالروايات صحتها وكذبها.

أما بالنسبة للحروف المقطعة، فقد عرض أبو ليلة لشبهات المستشرقين في هذا الموضوع، فالمستشرق لوث قال بأنها قد تأثرت في وضعها ب (الكبالا) وهو التصوف اليهودي، أما (اف إسكواللي) فقال بأن لها علاقة بتنقيح السور، أما (نولدكه) فقال بأنها رموز وإشارات، ورموز تومئ إلى أصحاب هذه النسخ...، ثم ضمت إلى القرآن بمحض الصدفة.³

أما منهج محمد أبو ليلة في الرد على هذه الشبه، فقد رد كل شبهة بعد طرحها مباشرة، ثم ختم برد مجمل، والذي يلحظ من هذا الرد أنه غلب عليه الجانب التاريخي واستخدام المنطق، حيث بين محمد أبو ليلة طريقة جمع القرآن من الجريد والورق، ففي أي جريد أو ورق كانت تحمل هذه الحروف؟ وتساءل عن معيار وضع هذه الحروف في هذه السور بعينها، كما أن الحروف المقطعة لا تتطابق مع الأسماء

¹ - ينظر: القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، ص 164.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 213-214.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 225-226.

المقترحة، ضف إلى ذلك أن المقترحين لم يكن معروفا عليهم حيازة المصاحف، دون أن ننسى أنه ليس من عادة العرب توثيق أشعارهم وخطبهم؟...¹.

بعدما رد محمد أبو ليلة على الشبهات التي خصت طريقة جمع القرآن الكريم يمكن تحديد المنهج التاريخي في نقل مراحل الجمع وتفصيله، مع استخدام المنهج العقلي المنطقي، وهذا من خلال طرح مجموعة من التساؤلات المنطقية حول هذه الحروف المقطعة في أوائل السور، والإجابة على ذلك بأسلوب علمي، وقد رد الشيخ على محتوى الشبهة على أكمل وجه فجزاه الله خيرا.

الباب الخامس: الحوادث والمناسبات التاريخية في النص القرآني.

يقصد بهذا الموضوع محاولة المستشرقين إعادة ترتيب القرآن الكريم وفق ترتيب النزول، وقد ذكر أبو ليلة محاولة المستشرقين في إعادة ترتيب المصحف وفق النزول، مع ذكر خطورة هذه المحاولات والتي تتمثل في الإيحاء تصریحًا أو تلميحًا بأن القرآن الكريم خاضع لحوادث التاريخ، وأنه من ثم مرآة للحياة العربية، وترجمان عن شخصية محمد ﷺ الذي هو في اعتقادهم مؤلف القرآن وصاحبه، وقد نفى الشيخ صحة هذا الكلام، وإن وقع في مثل هذا القول أمثال طه حسين.²

ويشير أبو ليلة أن من الأخطاء الشائعة التي وقع فيها المستشرق (بل) تسرعه في استبعاد بعض الآيات أو الفقرات القرآنية التي لم تخضع لمعياره؛ بحجة أنها كانت مسودات أو كتابات أولية وجدت طريقها إلى القرآن بطريق الخطأ، وقد تعقب أبو ليلة هذا الكلام بأنه حكم متعسف ليس له دليل ولا يقبله العقل السليم، وهو الذي تكلم من قبل عن تشدد الصحابة في جمع المصحف وتجميع مواده من الصحف والصدور، واتفاقهم جميعا على سلامة الجمع، وأنه ليس من الهين أن يقول هذا المستشرق أن الخطأ ارتكب في حياة رسول الله، وطريقة الحفظ في عهده ﷺ معروفة...؟³.

هذا الرد التاريخي الذي سجله أبو ليلة يمكن أن ندرجه في المنهج التاريخي في الدفاع عن القرآن الكريم، ويمكن اعتباره كافيًا للرد على هذه الشبهة.

¹ - ينظر: القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، ص 226-230.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 247-249.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 251-252.

الباب السادس: لغة القرآن وأسلوبه.

وعرض فيها الشيخ عدة قضايا أهمها:

لغة القرآن الكريم: فبعد أن أورد أبو ليلة مقدمة حول اللغة العربية، وإعجاز القرآن الكريم والتحدي القائم للإتيان بمثله...، طرح علينا شبهة المستشرق (ويلش) الذي قال بأن القرآن الكريم كتب باللغة التي كان رسول الله يتكلمها يعني لسان قريش أو لهجتها، وهي اللغة التقليدية الممتازة لكتابة الشعر في عصر محمد، وهو بقوله هذا يحاول التشكيك في طبيعة اللهجة التي كُتبت بها القرآن الكريم، حيث قال ومستشرقون آخرون بأن المفسرين وكتاب علوم القرآن قالوا بأن القرآن الكريم لم يقتصر على لهجة قريش فحسب، بل دخلت فيه لهجات عربية أخرى، بل وحتى دخلت فيه ألفاظ غير عربية أيضاً...

ليقرر محمد أبو ليلة شيئاً مهماً وأنه ينبغي علينا أن نعلم أن الأساس في تشكيل النص القرآني هي لغة قريش، لما اقتصت به من كمال وجمال مقارنة بغيرها، فهي أنقى وأرقى وأوفى من جميع لغات العرب...، ثم جاء بروايات في جمع القرآن وتدوينه تدلل على ذلك...، فالقرآن الكريم يمثل ذروة البيان في اللغة العربية، وأنه جاء للعرب بما يفهمونه... فقد ساهمت كل اللغات واللهجات العربية، وأكثرها نصيباً لغة قريش في تشكيل ألفاظ القرآن ومفرداته التي جاءت في أحسن أسلوب وأسمى بيان وأحكم بناء...¹.

ومن خلال هذا أستشف المنهج المعتمد في الرد على هذه الشبهة وهو المنهج النقلي الذي تمثل في الروايات التي استشهد بها، بالإضافة إلى المنهج العقلي المنطقي الذي برز في التحليل والرد على الشبهة.

الشكل التخطيطي للقرآن الكريم والقصص التي يتضمنها:

تطرق (ويلش) للنظام الداخلي للنص القرآني، وقصص الأنبياء، فقد لاحظ وجود تكرار في بعض الجمل بعينها على ألسنة الأنبياء، بالإضافة إلى تكرار هذه القصص في سور مختلفة ببعض

¹ - القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، ص 257-262.

الاختلافات. واستشهد (ويلش) على العبارات المكررة على ألسنة الأنبياء بآيات قرآنية قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ ١٠٦ إِنَّكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ -الشعراء: 106-109- وقال بأنها تكررت في خمس مواضع...، وعقب عليه محمد أبو ليلة أنه لا ضير في ذلك مادامت دعوات الأنبياء كلها واحدة في الدعوة إلى الله تعالى وإلى الوحدةانية...، وهذا ما أطلق عليه الشكل التخطيطي للقرآن، ومنه فالقصد من هذا ليس الإخبار عن الأحداث التاريخية.

ومن شبهه كذلك أن مثل هذه السور سميت بقصص العقوبات أو العقاب، وكأن المقصود منها التخويف، ولا تحتوي على أي شيء آخر...

يعقب أبو ليلة بقوله أن القصص القرآني جاءت لهدف أسمى وهو المقصد التربوي التعليمي، فالقصة من أسس الدعوة في المنهج القرآني، وكل قصة تحوي على علاج نفسي مؤثر لأمراض نفسية واجتماعية ودينية خطيرة...والقصص على طولها وقصرها المقصود منها العبرة والعظة والدرس، وهي قصص تاريخية حدثت فعلاً، وليست ملفقة أو مصممة للتأديب كما يقال، أما قضية التكرار فهي أشبه بتكرار الصباح بعد المساء، وتعاقب الفصول المختلفة، فأذواق الناس مختلفة وطباعهم متباينة يأخذ كل واحد منهم العبرة وفقاً لاهتمامه وميوله بالطول والاختصار...¹

وهذا ما يسمى المنهج العقلي المنطقي في مجال الرد على الشبهات والدفاع عن القرآن الكريم.

ويزعم (ويلش) و(بل) بأن فترة نزول القرآن في العهد المكي جاءت فيه القصص غير تاريخية؛ وذلك لأن محمداً لم يكن قد احتك باليهود بعد ليأخذ عنهم، أما القصص القصيرة في العهد المكي فقد جمعها محمد وشكل منها قصصاً طويلاً؛ بغرض صنع بداية لتاريخ فقهي أو ديني متميز للمسلمين...

أما منهج أبو ليلة في الرد على مثل هذه الشبهة، فقد استخدم المنهج النقلي، فالقرآن الكريم هنا هو الذي يدافع عن نفسه ويرد على هذه الشبه، فسورة يوسف مثلاً فيها أطول القصص وهي مكية إلا القليل من آياتها، وسورة مريم أيضاً مكية وفيها قصة العذراء... كلها أحداث تاريخية، أما بخصوص القصص القصيرة في العهد المكي، فقد قال الشيخ بأن هذا المستشرق قد أخطأ وأساء في نفس الوقت، فالقصص لم تكن من جمع محمد رسول الله، فهي مُنزلة من الله تعالى، وهذه شبهة قديمة.

¹ - القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، ص 297-300.

إن رسول الله قد تلقى هذه القصص من الله تعالى

على فترات، وهذا الأمر واضح في القرآن الكريم، وقد تميزت بالإمتاع والإشباع وإثارة العقل، وقد وردت مصفاة من العكر والقذر الذي علق بها من الكتب السماوية المحرفة، إن القرآن الكريم ليس كتابًا تاريخيًا، لكنه قد زودنا بمعلومات تاريخية صحيحة وصادقة.¹ هكذا رد الشيخ على هذه الشبه، وهذا ما يعرف بالمنهج العقلي المنطقي.

الباب السابع: الأشكال الأدبية والموضوعات الرئيسية.

بعد أن جاء أبو ليلى بمقدمة مطولة حول موضوع نظم القرآن الكريم الذي اعتبره خاصًا، ولا يشبه أي نظم آخر؛ وذلك لأنه كلام الله عز وجل وليس كلام بشر، عرض لشبهه (ويلش) الذي قال بأن طريقة ترتيب القرآن تجعل من الصعب علينا أن نضع أشكاله الأدبية في نظام محدد، أو نصنفه موضوعيًا من حيث المواد الأساسية التي يتضمنها، وأضاف أثناء حديثه رأي المستشرقين (بل)، و(وات) اللذان يقولان أن القرآن مادام ليس شعراً، فينبغي أن نبحث عن أشكال تعليمية وعظمية أكثر منها شعرية وفنية في القرآن.²

أما بخصوص منهج رد محمد أبو ليلة على هذه القضية، فقد ردها وفقاً لقواعد العقل والمنطق، وهذا ما يسمى بالمنهج العقلي المنطقي، فأبطل قول (ويلش) وغيره، فالقرآن الكريم أسلوبه الخاص ومنهجه خاص يميزه عن الكتب الأخرى، والذي يجعله معجزاً بحق، فهو لا يخضع لقاعدة الوحدة الفنية في الشكل الأدبي المعتاد للبشر؛ وهذا بسبب أن القرآن ليس تأليفاً إنسانياً حتى يخضع لهذا، وهذا رد منطقي، فلا يجوز مقارنة شيئين في الأصل ليس متشابهين، ولم يكتف أبو ليلة بهذا الرد إنما أثبت أنه يمكن تصنيف موضوعات القرآن تصنيفاً موضوعياً بسهولة، وهذا ما يعرف بالتفسير الموضوعي، وراح يأتي بنماذج لموضوعات قرآنية متماثلة، هذا رد لشبهة (ويلش)، أما ما قاله المستشرقان الآخرون فقد وافقهما الشيخ بأن القرآن قد نفى على رسول الله أن يكون شاعراً، لكنه يختلف معهما بأن طبيعة القرآن تعليمية، وليست أدبية ولا فنية بحتة، فقال بأن هذا التعميم في الحكم خطأ منهجي كبير، إذ أنه

¹ - ينظر: القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، ص 301-302.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 310.

يجرد القرآن من أعظم وجه من وجوه إعجازه وأجلاله، وهو الشكل الأدبي والتركيب الإبداعي العجيب، وهذا أمر مرفوض عقلاً واعتقاداً.¹

أما موضوع القسم فقد قال (ويلش) بأنه موجود في قصار السور التي نزلت في بداية الوحي، أو في مرحلة قريبة من هذا التوقيت، كما أن فيها غموضاً يصعب التوصل فيه إلى معرفة معانيها أو كشف غوامضها وأسرارها، فهي كسجع الكهان التي كانت تلهج به العرب.²

ونجد محمد أبو ليلة قبل أن يعرض للشبهة، استفتح بمقدمة مطولة في صفحتين ونصف، ثم طرح الشبهة، وابتدأ رده بافتراض منطقي، حيث افترض اعتبار معاصري رسول الله قد رأوا مشابهاً بين ما قاله وبين ما قد سمعوه من الكهان، فبدأ بالتساؤل: من هم هؤلاء؟ ما أسماؤهم ومؤهلاتهم؟ وماذا عما قاله غيرهم بأنه مخالف لسجع الكهان والشعراء؟ واستشهد الشيخ بالتاريخ الذي سجل لنا موقف الوليد بن المغيرة -هذا الشاهد الناقد-، وهو من فحول اللغة والبيان في زمانه، حيث قال: " فو الله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني...والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا..."، ولما أحس بغضب قومه عليه، قال بأنه سحر ولم يقل بأنه كاهن...³.

فالشيخ محمد أبو ليلة قد مزج بين منهجين دفاعيين: الأول المنهج العقلي المنطقي، وهذا قد تمثل في مجموعة التساؤلات المنطقية التي طرحها، بالإضافة إلى المنهج التاريخي، وهذا من خلال تسجيله لمواقف تاريخية للوليد بن المغيرة.

الفرع الثاني: منهج الدفاع عن القرآن الكريم من خلال كتاب (دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية أذاليل وأباطيل) لإبراهيم عوض.

أولاً: مقدمة الكتاب:

يقول إبراهيم عوض في مقدمة الكتاب أن المستشرقين قد أصدروا موسوعة كاملة عن الإسلام باللغة الإنجليزية والفرنسية والألمانية، اهتمت بالإسلام ديناً وتاريخياً وحضارياً وأدبياً...، تسمى (دائرة

¹ - ينظر: القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، ص 310-311.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 313-315.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 215-2016.

المعارف الإسلامية)، وتقع في أربعة مجلدات ضخمة، وبعد صدورها بفترة بدا لهم أن ينخلوها من بين موادها التي تغطي كل أوجه الحضارة الإسلامية المواد الخاصة بالدين وعلومه وأعلامه، ثم أصدروا ذلك في مجلد واحد بعنوان "shorter encyclopaedia of islam"، وفي هذا المجلد يجد القارئ خلاصة الفكر الاستشراقي فيما يخص ديننا ورجالنا.¹

ثانيا: منهج إبراهيم عوض في الدفاع عن القرآن الكريم من خلال الرد على الشبهات.

أولاً: القرآن الكريم:

تنوعت الشبهات التي عرض لها المستشرق (ويلش) حول القرآن الكريم، حيث ادعى أن الوحي الذي تلقاه رسول الله ليس هو الذي عندنا الآن؛ ذلك لأن الوحي قد أعيدت صياغته بحيث أخذ الشكل الحالي المسجوع، كما ادعى وجود أخطاء تعبيرية في القرآن مرجعها أن رسول الله هو أول من حاول التعبير عن الأفكار التي في القرآن، كما أن جزء من القرآن قد ضاع استنادا إلى قول غلاة الشيعة في ضياع سورتين...².

وحين نعود إلى بيان منهج إبراهيم عوض في الدفاع عن القرآن الكريم، نجد أنه قد نوع في أسلوب الرد على هذه الشبه الخطيرة التي بثها هذا المستشرق حول كتاب الله، فهو قد ارتكز كثيراً على المنطق والعقل في رده، كما أنه لم يغفل الجانب التاريخي لبعض الحوادث فأثبتها.

وقد كانت لشهادة الخصوم قيمتها الدفاعية الثقيلة في رد مثل هذه الشبه، مع استدلال بالقرآن الكريم والكتب المقدسة ما دامت بعض الشبهات قد طرحت حولها، وفيما يلي تعداد لأهم مناهج الدفاع التي سلكها الكاتب رحمه الله:

المنهج العقلي المنطقي: استخدمهما في الرد على شبهة كون الوحي قد أعيدت صياغته على الشكل الحالي المسجوع من قبل رسول الله، حيث قال إبراهيم عوض بأن هذا الكلام لا ينهض على أساس، ثم طرح الشيخ مجموعة من الأسئلة المنطقية حول الموضوع: أين الدليل؟ وما السبب الذي قاد إلى مثل هذا الكلام؟، أيعن ذلك المستشرق أن هذا الكلام يجوز في عقل أحد؟... كل هذه الأسئلة

¹ - ينظر: دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية، أضاليل وأباطيل، إبراهيم عوض، مكتبة البلد الأمين، ط1، 1419هـ/1998م، ص 05.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 7-19.

كافية لرد شبهة هذا المدعي.¹

المنهج التاريخي: حيث استدلل إبراهيم عوض بحادثة ارتداد عبد الله بن سعد بن أبي السر الذي ادعى أنه كان يغير فواصل الآيات حين كتابتها، فهذا الخبر يدل على أن القرآن قد نزل من السماء ذا فواصل منذ البداية، لا أنه كان مرسلاً ثم أعيدت صياغته في قالب من السجع، كما أننا لم نسجل تاريخياً أن كفار قريش قد سخرُوا أو اندهشوا من تغيير محمد للقرآن.²

المنهج النقلي: حيث استشهد بالقرآن، وهذا في دعواه في أن محمد قد بدل القرآن، جاء بآية تدل أنه ليس من مقدور رسول الله أن يبدل ما يوحى إليه.

أما الكتب السماوية الأخرى - الكتاب المقدس بعهدته القديم والجديد- فقد جاء بأمثلة منه أيضا تدل على تحريف ما فيهما فهو غير معقول ويخدش بالحياء...، كما يحمل أخطاءً تاريخية وعلمية كثيرة...، فمقارنة المستشرق (ويلش) إذا خاطئة، والوحي المحفوظ من التحريف هو القرآن الكريم فقط.³

الرد بأقوال المنصفين من القوم: حيث جاء بشهادة الكاتب النصراني (نصري سلهب) الذي دافع عن القرآن وأسلوبه، وعظمته، وهذا رد على شبهة أسلوب القرآن الرديء...⁴

هكذا رد الشيخ إبراهيم على هذه الشبه، فقد تنوعت المناهج الدفاعية التي استعملها ووفق في ذلك فجزاه الله خير الجزاء.

ثانياً: محمد ﷺ:

تعدد الشبهات التي طرحها (ويلش) في هذا الموضوع، وبالتالي سوف أختار أهم الشبهات التي تجلى فيها منهج الشيخ إبراهيم في الرد عليها، حيث أقر (ويلش) بأنه لا يثق في المصادر التي تعرضت لحياة رسول الله ﷺ، ثم يرجع هو بنفسه إلى هذه المصادر، ويعتمد عليها فيما يخص سيرة رسول الله.

¹ - دائرة المعارف الإسلامية الاستشرافية أضاليل وأباطيل، ص 7-8

² - المرجع نفسه، ص 8-9.

³ - المرجع نفسه، ص 8-10.

⁴ - المرجع نفسه، ص 12.

كما شكك أيضاً في عمره الشريف ﷺ عند نزول الوحي عليه، وادعى بأن محمد كان وثنيًا قبل البعثة، واستند في ذلك إلى بعض الآيات التي فهم منها ذلك.

وفرية قبول رسول الله لبعض الوقت ألوهية اللات والعزى وشفاعتهم - قصة الغرانيق-، كما أنه اتهمه ﷺ بالصرع أثناء تلقيه الوحي، وأخيراً اتهمه للمسلمين في المبالغة الشديدة في اتهام قريش باضطهاد المسلمين، والسخرية من غزوة بدر و الخندق...¹

أما منهج إبراهيم عوض في الدفاع عن رسول الله ﷺ، فقد تعددت وتنوعت بتنوع هذه الشبه، وفيما يلي أهم المناهج الدفاعية المتبعة:

المنهج العقلي المنطقي: وهذا في رد شبهته حول عدم وثوق (ويلش) في مصادر السيرة دون ذكر السبب، ثم الاعتماد عليها والإحالة إليها؛ أي أنه عاد فلحس دعواه دون أن يشعر بشيء من الخجل، وقد اعتمد على شعر حسان بن ثابت في تحديد المدة التي قضاها رسول الله في مكة، أليس شعر حسان من مصادر السيرة؟²

المنهج النقلي: وهذا في رده على شبهة كون رسول الله وثنيًا قبل البعثة، فقد درس إبراهيم عوض الآيات التي استشهد بها (ويلش) وبين معناها، وجاء بآيات أخرى تبين أن معنى الضلالة هنا ليس الشرك إنما شيء آخر.

أما قصة الغرانيق التي درس فيها الشيخ إبراهيم الآيات التي استدل بها (ويلش) وردّها كلها؛ لأنه حاول أن يقوم بلي أعناق الآيات وفقاً لفهمه وشبهته، كما استخدم الشيخ القرآن الكريم في بيان عالمية الرسالة المحمدية³

ومسلكه واضح في التحقيق للمرويات، مثلما فعل بالرواية التي استشهد بها (ويلش) عن ابن الكلبي تنص على تقديم رسول الله شاة عفراء للعزى، حيث قال الشيخ هذا الخبر غريب يتصادم مع ما نعرفه عن رسول الله، كما أن ابن الكلبي قد تفرد بروايته...، كما أشار الشيخ إبراهيم بأن روايات

¹ - دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية أضاليل وأباطيل، ص 21-60.

² - المرجع نفسه، ص 21-22.

³ - المرجع نفسه، ص 24-25 / 37-38 / 59-60.

قصة الغرائق من رواية الحشوية ودسائس الملاحدة¹.

الرد بأقوال المنصفين من القوم: وهذا عند اتهام رسول الله بالصرع، فقد استشهد الشيخ إبراهيم بالمستشرق (جيبون مؤرخ) الإنجليزي الشهير، و (وليم موير) ، وقد رفضا هذه الحالة على رسول الله ﷺ. وقد أطل فيه الشيخ كثيراً بتفصيله، والاستشهاد بكلام الأطباء والمتخصصين في هذا المرض، كما لا أنسى استشهاده ب(نولدكه) و(جولدتسيهر) و(توماس أرنولد) في إثبات عالمية الإسلام².

المنهج التاريخي: يتمثل في حكاية مقاطعة بني هاشم، ومحاصرتهم حتى يهلكوا جوعاً أو يُسلموا رسول الله، بالإضافة إلى حكاية أوضاع غزوة بدر و الخندق وما سادها من أجواء وبعض تفاصيلها³. هكذا رد الشيخ إبراهيم على هذه الشبه والافتراءات، من خلال مناهج دفاعية متنوعة ومختلفة، كل منهج يتناسب ونوع الشبهة المطروحة، ولا يمنع أن يجمع بين منهجين أو أكثر في شبهة واحدة، هذا ما تحدده الشبهة نفسها.

ثالثاً: العقيدة:

ومجموع الشبهات التي عرضها إبراهيم عوض في هذا الموضوع من طرح المستشرق (ماكدونالد)، حيث يقول هذا الأخير أنه ليس أكيد أن الجاهلين كانت عندهم فكرة عن الملائكة، أو أنهم كانوا يعبدونهم شركاء لله، كما أنه قال عن اسم الله السلام بأنه غامض، وبعد أن جاء بتفسيره من أحد المفسرين وهو السلامة من النقصان والعيب، قال بأن رسول الله ربما أخذه من إحدى الصلوات المسيحية، وأن وصف الله نفسه نور السماوات والأرض بأنها مأخوذة من مذبح الكنيسة في حالة إضائه...⁴.

هذه أبرز الشبهات التي طرحت في هذا الموضوع، أما منهج الشيخ إبراهيم في الرد على محتوى هذه الشبه فسأختصره في مناهج أهمها:

المنهج النقلي: وهذا في رد إبراهيم عوض على معرفة كفار قريش للملائكة، حيث طلبوا من

رسول الله أن ينزل مع القرآن ملائكة تعضد دعواه، فاستشهد بستة آيات قرآنية في الموضوع.

¹ - دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية أضاليل وأباطيل، ص 25 / 38.

² - المرجع نفسه ، ص 28-29 / 60.

³ - المرجع نفسه، ص 35-36 / 46-53.

⁴ - دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية أضاليل وأباطيل، ص 83-86..

واستخدام الشعر للتدليل على أن العرب كانوا يعرفون مصطلح الملائكة من قبل¹

ويمكن أن أدرج هنا الاستشهاد بالكتب السماوية السابقة، وهذا في مقارنته بين النص القرآني وما جاء في (إنجيل يوحنا) حول (نور السماوات والأرض)، وأثبت الشيخ فيها أن ما جاء في الإنجيل مكون من كلمتين فقط (نور العلم) وهو المسيح، أما ما جاء في القرآن فهي صورة مركبة فيها خصوصية تسوغ الادعاء باستيحائها، والمقصود منها الله سبحانه وتعالى.²

المنهج العقلي المنطقي: فبجانب استدلال الشيخ بالقرآن، إلا أنه استخدم المنطق أيضا للرد على هذه الشبه، فقال بأنه من غير المعقول أن يستخدم القرآن ما لا يعرفه القوم وما لا يفهمونه، وافترض جدلاً أنه استعمل ما لا يفهمونه، أكانوا سيسكتون عن ذلك؟.

فهذا تناقض منهجي غير مفهوم ولا مقبول.، كما رد بالمنطق عن أخذ اسم (السلام) من الصلوات المسيحية، فتساءل الشيخ أين الدليل، أين ومتى دخل رسول الله الكنيسة؟...فبهذه الطريقة أي إنسان يستطيع أن يقول ما يشاء.³

هكذا رد الشيخ على هذه الشبه وأزال الريبة التي كانت تبثها.

رابعا: الأمور الفقهية:

أهم الشبهات التي طرحها الشيخ في هذا الموضوع هي استعانة الفقه الإسلامي بالقانون الروماني، وتأثره الواسع به، حتى في المصطلح (فقه)، وهذا أثناء غزواتهم، والأخذ من حضارتهم الراقية...⁴

أما رد إبراهيم عوض على هذه الشبه فقد كان كالتالي:

المنهج التاريخي: حيث ابتداء الشيخ رده بطرح مجموعة من التساؤلات، تحمل في طياتها أسئلة تقريرية على الواقع الحضاري الذي كان يعيش فيه المسلمون من فُتُحات وانتصارات، وجيوش منظمة

¹ - دائرة المعارف الاستشرافية أضاليل وأباطيل، ص 83-85.

² - المرجع نفسه، ص 87-88.

³ - المرجع نفسه، ص 83-85.

⁴ - المرجع نفسه، ص 99.

وحروب قوية، فهل يمكن بعد ذلك وصف الأمة بالتخلف؟...¹.

وراح يسرد بعض الحوادث التاريخية في الموضوع.

المنهج العقلي المنطقي: وهذا في كشف تناقض الموسوعة التي قررت في مادة: (قياس) و(أصول) بأن مصادر الشريعة الإسلامية أربعة، وهذه نفسها المذكورة في كتب الفقه عندنا مع بعض المصادر، فكيف للموسوعة أن تقر شيء في موضوع وتنفيه في آخر؟².

وهذا تساؤل منطقي يكفي لرد الشبهة.

المنهج النقلي: وهذا في التأكيد على أن أصل كلمة (فقه) عربي، استشهد الشيخ إبراهيم بآية قرآنية واحدة قال بأنها تكفي لإثبات عربية اللفظ، بالإضافة إلى مجموعة من الأحاديث في هذا الموضوع.³

الرد بأقوال المنصفين من القوم: حيث جاء الشيخ بشهادة المستشرق: (زايس) و(نلينو) و(ميو)، حيث نفى هؤلاء تأثير الفقه بالقانون الروماني...⁴. هكذا لن يبقى في الذهن أي شبهة في استمداد الفقه الإسلامي من أي قانون إنساني، فمصدره سماوي بحت.

خامساً: التاريخ:

يقول المستشرق (بوهل) أن رسول الله ﷺ قد أخذ أفكاراً من (ورقة بن نوفل)، وأن (ورقة) اعترف بأن الذي أنزل على محمد هو الناموس الذي أنزل على موسى، وأخبره بأن عيسى قد بشر به وطمأنه أن النصر سيكون حليفه في النهاية، رغم الصعاب التي سيلقاها من قومه..، إلا أنه لم يؤمن به لأنه مفكر ديني مستقل، ومن الصعب أن يتابع رجلاً متحمساً أصغر منه سنناً وأقل ثقافة.⁵

هذا كان فحوى الشبهة التي طرحها (بوهل)، أما منهج الشيخ إبراهيم في الدفاع عن تاريخ نزول القرآن على رسول الله فألخصه فيما يلي:

¹ - المرجع نفسه، ص 99.

² - دائرة المعارف الاستشرافية أضاليل وأباطيل، ص 101.

³ - المرجع نفسه، ص 102.

⁴ - المرجع نفسه، ص 104.

⁵ - المرجع نفسه، ص 139.

المنهج العقلي المنطقي: وهذا في نفي المستشرق لإسلام ورقة بن نوفل، وهو الذي أقر بنفسه بأنه قد اعترف بأن الذي أنزل على محمد هو نفسه الناموس الذي أنزل على موسى...، كما أنه طمأنه بأنه سينتصر بعد عدة صعوبات.

فهذا ينقض كلامه ويجعله غير منطقي تماما.

كما استخدم المنطق في الرد على قول المستشرق بتأثر رسول الله بورقة بن نوفل، فقال بأن كلامه بجمل دون دليل لا يأبه له، ثم تساءل عن أي تأثير لورقة النصراني على رسول الله؟ فما جاء به رسول الله مناقض لما جاء في النصرانية من تثليث وتألوه لعيسى عليه السلام، وفي عقيدة الصلب... كما أن إيمان ورقة بعدها ينفي أيضاً هذا التأثير...

المنهج النقلي: وهذا بإيراد حديث لرسول الله ﷺ في بيان إسلام القس وأنه رآه في الجنة، كما قال بأن هناك أحاديث أخرى تدور في هذا المعنى، في مقابل حديث واحد يقول بأنه مات على نصرانيته، لكنه تعقبه بأنها تناقض اعترافه بنبوة الرسول، دون أن أنسى تناقض الأحاديث التي تشهد بإسلامه ودخوله الجنة.

وفي موضوع رفض المستشرق للروايات التي نقلت لنا كفالة رسول الله ل: علي ﷺ، وعدم زواجه على خديجة بسبب الفرق الاجتماعي بينهما، رد الشيخ هذه الشبه بمنهجين متداخلين: المنهج العقلي المنطقي ممزوجاً بالمنهج التاريخي فكان الرد متكاملًا داحضًا للشبهتين من أصلهما.

حيث رد على شبهة كفالة رسول الله لابن عمه علي، بارتباط علي بابن عمه - رسول الله ﷺ - منذ صغره، كما كان ملازماً له طول الوقت، وقد عاش معه ومع خديجة في سعة من العيش، كما أغدقاه بالحنان والكرم كما كان معروفاً على بيت رسول الله، فلا غرابة في هذا، وهو الذي اتخذه أخاً له عند مآخاة المهاجرين والأنصار، وزوجه بفاطمة دون غيره من أصحابه.

ليختم إبراهيم عوض هذا بتساؤل حول سبب عدم تقبل المستشرق لهذه الروايات، وما المستعصي فيها كي لا يقبلها؟ أم أنه لا يريد أن يسلم لرسول الله بهذه المكرمة، التي لم تكن من نصيبه

وحده، بل هي مكرمة لعمه العباس أيضا الذي تكفل بأخ علي وهو جعفر.¹

أما الرد على عدم زواج رسول الله على خديجة بسبب وضعها الاجتماعي المتفوق، فقد قال الشيخ بأنها من التفسيرات الخاطئة، فهي من عرضت نفسها على رسول الله، وهي التي رفضت قبل ذلك أزواجًا ذوي مال ومكانة، وتساءل الشيخ إبراهيم عن وجود أي أثر في حياتها عن هذا الاعتبار الذي يدعيه هذا؟ فهذا الإحساس لم يرد على رسول الله، وهو الذي ينتسب ل: آل هاشم، وما قاله عمه بحقه عندما خطب له عائشة خير دليل، ثم كيف يفسر زواجه بعد ذلك ب: عائشة، أليست ذا نسب؟ ولماذا يفضل خديجة على عائشة الشابة الجميلة ابنة الصديق؟ لقد أعطته خديجة الذرية والحب والرعاية...، كما أنه لم تكن هناك بواعث سياسية لزواجه مثلما كانت في المدينة...²

سادسا: المسائل اللغوية:

بعد أن جاء الشيخ بمقدمة حول إصرار كُتّاب الموسوعة إرجاع الكثير من الكلمات العربية إلى أحد اللغات السامية، قرر الشيخ إبراهيم بأن أصلها عربي لا محال، ولو وُجد بينها تشابه، فاللغة العربية أيضا من اللغات السامية، ومن الطبيعي أن نجد بينها تشابه.

ليبدأ في إيراد الشبه التي كانت من طرح المستشرق (رودي باريت)، حيث يقول بأن كلمة (أمة) بمعنى (شعب) ليست عربية، وهي مستعارة إما من العبرية أو من الآرامية، وهي (بمعنى فترة من الزمن).³ ليرد الشيخ على هذه الشبهة سالكا جملة من المناهج:

المنهج العقلي المنطقي: حيث يقول الشيخ بأن هذا التحكيم غريب سخيف، فهو مجرد كلام، والعربية من اللغات السامية، فلماذا لا تكون عربية استعيرت من قبل هاته اللغات؟، فاللسان العربي قديم، ويزيد عن الألسنة الأخرى بأنه لا يزال حيًا، ولم يتوقف استعماله منذ بدايته حتى الآن، فهو أكثر صلاحية وأحفل بأسباب النمو والتطور والبقاء...

¹ - دائرة المعارف الاستشرافية أضاليل وأباطيل، ص 141-412.

² - المرجع نفسه، ص 144-145.

³ - المرجع نفسه، ص 187-188.

المنهج النقلي: حيث استشهد بآيات قرآنية في البيان بأن كلمة (أمة) موجود في لغتنا ومعانٍ متنوعة، وليس بمعنى (فترة من الزمن)، فهي بمعنى: الإمام، وقت معين، فئة من الناس، الطريقة...، كل هذا مرفق بآية قرآنية.¹

ليكمل الشيخ في إيراد الكلمات التي ينفي هؤلاء عربيتها، ويرد عليهم من القرآن أو من الشعر ليثبت عربيتها.

هكذا كان عرض الشيخ إبراهيم عوض لأهم الشبهات التي وردت في دائرة المعارف الإسلامية.

¹ - دائرة المعارف الاستشرافية أضاليل وأباطيل، ص 188-189.

خلاصة الفصل:

يمكن أن أعتبر المقارنة بين الكتب الثلاثة: -قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية لفضل حسن عباس، والقرآن الكريم من المنظور الاستشراقي لمحمد محمد أبو ليلة، ودائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية أذليل وأباطيل لإبراهيم عوض - بمثابة خاتمة لهذا الفصل.

بعد أن تناولت منهج الدفاع عن القرآن الكريم من خلال الكتب الثلاثة السابقة الذكر، وصلت إلى المرحلة الأخيرة التي كانت سببا لإجراء هذه المقارنة، وهي تقييم منهج الشيخ فضل في الدفاع عن القرآن الكريم، ولقد وجدت أن مقارنة عمله هذا بدراسات مشابهة هي السبيل الأنجع لتقييم صنيعه في هذا الكتاب.

ومن أهم الموازين التي بنيت المقارنة عليها هي كيفية طرح الشبهات والرد عليها من حيث: التقديم، وأسلوب العرض، والخاتمة، درجة الاعتماد على القرآن والسنة، أهم مناهج الدفاع التي تطرق لها هؤلاء.

كيفية طرح الشبهات وردّها:

تفوق الشيخ فضل على الشيخين: إبراهيم عوض و محمد أبو ليلة، بمجموعة من المميزات، أهمها أنه ذكر نص الشبهات في بداية كتابه أولا، ثم أعاد ذكر كل جزء منها في بداية كل فصل، بخط واضح بين مفضولا عن الرد، أما الشيخين فلم يذكر نص الشبهات التي سوف يردان عليها، لا في أول الكتاب، ولا في أول الفصول، إنما يستهلان الفصول في الغالب بالشبهة ثم يتلوها الرد، ثم شبهة جديدة وردّها، دون فصل ولو حتى في الفقرات، بل يكملان في نفس السطر، وهذا ما يفقد القارئ التركيز، فيكون يقرأ في رد الشبهة الأولى، حتى يجد نفسه في شبهة أخرى دون أي تنبيه أو علامة أو ختام.

كما أن الشيخ فضل في أغلب الشبهات يستهلها بمقدمة، حين تدعو الحاجة إلى ذلك، فتعد تلك المقدمة جزء من الرد؛ لأنها توضح مسائل مهمة في نص الشبهة، أما الشيخان فيبدأن في الشبهة مباشرة إلا في القليل من المواضع.

منهج الدفاع عن القرآن الكريم وعلومه:

أما بخصوص منهج الرد على الشبهات، فقد كان هناك تشابه في أهم المناهج الدفاعية المستعملة، والتي لم تخرج عن:

- 1) المنهج النقلي الذي يعتمد في الأغلب على القرآن الكريم أو السنة النبوية.
- 2) المنهج العقلي المنطقي.
- 3) المنهج التاريخي.
- 4) منهج الرد بأقوال المنصفين من القوم.

لكن لكل من العلماء الثلاثة أسلوب خاص في الرد، وفي استعمل هذه المناهج الدفاعية، ولقد كان الشيخ فضل ذا منهج قوي في الدفاع عن القرآن الكريم، فقد ركز على القرآن الكريم والسنة النبوية في الرد على الشبهات التي تستلزم ذلك، فما كان من القرآن الكريم رد به، وما كان من تحريف لمعنى الآيات بينه، وجاء بأقوال العلماء والمفسرين فيها، وما كان في السنة والأحاديث والروايات يقوم بالاستشهاد بها إذا احتاج لذلك، وما كان فيه توظيف لروايات ضعيفة أو واهية درسها متنا وسندا وبين درجتها، وقد تفوق الشيخ في نقطة مهمة وهي أنه بعد أن يرد بالقرآن أو السنة، يفترض صحة الخبر أو الرواية، ويقوم بردها مرة أخرى باستعمال المنطق والعقل، وهذا ما جعل الشيخ يتفوق في منهج رده، وربما يعود السبب في انتهاجه لهذا المنهج، أنه كان يأمل أن يترجم كتابه للغة الموسوعة، فيقرأها غير المسلمين الذين لا يؤمنون بالقرآن والسنة، لكنهم يعترفون بالمنطق والعقل فيقتنعون بالرد وبضعف الشبهة وهذا هو مراد الشيخ.

كما تميز الشيخ فضل عباس باهتمامه بالحديث الشريف وبدراسة الروايات متنا وسندا، على خلاف الشيخين الذين لم يوليا الحديث والروايات الأهمية التي يجب أن تحظى بها، كما أن الشيخ في استشهاده بأقوال العلماء يختار ما يكون فيه رد مباشر وواضح لنص الشبهة، فيذكره ولو كان طويلا؛ وهذا نظرا لأهميته، وقبل أن يورد الأقوال يمهّد لذلك ويعقب عليه، على عكس الشيخ أبو ليلة الذي يسرد أقوال العلماء الواحد تلو الآخر دون تقديم، أو تعقيب، وأحيانا تتعدد الأقوال التي تحمل في أغلبها نفس المحتوى، وهذا ربما خلل منهجي علمي في نظري والله أعلم.

فمنهج الشيخ علمي رصينٌ متنوعٌ، قويٌّ فريدٌ من نوعه؛ وهذا يرجع إلى موسوعية الشيخ وعلمه الواسع الذي شمل عدة مجالات، وعدة علوم جعل من رده هذا مرجع أغلب من يريد دراسة الموسوعة البريطانية في موضوع القرآن الكريم.

الباب الثاني:

منهج فضل حسن عباس في الرفع عن القرآن
الكريم من خلال الرو على شبهات بعض
المنتسبين للإسلام.

الفصل الأول:

منهج فضل حسن عباس في الدفاع عن القرآن
الكريم من خلال الرو على شبهات الحراثيين.

المبحث الأول:

الحراثة في العالم العربي الإسلامي.

المبحث الثاني:

منهج فضل حسن عباس في الرو على شبهات الحراثيين.

ظهر في العالم العربي الإسلامي طائفة من بني جلدتنا ينتسبون إلى الإسلام، والإسلام بريء منهم، يقدحون في قدسيته، ويدعون نصرته لدينهم وقرآنهم وهم في ذلك كاذبون، إنهم الحداثيون الذين يسعون إلى إعادة قراءة النص الديني بمناهج وأدوات غريبة.

لكن علماءنا الفحول تصدوا لهؤلاء القوم وردوا على افتراءاتهم وشبههم، والشيخ فضل أحد هؤلاء الفطاحلة، حيث إنه سعى في مؤلفاته إلى التعريف بهؤلاء وبأهم الأفكار التي يدعون لها، ورد على أهم الشبهات المطروحة في التفسير وعلوم القرآن من قبلهم، وفيما يلي بيان لأهم المناهج الدفاعية التي استعملها الشيخ في الرد على شبهات الحداثيين.

المبحث الأول: الحداثة في العالم العربي الإسلامي.

يُعد التيار الحداثي من أنشط التيارات الحديثة المعاصرة التي شاركت في الثورة الفكرية والعلمية في العالم عمومًا، وفي الوطن العربي على وجه الخصوص، وهذا بسبب الأفكار والآراء الشاذة التي تبنتها تجاه التراث العربي والإسلامي خاصة، فهي تريد أن تحدث ثورةً فكريةً، وانقلاباً جذرياً حول التراث العربي الموروث، فراحت تُؤلف وتُنظر وتُطلق أحكاماً ارتجالية، وسندها في هذا كله الاستشراق.

فأغلب الحداثيين العرب تلامذة للمستشرقين، تربوا في مدارسهم ورضعوا من حضارتهم، فأصبحوا نسخة طبق الأصل عنهم يجتزون آراءهم.

وفيما يلي سأحاول أن أتطرق إلى موضوع الحداثة بنوع من الاختصار، حيث سأقوم بتقديم تعريفٍ لهؤلاء الحداثيين، نشأتهم وعلاقتهم بالغرب، مع أهم الأصول التي تقوم عليها أفكارهم، وأختم بموقفهم من النص الديني مع نقده.

المطلب الأول: تعريف الحداثة (لغة، اصطلاحاً، في العالم الغربي، في العالم العربي).

الفرع الأول: تعريف الحداثة لغة واصطلاحاً.

تعددت التعاريف اللغوية لمصطلح حداثة في المعاجم، حيث إن (حدث) هو الفعل المشتق منه، وأغلب هذه التعاريف تدور حول الجديد وهو ضد القديم.

يقول الزبيدي: "حدث الشيء يحدث حدثاً، بالضم، وحداثة بالفتح: نقيض قدم".¹

أما الجوهري فيقول: "الحديث: نقيض القديم،... والحدوث: كون شيء لم يكن، وحدث أمر أي وقع... واستحدثت خبراً، أي وجدت خبراً جديداً".²

أما صاحب مقاييس اللغة فيقول: "الحاء والذال والثاء أصل واحد، وهو كون الشيء لم يكن".³

وعند الرجوع إلى القرآن الكريم لا نجد مصطلح الحداثة قد ذكر بهذا المصدر أو قريباً منه، بل استعمل بصيغ صرفية مغايرة، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ أَهْدِيَٰكَ لِأُمَمٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ -الكهف: 70-، وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّ اللَّهُ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أُمَمًا﴾ -الطلاق: 01-... وكلها جاءت بالمعنى اللغوي للكلمة.

أما في السنة النبوية المطهرة فقد ورد اللفظ في مواضع قليلة من بينها: حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: قال لي رسول الله ﷺ (لولا حداثة قومك بالكفر لنقضت البيت، ثم لبنيته على أساس إبراهيم عليه السلام، فإن قريشاً استقصرت بناءه وجعلت له خلفاً).⁴

وقال النبي ﷺ: (أيما شاب تزوج في حداثة سنه عج شيطانه: يا ويلة يا ويلة عصم مني دينه).⁵

¹ - تاج العروس، الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، 5/ 205.

² - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط4، 1407هـ/ 1987م، 1/ 278.

³ - معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ/ 1979م، 2/ 36.

⁴ - صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنائها، ح 1585، 2/ 146.

⁵ - مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثني الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق، ط1، 1404هـ/ 1984م، تابع مسند جابر، ح 2041، 4/ 37.

فلفظ الحادثة في هذه الأحاديث كان بالمعنى اللغوي لا غير، ولم يستعمل بالمعنى الذي سنذكره
آخراً.

يشتكى الباحث صعوبة في تعيينه لمفهوم الحادثة في جانبه الاصطلاحي، ورغم الكم الهائل من
الكتابات حول الموضوع، إلا أن كل واحد منهم يتناول الموضوع دون إعطاء تعريفٍ شافٍ كافٍ
للموضوع، ولعل السبب في ذلك أن كل واحد منهم يضع مفهومًا خاصاً به يخدم أفكاره وتوجهاته،
بعيدا عن الموضوعية العلمية.

لهذا يمكن القول بأن الحادثة من المفاهيم التي جرى حولها جدل ولغط كبير، فإذا كانت الحادثة لا
تخرج عن المعنى اللغوي العام لها، فإنها حملت إيجاءات ومعانٍ ومضامين جديدة، وبالتالي من المتعذر أن
تخرج بتعريف جامع متفق عليه، أو بإيضاح يتقبله كل الأفرقاء... حيث تتضارب دلالات الحادثة عندهم.¹

الفرع الثاني: الحادثة في العالم الغربي.

تحدث عدنان علي رضا النحوي عن مفهوم الحادثة عند الغرب في ميدان الأدب، وأورد عدة
تعريف حيث نقل عن (جوس أورتيكا كاسيت) قوله: "إن الحادثة هدم تقدمي لكل القيم الإنسانية
التي كانت سائدة في الأدب الرومنسي والطبيعي، وإنها لا تعيد صياغة الشكل فقط بل تأخذ الفن إلى
ظلمات الفوضى واليأس"².

وهذا التعريف غير صريح ولا واضح من صاحبه، إلا أنه يكفينا في بيان شر هذا التيار في إلقاء
القيم الإنسانية في الظلمات، فهو يذكر أهداف الحادثة وآثارها السلبية لا حد وتعريف الحادثة.

أما (رولان بارت) فيعرف الحادثة على أنها انفجار معرفي لم يتوصل الإنسان المعاصر إلى السيطرة
عليه.³

ويعرف (آلان تورين) الحادثة من وجهة نظر سوسولوجية شاملة لمختلف جوانب الحياة الفلسفية

¹ -الحادثة... (لغة واصطلاحاً ونشأة وضامين)، دهان حسن، 16 كانون الثاني 2009م، زمان الوصل www.zamanalwsl.net

² - تقويم نظرية الحادثة وموقف الأدب الإسلامي منها، عدنان علي رضا النحوي، دار النحوي للنشر والتوزيع، ط2، 1414هـ/1994م، ص
39-38.

³ - تقويم نظرية الحادثة، ص 39.

والاقتصادية والاجتماعية.... حيث يقول بأن الحداثة هي الصلة الوثيقة التي تجمع بين الإنتاج البشري الذي أصبح أكثر فعالية بفضل العلم، وبين تنظيم المجتمع الذي نظمته القانون والحياة الشخصية، وبين الرغبة في التحرر من كل الضغوط، وهذا كله لا يقوم إلا بانتصار العقل¹.

فهذه بعض تعاريف الغربيين لمفهوم الحداثة، إذ يتضح للقارئ الاختلاف الشاسع بينها، فهم لم يقدموا تعريفًا كاملاً للموضوع، إنما اتفق أغلبهم في وجوب هدم كل الثوابت المتعلقة بالتراث العربي عموماً والإسلامي خصوصاً، وفتح الباب على مصرعيه للعقل ولكل جديد.

وأجد في كلام طه عبد الرحمن خير ما أختتم به كلامي فيما يخص تعريف المصطلح، حيث قال بأنها عُرِفَت بعدة اعتبارات، قائلاً: " لا يخفى أن التعاريف التي وضعت لمفهوم الحداثة تعددت وتنوعت؛ فقد عرفها بعضهم بكونها حقبة تاريخية متواصلة ابتدأت في أقطار الغرب... وعرفها بعضهم بصفات طبعت بقوة عطاء هذه الحقبة... بل نجد منهم من يقصرها على صفة واحدة، فيقول إنها: قطع الصلة بالتراث، أو أنها: طلب الجديد، أو أنها: محو القدسية من العلم، أو أنها: العقلنة، أو إنها: الديمقراطية، أو إنها: حقوق الإنسان، أو قطع الصلة بالدين، أو إنها العلمانية"².

يعد الحداثيون من بين أئجب طلاب الفكر الغربي التنويري؛ ذلك لأنهم قد اتبعوهم في الانقلاب الذي أحدثوه ضد السلطة الدينية في بلادهم، ولأنهم طبقوا مناهج فكرية غربية بعيدة كل البعد عن البيئة الإسلامية، فهؤلاء قد قلدوا الغرب في كل أفكارهم وفي كل خطوة خطوها، حتى في التعاريف الاصطلاحية للألفاظ، ولم يراعوا خصوصية اللغة العربية ومميزاتها، وخير دليل على ذلك تعريفهم لمصطلح الحداثة، فهم لم يكتفوا بتطبيق مبادئها وخصائصها فقط، فحتى التعريف قد استلوه من المفهوم الغربي.

الفرع الثالث: الحداثة في عالمنا العربي.

ها هو (أدونيس) يتأثر في تعريفه للحداثة بالمفهوم الغربي، ويجعله عبارة عن صراع لكل ما هو قديم وأصيل في الثقافة العربية، واستبدالها بنمط حياة جديدة حيث يقول: " هو الصراع القائم بين النظام القائم على السلفية، والرغبة العاملة لتغيير هذا النظام، وقد تأسس هذا الصراع في أثناء العهدين الأموي والعباسي

¹ - نقد الحداثة، ألان تورين، ترجمة: أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، 1997م، ص 19.

² - ينظر: روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة العربية الإسلامية، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط1، 2006م، ص 23.

حيث نرى تيارين للحدثة: الأول سياسي فكري، ويتمثل من جهة في الحركات الثورية ضد النظام القائم...، أما التيار الثاني ففني، وهو يهدف إلى الارتباط بالحياة اليومية كما عند أبي نواس...¹.

وفي موضع آخر من كتابه هذا يعطي لنا مفهومًا أدق عن سابقه حول الحدثة، ويحدد لنا أهم المبادئ التي تقوم عليها حيث يقول بأن الحدثة قول ما لم يعرفه موروثنا، أو هي قول المجهول من جهة، وقبول بلا نهائية المعرفة من جهة ثانية، وقد حدد لها أهم مبادئها وأجزائها في ثلاثة وهي: مبدأ الحرية الإبداعية، دون أي قيد، مبدأ لانهاية المعرفة ولا نهائية الكشف، مبدأ التغير والاختلاف والتعدد.²

أما جابر عصفور فيعرف الحدثة بأنها البحث المستمر للتعرف على أسرار الكون من خلال التعمق في اكتشاف الطبيعة والسيطرة عليها وتطوير المعرفة بها، ومن ثم الارتقاء الدائم بموضع الإنسان من الأرض. أما سياسيًا واجتماعيًا فالحدثة تعني الصياغة المتجددة للمبادئ والأنظمة التي تنتقل بعلاقات المجتمع من مستوى الضرورة إلى الحرية، من الاستغلال إلى العدالة، ومن التبعية إلى الاستقلال... "تعني الحدثة الإبداع الذي هو نقيض الاتباع، والعقل الذي هو نقيض النقل".³

يقول محمد أركون⁴: "إن الحدثة تعريفًا هي عبارة عن استراتيجية شمولية يتبعها العقل من أجل السيطرة على كل مجالات الوجود والمعرفة والممارسة عن طريق إخضاعها لمعايير الصلاحية أو عدم الصلاحية".⁵

في حين يقرر كمال أبو ديب بأن الحدثة هي الانقطاع الكلي عن الماضي وما يتعلق به بما فيه التراث، واستبداله بمصادر معرفية جديدة.⁶

¹ - الثابت والمتحول بحث في الاتباع والابتداع عند العرب - صدمة الحدثة، دار العودة، بيروت، ط1، 1978م، 3/9-10.

² - الثابت والمتحول بحث في الإبداع والاتباع عند العرب، أدونيس، دار الساقي، ط7، 1994م، 19/1-20.

³ - محمد أركون: مفكر ومؤرخ جزائري وفيلسوف حدائي، ولد في 1928م بتيزي وزو وعاش بفرنسا، آمن بما وراء الحدثة لكنه شعر بالأس والإحباط من نظرة الأروبيين إليه كمسلم تقليدي، كان ينتقد العقل الإسلامي بلسان فرنسي وبعقل استشراقي غربي، من مؤلفاته "الفكر العربي"، "الإسلام بين الامس والغد"، "الإسلام والأخلاق والسياسة"... توفي سنة 2010م عن عمر ناهز الثمانين سنة ودفن بالمغرب. ينظر: <https://ar.m.wikipedia.org>، تاريخ الاطلاع: 02-06-2023.

⁴ - اربان في مفهوم الحدثة وما بعد الحدثة، على وطفة، مجلة الفكر ونقد، عدد43، ص 95.

⁵ - أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟، محمد أركون، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، دار الساقي بيروت لبنان، ط2، 1995م، ص 181.

⁶ - الحدثة، السلطة، النص، كمال أبو ديب، مجلة فصول الحدثة العربية والأدب، المجلد 4، العدد3، 1984هـ، ص 37.

والحادثة بهذا المفهوم تعلن حربًا ضروسًا ضد أي شيء قديم يتعلق بالماضي، خاصة التراث، ويمكن القول بأنها تدعوا إلى اللادينية صراحة، وهي بهذا القول لا تختلف عن الحادثة الغربية.

ولعل التعريف الذي يظهر شاملاً لمختلف خصائص الحادثة ومنطلقاتها وآلياتها: "الحادثة هي محاولة صياغة نموذج للفكر والحياة يتجاوز الموروث ويتحرر من قيوده (ثوابته)؛ ليحقق تقدم الإنسان ورفقه بعقله، ومناهجه العصرية الغربية لتطويع الكون لإرادته، واستخراج مقدراته لخدمته"¹.

بعد أن تعرفنا على مفهوم الحادثة في إطاره اللغوي، وعند رجالها في العالم الغربي، وفي علمنا العربي يمكن أن أسجيل مجموعة من الملحوظات حول هاته التعاريف المتعددة، والتي أستشفها من نصوص التعاريف السابقة المتباينة والتي توحى أنها لا تتحدث عن نفس المصطلح إلا أنها تكاد تتفق على نقاط بحملها فيما يلي:

1. تكاد تتفق في الانقطاع عن الماضي، وبصفة خاصة التراث العربي والإسلامي.
2. تبني اللادينية، فلا دين يحكمهم، ولا قيم ومبادئ توجههم وهذا ما يؤدي إلى الفوضى واتباع الشهوات.
3. الصراع بين القديم بكل محتوياته والجديد بكل ما يدعو له، واعتبار ذلك في تغير وتحول دائم، فما هو جديد اليوم يمكن أن يصبح غداً قديماً وهكذا-الفوضوية-.

المطلب الثاني: نشأة الحادثة العربية وعلاقتها بالحادثة في الغرب.

إن الحادثة في أصلها ونشأتها مذهب فكري غربي ولد ونشأ في الغرب، ثم انتقل إلى بلاد المسلمين، صورة طبق الأصل لما حصل في الغرب، حيث ظهر في الغرب في القرن السادس عشر- حسب بعضهم-، وقد كانت إفرازًا طبيعيًا من إفرازات الفكر الغربي، والمدنية الغربية التي قطعت صلتها بالدين، حيث انفصلت المجتمعات الأوروبية عن الكنيسة، وثار على سلطتها الروحية التي كانت تحارب أي دعوة إلى العلم واستعمال العقل، وحينها انطلق المجتمع من عقاله بدون ضابط، أو مرجعية دينية،

¹ - الحادثة وموقفها من السنة النبوية، الحارث فخري عيسى عبد الله، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1434هـ/2013م، ص 33.

وبدأ يحاول أن يبني ثقافته من منطلق علمي بحت، فظهرت عدة مذاهب أدبية وفكرية.¹

أما بالنسبة لتأريخ الحداثة العربية المعاصرة فقد كانت مصاحبة للاحتلال الفرنسي النابليوني لمصر في القرن التاسع عشر الذي يمثل المرحلة الأولى لبداية الحداثة العربية.²

يقول محمد أركون: "الشيء الوحيد الذي نجم في الساحة الثقافية العربية الإسلامية، منذ القرن التاسع عشر، هو ظهور المثقفين النقديين الذين درسوا في الغرب، وقد كانت هناك عدة مراحل، فهناك أولاً مرحلة المثقفين الليبراليين التي امتدت من عام 1820 إلى عام 1952م. ثم مرحلة المثقفين الثوريين العرب التي امتدت من عام 1952 إلى عام 1970م..."³

في حين نجد محمد شكري يقول بأن بدايتها كانت في القرن العشرين مع الحرب العالمية الثانية، حيث مهدت لظهور جاليات أجنبية كثيرة العدد، عظيمة الثراء في مصر، وقد كان من بينهم الكثير من اليهود، فحاولوا القيام بعمل ثقافي إعلامي يضم شملهم، ويقرب أفكارهم، فجذبوا فئة صغيرة من المثقفين المصريين لاسيما طلبة الجامعات والفنانين... فتشكلت جمعية الفن والحرية...⁴

أما دُعائها في العالم العربي: فحدث ولا حرج، فكاهنهم الأول يبدو أنه (أدونيس) -علي أحمد سعيد- وزوجته خالدة سعيد، والشيوخ عبد الله العروي، والدكتور كمال أبو ديب، و محمد عفيفي مطر، و محمود درويش، و نزار قباني وغيرهم.⁵

وما ميز المرحلة الأولى للحداثة أنها أخذت صورة التنوير من نظيرتها الغربية، فقد سعت إلى نبذ الدين، والتشكيك في مصادره، وهز قناعات الناس به، وجعل الدين في مرتبة الإنتاج العقلي البشري، يناقش ويعترض على مناهج النظر والاستدلال والبحث الغربية... واستمرت حداثة نحوية، ثم انتقلت إلى الشعوب منذ بدايات القرن العشرين وأواخر القرن التاسع عشر، ولكن بصورة التحرر خاصة في جانب تحرر المرأة، وبلغت الحداثة ذروتها بصورتها الماركسية الراضية للدين بعد انتهاء الحرب العالمية

¹ - ينظر: الحداثة في ميزان الإسلام نظرات إسلامية في أدب الحداثة، عوض بن محمد القرني، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1408هـ/1988م، ص20-21. الحداثة وموقفها من السنة النبوية، الحارث فخري عيسى عبد الله، ص48..

² - ينظر: الحداثة وموقفها من السنة النبوية، الحارث فخري عيسى عبد الله، ص52.

³ - ينظر: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر، 1993م، ص13.

⁴ - ينظر: المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، شكري محمد عياد، سلسلة عالم المعرفة، سبتمبر 1993م، ص17.

⁵ - الحداثة في منظور إيماني، رضا محمود فرحان، دار النحوي للنشر والتوزيع، ط3، 1410هـ/1989م، ص34.

الثانية، وظهور الإتحاد السوفياتي كقوة مؤثرة وفاعلة على الساحة العسكرية والفكرية، فبقيت الحداثة العربية على ما هي عليه، ولم تُحرز تقدماً يذكر، خاصة عند ظهور التيار الإسلامي الإحيائي، الذي نادى بإعادة الشريعة إلى الحياة، ورفض مبدأ العلمانية...¹

أما بخصوص العلاقة بين الحداثة الغربية والحداثة في العالم العربي فيمكن القول بأن هناك صفات تجمع عليها بين حدثي الغرب وحدثي بلادنا، أو أن حدثي العالم العربي كانوا ناقلين جيدين لحداثة الغرب بجذورها وفروعها: انفصال عن الماضي، محاربة التراث كله، لا دينية واضحة، غموض، قلق، وشك وحيرة".²

لهذا يمكن القول بأن الحداثة العربية عبارة عن وباء خطير انتقل إلى العالم العربي، وتسلبت على ضعاف الإيمان، الذين حاولوا أن يُلبسوه في أول الأمر الثوب الشرعي ليتلقى القبول من قبل الشعب، وقد تمت هذه العملية تحت رعاية غربية، مركزة خاصة اليهود الذين حاولوا لم شملهم، وقد انبهر الأديباء والفنانين أول الأمر، لكن الاتجاهات الإصلاحية قد تداركت الأمر، وبدأت في محاربتها وشن حملة ضد دعايتها، ليستمر الصراع بينهما إلى يومنا هذا.

المطلب الثالث: أهم القضايا الحداثية المطروحة في العالم العربي:

تعددت القضايا التي عرفها الفكر العربي في عصر النهضة، وتنوعت بين ما هو فكري وسياسي و اجتماعي... غير أن هناك قضايا جوهرية وكلية اتفق عليها أغلب الحداثيين من خلال مؤلفاتهم، فهذا محمد عابد الجابري يحصر هذه القضايا في: إشكالية الأصالة والمعاصرة، أزمة الإبداع، إشكالية التقدم والوحدة العربية، إشكالية النهضة، المشروع الحضاري...³ والملاحظ على طرح هذه القضايا سعى الحداثيون إلى معالجتها، والتعبير عنها بطريقة فلسفية، وسأختار من هذا القضايا المطروحة أهمها وأبرزها في المضممار الحداثي وهي كالتالي: قضية إعادة قراءة التراث، قضية النهضة والإصلاح، قضية العلاقة مع الآخر، فكرة الحداثة والتحديث.⁴

¹ - ينظر: الحداثة وموقفها من السنة النبوية، ص 53. الحداثة في ميزان الإسلام نظرات إسلامية في أدب الحداثة، ص 30.

² - ينظر: تقوم نظرية الحداثة، ص 36.

³ - إشكاليات الفكر العربي المعاصر، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 1990م، ص 8-9.

⁴ - الحداثة الفكرية في التأليف الفلسفي العربي المعاصر (محمد أركون - محمد الجابري - هشام جعيط)، عبد الرحمن اليعقوبي، مركز نهاء للبحوث والدراسات، ط1، 2014م، ص 134-135.

الفرع الأول: قضية إعادة قراءة التراث.

انطلق المشروع الفكري الفلسفي للحدثة العربية من قضية أساسية جوهرية ألا وهي قضية إعادة قراءة التراث الإسلامي، أو بعبارة أخرى أكثر وضوحاً: الانقطاع عن التراث ومحاربه، ولقد نالت إجماع الفكر الحداثي أكثر من القضايا الأخرى، فهم يرفضون أي شيء يربطهم بالماضي، ويرفضون التقليد، ومن كثرة تردّد هذه الكلمات والتأكيد عليها توحى للقارئ المبتدأ أن ما يتحدثون عنه قد دعا الإسلام إليه، لكن هيهات فالإسلام يتوافق مع التراث مادام مرتبطاً بالقرآن والسنة، وينبذ التقليد الأعمى البعيد عن الحق.

يتهم الحداثيون الخطاب العربي بأنه يجتز من الماضي، وينبش القبور بحثاً عما يجيي الواقع، ويصلح حال المجتمع والأمة...، وهذه النظرة بسبب نبذهم للموروث، وأن كل خطاب يبني على النص هو خطاب غير مبدع... حتى أنهم لا يعدون أي إنتاج إبداعاً إلا إذا خرج على قيم المجتمع الموروثة بصرف النظر عن محتواه من الجودة والملاءمة العلمية.¹

نجد أن (أدونيس) قد تنوعت أقوله في السعي إلى إزالة هالة القداسة عن تراثنا الإسلامي، فنجده تارة يُلمح إلى ذلك بأسلوب مراوغ، وطرح تساؤلات تحمل في طياتها طعنا وتشكيكا في التراث، ويمكن أن نسجل عليه أقولا صريحة في بعض المواضع التي ينادي فيها بشن حرب ضروس على التراث ومقدسات الأمة، ففي مجلة (مواقف) أفصح عن مخططاته وأتباعه، وما الذي يطمحون إليه من خلال كتاباتهم وشعاراتهم المنتشرة، وهو التأسيس لعصر جديد تكون بدايته الانفصال الكلي عن الماضي، وهذا لا يكون إلا بنقد الموروث، إن لم نقل تجاوزه وإزالته تماماً، فهو يعتبر أن ماضينا عالم من الضياع في مختلف الأشكال الدينية والسياسية والثقافية، وأنه مملكة من الوهم والغياب المستمر.²

في حين نجد الجابري يختلف مع (أدونيس) في نظرتة للتراث، وضرورة الانقطاع عن الماضي، فالحدثة عنده لا تعني أبداً رفض التراث ولا القطيعة مع الماضي بقدر ما تعني الارتفاع بطريقة التعامل مع التراث إلى مستوى ما يسميه بالمعاصرة، والتي يعني بها مواكبة التقدم الحاصل على الصعيد

¹ - ينظر: الحدثة وموقفها من السنة النبوية، ص 75-77.

² - مجلة مواقف، أدونيس، دار الساقيين لبنان.

العالمي...، والهدف من هذا كله هو تحرير تصورنا للتراث من البطانة الأيديولوجية والوجدانية التي تضيء عليه داخل وعينا، طابع العام المطلق، وتنزع عنه طابع النسبية والتاريخية.¹

لكن الحقيقة عكس ما يراها هذا أو ذاك أو غيرهما، فالتراث الإسلامي ليس وليد لحظة زمنية معينة يندثر بتعاقب الزمن ويختفي، إن التراث الإسلامي حيوي ومتجدد المواضيع ينمو بحسب خدمة أهله له ورعايتهم، ولعل السبب في هذه الحيوية والنشاط الدائم كون أغلب مواضيعها ترتبط بالقرآن والسنة ارتباطاً وثيقاً، فما دام قد كُتب لهذين الأخيرين الخلود والاستمرار، فالتراث الإسلامي منطقياً يجيا ويزدهر.

وفي كلام جمال سلطان وصف دقيق لمكانة التراث الإسلامي حيث يقول: "إن التراث -في تجلياته الإبداعية المختلفة هو نتاج إنساني، لا يملك بمفرده صفه القداسة العلمية مطلقة، أو تنزهها عن النقص والضعف والشطط، هذا صحيح، صحيح كذلك أن جزئيات هذا التراث، هي وليدة لحظة تاريخية ذات خصوصيات لحظية متحركة متحولة، صحيح كذلك، إنه ليس من العدل أن يكون هنا كوصاية عقلية ونفسية ومنهجية لأي جيل على جيل آخر، وصحيح كذلك، أن القلم لا يملك قيمة ذاتية مجرد قدمه، كل ذلك صحيح ولا يختلف فيه المنصفون، ولكن من جانب آخر ليست التجليات التراثية كلها مرتبطة بلحظتها التاريخية من خلال جبل سري لو صح التشبيه بحيث إذا انقطع هذا الجبل، جف ينبوع الحياة فيه ومات، كلاً؛ فمن المكان بل الحادث فعلاً أن ينفصل هذا الوليد عن جبل لحظته التاريخية، ويظل حياً نابضاً يمكن أن ينمو ويشند ويؤتي ثماره وفعالته المتجددة كلما أمده أهله بالغذاء المناسب، ووفروا له المناخ العام الملائم للنمو الصحي الطبيعي"².

لهذا فكل أعذارهم على التراث وقدمه وعدم صلاحه غير صائبة، فهم يسعون للتخلص من التراث؛ ليجدوا الساحة أمامهم فارغة لهم ولأفكارهم، يعبتون فيها كيفما أرادوا.

¹ - ينظر: التراث والحداثة دراسات ومناقشات، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1991م، ص 15-17.

² - الغارة على التراث الإسلامي، جمال سلطان، مكتبة السنة، ط1، 1410هـ/1990م، ص 10-11.

الفرع الثاني: قضية الإصلاح والنهضة.

تعتبر قضية الإصلاح والنهضة من المهام الكبرى التي ندب الفكر العربي الحديث نفسه لها، سواءً كان من خلال مشاريع الإصلاح الديني أو الإصلاح الثقافي والاجتماعي، وعبر تيارات هذا الفكر المختلفة، وهذا من خلال الدفاع عن العقلانية والنقد، وبناء الفكر وإعادة قراءة التجربة النهضوية والإصلاحية.¹

يعد محمد عابد الجابري من أهم الحداثيين الذين عملوا على تحقيق المشروع النهضوي الإصلاحي؛ وهذا من أجل أن تستعيد الأمة مجدها وحضارتها، وهذا في نظره لا يقوم إلا على أساسين مهمين: الأول منهما إلغاء كل التراث المعرفي والمنهجي والمفهومي المنحدر إلينا من عصر الانحطاط، والحذر في ذات الوقت من السقوط فريسة للفكر الغربي...، أما الثاني فيتمثل في التجديد والذي يعني به بناء فهم جديد للدين عقيدةً وشرعيةً، انطلاقاً من الأصول مباشرةً، والعمل على تحيينه، أي جعله معاصراً لنا وأساساً لنهضتنا وانطلاقتنا.²

وانطلاقاً من هذا التوجيه المعرفي الذي صاغه المفكر محمد عابد الجابري يمكن استخلاص مجموعة من الموجهات المعرفية التي يقترحها المشروع الإصلاحي النهضوي، والتي تعتبر بمنزلة البوصلة التي بدونها لا يمكن النجاح في تحديد الاتجاهات الصحيحة:

1. إلغاء كل التراث المعرفي والمنهجي والمفهومي المنحدر إلينا من عصر الانحطاط.
2. الحذر من السقوط فريسة للفكر الغربي.
3. بناء فهم جديد للدين، عقيدةً وشرعيةً، انطلاقاً من الأصول مباشرةً.
4. تحيين الفهم الديني عبر جعله معاصراً لنا وأساساً لنهضتنا وانطلاقتنا.³

أما محمد أركون فنجد له نظرة مختلفة للمشروع الإصلاحي، فهو يقول إنه مشروع لا ينتهي إلا لبيداً من جديد، فهو يهدف إلى إصلاح الإنسان وتكوينه وتهذيبه من جديد، وتزويده بالوسائل التي

¹ - ينظر: الحداثة الفكرية في التأليف الفلسفي العربي المعاصر (محمد أركون - محمد الجابري - هشام جعيط)، عبد الرحمن يعقوبي، ص 167.

² - نحن والتراث قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، محمد عابد الجابري، المركز الثقافي العربي، ط6، 1993م، ص 12-13.

³ - النهضة العربية وأسئلة التأسيس بين المرجعية السلفية والليبرالية قراءة في النموذجين المشرقي والمغربي، إدريس جنداري، مجلة لباب للدراسات الإستراتيجية والإعلامية، العدد 2-مايو 2019م، ص 174-175.

تمكنه من أن يصبح قادرًا على معانقة الله، وعلى نيل رضاه - على حد قوله¹.

هذا فيما يخص معنى كلمة الإصلاح عنده، أما في تجليات هذا المشروع الإصلاحية، فهو يؤكد أن لا مكان للقدم فيه إطلاقًا؛ لأنه لن ينجح أبدًا، فهو يعتبر أن كل المشروعات التي ظهرت تحت الصبغة اللاهوتية للأديان كانت تميل نحو الهيمنة والسيطرة ضد المشروعات المقهورة، لهذا فهو يؤكد أنه لا يمكن لأي مشروعية أن تكون حقيقية وعادلة إلا إذا كانت نتاج العقل الحر، أي المستقل من كل ولاء أو خضوع لهيئة أخرى².

إن ما يقصده أركون هو القول بأن عملية الإصلاح والنهضة لا تتم إلا بتجاوز المشروعية الدينية التي تغلب عليها الأساطير، واستبدالها بمشروعية يكون فيها العقل هو المهيمن.

الفرع الثالث: علاقتنا بالآخر.

هذه القضية حساسة جدًا في الفكر العربي الحديث، وهذا نظرًا لكونها تتحدث عن علاقتنا بالآخر، والمقصود بالآخر في الغالب هو الغرب، هذا الأخير الذي كان سببًا في حدوث نهضة عربية شاملة لمختلف جوانب الحياة خاصة الدينية منها.

لهذا اختلفت وجهات النظر بين المسلمين في طبيعة العلاقة التي تجمعنا بالغرب، بين كونه عبارة عن عدو ومستعمر وناهب، وبين كونه نموذجًا للرقى والتطور الذي يجب على الأمة العربية الاقتداء به في صيغة مشروع إصلاحية نهضوية محاذ لما حدث في الغرب.

يمتلى الفكر العربي إذا برؤى وتصورات حول علاقتنا بالغرب، وتحديد هذه الرؤى ضروري لسبر غور ما يؤسس الرؤية الحداثية العربية، بل إن أول بداية للنهضة كانت من خلال طرح هذه العلاقة للنقاش، حيث إن كثيرًا من نقاط الاختلاف بين تيارات الفكر العربي كانت ناتجة عن الاختلاف في هذه الرؤية.

ولعل فشل كثير من محاولات التحديث ونقل قيم الحداثة مرتبط بهذا التوتر الدائم، والذي لم يوجد

¹ - الإسلام، أوروبا، الغرب رهانات المعنى واردة الهيمنة، محمد أركون، ترجمة وإسهام: هاشم صالح، دار الساقي، ط2، 2001م، ص 113.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 113-116.

له بعد حل بين تيارات الفكر العربي من جهة، وبين الأنا والآخر من جهة أخرى.¹

عند حديثنا عن علاقة الأنا بالآخر في هذا الموضوع يُقصد به علاقتنا نحن العرب أو الشرق بالغرب، والذي تمثله أوروبا بحضارتها وثقافتها خاصة، فأغلب تيارات الفكر العربي قد سعت إلى الالتحاق بالركب الحضاري الذي سبقتنا به أوروبا، لهذا اختلفت في تحديد نوعية العلاقة التي تجمعنا بالغرب، بين متشددٍ رافضٍ لكل ما تحمله الحضارة الغربية من تطور ورقي، وبين متساهل يسعى إلى إذابة ثقافته العربية الإسلامية في الثقافة الغربية دون مراعاتٍ لخصوصية دينه ونواحيه.

يقدم لنا محمد أركون مجموعة من الأسس التي يجب أن تبني عليه علاقتنا مع الغرب، بعد الصراع الذي حصل بينهما، من خلال طرحه لسؤال مهم في نظره، وهو كيفية تحويل هذه العلاقة من السلب إلى الإيجاب حيث يقول: "...وهكذا يحصل الصدام المروع بين كلا الجانبين، أي بين عالم الإسلام وعالم الغرب كما حصل عشرات المرات سابقاً، منذ العصور الوسطى وحتى اليوم، وهكذا نلتقي من جديد وبعد أن قطعنا مساراً بطيئاً معقداً، بتلك المهمة الكبرى التي تنطعن لها منذ بداية هذا الحديث.

بمعنى: كيف يمكننا أن نقلب السلب إلى إيجاب، والخصام إلى وئام، والحرب إلى تعاون وسلام بين الإسلام وأوروبا، والغرب؟ كيف يمكن أن نتوصل إلى علاقات جديدة بين هذه الأقطاب الثلاثة، أو هذه المناطق الجغرافيا-الاستراتيجية الثلاث؟ كيف يمكن أن نتوصل إلى علاقات بناءة لا مدمرة، علاقات واحدة بالمستقبل، وقادرة على تحرير الوضع البشري أينما كان في هذه الجهة أو تلك؟ نقول ذلك ونحن نعلم أن هذه الأقطاب الثلاث تتصارع الآن، كما في العصور الوسطى من أجل الهيمنة، ولكنها تقنع هذا الصراع أو تغطي عليه بواسطة التظاهر بالبحث عن رهانات المعنى المتعالية (أي البريئة من كل هم سلطوي، فلا أحد يعترف بالحقيقة)...²

ما يفهم من كلام أركون هنا هو وجوب تحويل علاقتنا بالغرب من العداوة إلى الصداقة، وأن يعمل كلا الطرفين على التفاهم والتقارب، فالحدائث والتطور ليست حكراً على أحد، وعلى الجميع تحقيقها دون أي تفريق أيديولوجي أو سيطرة لأي سلطة.

¹ - الحدائث الفكرية في التأليف الفلسفي العربي المعاصر (محمد أركون- محمد الجابري- هشام جعيط)، عبد الرحمن اليعقوبي، ص 94.

² - الإسلام، أوروبا، الغرب رهانات المعنى واردة الهيمنة، محمد أركون، ص 30.

وقد وافق هشام جعيط أركون في وجوب تكوين علاقة طيبة بين الإسلام وأوروبا، وهذا من أجل الإبقاء على رسالة الإسلام السامية، فالحادثة عنده ليست حكرًا على أوروبا فقط، حيث يقول هشام جعيط: "... إن الإسلام لا يمكنه مساواة الغرب في قدرته التكنولوجية، وفي علمه وقوته، ولن نقول حينئذ: ليتخل الإسلام عن السباق، بل نقول لا يضيعن نفسه فيه؛ ليحفظ ويحترث ويختار حصته الكبيرة مما هو إنساني، إن التألم الداخلي للغرب يتأثر في كون حادثه قد التهمت ثقافته... وفي الدائرة التي نضع أنفسنا فيها، ما ينفصل ليس المواجهة بين الحضارات بل بين حضارة على حدة مع الحادثة، وإذا كان هناك تضامن ما، ممكن أن يشكل توجهًا عالميًا حقا فهو تضامن الثقافات ومن ضمنها ثقافة الغرب، ضد كل من ينفيههم: حادثة غير خاضعة، ضمن هذا الإطار يستطيع الإسلام مواصلة رسالته السامية"¹.

لهذا فعلاقة الإسلام مع الغرب من وجهة نظر الحادثة هي علاقة حتمية لا محالة، وهذا ما يؤدي إلى إذابة الهوية والثقافة الإسلامية في الحضارة الغربية، وبالتالي زوالها واضمحلالها إلى الأبد.

الفرع الرابع: فكرة الحادثة والتحديث.

إن التحديث أو الحادثة - رغم التمايز بينهما كما يرى بعضهم - حالة دائمة وعملية مستمرة في أعمال الفكر، ومجاوزة الواقع المعيش، والتطلع نحو التحديث، ورفض الكثير من القيم التقليدية السائدة. لكن قد يتجلى تبلورها واضحا كما هو حال الحادثة اليوم، بسبب معاناة الظروف، واندثار المفهوم أمام قوة وهيمنة الفكر السائد، لذلك فالحادثة أو التحديث قد تأخذ فترات من السبات القسري وقد تطول الفترة، لتظهر ثانية - ربما - أكثر جدة وقوة وغنى.²

لقد سعى التيار الليبرالي إلى تجسيد فكرة الحادثة والتحديث في المجتمع الإسلامي، وهذه الأخيرة لا يقوم لها قائمة إن لم نستبعد التراث عن حياتنا، ونقوم بتحديث تفكيرنا وثقافتنا بصفة دائمة دون انقطاع في عملية حيوية متجددة على رأي البعض، لكن هناك من ارتأ أن عملية التحديث لا تجربنا على القطيعة مع الماضي والتراث، إنما تستوجب علينا إعادة قراءته، مع استيعاب مستجدات الحاضر

¹ - الإسلام وأوروبا، جعيط، دار الحقيقة، 1980م، ص199.

² - إشكالية القراءات الحداثية للنص الديني دراسة نقدية، إبراهيم طلبة حسين، مجلة العيار عدد خاص بالملتقى الدولي: فهم القرآن بين النص والواقع، العدد33، 1435هـ/2013م، 284/1.

كما يقول الجابري في كتابه " (التراث والحداثة) إن من متطلبات الحداثة تجاوز الفهم التراثي للتراث إلى فهم حداثي، وإلى رؤية عصرية له، فالحداثة عنده لا تعني رفض التراث بل الارتفاع بطريقة التعامل مع التراث إلى مستوى ما يسميه بالمعاصرة، والتي تعني مواكبة التقدم الحاصل على الصعيد العالمي.¹

أما هشام جعيط فإنه يرى أن الحداثة والتحديث يكون على المستوى الفكري بعيداً عن المجال الديني، وهذا بسبب أن مبادئ الشرع لا تتوافق ومتطلبات العصر حيث يقول: " وبذلك يحافظ التشريع الديني في مثل هذا الأفق على كامل قيمته الإمكانية، لكن في ميدانه الخاص، أما المجتمع فإنه سينمو طبق مقاييسه الخاصة في المرحلة الراهنة من مصيره، لا عملاً برؤية مسبقة لآخرة تكون هي الحياة الحق، وهنا نلمس التضارب المحتوم بين موقف رجل الدين وموقف رجل السياسة، فالأول يضع المجتمع والدولة في شمولية تتجاوزهما، والثاني يقصر الدين وكامل الخلفية الماورائية التي يستند إليها على مجرد عامل اجتماعي. لكن العلمانية المفتوحة ليس لها أن تقوم بهذه التبعية ولا بهذا القصر اللذان تستهدفهما في النهاية السلفية والحداثة النفعية"²

أما محمد سبيلا فيرى أن الحداثة يجب أن تكون في المجال الفكري بقوة؛ لأن الأغلبية يرتكز على التحديث في الجانب الاقتصادي والسياسي...، فهو يرى أن الحداثة الفكرية تعاني من بطئ مقارنة بغيرها، وهذا بتغيير ثقافة وقناعة المجتمعات، وفي علاقة الإنسان بالطبيعة وغيرها حيث يقول: " إلا أن أكثر مستويات الحداثة بطئا هي الحداثة الفكرية، فقد ابتدأت الحداثة الفكرية بالإحلال التدريجي لمبدأ معقولة جديدة في ميدان الطبيعة، حيث أدى التطور التدريجي للفيزياء إلى إبراز ميكانيكية الطبيعة، وإلى الكشف عن القوانين المختلفة التي تخضع لها من دون إضافة... وقد وفرت المجتمعات الحديثة بفضل بنائها وتوازن مؤسساتها المختلفة الدعائم الملائمة للفتح الفكري ولإدخال النسبية في الرؤية وقبول تعدد المنظورات، وذلك بإرجاع الأفكار إلى أصولها الاجتماعية أو إلى دوافعها النفسية، أي النظر إلى الأفكار بدلالة الشروط الاجتماعية والنفسية والابستمولوجية التي أدت إلى إنتاجها، بدل اعتبارها حقائق مطلقة"³.

¹ - ينظر: الحداثة الفكرية في التأليف الفلسفي العربي المعاصر، ص 16/15.

² - الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي، هشام جعيط، دار الطليعة بيروت، ط3، 2008م، ص116.

³ - مدارات الحداثة، محمد سبيلا، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2009م، ص 128-129.

المطلب الرابع: القراءة الحداثية للنص الديني ونقده.

اختار التيار الحداثي مصطلح القراءة بدل مصطلح التفسير الذي تداوله العلماء منذ القدم، ولعل السبب الذي جعلهم يخالفون الدارسين في الموضوع في الاسم هو اختلاف النظرة نفسها، ذلك أن نظرهم للقرآن الكريم تختلف كلياً عن نظرة العلماء المسلمين، فمصطلح القراءة يدل على استخدام مناهج نقد ودراسة غربية بعيدة على كل ما سطره علماؤنا، لقد جاء هؤلاء الحداثيون بما يعرف بالقراءة الحداثية للنص الديني، اقتداء بالغرب الذين فرطوا في تاريخهم وراثتهم لتحقيق النهضة المنشودة، لكن هؤلاء غفلوا على أمر مهم جداً وهو الفرق الشاسع بينهم وبيننا.

يقول محمد بن عبد الفتاح الخطيب: "لقد ظهرت الخطورة حينما بدأ نفر من أبناء جلدتنا، من أبناء هذه الأمة، يتناولون القرآن الكريم والسنة النبوية، بقراءة عرفت بالحداثية أو القراءة الجديدة للنص الديني، وهي قراءة تأويلية تستمد آلياتها من خارج نطاق التداول الإسلامي، بل تأتي وفقاً للتجربة الغربية في فهم النصوص، واللاهوتية منها خصوصاً، فلا تريد أن تُحصّل اعتقاداً من النص، بقدر ما تريد أن تُمارس نقدها عليه، واستخداماً لنظريات لغوية حديثة (مثل البنيوية، والتفكيكية والسيماوية)، وهي قراءات في حقيقتها اقتبست كل مكوناتها من الواقع الحداثي الغربي في صراعه مع الدين..."¹.

تسعى القراءات الحداثية التي بين أيدينا إلى أن تحقق قطيعة معرفية بينها وبين ما يمكن أن نطلق عليه اسم القراءات التراثية، وهذه على نوعين: أحدهما القراءات التأسيسية، وهي التي قام بها المتقدمون... والثاني القراءات التجديدية، وهي التي قام بها المتأخرون...، ومعلوم أن هذه القراءات تختص بكونها تفسيرات للقرآن تضع للإيمان أسسه النظرية أو تقوي أسبابه العلمية، أي أنها قراءات ذات صبغة اعتقادية صريحة، أما القراءات الحداثية فهي تفسيرات لآيات القرآن تخرج عن هذه الصفة الاعتقادية، وتتصف بضدها، وهو الانتقاد للقراءات الحداثية لا تريد أن تُحصّل اعتقاداً من الآيات القرآنية، وإنما تريد أن تمارس نقدها على هذه الآيات².

¹ - القراءات الحداثية للسنة النبوية" عرض ونقد"، محمد بن عبد الفتاح الخطيب، موقع الدرر السنوية، 11-04-2021،

<https://dorar.net>.

² - روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة العربية الإسلامية، طه عبد الرحمن، ص 176.

محمد أركون من أبرز رواد القراءات الحداثية، والقراءة الهرمينوطيقية التي يمثلها حامد نصر أبو زيد، والقراءة اللغوية التشطيرية يمثلها محمد شحرور¹...

وفيما يلي عرض موجز لهذه القراءات مع النماذج المطروحة.

الفرع الأول: القراءة التاريخية للنص الديني - محمد أركون أنموذجا-

حظي مصطلح التاريخية بالعديد من التعريفات المتنوعة، وتدور في الأغلب على وجوب ارتباط النص بالواقع الذي نزل فيه، وبالمدة الزمنية التي نزل فيها، وبالتالي فهو مرتبط بالبيئة التي نزل بها لا غير. يعرف علي حرب التاريخية فيقول: "التاريخية تعني أن للأحداث والممارسات والخطابات أصلها الواقعي، وحيثياتها الزمانية والمكانية وشروطها المادية والدينيوية، كما تعني خضوع البنى والمؤسسات والمفاهيم للتطور والتغير أي قابليتها للتحويل والصرف وإعادة التوظيف"².

أما أركون فيقول إن التاريخية تعني أساساً أن حدثاً ما قد حصل بالفعل، وليس مجرد تصور ذهني كما هي الحال في الأساطير، أو القصص الخيالية، أو التركيبات الأيديولوجية.³

تعد القراءة الحداثية للنص القرآني من أكثر القراءات الحداثية شيوعاً بين الباحثين العرب، وافتتانا بمنهج الفكر الاستشراقي، وتعلقا بالنموذج التأويلي الغربي، وقد صار لها اليوم وبحكم هذا الشيوع من جهة، وذاك البريق المنهجي من جهة ثانية تلاميذ ينافحون عنها، ومنابر تنطق بلسانها، وأقلام دؤوبة لا تفتأ عن التنظير والتأصيل.⁴

ويعد محمد أركون من أبرز الحداثيين الذين اهتموا بالقراءة التاريخية للنص الديني، وهذا من

¹ - محمد شحرور: مهندس وباحث ومفكر سوري، وأحد أساتذة الهندسة المدنية في جامعة دمشق، ومؤلف ومنظر للقراءة المعاصرة في القرآن، ولد سنة 1938م بدمشق، بدأ كتاباته عن القرآن والإسلام بعد عودته من موسكو، واتهمه البعض باعتناقه للفكر الماركسي بسبب قضاءه فترة شبابه في الاتحاد السوفياتي، من مؤلفاته "الكتاب والقرآن قراءة معاصرة"، "الدولة والمجتمع"، "نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي"... توفي في 2019م ودفن بدمشق. ينظر: <https://ar.m.wikipedia.org>، تاريخ الاطلاع: 02-06-2023م.

² - نقد النص علي حرب، المركز الثقافي العربي، ط4، 2005م، ص 65.

³ - القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، محمد أركون، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط2، 2005م، ص 48.

⁴ - النص القرآني من تحافت القراءة إلى أفق التدبر - مدخل إلى نقد القراءات وتأصيل التدبر القرآني، قطب الريسوني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية، ط1، 1431هـ/2010م، ص 209.

خلال مؤلفاته المتعددة والمتنوعة، وها هو في هذا المقام يُفصح عن مشروعه الخاص بدراسة تاريخية للنص القرآني في كتابه (الفكر الإسلامي قراءة علمية) حيث يقول: "أريد لقراءتي هذه أن تطرح مشكلة لم تُطرح عملياً قط بهذا الشكل من قبل الفكر الإسلامي ألا وهي: تاريخية القرآن وتاريخية ارتباطه بلحظة زمنية، وتاريخية معينة حيث كان العقل يمارس آليته وعمله بطريقة معينة ومحددة..."¹.

وقد تجسدت هذا الفكرة فعلاً فيما بعد في أغلب المؤلفات التي صدرت بعد هذا الكتاب، حيث تحدث عن تاريخية القرآن الكريم، والتي كانت نتاجاً لعدة عوامل سياسية واجتماعية، هذا ما يزيل عنه صفة القداسة، وبالتالي اعتباره نصاً تاريخياً يُعرض على مشرح النقد الغربي.

يقول محمد أركون: "وبالتالي فهذه الأرخنة سوف تكون نقطة الانطلاق لإعادة تحديد المكانة اللغوية، والدلالية، والأنثروبولوجية، واحتمال اللاهوتية للوحي، وهذه عملية دقيقة جداً؛ لأنها تخص ليس فقط التجسيد القرآني لما يدعوه اللاهوتيون بالوحي..."².

وقد توالى الكتابات حول تاريخية النص القرآني من قبل الحدائين ليثبتوا أن القرآن الكريم نزل لبيئة معينة، وصالح لمدة زمنية محددة.

الفرع الثاني: القراءة الهرمنيوطيقية للنص الديني - نصر حامد أبو زيد أنموذجاً -.

شاع استخدام مصطلح الهرمنيوطيقا عند الحدائين في كتاباتهم كثيراً، وقد جعلوا من مصطلح التأويل مرادفاً له، وهذا لكون هذا الأخير مصطلحاً قرآنياً واضحاً أكثر من الهرمنيوطيقا، وهذا من أجل قراءة النص القرآني قراءة جديدة وفق نظريات غربية مادية.

الهرمنيوطيقا عند (بول ريكور) هي فن كشف الخطاب في الأثر الأدبي، وأن هذا الخطاب لا يقدم إلا في بنيات الأثر الأدبي، وينتج عن هذا أن التأويل هو جواب تلك المباعدة الأصلية التي يشكلها إسقاط الإنسان في آثار خطابه، المقارنة بإسقاطه في إنتاجات عمله وفنه.³

¹ - الفكر الإسلامي قراءة علمية، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي - المركز الثقافي العربي، ط2، 1996م، ص 212.

² - قضايا في نقد العقل الديني كيف نفهم الاسلام اليوم؟، محمد أركون، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، دار الطليعة بيروت، ط1، 2000م، ص 53.

³ - من النص إلى الفعل أبحاث التأويل، بول ريكور، ترجمة: محمد براءة - حسان بورقية، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط1، 2001م.

كما أنها تعني تقليدياً فن تأويل النصوص المقدسة الإلهية أو النصوص الدنيوية البشرية، وهي كذلك مساوية للتفسير أو للفلولوجيا بما أنها تفسير حربي أو نحوي، وصرفي لغوي لبيان معاني الألفاظ والجمل والنصوص، وهذا ما يعرف بالتفسير اللفظي.¹

ولما كان للقراءة الهرمينيوطيقية منظرون يحتفلون بها، وينطقون باسمها ويرفعون لواءها في محافل الدرس القرآني، وكان لها آثار مطبوعة شاهدة على مساعيها في تهوين أثر الوحي في النفوس...، ولا نجد رجلاً خدم الهرمينيوطيقا وأخلص لها، وجرّ ذيلها تنظيراً وتطبيقاً في مجال التأويل القرآني، مثل نصر حامد أبي زيد² فهو - على نباهة ذكره في هذا المضمار - يعد قارئاً وفتياً للهرمينيوطيقة، وحرصاً على جهازها المفهومي وقواعدها التأويلية في مقارنته المتعددة للنص القرآني.³

يقول نصر حامد أبو زيد: "مصطلح الهرمينيوطيقا مصطلح قديم بدأ استخدامه في دوائر الدراسات اللاهوتية؛ ليشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني (الكتاب المقدس)...، وقد اتسع مفهوم المصطلح في تطبيقاته الحديثة، وانتقل من مجال علم اللاهوت إلى دوائر أكثر اتساعاً تشمل كافة العلوم الإنسانية كالتاريخ وعلم الاجتماع والأنثروبولوجي وفلسفة الجمال والنقد الأدبي والفولكلور."⁴

إن ما جعل نصر حامد أبو زيد يلجأ إلى الهرمينيوطيقا لدراسة النص القرآني هو اعتقاده بأنها قادرة على حل الإشكال الحقيقي بين الثلاثية: المؤلف/ النص/ النقد، أو القصد/ النص/ التفسير، فالعلاقة بين هاته العناصر تُمثل إشكالاً حقيقياً، فالهرمينيوطيقية أو التأويلية تحاول حل هذا الإشكال وتحاول الإسهام في النظر إليها نظرة جديدة تزيل بعض صعوبات فهمها، وبالتالي تأسيس العلاقة على أساس جديد.⁵

¹ - إشكالية القراءة في الفكر العربي الإسلامي المعاصر: نتاج محمد أركون أمودجا، خالد السعيداني، نقلا عن: العلمانيون والقرآن الكريم تاريخية النص، أحمد إدريس الطحان، مكتبة ودار ابن حزم للنشر والتوزيع، ط1، 1428هـ/ 2007م، ص 675.

² - نصر حامد أبو زيد: أكاديمي مصري وباحث متخصص في الدراسات الإسلامية، ومتخصص في فقه اللغة العربية والعلوم الإنسانية، ولد سنة 1943م، أثارت كتاباته ضجة إعلامية في منتصف التسعينات من القرن الماضي وأثّم بالزّدة والإلحاد، من مؤلفاته "الاتجاه العقلي في التفسير"، "فلسفة التأويل"، "نقد الخطاب الديني"... توفي في 2010م ودفن بمصر. ينظر: <https://ar.m.wikipedia.org>، تاريخ الاطلاع: 2023-06-02م.

³ - النص القرآني من ثقافة القراءة إلى أفق التدبر، ص 255.

⁴ - إشكاليات القراءة وآليات التأويل، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي - مؤمنون بلا حدود، ط1، 2014م، ص 13.

⁵ - ينظر: المرجع نفسه، ص 16-17.

لقد أعجب نصر أبو زيد بالهرمينيوطيقا كثيراً، واحتفى بها أيما احتفاء في كتبه ومؤلفاته، وها هو في كتابه (إشكاليات القراءة وآليات التأويل) يخصص عنواناً كاملاً: الهرمينيوطيقا ومعضلة تفسير النص، وقد كانت أول خطوة له في مجال التنظير، حيث يقول: "القضية الأساسية التي تناولها الهرمينيوطيقا بالدرس هي معضلة تفسير النص بشكل عام، سواء كان هذا النص تاريخياً، أم نصاً دينياً..."¹. فالمفسر عند نصر أبو زيد لا يمكن أن يستغني عن التأويل أثناء تفسيره للنصوص الدينية.

إن تطبيق نصر حامد أبو زيد للهرمينيوطيقا، أو التأويلية الحديثة كما يقال على النص القرآني قد كان له نتائج وخيمة، فقد رفع عنه صفة القداسة، وجعله كأبي نص أدبي قابل للنقد والدراسة، ولعل هذا أخطر نتيجة وهي بحد ذاتها تفرز نتائج أخرى لا تقل خطورة عن سابقتها، فالهرمينيوطيقا تقرر قاعدة مهمة وهي ثبات المنطوق وتغير المفهوم.

الفرع الثالث: القراءة اللغوية التشطيرية - التليفية - للنص القرآني - محمد شحرور

أنموذجا -

التشطير هو الفهم الذي جعل المعنى الواحد الذي تدل عليه هذه الألفاظ أشطاراً، ينفرد كل شطر منها بلفظ واحد، ويصرفه عن دلالاته على المعنى العام الذي وجه له كما وجهت الألفاظ الأخرى.²

اعتمد محمد شحرور في أغلب مؤلفاته على نفي الترادف في القرآن الكريم، ويظهر ذلك جلياً في كتاب (الكتاب والقرآن) حيث إنه ميز بين أسماء القرآن الكريم: القرآن، الكتاب، الفرقان، الذكر، وقال بأن كل واحد من هؤلاء له تعريف مختلف عن غيره، وهو بهذا يطبق المنهج التشطيري الذي يقوم على التجزيء والتبعيض.

جعل شحرور هذا المنزع التشطيري مسلماً لغوياً شاذاً، زعم فيه أن مرجعه في فهم خصائص اللسان العربي، وتحليلي للمادة المعجمية هو آراء أبي علي الفارسي، و ابن جني، و ابن فارس، و لجرجاني، فضلاً عن الأبوة العلمية لأستاذه الدكتور (جعفر دك الباب) الذي شمله بعطفه وحنانه، وخصه بعلمٍ جمٍ في مجال الدراسة التاريخية العلمية للغة، ويقوم المنهج اللغوي التشطيري على عدة

¹ - ينظر: إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص 13.

² - الماركسلاوية والقرآن، محمد صياح المعراوي، ط1، المكتب الإسلامي، 1421هـ/2000م، ص 547.

مقومات أهمها: إنكار الترادف، هلاك الكلمة، إهدار الدلالة المعجمية للمفردة القرآنية، وصبغها بصبغة الفلسفة المادية...¹

أشغل شحورور نفسه بمقولة عدم وجود الترادف في علوم اللسانيات الحديثة محاولاً إضفاء نتائج العلوم على اللغة العربية التي كانت أعرق وأسبق في بحث الموضوع ذاته، مما جعل ثوب الحداثة أضيق من أن يسعها، ودون أن ينتبه إلى وجود باب آخر في علوم العربية يعطي اللفظ الواحد معانٍ متعددة وهو (باب المجاز).²

فالقرآن عند محمد شحورور هو حقيقة موضوعية مطلقة في وجودها خارج الوعي الإنساني، وفهمها لا يأتي إلا باستثمار قواعد البحث العلمي، أما الكتاب فهو مجموعة من المواضيع التي أوحيت إلى "محمد" ﷺ، فشكلت مجموعة من الكتب التي سميت الكتاب، وهو نوعان: القرآن وهو السبع المثاني، والرسالة وهي عبارة عن آيات التشريع، أما الفرقان فهو الوصايا العشر التي جاءت إلى موسى وعيسى عليهما السلام، ثم محمد ﷺ...³

إن الخطأ المنهجي الذي وقع فيه محمد شحورور هو أنه ألحق الدلالة اللغوية والشرعية بالدلالة العرفية من حيث التطور والتغير في المعنى، كما أنه لم يستنسخ المنهج اللساني الغربي بحرفيته، إنما عمل على توظيفه بطريقة انتقائية تخدم أفكاره المسبقة، من خلال عمليتي البنيوية والتفكيكية، وغرضه من هذا كله هو فك الارتباط بين الوحي، وبين مراد صاحب الوحي - وهو الشارع جل جلاله - بواسطة مجموعة من الأوضاع والأساليب اللغوية والحدلقات الكلامية، وذلك من خلال تفكيك التراكيب اللغوية إلى مفردات، ثم تعبئة هذه المفردات بمعاني جديدة... والواقع أن الرجل لا يحتكم إلى أي إطار منهجي معلن، وإنما هو مجرد تلفيق لمنظومات معرفية متنوعة، يؤدي الأخذ بها بعين الاعتبار إلى الخروج بتفسيرات للنص تتماشى مع المفاهيم الغربية أو اللادينية عن الحياة.⁴

¹ - ينظر: النص القرآني من تحافت القراءة إلى أفق التدبر، ص 310 - 318. / الماركسلاوية والقرآن، ص 163-169.

² - الماركسلاوية والقرآن، ص 164.

³ - ينظر: الكتاب والقرآن، ص 52-66.

⁴ - نقض منهجية القراءة المعاصرة للنص القرآني عند المهندس محمد شحورور، عباس شريفة، مجلة مقاربات أبحاث ومقالات في الشريعة والفكر والحضارة، المجلس الإسلامي السوري، العدد 4، 1440هـ/ 2018م.

لهذا يمكن الوصول إلى نتيجة مهمة مفادها أن القراءة التشطيرية التي تبناها محمد شحرور، وسهر على إثباتها قد وقعت في منزلقات منهجية خطيرة أدت إلى إبطالها، وعدم الاعتراف بها أصلاً؛ وهذا بسبب انتقائه لمجموعة من المناهج المعرفية المختلفة، وتلفيقها للخروج بتفسيرات تتماشى وأفكار الرجل التي تدعو إلى اللادينية، واتباع المناهج الغربية دون أي اعتراض، فحكم على منهجه بالفشل والهوان والبطلان.

لهذا يمكن أن نحكم على القراءة المعاصرة للنص القرآني بالبطلان والفساد.

المبحث الثاني: منهج الشيخ فضل في الرد على شبهات الحداثيين.

تفطن الشيخ فضل لخطر الحداثيين على القرآن الكريم، ونبه عليه في كتبه كثيراً حيث يقول: "أما حديثاً فقد رأينا الباطنيين الجدد من البهائيين والقاديانيين، وأخطر من هؤلاء أولئك الحداثيون الذين لم يحملوا لواء الخروج عن الدين كالبهائيين والقاديانيين، لذا فهم يزيدون عنهم خطراً؛ لأنهم أرادوا أن يجردوا القرآن من لغته قال تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ -الزمر: 28- ليجردوه إن استطاعوا وماهم بمستطيعين من قدسيته؟ ومن هنا كان لزماً على الغيورين من علماء هذه الأمة أن يوجهوا كل عنايتهم للذب عن هذا القرآن، وأن يردوا هذه المطاعن والشبهات التي هي أوهن من بيت العنكبوت"¹.

وهذا ما جسده فعلاً في كتاباته، فقد سعى جاهداً للرد على طعوتهم، وبيان أهم الآراء الفاسدة التي تبناها.

المطلب الأول: شبهات حول مباحث علوم القرآن.

الشبهة الأولى: حول أسماء القرآن الكريم.

لكتاب الله عز وجل أسماء وأوصاف عديدة تحدت عنها علماءنا الأجلاء في كتبهم وتصانيفهم، ولعل أشهر أسمائه: القرآن والكتاب، وقد ذكر كلاهما في القرآن الكريم مقرونين، قال تعالى: ﴿الَّذِي تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ - الحجر: 01- وفي قوله: ﴿طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ - النمل: 01-، هذه هي الأسماء التي اتفقت عليها الأمة، ولم تحد عنها منذ عصر النبوة، لتظهر في الآونة الأخيرة طائفة من بني جلدتنا تحت مسمى الحداثة تتلاعب بأسماء القرآن الكريم، حيث يدعي بعض أصحابها وجود فرق بين القرآن والكتاب، وآخرون يقولون بأن الموجود عندنا يسمى النص لا القرآن، وهناك من يفرق بين المضمون نفسه... إلى غير ذلك من الإطلاقات والمسميات.

لقد تطرق فضل حسن عباس لهذا الموضوع في مؤلفاته، وذكر لنا بعضاً من هذه المسميات التي يغلب في الظن أن أغلبها من قبيل الخلط، ولا أساس علمي تقوم عليها.

¹- إتقان البرهان في علوم القرآن، 33/1.

عندما تناول الشيخ فضل حسن عباس أسباب النزول والحداثة بالدراسة، تطرق لتساؤل مهم شغل تفكيره وهو سبب تعرض القرآن الكريم لمثل هذه الهجمات والمكائد بخلاف غيره من الكتب السماوية التي لا تزال تُحاط بهالات التقديس، عرض لنا بعدها مسميات القرآن الكريم عند هذه الفئة، فجاء بقول أركون في القضية، حيث إن هذا الأخير لا يرضى أن يسمى القرآن بالاسم الذي سماه الله به، بل يسميه المصحف، ويدعي أن هذه التسمية تقال للتوراة والانجيل أيضًا.¹

ابتدأ الشيخ فضل تعقيبه على كلام أركون السابق ببيان المقصد من مثل هذا الكلام، حيث قال إنه يسعى إلى القول إن القرآن المنزل على سيدنا محمد ليس هو الذي نعرفه اليوم، ولا الذي بين أيدينا، لهذا أطلق عليه اسم المصحف، وهذا القول طبعًا مستمد من كلام أسياده المستشرقين، فهو التلميذ النجيب الذي تربى على أيديهم.

لكن قوله هذا هو وأسياده لا يضر القرآن، ولا يلمس قدسيته وأحكامه كما يقول الشيخ فضل وقد استشهد بآية قرآنية توضح ذلك قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾ - المائدة: 43-².

هكذا كان عرض الشيخ فضل لتسمية القرآن بالمصحف في قول أركون، وهكذا كان تعقيبه، الذي يظهر -والله أعلم- أنه قد مر على الموضوع مرور الكرام فقط، ولم ينقل لنا قول أركون الكامل في الموضوع، حيث إن -أركون- قد قدم لنا تعريفًا منفردًا لكل من القرآن والمصحف، وهذا ما سنراه فيما يلي.

حين نعود إلى كلام أركون حول القرآن الكريم والمصحف نجده يُعرف كل واحد منهما تعريفًا يختلف عن غيره، فهو يقول بأن القرآن الكريم مجموعة محددة ومفتوحة من نصوص باللغة العربية، يمكن أن نصل إليها ماثلة في النص المثبت إملائيًا بعد القرن 4هـ/10م، وإن جملة النص المثبت على هذا المنوال نهضت بأن واحد بوظيفة أثر مكتوب وكلام تعبدية³، أما المصحف فهو المدونة النصية الرسمية المغلقة الجاهزة النهائية⁴.

¹ - إتقان البرهان، 376/1.

² - ينظر: إتقان البرهان، 376/1.

³ - الفكر العربي، محمد أركون، ص32.

⁴ - قضايا في نقد العقل الديني، محمد أركون، ص187.

هذا الكلام يعني أنه يفرق بين الخطاب الشفهي والنص المكتوب والمدون، وهذا قول باطل لا أساس له من الصحة، فمراحل الجمع والتدوين خير دليل على ذلك، حيث إن عملية التدوين كانت للخطاب الشفوي الذي يتلوه رسول الله على الصحابة وهم يدونون ذلك ويقرؤونه في حضرته، وهذا ما تم أيضا في مراحل الجمع الأخرى...

لهذا يمكن الوصول إلى نتيجة مهمة تقول بأن أركون يُعرض عن أسماء القرآن الأصلية، ويؤثر غيرها مما نَحْتَتُهُ أدبيات الحداثة، ودوائر العلمانية، ومرجعيات اللاهوت المسيحي، وحشره في زمرة النصوص المحرفة (وهذا ظاهر عندما قال بأن التوراة والإنجيل يطلق عليها اسم المصحف مثل القرآن)، فمسميات القرآن عنده تتعدد بتعدد السياق النقدي الذي ترد في كتاباته، والمناسبة التي تملئها¹، ونذكر من هذه الإطلاقات: الخطاب النبوي²، الظاهرة القرآنية³ المدونة الرسمية المغلقة⁴.

أما نصر حامد أبو زيد فيقول فضل حسن عباس أنه يتحاشى أن يقول عن القرآن أنه كلام الله تعالى، ويصر أن يسميه بالنص، وهذا ما يظهر في عنوان الكتاب نفسه مفهوم النص⁵.

والشيخ فضل هنا لم يعلق أو يرد عليه؛ لأنه في صدد عرض أهم القضايا التي تناولها في كتابه ذلك، كما أن أسماء القرآن واضحة لا جدل فيها، فإما الموافقة على الأسماء التي اتفقت عليه الأمة، وإلا فهو مردود على أصحابه - هذا ما يفهم من عدم تعليق الشيخ على هذا الإطلاق -.

وللدكتور شحرور نصيب من هذه الافتراءات، فهو لم يكتف بإطلاق اسم مغاير للقرآن فقط، بل قسمه لأجزاء وأطلق على كل جزء اسم من أسماء القرآن - المتعارف عليها عند علمائنا - بل ودخل في مغالطات وأخطاء خرج فيها عن مدلولات المنطق واللغة، وهذا من خلال كتابه (الكتاب والقرآن).

في تلخيص فضل حسن عباس لأهم الأفكار التي جاءت في كتاب شحرور تطرق لمعنى كلمة القرآن، وقال بأنها تطلق على قسم من القرآن، استدلل بعطف القرآن على الكتاب في قوله تعالى: ﴿

¹ - ينظر: النص القرآني من تحافات القراءة إلى أفق التدبير، قطب الريسوني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية، ط1، 1431هـ-2010م، ص229-230.

² - القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص5.

³ - قضايا في نقد العقل الديني، محمد أركون، ص186.

⁴ - المرجع نفسه، ص187.

⁵ - ينظر: إتقان البرهان، 396/2.

أَلَمْ تَرَ تِلْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠١﴾ - الحجر: 01- حيث إن العطف هنا للتغاير كما يقول هذا الحدائي المتلاعب...، ضف إلى ذلك أنه قسم القرآن إلى: كتاب وقرآن وفرقان وذكر...-وهذا للتأكيد على أجزاء القرآن ليست في مرتبة واحدة-، ويقول إن كلمة (الكتاب) إن جاءت معروفة ب:(ال) فهي تعني المصحف كله، وإلا عاد المعنى إلى السياق، كما يرى أن آي المصحف أتت على أقسام ثلاثة: آيات محكمة، وآيات متشابهة، وآيات لا محكمة ولا متشابهة...¹

هذا الافتراء والتماطل كله والشيخ فضل لم يعلق ولم يرد، وربما هذا بسبب أنه يرى أن أغلب أقوال شحور إن لم نقل كلها في هذا الكتاب ما هي إلا خلط وكذب وافتراء، وأن أقواله كلها متهافنة، وآراؤه غير منهجية فاكتفى بالعرض فقط.

والصراحة أنني لم أتمكن من استخراج منهج فضل حسن عباس هنا في الدفاع عن القرآن وأسمائه، وهذا يعود -ربما- إلى أن الشيخ كان في صدد عرض آراء هؤلاء في الموضوع دون نقاش أو رد، فأسماء القرآن الكريم معروفة ومتفق عليها من قبل علماء الأمة، وأي اسم يخالف ذلك يرفض قطعاً دون نقاش. وقد كان بإمكان الشيخ فضل الرد على هذه الافتراءات وهو العالم الموسوعي الفذ، لكنه لم يفعل ذلك، ولعله أوكل ذلك إلى العلماء الذين قاموا بالواجب وردوا أقوال القوم وبينوا ضحالتها، فالأمة تعمل في مسار واحد كل يقف على ثغر يربط فيه.

الشبهة الثانية: حول أسباب النزول.

ختم فضل حسن عباس فصل أسباب النزول بعنوان: (أسباب النزول والحداثة)، حيث تحدث فيه عن آراء الحدائين في الموضوع، فبدأ بمقدمة مختصرة حول خطر هذه الفئة على الإسلام والمسلمين؛ وهذا أنهم محسوبون على الإسلام، وبالتالي فهم يستخدمون المكر والمراوغة في دراستهم للقرآن، وهم في هذا الموضوع بالذات قد سعوا إلى إثبات تاريخية النص القرآني، وأنه نزل لأسباب كانت وليدة ذلك العصر فقط، وبالتالي يمكن تجاوزها وإغاؤها لما لا.²

¹ - ينظر: إتيان البرهان، 64/1 - 410/2-411.

* لمن يبحث عن الرد على شبهة شحور فيما يخص أسماء القرآن فليرجع إلى كتاب " النص القرآني من تحافت القراءة إلى أفق التدبر للقطب الريسوني، ص 323-328.

² - إتيان البرهان، 370/1-371.

الشبهة الأولى التي عرضها فضل حسن عباس هي قولهم: أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ، وهذا يعني إلغاء ما في القرآن الكريم من أحكام وقضايا، فنصر حامد أبو زيد والعشماوي¹ والتيزيني² وغيرهم يقولون بأن أكثر الآيات نزلت لسبب، وأن الذي نزل بغير سبب قليل جدًا.³

عندما جاء الشيخ للرد على هذه الشبهة استخدم منهجين دفاعيين مزج بينهما بطريقة فريدة: المنهج النقلي الذي يتمثل في الاستشهاد بآيات قرآنية نزلت لسبب، مع تحليل عقلي منطقي بين فيه أن سبب نزول تلك الآيات يتجاوز زمن النزول ومكانه، وأنه بمثابة قاعدة أقيمت عليها السماوات الأرض، تعم الناس جميعا مهما اختلفت مبادئهم واتجاهاتهم وأعصارهم... وهذا ما يسمى بالمنهج العقلي المنطقي - حيث استخدم الشيخ عبارات خاصة بالمناطقة مثل قوله: " وهذه النتائج يبنونها على مقدمات ليست صحيحة ولا قريبة من الصحة... وطرحه لمجموعة من التساؤلات المنطقية أيضًا".⁴

ليختم الشيخ بتساؤل يتمحور حول سبب انفراد القرآن الكريم عن غيره من الأديان والمخلفات التاريخية من قانون روماني وفلسفات قديمة بهذه الحملات الشعواء الهدامة، مقارنة بغيرها التي مازالت تتمتع بالقداسة والتمجيد؟⁵.

هكذا كان منهج الشيخ فضل في رده على هذه الشبهة، وإن ظهر -والله أعلم- أنه لم يكن بالقوة الدفاعية التي عرفناها عن الشيخ في مواضع أخرى، ولربما كون هذه الشبهة واهية في نظره، وقد أشار أنه سيدرس الموضوع في فصل آخر.

¹ - محمد سعيد العشماوي: كاتب ومفكر مصري وقانوني مصري، ولد سنة 1932م في القاهرة، عمل وكيل نيابة وقاضيا ومستشارا في محاكم مصر، تولى مناصب رئيس محكمة استئناف القاهرة، ورئيس محكمة الجنائيات... ألف أكثر من 30 كتاب للغة العربية والانجليزية والفرنسية منها "الأصول المصرية لليهودية"، تعرض لهجوم من أنصار توظيف الدين في السياسة وأنصارهم من مشايخ الأزهر بسبب مؤلفاته التي تناولت مناطق ملغومة في التاريخ الاسلامي... توفي سنة 2013م. ينظر: <https://ar.m.wikipedia.org>، تاريخ آخر تعديل: 2022-05-23، تاريخ الاطلاع: 2023-06-02.

² - التيزيني: الدكتور طيب التيزيني مفكر سوري، من مواليد مدينة حمص سنة 1934م، من أنصار الفكر القومي الماركسي، يعتمد على الجدلية التاريخية في مشروعه الفلسفي لإعادة قراءة الفكر العربي منذ ما قبل الإسلام حتى الآن، من مؤلفاته "مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط"، "فيما بين الفلسفة والتراث"، "التفكير الاجتماعي والسياسي"، توفي سنة 2019م بسوريا. ينظر: <https://ar.m.wikipedia.org>، تاريخ الاطلاع: 2023-06-02.

³ - ينظر: إتيقان البرهان، 373-372/1.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، 373375/1.

⁵ - ينظر: المرجع نفسه، 376-375/1.

تعلق الحداثيون بموضوع أسباب النزول وجعلوه من بين الروافد التي يتوصلون من خلاله إلى القول بتاريخية القرآن الكريم، فهدفهم من هذا كله هو نزع صفة القداسة عن النص القرآني، وتمييع أحكامه حين قالوا بوجوب وجود سبب نزول لكل آية، وهذا غير صحيح.

ذكر الشيخ كلاماً لنصر أبو زيد على أن هناك حقائق إمبريقية- أي دراسات واقعية ميدانية- تؤكد أن كل آية أو مجموعة من الآيات نزلت لسبب خاص، وقد اكتفى الشيخ بأن قال إن هذا الكلام يقوم على الاجتهاد العقلي، لا الإحصاء والحصر، ولو أنه أورد لنا هذا الإحصاء لأخرس أفواه هؤلاء الحاقدين بهاته المعطيات الإحصائية التي يؤمنون بها.¹

ورد محمد عمارة على العشماوي في هذه القضية بالذات قائلاً: "إن الجواب-الإحصائي الاستقرائي- الذي يكذب العشماوي، تقدمه كتب أسباب النزول نفسها، تلك التي جمعت كل روايات أسباب النزول، حتى الواهي منها روايةً وسنداً...والتي أحصيناها عدداً، فوجدنا أن المدقق منها مثل الواحدي قد روى أسباب النزول ل: (472) آية، من مجموع آيات القرآن البالغة (6236) آية، أي ما نسبته 7، 5 من آيات القرآن الكريم- بينما بلغ المتساهل في الجمع السيوطي² بعدد الآيات التي جمع لها أسباب النزول إلى (888) آية، أي ما نسبته نحو (14) بالمائة من آيات القرآن الكريم... فأين هي أسانيد افتراء العشماوي بأن لكل آيات القرآن الكريم أسباب نزول؟"³.

ناهيك عن كون أغلب الأسانيد ضعيفة أو واهية، هذا ما يدحض الشبهة عن بكرة أبيها.

أما القضية الثانية التي أثارها الشيخ فضل في موضوع أسباب النزول فهي (أزلية القرآن الكريم)، حيث قال بأن الحداثيين بما فيهم نصر أبو زيد يقول بأن موضوع الأزلية يتنافى مع كونه نزل على أسباب، فكون كلام الله القديم لا يتفق مع ما يقال من أنه أنزل ليصحح أحداثاً، ويبين أموراً وقعت

¹ - ينظر: إتقان البرهان، 373/1.

² - الجلال السيوطي: مام حافظ مؤرخ، محدث، مفسر، أديب... ولد سنة 1445م في مصر، نشأ يتيماً حيث مات والده وعمره خمس سنوات، حفظ القرآن وله ثمان سنوات، إمام حافظ مؤرخ، محدث، مفسر، أديب... شرع في الاشتغال بالعلم سنة 864هـ، أجزى بتدريس العربية بعد سنتين، ثم التدريس والافتاء، عندما تقدر به العمر اعتزل الناس وخلا بنفسه في منزله في روضة المقياس على النيل معزولاً عن أصحابه جميعاً ومات فيها، له نحو 600 مصنف منها "الكليل في استنباط التنزيل" و"الإتقان في علوم القرآن"... توفي سنة 1505م. ينظر: معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ص 264.

³ - سقوط الغلو العلماني، محمد عمارة، دار الشروق، ط2، 1422هـ/2002م، ص 255-256.

عند نزول آياته...¹

أما بخصوص رد الشيخ فضل على هذه الشبهة فقد استخدم المنهج العقلي المنطقي فبعد أن نفى صحة هذا الكلام، وأكد ألا تعارض بين أزلية القرآن الكريم مع كونه نزل على أسباب، أورد لنا مجموعة من التساؤلات المنطقية مفادها أن البشر يتوقعون ويخططون لسنين مستقبلية ويتحقق جل ما توقعوه؟ ومثل بحرب فلسطين.²

وهذا معروف في الدول المتطورة كثيراً، فهم يقومون بخطط استراتيجية كبيرة للمستقبل ويتحقق أغلبها عندما تُبنى على ركائز صحيحة.

يواصل الشيخ فضل رده فيبين لنا هدفهم من هذا كله، ألا وهو الوصول إلى القول بأن القرآن الكريم قد انتهت رسالته، فهو قد نزل لأسباب خاصة وهذه الأسباب قد غابت، وبالتالي فلا يعد بعدها مصدرًا للتشريع... يختم الشيخ فضل كلامه بتساؤل منطقي واقعي نقله عن محمد أبو عاصي حيث يقول: " وإني لأتساءل: أي الأمرين يؤدي إلى انحطاط الفكر: أهو إعطاء الوقائع المتشابهة حكمًا واحدًا حسبما يقتضيه العقل، أم أنه التفريق بين التماثلات بحيث نعطي واحدًا منهم حكمًا لا نعطيه للآخر؟ فإن خالفتم بين التماثلات وفرقتم بينهما، فأنتم تقلبون الحقائق وتعكسون الأوضاع وتخرجون بذلك عن منطق العقل...³ وهذا التساؤل الأخير الذي نقله الشيخ هنا يكفي أن يدحض الشبهة عن بكرة أبيها، فلو رد بهذا التساؤل لكفى عناء الرد مطلقًا.

لهذا يمكن القول إن الشيخ فضل قد أجاد وأفاد في هذا الرد العقلي المنطقي ولا يسعني أن أزيد عليه ولو بكلمة.

لكن يوجد عنصر مهم في موضوع أسباب النزول يركز عليه الحداثيون، ويعتبرونه الأصل والأساس الذي يخدم التاريخية المزعومة، ألا وهو الارتباط الشديد بين الواقع والنص -جدلية النص والواقع-، بحيث إن النص يخدم الواقع، بل ويقدم الواقع على النص في أغلب الأحيان، لكي يكون الإسلام واقعيًا

¹ - ينظر: إتيقان البرهان، 376/1-377.

² - ينظر: المرجع نفسه، 377/1.

³ - ينظر: المرجع نفسه، 377/1-378.

حسب نظرهم، والشيخ فضل لم يتطرق إليه رغم أنه قد أفرد للموضوع عنواناً مستقلاً، فحبذ لو تحدث عنه ولو باختصار شديد.

إن القول بأن النص تأثر بالواقع وأثر فيه بما يسمونه بجدلية الهابط والصاعد (الديالكتيك) قول باطل فاقع البطلان؛ لأن النص جاء لتصويب حركة التطبيق والتنفيذ والدلالة على مواطن الخطأ، ووجوه التقصير في تنفيذ الأحكام والتشريعات، وفي هذا تأكيد بالغ الأهمية على ضرورة استجابة الواقع للوحي أو النص استجابة تامة غير منقوصة، ومن ثم لتقديم الصورة الواقعية المثلى لهذه الحركة في عصور التاريخ، أو التي يجب أن تحتذى في هذه العصور بعد أن قدم جيل التنزيل النموذج الأفضل والمثال القدوة.¹

لهذا يمكن القول بأن كلام الحدائين لا يُقبل على إطلاقه، فهناك من النصوص من لا يستجيب للواقع دائماً، وينزل عند حاجته؛ لأن الواقع قد لا يكون متجهاً في الاتجاه الذي يلائم مبادئ النص ومراده؛ فالقرآن الكريم يتأخر نزوله في كثير من الأحيان مع الحاجة الملحة إلى نزوله، كما كان في حادثة الإفك وفي السؤال عن الخمر، وسؤال اليهود عن الروح، وغير ذلك، وأحياناً ينزل النص مندداً ومفندداً للواقع، ومطالباً بتغييره وقلبه، وهو ما كان يحصل، ومثال ذلك تحريم الخمر والحمر الأهلية عندما أكفئت القدور في سكك المدينة..²

الشبهة الثالثة: حول جمع القرآن الكريم.

من أشهر الشبهات التي ناقشها وأبطلها فضل حسن عباس عندما عدد لنا ما في كتب الحدائين من شبهات، شبهة محمد أركون الخاصة بجمع القرآن الكريم، حيث يقول هذا الأخير أن جمع القرآن ابتداءً بعد وفاة النبي ﷺ في عهد عثمان رضي الله عنه، وأن ما كتب بعد الهجرة رقايع متفرقة لم يفرضها النبي ﷺ على المسلمين، مما فسح المجال أمام سقوط آيات كثيرة، كما يقول أيضاً بأن ما دونه الصحابة في حياة رسول الله هو عبارة عن نسخ غير مرضية.³

ابتداءً الشيخ فضل تعقيبه ببيان مصدر الشبهة، حيث أقر بأنها اجترار لقول المستشرقين، وبالضبط

¹ - الإجماع العلماني المعاصر في علوم القرآن دراسة ونقد، ص 376.

² - العلمانيون والقرآن الكريم تاريخية النص، ص 513.

³ - ينظر: إتقان البرهان، 371/2.

المستشرق (بلاشير)، حيث إن هذا الأخير ينفي وجود قرآن مكتوب في مكة قبل الهجرة، وهذا قول جمع من المستشرقين اليهود أيضاً مثل (شاخت) و(جولد تسيهر)، ولم يرد الشيخ فضل على فحوى الشبهة؛ لأن الرد كما قال متضمن في فصل جمع القرآن الكريم.¹

ويستغرب هذا الصنيع من فضل حسن عباس وهو الذي يرد على الشبهات في محلها، ويعقب عليها ويدحضها عن بكرة أبيها؛ لكننا نجد هنا يكتفي بعرض شبهة أركون، رغم خطورتها؟

ويواصل الشيخ فضل عرضه للشبهات الواردة في موضوع الجمع، حيث يُتهم علماء الإسلام بأنهم رفضوا إخضاع قضية جمع القرآن للدرس التاريخي الحديث الذي طبق على الإنجيل والتوراة لأسباب سياسية ونفسية، أما السياسية فلأن القرآن الكريم يمثل ذروة المشروعية للدول الناشئة، أما النفسية فتتعلق بقداسة كتاب الله لاعتقادهم بأن ما بين الدفتين هو كلام الله بالذات، فهم يطابقون بين القرآن المكتوب والخطاب القرآني الشفوي... ليكتفي الشيخ بالتأكيد على صدق كلام أركون الأخير حول قدسية القرآن عند المسلمين وحتى المنصفين، وبأن ما بين الدفتين هو كلام الله بالذات قال، تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ - الأنبياء: 18.²

هكذا كان تعقيب الشيخ على كلام أركون في قضية الجمع، ولم يناقش شيخنا فضل سبب عدم إخضاع المسلمين لقضية جمع القرآن للدرس التاريخي الحديث كما يقول هؤلاء، وهذا إما بنفي صلاحية هذا الدرس المقترح، أو ببيان كيفية تعامل العلماء مع موضوع الجمع من أخذ ورد وبحث.

والذي يمكن أن يقال في هذا الشأن إن موضوع الجمع قد حظي بعناية ودراسة واسعة، أغنتنا عن اللجوء إلى الاستعانة بمنهج الغرب لندرس كتابنا، وطريقة جمعه والحمد لله.

وإذا ما رجعنا إلى الشبهات التي طرحها أركون في قضية الجمع نجد أن هناك شبهة أخرى عرضها في مؤلفاته، ولم يحصها الشيخ فضل حسن عباس الذي عند عرض أفكار أركون في مجال الدراسات القرآنية.

¹ - ينظر: إتقان البرهان، 371/2.

² - ينظر: المرجع نفسه، 371/2.

من بين هذه الشبهات التي وردت في مؤلفات أركون تلك التي تخص ظروف الجمع، حيث يقول أركون أن موضوع البحث هو عبارة عن مجموعة من العبارات الشفهية في البداية، ولكنها دونت كتابة في ظروف تاريخية لم توضح حتى الآن أو لم يكشف عنها النقاب، ثم رُفعت هذه المدونة إلى مستوى الكتاب المقدس....¹.

ويقول أيضا: "إن الانتقال من مرحلة الخطاب الشفهي إلى مرحلة المدونة الرسمية المغلقة (أي مرحلة المصحف) لم يتم إلا بعد حصول الكثير من عمليات الحذف والانتخاب والتلاعبات اللغوية التي تحصل دائما في مثل هذه الحالات، فليس كل الخطاب الشفهي يدون، وإنما هناك أشياء تفقد أثناء الطريق، ونحن نعلم أن بعض المخطوطات قد أتلفت كمصحف ابن مسعود مثلا، ذلك لأن عملية الجمع تمت في ظروف حامية من الصراع السياسي على السلطة والمشروعية".²

كما تحدث عن أهم نتائج هذا الجمع حيث يقول: "لقد نجم عن جمع عثمان عدد من القراءات المؤسفة منها: القضاء على المجموعات الفردية السابقة وعلى المواد التي كانت بعض الآيات قد سجلت عليها، التعسف في حصر القراءات في خمس، حذف مجموعة ابن مسعود المهمة جدا...أضف إلى ذلك النقص التقني في الخط العربي يجعل من اللازم اللجوء إلى القراء المختصين أي شهادة شفهية".³

ومع كل هذه الترهات يشيد بأعمال المستشرقين في هذا المجال، حيث قال بأنهم قاموا بدراسة نقدية لتاريخ النص القرآني، واقتراح نظام ترتيب زمني للصور القرآنية، أمثال المستشرق الألماني (نولدكه) والمستشرق الفرنسي (بلاشير).⁴

ولعل هذا من أخطر ما قاله في موضوع الجمع، وسأرد على الشبهة التي أوردها فضل حسن عباس ولم يرد عليها.

فالقول بأن القرآن الكريم لم يكتب في عهد النبي ﷺ مجرد افتراء لا دليل عليه، فقد كُتب كله في عهده ﷺ، بدليل اتخاذه ﷺ لكتاب يدونون الوحي، وبلغ عددهم أربعين كاتباً منهم: أبو بكر وعمر

¹ - الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ص 41.

² - قضايا في نقد العقل الديني، ص 188.

³ - الفكر العربي، ص 30.

⁴ - ينظر: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ص 81-82.

وعثمان وعلي ومعاوية وأبان بن سعيد وخالد ابن الوليد وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وثابت بن قيس وغيرهم".¹

وكان كلما أنزلت عليه آية أمرهم بكتابتها وبين لهم موقعها من السورة؛ روي عن ابن عباس أنه قال: كان رسول الله إذا نزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب، فقال ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا...²

لهذا يمكن القول بالقرآن الكريم قد كُتِبَ كله في حياته ﷺ، غير أنه لم يجمع في مكانٍ واحدٍ.

أما جمع القرآن في عهد عثمان فلم تكن إلا نسخاً لما جمع في عهد أبي بكر الصديق، وقد اتخذ لجنة للقيام بذلك يرأسها زيد بن ثابت الذي حضر العرضة الأخيرة، حيث جاء بالنسخة التي جمعت في عهد أبي بكر من عند حفصة ووعدها بإرجاعها لها، فلو أنه تصرف في شيء من القرآن لما أرجع لها النسخة فيكشف صنيعه.

ورد في صحيح البخاري أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية و أذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان: (يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القريشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم فافعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق).³

وكان هذا الجمع بموافقة جمهور الصحابة حتى في عملية الحرق التي مست صحائف الصحابة،

¹ - مناهل العرفان، 246/1.

² - المرجع نفسه، 247/1.

³ - صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع المصحف، ح 4702، 1908/4.

فهي لم تكن مصاحف بل صحف كتب فيها بعض السور لا القرآن كاملاً، وقول علي بن أبي طالب خير دليل على إجماعهم رغم اعتراض بعضهم، لكنهم رضوا من أجل لم شمل الأمة حيث يقول: (يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان ولا تقولوا له إلا خيراً [أو قولوا له خيراً] في المصاحف وإحراق المصاحف، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا جميعاً...)¹ فأين الغموض في جمع عثمان؟ وأين التلاعب فيه وقد كان بمشورة الصحابة التي لا تجتمع على خطأ؟

هذا فيما يخص الشبهات التي طرحها أركون في موضوع جمع القرآن الكريم، لكن هناك شبهات أخرى طرحها غيره من الحدائين في الموضوع، فهذا هشام جعيط² و طيب تيزيني³ ... يقولان بأن القرآن الكريم لم يكن مكتوباً من قبل، وهم في هذا يرددون أقوال شيوخهم المستشرقين لا غير.

كما طالت المرحلة الثانية لجمع القرآن، وهو جمع أبي بكر الصديق شبهات بوجود ثغرات كبرى أثناء الجمع حيث يقول نصر حامد أبو زيد: "... والإشكالية الثانية التي تثيرها ظاهرة النسخ هي: إشكالية جمع القرآن في عهد الخليفة أبي بكر الصديق، والذي يربط بين النسخ ومشكلة الجمع ما يورده علماء القرآن من أمثلة قد توهم بأن بعض أجزاء النص قد نسيت من الذاكرة الإنسانية."⁴

فهذا الأخير يقول بضياع جزء من القرآن الكريم، وهذا ما أقره تيزيني أيضاً حيث استشكل عمل زيد بن ثابت الذي أخذ الآيتين من أبي خزيمة الأنصاري، والذي لم يجدهما عند غيره، بينما لم يأخذ بآية الرجم التي جاء بها عمر...⁵

ومن أشر الشبهات التي طرحت في جمع عثمان رضي الله عنه من قبل طيب تيزيني ونصر أبو زيد، وسعيد العشماوي...، وأهم الشبهات التي طرحوها تدور حول وجود الزيادة والنقصان في المصاحف، وحذف بعض الآيات وإقحام بعضها في غير موضعها، وإحراق المصاحف...والرد على هذه الشبه وغيرها نجده وافيًا شافيًا في كتاب "الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن".⁶

¹ - المصاحف، جمع عثمان رحمة الله المصاحف، ص 25/1.

² - الوحي والقرآن والنبوة، ص 44-45.

³ - النص القرآني، ص 63.

⁴ - مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995م، ص 131.

⁵ - النص القرآني، ص 406.

⁶ - ينظر: الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن، ص 437-450.

فالمقام لا يتسع للرد عليها كلها، هذا ما وفقني الله لذكره والله أعلى وأعلم.

الشبهة الرابعة: حول النسخ.

يعد مبحث الناسخ والمنسوخ من أهم الروافد التي استغلها الحداثيون للبرهنة على تاريخانية النص القرآني، وفي هذا يقول فضل حسن عباس: " يرى العلمانيون أن النسخ يعد الحجة القطعية على تاريخانية القرآن الكريم وإخضاعه للواقع".¹

لقد تطرق فضل حسن عباس للشبهات المطروحة في موضوع النسخ، أثناء حديثه عن محمد أركون، وما أدلى به من شبهات في حقل الدراسات القرآنية، تحت عنوان: تجريحه للفقهاء والعلماء موقف أركون من الموضوع، حيث إنه يعتبر النسخ نتاجاً عن مناقشات الأصوليين يقول الشيخ فضل: "... كما أن قولهم بأن من معاني النسخ استبدال نص بنص كان ناتجاً عن مناقشات الأصوليين الذين وجدوا أنفسهم أمام نصوص متعارضة، فاحتجوا به لوضع ما يتناسب مع مقاصدهم؛ لأنهم لم يستطيعوا نزعها بعدما ثبتت في المصاحف، ونفس الشيء يقال عن الإجماع، وبالتالي يمكن القول بأن التراث الفقهي والتفسيري من صنع البشر، والذي مع مرور الزمن أصبح كل ما في التراث الديني مقدس".²

واكتفى الشيخ برده بأن أغلب ما قيل لا يحتاج إلى رد، وأن سبب قول أركون هذا وغيره هو الحقد أكثر من كونه جهلاً.

أما فيما يخص شبهة نصر حامد أبو زيد وهي قوله: بأن مفهوم النسخ هنا بمعنى إزالة تامة للنص وكذا شبهة أن العلماء لم يناقشوا ظاهرة نسخ التلاوة... فقد اكتفى الشيخ فضل بتعقيب عام شمل مختلف الشبه المطروحة، حيث قال بأن كتاب نصر أبو زيد يفتقر إلى المنهجية والأمانة العلمية، كما أن أغلب الأقوال لا تحتاج إلى رد، إما لأنه ردها سابقاً، أو لوضوح خطئها نظراً لكثرة المنزقات التي وقع فيها.³

¹ - إتيقان البرهان، 376/2-377..

² - المرجع نفسه، 377/2.

³ - المرجع نفسه، 399/2.

أختم بشبهة شحور، حيث يقول بأن النسخ لا يكون في القرآن الكريم بل يكون في أم الكتاب...، وقد اكتفى الشيخ هنا بتعقيب عام على مختلف افتراءاته، وقال بأن كلامه يجمع بين الخلط والخبط.¹

وما يمكن أن أصل إليه في نهاية عرضي لشبهات الحدائين التي طرحها الشيخ فضل القول بأن رد الشيخ وتعقيبه كان عامًا وسطحيًا، يفتقد إلى المنهج الدفاعي الرصين الذي اعتدناه في ردود الشيخ، خاصة في موضوع النسخ، هذا الموضوع الذي يعتبر من أخطر المواضيع المطروحة.

لهذا يمكن القول بأن موضوع النسخ من أهم الموارد التي تُستعمل في إثبات تاريخية النص القرآني عند الحدائين، وقد استغلوه أتم استغلال ليصلوا إلى القول بجذلية النص والواقع، حيث إن الواقع يؤثر في النص ويغيره وربما يستبدله، وهذا ما يسمى بظاهرة الناسخ والمنسوخ عندهم.

لقد اهتم الحدائون بموضوع النسخ، وتحدثوا عنه في مؤلفاتهم وكتبهم، وذريعتهم في ذلك كون القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان، ومتماش مع الظروف الاجتماعية وتطوراتها، وفي هذا نجد طيب تيزيني يتحدث عن علاقة الناسخ والمنسوخ بالوضعية الاجتماعية المشخصة، حيث يقول بأنها إبطال لمفعول آية قرآنية من خلال آية أخرى اعتبرت أكثر استجابة منها للمعطيات المستجدة في الواقع الجديد المتحول والمتصاعد نحو التعقد، أي لمعطيات الجمهور الذي يخاطبه محمد محققًا بذلك خطأ يتم فيه الانتقال من الكلي الإجمالي إلى الجزئي الخصوصي...².

من أهم الشبهات التي يطرحها الحدائون في هذا الموضوع أنهم جعلوا موضوع النسخ بيد البشر بدءًا من رسول الله ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم، ليد الفقهاء والمشرعين... وصولاً إلى عصرنا الحالي، ووضعه في يد العلماء والمجتهدين- حيث يجعلون أنفسهم من العلماء المشرعين-. يقول طيب تيزيني: "لقد جرى تعليق مجموعة من الأحكام والقواعد القرآنية على مدى قرون طويلة، وكانت بداياته الأولى قد تمثلت بصيغة الناسخ والمنسوخ، حيث تبين لمحمد الرسول أن آية معينة أصبحت دون إمكانية الاستجابة لواقع الحال المشخص المعني في حينه، وقد اكتسب هذا الأمر طابعا قرآنيا، أي مقرًا به حكمًا، والسؤال الآن يُفصح عن نفسه على النحو التالي: إذا كان النبي نفسه قد ارتأ - عبر الوحي - ضرورة إعادة النظر في آيات

¹ - إتقان البرهان، 412/2.

² - ينظر: النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، طيب تيزيني، دار الينابيع، 1997م، ص 217.

معينة، فلم لا يصح ذلك على أيدي الناس المؤمنين الخاضعين للتغير الاجتماعي مدًا وجزرًا، وكذلك الذين جاء النص من أجلهم للناس كافة؟¹.

أما محمد يحيي² فيقول إن عملية النسخ لا يمكن أن تتوقف؛ وهذا بسبب الظروف المحددة لمرحلة الخطاب، فمادام هناك أحداث جديدة وظروف وتطورات متصاعدة، فالنسخ يعيد ذاته في آفاق مفتوحة لا تعرف السدود والانغلاق...³ هذا ما يقودنا إلى القول بأن النسخ بهذه النظرة السطحية سيخضع للأهواء والآراء عبر الزمن.

وآخر نقطة تتعلق بقضية النسخ، وقد تحدث فيها العلماء كثيرًا، وهي الرد على شبهة تعارض القول بالنسخ مع القول بأزلية القرآن الكريم، فرغم أن فضل حسن عباس قد رد على تعارض القول بنزول القرآن والأزلية، إلا أنه لم يتطرق إلى هذه النقطة والتي تعد أهم من سابقتها.

يقول نصر أبو زيد: "لكن ظاهرة النسخ تشير في وجه الفكر الديني السائد والمستقر إشكاليتين يتحاشى مناقشتهما، الإشكالية الأولى: كيف يمكن التوفيق بين هذه الظاهرة بما يترتب عليها من تعديل للنص بالنسخ والإلغاء، وبين الإيمان الذي شاع واستقر بوجود أزلي للنص في اللوح المحفوظ؟...⁴

أما طيب تيزيني فقد دعا إلى إعادة النظر في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ - الحجر: 09-؛ لأن مفهوم الحفظ لا يتناسب مع ظاهرة النسخ حسب زعمه حيث يقول: "فإذا كان هناك - بإقرار من النص ذاته ومن ثم من الفكر الإسلامي - إشكالية محدودة الملامح هي تلك المسألة، أفلا يقضي ذلك إلى طرح فكرة "إننا له لحافظون" كما هي شائعة في مفهومها المباشر على بساط البحث؟. وعلى هذا يغدو السؤال المركب التالي ضروريا: إذا كان النسخ قد حدث فعلاً، بما فيه من تبديل لآيات وإلغاء لأخرى، فكيف يمكن القول بنص ثابت وأزلي يعيش فوق الأحداث

¹ - النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، ص 362-363.

² - محمد يحيي: منظر ومفكر إسلامي من مواليد 1959م في العراق. صدر له العديد من الكتب والدراسات الدينية والفلسفية والفكرية، أبرزها: "مدخل إلى فهم الإسلام"، "نقد العقل العربي في الميزان"، "الاجتهاد والتقليد والاتباع والنظر"، "القطيعة بين المثقف والفقير" وغيرها، ابتكر علما خصوصا سماه "علم الطريقة" وهو شبيه الاعتبار بما يطلق عليه "فلسفة العلم" وكان هدفه هو إثبات القطيعة مع كافة ضروب التفكير المذهبي، وإحداث نقلة نوعية في نمط التفكير والبحث... انظر: mail.fahmaldin.net، تاريخ الاطلاع: 06-06-2023م.

³ - ينظر: جدلية الخطاب والواقع، يحي محمد، ص 124-128.

⁴ - مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، ص 131.

والوقائع وله وجوده الأزلي في اللوح المحفوظ؟ ثم إذا كان هناك إقرار بالنسخ، فما الذي بقي في المصحف العثماني المكتوب، المحكم أم المتشابه؟...¹. كما خصص حسن حنفي² لهذا الموضوع عنواناً منفرداً في كتابه " مفهوم النص"...³.

لكن كل ما قاله الحداثيون في موضوع النسخ باطل لا أساس له، وأكتفي بالرد الجمل عليه بالقول بأن النسخ من عند الله عز وجل، وليس لأحد نسخ آية ولو كان رسول الله ﷺ نفسه، كما أنه لا تعارض بينه وبين أزلية القرآن الكريم، فنحن نتحدث عن خالق عظيم خلق الكون، ويعلم بما كان وما سوف يكون، ولن يعجزه موضوع النسخ سبحانه وتعالى.

الشبهة الخامسة: حول الإعجاز القرآني.

يعد مبحث الإعجاز من أهم مباحث علوم القرآن التي تجذب غير المسلمين لهذا الدين الحنيف، حيث يتأثر به كل واحد يحمل فطرةً سليمةً، وعقلاً راجحاً، يبحث عن الحقيقة دون تدخل الأهواء؛ فيتأثر بالقرآن العلماء الذين يتخصصون في العلوم والفيزياء وغيرهم؛ عندما يجدون أن ما توصلوا إليه بعد عناء وبحث قد أقره القرآن الكريم منذ عقود، فتستسلم فطرتهم لهذا الدين الحنيف، وهذا ما حصل فعلاً مع العالم (موريس بوكاي) المسلم، ونفس الشيء يحدث مع الأدباء والمفكرين وعلماء الاجتماع وغيرهم ومازال يحدث إلى يومنا، حيث إنهم يجدون في القرآن الكريم ما يثلج صدورهم ويروي عطشهم، ويتوافق مع فطرتهم.

لكن الحداثيين عميت أبصارهم عن هذا كله، وراحوا ينفون إعجاز القرآن الكريم كله، ويؤكدون وجوده في بعض الآيات فقط لا في أغلبها، أو أنهم يقولون بأن المسلمين قد تأثروا بثقافات أخرى جعلتهم يقولون ذلك.

¹ - النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، ص 254.

² - حسن حنفي: هو مفكر مصري وأستاذ جامعي، ولد سنة 1935م، يعدّ واحداً من منظري تيار اليسار الإسلامي وتيار علم الاستغراب، وأحد المفكرين العرب المعاصرين، من أصحاب المشروعات الفكرية العربية. من مؤلفاته "التراث والتجديد"، "من النقل إلى الإبداع"، "مقدمة في علم الاستغراب"، توفي في 2021م. ينظر: <https://ar.m.wikipedia.org>، تاريخ الاطلاع: 02-06-2023.

³ - مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، ص 148.

يقول فضل حسن عباس أن أركون قد عقد فصلاً منفرداً في كتابه يتحدث فيه عن الإعجاز، ويرد قوة الظاهرة القرآنية إلى أمرين، الأول: جهود بعض الشخصيات الدينية المثقفة، الثاني: قوة الدولة التي قامت بعملها حسب المنعطفات التاريخية، ثم يشير أركون إلى دراسات الإعجاز، ويتهمها أنها تأثرت بالمنطق وببلاغة أريستو ممثلاً برسالة الباقلاني؛ كما أنه أرجع ضعف نظرية الإعجاز إلى الخلط بين المستوى اللغوي والبيولوجي والنفسي والتاريخي، ويرى أن دراسة الإعجاز جاءت استجابة لموقفين: موقف يدرس القرآن بوصفه قضاء تسقط فيه العقائد، والهلوسات التي حلم بها الوحي الإسلامي الخاضع لضغوط نفسية وثقافية، وموقف الرسائل المتخصصة بالإعجاز حيث لاحظ أصحاب هذا الموقف أن النص القرآني وأساليبه نقضاً للعادة على الرغم من خضوع وعيهم للحاجة إلى البرهنة على صفة الإعجاز.¹

يفتح فضل حسن عباس تعقيبه وردة على هذه الشبهة بطرح تساؤل مهم للغاية، ألا وهو مرجع التأثير للقرآن الكريم منذ نزوله على العرب غير المسلمين؟ وسره الذي لازال مطروحاً إلى يومنا، ولم يكن للإسلام يومئذ دولة ولا شخصيات مثقفة؟ ثم يقول إن صنيع القرآن بالقلوب يعد وجه من أوجه إعجاز هذا الكتاب العظيم...²

وبهذا يمكن أن أقول بأن الشيخ فضل قد استخدم المنهج العقلي المنطقي للرد على فحوى هذه الشبهة، حيث طرح سؤالاً منطقياً يدحض ما افتراه أركون على القرآن الكريم ووجوه إعجازه.

أما شحور فقد قال الشيخ أنه يرى أن الإعجاز يكمن في السبع المثاني والتي هي الآيات الكونية والعلوم والنشأة والخلق، وبالتالي فالتشريع والعبادات لا يرى فيها إعجازاً إذ هي قابلة للتطور، وأن الآيات المحكمات قابلة للتزوير والتحريف؛ لهذا وزعت الآيات المتشابهات بين آيات المحكمات لتكون حافظاً ورقياً عليها من التزوير...³ ولم يعقب فضل حسن عباس على هذا الافتراء، فهو بصدد عرض ما ورد في كتاب شحور فقط كما يقول، كما أنه يعتبر كتاب شحور هذا خلطاً وكذباً وافتراءً، لا يرقى أصلاً إلى النقاش والأخذ والرد.

¹ - ينظر: إتيقان البرهان في علوم القرآن، 374/2.

² - ينظر: المرجع نفسه، 374/2.

³ - ينظر: المرجع نفسه، 412/2.

وإذا ما عدنا إلى أهم الشبهات التي طرحها الحداثيون في موضوع الإعجاز خارج مؤلفات فضل حسن عباس نجد نصر أبو زيد يقول بأن الإعجاز خارج عن النص، فهو ينبع من عجز العرب على الإتيان بمثله، وهذا لتدخل القدرة الإلهية الخارقة التي حالت دون ذلك: فالنص في ذاته - أي من حيث هو نص لغوي - كان مقدورًا للبشر الإتيان بمثله لو خلى بينهم وبين قدراتهم العادية.¹

وهذا هو رأي المعتزلة التي تقول بنظرية الصرفة كما هو معروف عند الجميع، وبطلان هذه الشبهة وغيرها ثابت لا نقاش فيه، فكتب علوم القرآن قد ناقشت الموضوع بجدية وحزم حتى بات الأمر واضح وضوح الشمس.

وعليه يمكن القول بأن آراء العلمانيين حول إعجاز القرآن خاطئة علميًا وعقديًا وعقليًا، فالقرآن معجز في ذاته، ولا يمكن لأحد أن يدانيه أو يشابهه، لا في أحكامه، ولا في معانيه، ولا في بلاغته.²

الشبهة السادسة: حول القراءات القرآنية.

تناول الشيخ فضل في حاتمة كتاب (إتقان البرهان في علوم القرآن) فصلا بعنوان: الحداثيون والعلمانيون أمام النص القرآني، فعرض لنا أقوال محمد أركون ونصر حامد أبو زيد ومحمد شحرور وما حوته كتبهم من شبهات وأفكار خطيرة فيما يخص القرآن الكريم وعلومه، وهذا الجانب لا إشكال فيه، لكنه ختم الفصل بإيراد شبهات الخوئي³ في القراءات القرآنية، والمعروف أن السيد أبو القاسم آية الله الخوئي أنه من علماء الشيعة الدارسين لعلم الحديث والتفسير والقراءات...، وقد تساءلت عن سبب إدراجه هنا مع الحداثيين والعلمانيين وشبهاتهم، وقد تناول من قبل أعيانا من الشيعة في هذا الكتاب ولم يجعلهم مع الحداثيين؟ هذا السؤال يتبادر إلى ذهن القارئ الذي يكتفي بالاطلاع على الفهرس فقط، وإن لم يطلع على محتوى الكتاب، واتباعًا لصنيع الشيخ فضل رحمه الله الذي لا يخلوا من سبب في فعله وإن لم يظهر لي أحببت أن أذكر أمورًا منها:

¹ - ينظر: مفهوم النص، ص 165-166.

² - التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن عرض ونقد، ص 251.

³ - أبو القاسم الخوئي: أبو القاسم بن علي أكبر بن هاشم تاج الدين الموسوي الخوئي المعروف بأبو القاسم الخوئي. هو مرجع دين شيعي، كان يرأس الحوزة العلمية بمدينة النجف بالعراق، وكان مرجعاً وزعيماً لملايين الشيعة الاثنا عشرية في العالم، ولد سنة 1899م من مؤلفاته "البيان في تفسير القرآن"، "منهاج الصالحين"، "رسالة في البأس المشكوك"... توفي سنة 1992م. ينظر: <https://ar.m.wikipedia.org>، تاريخ الاطلاع: 02-06-2023.

شبهات الخوئي هنا عبارة عن تساؤلات مطروحة يقوم الخوئي بالإجابة عنها وبيانها، فالشبهة الأولى هي قوله أن جماعة قد ذهبت إلى حجية القراءات والاستدلال بها في الحكم الشرعي...، وأجاب الخوئي على هذا أن قرّر أن هذه القراءات لا يحتج بها في الحكم الشرعي، وهذا لاحتمال الغلط والاشتباه عند القراء، كما أنه لا يوجد دليل عقلي أو شرعي لاتباع قارئ منهم دون غيره...

أما رد الشيخ على هذه الشبهة فقد شرح لنا طريقة تلقي هؤلاء القراء لقراءاتهم وتواتر ذلك عندهم، فاشتتار القارئ بقراءة معينة يدل على أنه آثرها على غيرها ولزمها واشتتار وعرف بها، فهذه الإضافة إضافة اختيار ولزوم لا إضافة رأي واجتهاد واختراع¹ وبهذا يمكن أن أستنتج منهج الرد على هذه الشبهة وهو المنهج النقلي، حيث إن الشيخ شرح لنا كيفية تلقي القراء لقراءاتهم، وهذا بالسند المتصل المتواتر، ولم يكن للاجتهاد فيه نصيب.

والشبهة الثانية التي أوردها الخوئي فهي افتراض أن القراءات ليست متواترة بل أثبتت بحجية خبر الواحد، وردّها نفس رد الشبهة الأولى وهي أن القراءة متواترة عن طريق الرواية لا اجتهاد فيها.

الشبهة الثالثة مست القراء وتوثيقهم، حيث نقل الشيخ فضل عن الخوئي أنه لا يوثق القراء كلهم، لهذا فروايتهم لا تدخل تحت حجية خبر الثقة، وقد اعتمد في هذا على كتب الجرح والتعديل التي حكمت على بعض القراء بالضعف في رواية الحديث...، أما رد الشيخ فقد وافقه في تضعيف بعض القراء من قبل العلماء، لكن ضعفهم هذا شمل الحديث لا القراءات، فمن غير المعقول أن تجتمع عليهم الأمة وعلى قراءتهم؟ كما أن الضعف في علم لا يعني الضعف في العلوم الأخرى وهذا معروف، كما استدل الشيخ أيضا بقول الذهبي في الموضوع.²

ومسلك الشيخ في الرد على هذه الشبهة هو المنهج العقلي المنطقي؛ لأنه استعان بأدلة عقلية منطقية.

الشبهة الأخيرة للخوئي: وهي أنه لو افترض تواتر القراءات وثقة رواته، لكنه قال أنها لم تصدر كلها عن رسول الله ﷺ، وبالتالي يحدث هناك تعارض بين الروايات فتسقط كليهما...

¹ - ينظر: إتيان البرهان، 2/ 422-423.

² - ينظر: المرجع نفسه، 2/ 423-424.

ينكر الشيخ فضل كلام الخوئي ويقول بأنه لم يقل به أحد من العلماء، فلا يوجد هناك اختلاف بين القراءات في الأمر والنهي والحلال والحرام، فالقراءة بمثابة الآية بالنسبة للقراءة الأخرى التي بمثابة الآية أيضا.¹

وهذا رد عقلي منطقي يحرس هذا المفتري فجزى الله الشيخ خير الجزاء، وأهم قاعدة يمكن أن أختتم بها هذا المبحث المهم، أن العلم الشرعي لا يبنى على الافتراضات والاقتراحات كما صنع الخوئي، إنما هو علم رصين يبنى على قواعد علمية متينة، عكف العلماء على حبكها وتسطيرها، وقد وفقهم الله تعالى في ذلك، وهذه القواعد تقف كالسد المنيع أما هذه الافتراضات والترهات التي لا وزن لها.

إن أهم شرط في صحة القراءات القرآنية هي التواتر أو صحة السند مع الشهرة، ثم تأتي موافقة اللغة العربية ولو بوجه، وموافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، والخوئي نقض أهم شرط فيها وهو التواتر؛ فكلامه مردود عليه من أصله.

المطلب الثاني: شبهات حول مباحث التفسير.

الفرع الأول: موقف الحدائين من التراث ومناهجه.

ركب الحدائون حملة شعواء على التراث الإسلامي، وأرادوا أن يضربوه عرض الحائط؛ وهذا يرجع لانبهارهم بالثقافة الغربية وما فعلته مع مقدساتها وتراثها الموروث، فهؤلاء الحدائون نسخة للغربيين في بلاد الإسلام، وما عجزوا على فعله حمل الحدائون عناء تطبيقه مهما كلفهم ذلك، لكنهم قد غفلوا هم وأسيادهم المستشرقون عن نقطة مهمة، ألا وهي الفروق الشاسعة بين القرآن الكريم وبين الكتب السماوية المحرفة والديانات الوضعية، فالمناهج التي يجوز تطبيقها على هاته الكتب والديانات لا يجوز تطبيقها على القرآن الكريم؛ كونه الرسالة العالمية الخاتمة التي تكفل المولى عز وجل بحفظها إلا أن يرث الله الأرض وما عليها، لكن هيئات هؤلاء أن يسمعوا إلى الحق ويتبعوا الطريق السوي.

ولأهمية هذا الموضوع وخطورته في نفس الوقت، نجد فضل حسن عباس يتطرق إليه في كتابه (إتقان البرهان في علوم القرآن)، ويتحدث عن هؤلاء الحدائين، وعن أهم المناهج التي سعوا إلى تطبيقها على القرآن الكريم، وفي هذا عرض لأهم ما نقله في الموضوع.

¹ - ينظر: إتقان البرهان، 425/2.

وإن كان هذا المطلب لا يحوي على مناهج دفاعية واضحة، فالشيخ فضل حسن عباس في صدد عرض أهم آرائهم في الموضوع وإحصائها دون إيراء رد مفصل، أستخرج من خلاله منهج دفاعيًا واضحًا، لهذا إن وجدت منهجا بينته، وإلا بينت موقفه فقط.

يقول فضل حسن عباس أن موقف الحداثيين من التراث ومناهجه متباين نوعا ما، فهناك من يرى أنه ينبغي أن تتجاوز المناهج القديمة التقليدية غير الدقيقة، ومنهم من يدعو إلى الالتفاف على هذا التراث ووضعه في زنانة الاستنطاق الحداثية، لكن نتيجة كلا الموقفين واحدة ألا وهي تهميش التراث الإسلامي.

فالقرآن من وجهة نظر هؤلاء لم يعد ذا مصدر إلهي، بل هو نتاج تاريخي تعاونت على تأسيسه مجموعة من العوامل السياسية والاجتماعية، وهو نتاج تجربة فردية قام بها محمد في إطار زمني ومكاني محدود، وبالتالي فهو كنص أدبي يخضع للنقد والدراسة...¹

يشرع الشيخ فضل بالحديث عن موقف أركون من التراث من خلال كتبه، حيث يقول هذا الأخير أن التعامل مع التراث يمشي على مسارين: الأول يعطي الأولوية للدينامو الروحي الخاص بالتراث، ويرفض المعطيات التاريخية وهذا يمثله الحركات الإسلامية، والثاني يترك التراث مفتوحًا خاضعًا للتغيير المستمر حسبما يقتضيه التاريخ—وهذا يمثله أركون—.

كما أنه تعرض للتراث بالنقد بدءًا بالقرآن والسنة، حيث يقول إنه من الصواب تحديث الإسلام في مقابل جهود أسلمة الحداثة؛ لأن الإسلام لا يتم لنا إلا من خلال أدوات معرفية ومصطلحات يوفرها لنا علم الاجتماع.²

يتعقب فضل حسن عباس هذا الكلام بقوله إن هذا الأخير يسعى إلى تحديث الإسلام، وليس أسلمة الحداثة؛ لأن الفرق بينهما كبير، ونتيجة ذلك أن الإنسان سيفقد ما بقي له من عناصر تزكوا بها الروح وتطهر بها النفس.³

¹ - ينظر: إتقان البرهان، 2 / 362-363.

² - ينظر: المرجع نفسه، 2/368-369.

³ - ينظر: المرجع نفسه، 2/369.

والذي يظهر من كلام الشيخ فضل أنه مع فكرة أسلمة الحداثة- والله أعلم-؛ وهذا لأنه لم يعارض هذا القول الذي جعله معقباً بدلاً لفكرة تحديث الإسلام، وقد صدق فعلاً بقوله إن الفرق بينهما شاسع جداً.

و كان عبد المجيد شرفي¹ من أبرز الحداثيين الذين يدعون إلى تحديث الإسلام، وقد كان ذلك واضحاً في مؤلفاته (الإسلام والحداثة) وكتاب (تحديث الفكر الإسلامي)، وهذا هو هدف أغلب الحداثيين العرب، حيث أرادوا إخضاع الإسلام إلى مناهج غربية بحتة وتقديم قراءات معاصرة للإسلام والقرآن، وفقاً لما يتماشى مع روح العصر على حد قولهم.

كما نجد أيضاً مفكرين مسلمين يدعون إلى أسلمة الحداثة، وهذا من خلال إخضاع كل ما نصت عليه الحداثة لتعاليم الإسلام وأحكامه...، والذي يبدو والله أعلم أننا لسنا مجبرين على اختيار أي من الاقتراحين السابقين (الأسلمة والتحديث)؛ وهذا لاستحالة ذلك، فلا الإسلام قدم وبال لنعمل على تحديثه، ولا الحداثة يمكن لها أن تتأسلم؛ وهذا نظراً لصعوبة مناهجها واتجاهاتها ومصطلحاتها الفلسفية، فهي خاصة بالغرب...

لكننا نجد في العصر الحديث تياراً ثالثاً حاول التأسيس لحداثة إسلامية تجعل من الإسلام الرسالة العالمية الخاتمة، التي تصلح لكل زمان وكل مكان، وهذا ما جاء الإسلام لتحقيقه.

من بين هذه النماذج أختار طه عبد الرحمن في كتابه (روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية)، حيث حاول هذا الأخير أن يقارب بين الثنائية (الإسلام والحداثة)، على خلفية أن روح الحداثة كانت وما زالت متأصلة إنسانياً وتاريخياً، والأمم الحضارية كلها تستوي في الانتساب إلى هذه الروح، وما الحداثة الغربية إلا واحدة من التطبيقات الممكنة لهذه الروح، وكما أن هناك حداثة غير إسلامية، فكذلك ينبغي أن تكون هناك حداثة إسلامية.²

¹ عبد المجيد الشرفي: ولد سنة 1942م بصفاقس من عائلة برجوازية، هو جامعي تونسي متخصص في الفكر والحضارة الإسلامية، أستاذ فخري في جامعة تونس يحاول فهم النص القرآني بالاعتماد على الأدوات التحليلية للعلوم الإنسانية، تقلد العديد من المناصب المهمة، وحاز على العديد من الجوائز المحلية والعربية، من مؤلفاته "الإسلام والحداثة"، "مرجعيات الإسلام السياسي"، "الإسلام بين الرسالة والتاريخ" وغيرها. ينظر: <https://ar.m.wikipedia.org>، تاريخ الاطلاع: 2023-06-02.

² - الإسلام والحداثة وما بعد الحداثة، زكي ميلاد، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، العدد 21، 1431هـ/2010م، م7، ص103-104.

هذا فيما يخص آراء أركون في الموضوع المتعقب عليه، وبعض الزيادات التي تمثل شرحاً لمصطلح التحديث والأسلمة.

النموذج الثاني الذي تطرق له فضل حسن عباس في الموضوع هو: نصر حامد أبو زيد، هذا الأخير يعرف بهجمته الشرسة على التراث الثقافي والديني والحضاري للأمم، فهو يطعن في كتاب الله تعالى وفي شخص النبي ﷺ، وهو في هذا يكتب مع وجود تصورات مسبقة عنده، بدليل أنه يصف خصومه بأصحاب الفكر الرجعي، حيث توصل في الأخير إلى أنه يجب التعامل مع القرآن على أنه نص لغوي محوري في الثقافة العربية، كما أنكر أن تقوم الحضارة على النص وحده، بل جعل منشأ الحضارة أيضاً جدل الإنسان مع الواقع من جهة، وحواره مع النص من جهة أخرى...¹

وهذا نفس قول أركون وغيره من الحدائين في اعتبارهم القرآن كأبي نص أدبي، وهذا لفتح الباب أمامهم ليضعوه على مشرحة النقد كما يقولون، ولم يعقب الشيخ فضل كلام نصر أبو زيد هذا رغم خطورته.

أما فيما يخص منهج التعامل مع التراث فيقول الشيخ فضل حسن عباس أنهم يستنجدون بالألسنية المعاصرة، فهي مع غيرها مناهج بديلة للمناهج التفسيرية القديمة التي فقدت قدرتها على الخلق والإبداع ومواكبة روح العصر - على حد زعمهم²

وهذا ما يتأكد في أقوالهم، فأركون مثلاً يتهم المنهج الإسلامي بنزع الصفة التاريخية عن القرآن وكيفية تشكله، بعكس الاستشراق الذي يعتمد على السياق اللغوي والتاريخي للآيات، أما منهجه هو فيجمع بين الثيولوجي والفيلولوجي، وعلى هذا فهو يستعيد أدبيات أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والأحاديث التي استشهد بها دعماً للتفسيرات المختلفة من أجل إعادة كتابة تاريخ حقيقي للقرآن الكريم.

...

يتعقب الشيخ كلام أركون هذا لينبه على مغالطة وقع فيها، وهي ادعاؤه أن له منهجاً مخالفاً على منهج المستشرقين، واتهامه المنهج الإسلامي بنزع الصفة التاريخية من القرآن، وقال الشيخ فضل حسن

¹ - ينظر: إتيان البرهان، 393/2 - 395.

² - ينظر: المرجع نفسه، 363/2.

عباس أنه قد تطرق إلى هذه المغالطة ورد عليها في فصل جمع القرآن.¹

فكان نتاج هذا على حد قول الشيخ أن استباحوا حرمة النص بقولهم إن الإسلام ليس له وجود خارجي عن أذهاننا، بل هو مجرد أنماط وتصورات يجب تفكيكها وتحليلها بغية تحرير الإنسان العربي من سجنها، كما يهتمون بنصوص القرآن بحجب الحقيقة، وهم بهذا يدعون إلى الرمزية، فيعتبرون القرآن مجرد رموز يدل على مفاهيم نظرية وفلسفية غايتها السيطرة على الواقع.²

هكذا عرض فضل حسن عباس موضوع موقف الحدائين من التراث، وقد كان العرض من خلال مؤلفات كلا من: أركون ونصر أبو زيد، وهذه في الغالب نظرة الحدائين للموضوع، -باستثناء نظرة الجابري، حيث إنه لا يعتبر القرآن من التراث كما قال أغلب الحدائين-. فغرض هؤلاء ليس نقد التراث بل هدمه ورفضه، والمساس بقُدسية القرآن الكريم، ونفي مصدره الإلهي، فلو سلمنا فرضاً قبول دراساتهم وأبحاثهم على التراث الإسلامي عموماً لكان هناك مجال للنقاش والمدارسة، لكن ما دامو يعتبرون القرآن والسنة من التراث فعلمهم يُكب في مزبلة التاريخ؛ وهذا لأنهم تجاوزوا كل القواعد والقوانين التي يسير عليها العالم، وهو تقديس كل شيء يأتي من السماء.

توجد نقطة مهمة وددت الإشارة إليها، وهي عدم إدراج الشيخ فضل حسن عباس لأهم المناهج التي استند إليها هؤلاء الحدائين لدراسة التراث، مادام قد تطرق لموضوع الحدائنة وأُفرد فصلاً كاملاً في كتابه (إتقان البرهان في علوم القرآن)، فكان من الأجدر التطرق إلى هذه النماذج والرد عليها كما هي عادة الشيخ في مختلف المباحث التي سبق عرضها.

إن المناهج المستخدمة من قبل الحدائين هي عبارة عن مناهج غريبة بحتة، رغم التبرؤ من بعضها من قبل الغربيين أنفسهم، فمنهج هؤلاء معروف في التلاعب بالمصطلحات، وتغيير المسميات والإطلاقات؛ ليظهر للقارئ وجود الاختلاف، ولكن كل شيء واضح، فلا يستطيعون خداعنا بمصطلحات فلسفية ومسميات جديدة براقية.

¹ - ينظر: الإتقان البرهان، 370/2.

² - المرجع نفسه، 363/2.

إنهم يعتمدون على المناهج الغربية التي طبقها الغرب على الكتب المقدسة، وكل التراث الذي توارثوه عن أجدادهم في ثورتهم المعروفة من لسانيات تطبيقية وبنوية وتفكيكية... فجاء هؤلاء الحداثيون بادعاء قراءات جديدة من الهرمينيوطيقية، والتشطيرية، والسيميائية... كل هذا من أجل إثبات بشرية القرآن، ونفي سماويته، والضرب عرض الحائط كل التراث الإسلامي، واستبداله بكل ما وصل إليه الغرب دون تمحيص، ولا مراعات لخصوصية المجتمعات الإسلامية.

وقد نبه إبراهيم السكران إلى نقطة مهمة في مشروع إعادة قراءة التراث عند الحداثيين، وهي أن البرامج الحداثية في قراءة التراث في جوهرها دورها نقل القارئ المحافظ من القراءة في الموروث الإسلامي إلى قراءة في الموروث الفلسفي الغربي، وهذه نتيجة غريبة حقا.¹

إذا همهم الوحيد هو نفي قدسية القرآن وإثبات بشريته، ما داموا يعالجون الموروث الإسلامي بالموروث الفلسفي الغربي الذي يعد قديما أيضا، وهذا أظهر ما يدحض دعواهم بإعادة قراءة النص الديني والموروث الإسلامي.

الفرع الثاني: اللغة العربية.

في الفصل الذي خصصه فضل حسن عباس بعنوان (الحداثيون والعلمانيون أمام النص القرآني) تحدث فيه عن أهم آراء الحداثيين حول النص القرآني، وحول التراث الإسلامي بشكل عام، ليأتي بعدها بعرض بعض النماذج وأهم الأفكار التي تبناها، ولقد طال اللغة العربية نصيب من شبهاة القوم وتُرْهاةم، كيف لا وهي لغة القرآن الكريم التي حاولوا بكل ما أوتوا من قوة أن يثبتوا بشريته، وينفوا عنه صفة القدسية.

نقل لنا الشيخ فضل فيما يلي رأي الحداثيين في اللغة العربية، حيث يقول هؤلاء أنها لغة عقيمة، عائمة، قاصرة على حمل المعاني المستجدة، وأن الفكر الذي توارثه هذه اللغة فكر يتصف بعدم الترابط المنطقي...، وهي أيضا لغة دينية عاجزة عن أداء وظيفتها في عصرنا الحاضر؛ لأن لغتها يغلب عليها الموضوعات الدينية الخالصة، كما أنها لغة تاريخية تعبر عن الحوادث أكثر مما تعبر عن أفكار...، إذا فهي

¹ - التأويل الحداثي للتراث التقنيات والاستمدادات، إبراهيم بن عمر السكران، دار الحضارة، ط1، 1435هـ/2014م، ص8-9.

لغة وراثية وليس لها ما يقابل الحس والواقع والتجربة...¹

إن أول ما بدأ به الشيخ فضل تعقيبه وردده هو الاستغراب في ادعاء هؤلاء للموضوعية والشمولية في دراساتهم خاصة ما يتعلق بالنصوص الدينية، وهذا ما يميزهم عن التراثيين - حسب زعمهم -، لكن بعد عرض آرائهم السابقة، يمكن الوصول إلى نتيجة مهمة وهي التأكيد على بُعد هؤلاء عن المنهجية العلمية والموضوعية، وهذا ما يلاحظه القارئ بسهولة - بعد افتراءاتهم تلك -.

يشعر الشيخ فضل رده على مختلف الشبهات التي وجهت للغة القرآن، وهذا من خلال بيان أهم المناهج التي يستعملها هؤلاء لكي يصلوا لمثل هذه النتائج المظلمة، والتي تتمثل في مناهج ألسنية معاصرة بدل استعمال المناهج التفسيرية المعروفة، وهذا ما أدى بهم إلى الوصول إلى استباحة حرمة النص القرآني، وجعله عبارة عن أساطير وتصورات وحب تفكيكها بغية تحرير الإنسان العربي، وأن القرآن عبارة عن رموز وعلامات تقودنا إلى السيطرة على الواقع، وفرض الهيمنة عليه... وقد وجهنا إلى كتب نستزيد منها ما بقي لأن المقام لا يتسع².

وهذا الرد يمكن أن أدرجه ضمن المنهج العقلي المنطقي؛ لأن الشيخ هنا رد على مختلف الشبهات ببيان كذب ادعاءاتهم في اتباع المنهج العلمي، وهذا باتباع منطق علمي رصين، حيث بين لنا أنهم قد تبنا مناهج مخالفة لما اتفق عليها العلماء، فهذه المناهج غريبة عن النص القرآني، ولا يصلح تطبيقها؛ لأن ذلك يؤدي إلى الوصول إلى نتائج كارثية وهذا ما حصل فعلا.

وهنا يمكن أن أعتبر رد الشيخ فضل حسن عباس ناقصا نوعا ما، وأن منهج الدفاع الذي تبناه لم يكن كافيا إن اعتبرناه منهجا، فهذه الشبهة قد مست لغة القرآن، وهذا موضوع خطير جدا وجب الرد عليه بجدية وحزم أكثر، خاصة أن الكتاب يمكن أن يُطلع عليه من قبل غير العرب وغير المسلمين، فيترسخ في أذهانهم أن اللغة العربية لغة عقيمة، ولا تتواكب مع روح العصر وتطوره، وهذا أمر مرفوض قطعاً ولا نقاش فيه البتة.

¹ - ينظر: إتيقان البرهان، 2/362-363.

² - ينظر: المرجع نفسه، 2/363-364.

إن ما يميز اللغة العربية عن باقي اللغات هي المرونة التي ترافقها في جل مصطلحاتها، وبسبب هذه الميزة الفريدة سمحت للعلماء واللغويين وضع مصطلحات جديدة تتناسب وروح العصر، ضف إلى ذلك ما تميزت به من خاصية الاشتقاق ومرونته في الاصطلاح، وجوانب أخرى جعلت اللغة العربية قادرة على مواكبة العصر، وقادرة على مسايرة التطورات العلمية والتكنولوجية، وإن حدث أي خلل فيعود إلى نقص في أصحابها، وعدم خدمتهم للغتهم على الوجه المطلوب.

وفي هذا الصدد يُقدم لنا سعيد محمد الفيومي مجموعة معتبرة من المعاجم المؤلفة باللغة العربية، والتي تحتوي على مصطلحات باللغة العربية، وما يميزها هو أنها معاجم علمية دقيقة للعلوم الحديثة، ناهيك عن المجامع اللغوية العربية، كلها تشير أن اللغة العربية هي أكثر اللغات اتساعاً.¹ ويكفي العربية أنها لغة آخر الكتب السماوية المنزلة، هذا ما يجعلها لغة تفاعلية حيوية قابلة لأي جديد علمي وتكنولوجي طارئ.

الشبهة الثانية التي ناقشها فضل حسن عباس والمتعلقة باللغة وهي بعنوان: (مناقشة تخليطات محمد شحرور اللغوية) كما أوردها الشيخ في كتابه (التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث).

تحدث عن الموضوع عندما تطرق إلى دعائم التفسير حيث جعل اللغة العربية هي الدعامة الثانية، وفي هذه النقطة تطرق لمناقشة تخليطات محمد شحرور اللغوية، حيث ينكر هذا الأخير وجود الترادف في القرآن الكريم، ويقول إنه مجرد خدعة وقد كانت سبب أوهام المسلمين -رغم أن القضية محل خلاف بين العلماء-، وسبب تبنيه لهذا القول هو خدمة أوهام فكره الماركسي، وإثبات نظرية الجدلية وصراع المتناقضات التي يتبناها.²

يرد الشيخ فضل على تخليطات شحرور هنا بقوله إن الكاتب يخلط كثيراً، وهذا ما يدل على ضحالة فكره وعلمه، حيث إنه ينكر الترادف، ويثبت الاشتراك الذي يعني أن للكلمة أكثر من معنى.

¹ - اللغة العربية ومواكبة العصر: الكونية والبقاء وضرورة تعزيز المحتوى الرقمي -أعضاء وملاحظات-، محمد سيف الإسلام بوفلاحة، مجلة روافد، العدد2، 2019م، م3، ص 163-164.

² - التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، 209/1-210.

وقد استدل فضل حسن عباس بمثال وهو كلمة (العرش)، حيث قال بأن له أصلاً صحيحاً...، وعندما نرجع إلى ما ذكر في معجم مقاييس اللغة التي يعتمد عليها كثيراً نجد صاحبه يقول بأن المادة لها أصل واحد...، ومنه يمكن أن أستنتج المنهج الذي استعمله الشيخ فضل في الدفاع عن القرآن الكريم وهو المنهج العقلي المنطقي ممزوجاً بالمنهج النقلي، فأما المنهج الأول فمن خلال كشف تخليطات شحور، وتلاعبه بالأقوال في رفضه للترادف وقبوله للتشابه، وهما في نفس المدار مع الاستشهاد بمثال من كتابه، أما المنهج النقلي والذي يمثله المعاجم اللغوية التي يمكن اعتبارها من النقل - على حد قول بعض العلماء-، حيث استشهد بكلام ابن فارس في المقاييس، وأنه يخالف ما جاء عن شحور، وقد مزج بين المنهجين ورد على محتوى الشبهة بحس علمي ينم عن عالم مثل الشيخ فضل .

هذه التخليطة الأولى، أما التخليطة الثانية التي أوردها فضل حسن عباس عن شحور وهي نظرية الجدلية - صراع المتناقضات - التي تبناها، حيث يقول بأن كل ما في الكون خاضع لقانون الجدل الذي يقوم على صراع المتناقضات والأضداد، بما فيه اللغة بمفرداتها وصرفها...، وبما أن التعبير عن الظواهر الطبيعية جاء في الأضداد، جاءت الأضداد في التعابير اللغوية، وهذه الأضداد واضحة في بنية اللغة في ظاهرتين: الأولى - وجود أفعال ذات تراكيب صوتية بحيث إذا انعكس التركيب الصوتي انعكس المعنى، ومن أمثلة ذلك (كتب وبتك).

الثانية - وجود أفعال في اللغة كل فعل منها يحمل معنيين، وكل معنى من هذه المعاني مضاد للآخر مثل (ظن، وعبد وتل، وولى).¹

يبدأ الشيخ فضل رده على هذه التخليطات، فيقول إن ما ذكره الكاتب يُظهر لنا جهله، فالنحو والصرف قرينان لا ينفك أحدهما عن الآخر، واستند في ذلك على بيت في ألفية ابن مالك..، كما نفى صحة القول بوجود أفعال ذات تراكيب صوتية إذا انعكست معناها، وقال بأنه لم يقل بما أحد، ولم يرد فيه نقل ولا قياس، بل هو مخالف لما قرره علماء النحو، وقد قام فضل حسن عباس بدراسة بعض هذه الكلمات التي ادعى فيها أنها من الأضداد، أو فسرها تفسيراً مغلوطة... وخلص

¹ - التفسير والمفسرون أساسياته وأجهلته ومناهجه في العصر الحديث، 211-210/1.

فضل حسن عباس أن كل ما قاله شحور هدفه إثبات وجود صراع المتناقضات والأضداد.

كل هذا رده الشيخ فضل بمزج المنهج النقلي الذي تمثل في الاستشهاد بما قاله اللغويون القدماء في الموضوع، بالمنهج العقلي المنطقي، والذي تمثل في الاستشهاد بأمثلة تنقض ما قاله شحور مع التحليل والبيان لتلك الأمثلة ودراستها، وقد تعجب الشيخ فضل من تخليطات شحور هنا.¹

بعد استخراج منهج الشيخ فضل حسن عباس في الدفاع عن القرآن الكريم من خلال الرد على تخليطات شحور، خاصة ما يخص الصراع بين المتناقضات على حد قوله، أبدأ أولاً ببيان هذه النظرية ومعناها ليكون الموضوع واضحاً.

إن مقولة (صراع المتناقضات) هي فرض نظري يعبر عن الصراع الموصول بين المتناقضات في رحم الطبيعة، والكون، والأشياء، وهو صراع يفضي إلى التطور والارتقاء إلى الأحسن...، وقد تلقف شحور هذه المقولة من حضن الماركسية، وعدها مسلمة لا تقبل النقض، مع أنها فرضية احتمالية، ولا ترقى إلى المعطيات الثابتة، فضلاً عن أنها داخلة بمنطق العقل...، وحتى أنه نزلها على النص القرآني وجعلها حاکمة على الفهم والتأويل.²

ومنه فالهدف من تشريع هذه النظرية بات واضحاً وجلياً، حيث يسعى هؤلاء إلى إحداث ثورة شاملة في المجتمعات والأفراد، تحت مسمى صراع المتناقضات من أجل تحقيق التطور والرفق الحضاري، فتطغى بهذا الشهوات والأهواء على حساب الحق والعدل، وهذا ما يتعارض مع المنهج القرآني والسني الذي يسعى إلى تطبيقه العلماء والمصلحون منذ نزول الوحي.

إن سنة الله عز وجل في الكون قائمة على نظامين: الأول- وهو النظام الأساسي، وهو القاعدة المهيأة في الكون للنفع والإنتاج، ألا وهو نظام علاقات التكامل بين الأزواج القابلة للتكامل فيما بينها، أما النظام الثاني- وهو نظام استثنائي وقائي وعلاجي، وهو نظام الصراع لطرد أو إبادة وإهلاك الشوائب والقذرات والنجاسات... لطرد من يصير على نشر هذه الأمور، وإفساد الأرض والمجتمعات بها،

¹ - ينظر: التفسير والمفسرون أساسياته وأجهاته ومناهجه في العصر الحديث، 210/1-212.

² - النص القرآني من تحافت القراءة إلى أفق التدبر، ص 302-303. -بتصرف-

ويأبى الاستجابة لوسائل الإصلاح...¹

هذا الماركسي وغيره يرون قلب الموازين والمسلمات يجعل النظام الاستثنائي - صراع المتناقضات - هو أساس الكون وركيزته، وإهمال النظام الأساسي القائم على الحب والمودة والتكامل والتكافل، لكن أنا لهم ذلك والله تكفل بنصرة دينه وكتابه.

أما ما يخص قضايا اللغة فكتب اللغة مليئة بالرد على مثل هذه الشبهات والتأصيل لها وهذا مقام لا يسع فيه ذكر ذلك.

الفرع الثالث: الأحكام القرآنية.

طالت أيدي الحداثين الأحكام القرآنية، وحاولوا العبث بها بكل ما أوتوا من مكر، وقد كان هدفهم من كل هذا إثبات أن هذه الأحكام تخص زمن التنزيل فقط، ولا تصلح لغيره أبداً، وتغنوا في ذلك بأن "العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ"، وهم في هذا يخالفون أهم قاعدة أصولية.

يقول فضل حسن عباس أن محمد أركون في حديثه عن الشريعة الإسلامية، يعتبر أن الفقهاء قاموا بإنجاز قانون ينظم حياة الأفراد؛ لحاجتهم الماسة لذلك، ولكي يكسبوه الشرعية نسبه للقرآن، وهذا كما يقول الشيخ فكر المستشرقين والباحثين اليهود..²

من بين الأحكام القرآنية التي عرض لها فضل حسن عباس في مؤلفاته، وهي: الحضانة، الميراث، وخاصة موضوع الكلاله الذي تناوله بإسهاب واسع جداً...

إن الذي طرح قضية الحضانة والميراث هي منى فياض³ حيث استمع إليها الشيخ في حصة إذاعية لقناة مونت كارلو التبشيرية، وقد نبه الشيخ لخطر هؤلاء الذين يدعون انتماءهم للإسلام والإسلام بريء منهم، واتهمتهم بعدم الصدق في الحديث، وعدم السلامة في الفكر والمنطق...

¹ - التحريف المعاصر في الدين تسلل في الأنفاق بعد السقوط في الأعماق، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم دمشق، ط1، 1418هـ/1997م، ص 176-177. -بتصرف-

² - ينظر: إتيان البرهان في علوم القرآن، 2/373-374.

³ - منى فياض: هي امرأة سياسية وأكاديمية لبنانية، ولدت عام 1950م، حصلت على الدكتوراه في علم النفس من جامعة باريس، شغلت عدة مناصب علمية. وهي تدرس علم النفس في الجامعة اللبنانية، كتبت عدة مقالات انتقدت فيها الابتزاز والضغط الذي تعرض له المثقفون الشيعة خلال حرب تموز. ينظر: wikipedia.org، آخر تعديل 16 مارس 2023م.

تقول منى فياض أن الحقائق التي قررها القرآن تصلح للزمن الذي جاءت فيه، فالحضارة مثلا أعطيت للأمم لسن معين، لكننا نرى اليوم أن المرء يمكن أن يبلغ الثلاثين وهو غير ناضج... وبالتالي ما قرره الفقه الإسلامي في جعل سن معين للحضارة يصلح لزمن التنزيل، لكنه لا يصلح لهذا اليوم.

أما قضية الميراث فقد اعترضت على إعطاء المرأة نصف نصيب الرجل الذي كان مناسبا لذلك الزمن، أما اليوم فالمرأة عاملة، لهذا يجب أن يكون نصيبها مثل نصيب الرجل أيضا.¹

آتي الآن لاستخراج منهج الشيخ فضل في الدفاع عن أحكام القرآن، وكيف رد على هذه الشبه.

لقد استخدم فضل حسن عباس - المنهج المنطقي العقلي للرد على هذه الشبه، حيث طرح مجموعة من التساؤلات المنطقية حول كلام منى مثل: أسمعتم قد يكون عمر الإنسان في الثلاثين ولكنه غير ناضج... أهذا منطوق؟ رغم أنها تقول بقدسية القرآن، كما زعمت أن عمل المرأة هو الذي يوجب أن يكون نصيبها مثل نصيب الرجل؟ أين المنطق؟ ... هكذا صاغ الشيخ تساؤلاته.

ثم تساءل عن سبب هذه الحملات الظالمة التي طالت الإسلام دون غيره، وسبب الاحتفاء بمن يسبون ديننا ويحاولون هدمه على حساب العلماء الربانيين؟... ليختم بقوله أن هؤلاء الحدائين خطرهم لا يكمل في أنهم ذوو فكر أو منطوق أو موضوعية، لكن لما يتوارون وراءه من عبارات مزخرفة خادعة.²

كما كان لشحورر أيضا افتراءات حول الأحكام القرآنية وتعاليمه، فهو قد أقحم نفسه في الفقه الإسلامي، وجاء بفتاوى وأقوال مخالفة للشرع كإباحته الزنا وشرب الخمر، كما اشترط في تعدد الزوجات أن تكون أرملة لا بكرًا، واستدل بالقرآن.

أما قوامة الرجل فهي بسبب القوة الجسدية والإنفاق، فإن عملت الزوجة وكان الرجل مريضاً أو عاطلاً تنتقل لها القوامة، وإن كانا متساويين في هذه الأمور فيتساويان في القوامة...³

كل هذا وغيره افتراه شحورر في كتابه، ولم يعقب عليه ولو كلمة، فهو في صدد عرض ما جاء في كتابه لا غير. -على حسب الظاهر- وهذا نوع من التقصير من الشيخ كما هو واضح.

¹ - ينظر: إتيقان البرهان، 2/359-360.

² - ينظر: المرجع نفسه، 2/360-361..

³ - ينظر: المرجع نفسه، 2/363-366.

أتطرق الآن لموضوع الكلالة، ولقد أفردته عن المواضيع السابقة؛ وهذا لأن فضل حسن عباس قد تناول هذه النقطة بشكل متوسع جدا، فقد تناولها في حدود إحدى عشر صفح تحت عنوان منفرد سماه (المخاض الصعب).

يقول الشيخ فضل أن أركون قد عرض عليه باحث أمريكي يدعى (دافيدس بورز) فصلا من أطروحته للدكتوراه تحت عنوان (دراسات في القرآن والحديث) لينشره في مجلة (أرابيكا)، وقد نشره فعلا، لكن أركون حزن شديد على أن صاحب البحث غربي وليس عربيا مسلما...

لقد سجل أركون الآية: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً﴾ - النساء: 9- بالحرف العربي دون إعراب أو حركات: (وإن كان رجل يورث كلاله أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منها السدس)، وهذا ما فعله (بورز)، ثم عرضها على الناطقين بالعربية كلغة أم، فاكتشف أن من يحفظ القرآن يتلوها كما وردت في القرآن بنفس الإعراب والحركات، أما الذين لا يحفظونه فيختارون قراءات أخرى استبعدها التفسير الأرثوذكسي.¹

وقال إن هذه الخلافات تخص فعلين أساسيين وهما: يورث ويوصي، وهما مبنيان للمجهول، أما إذا اعتمدنا قراءة الفعلين وهما مبنيان للمعلوم تصبح معاكسة لما ورد في القرآن، (وإن كان رجل يورث كلاله أو امرأة)، وهذه هي القراءة الطبيعية المناسبة للفطرة العربية بحسب المعنى الألسني لكلمة الكفاءة اللغوية، أما القراءة التي فرضت من قبل الفقهاء فصعبة وملتوية.

يسجل بعدها أركون مجموعة من المعطيات أخذها من الطبري في تفسيره لكلمة (الكلالة)، منها أن الطبري يخصص مكانة للقراءة التي يجعلها هو، دون ذكر الانعكاسات السلبية المترتبة عن حذف القراءة الشائعة التي يفضلها أغلب القراء، وهذا ما يدل على فرض الأرثوذكسية في مجال التفسير والقراءات.²

يكمل أركون كلامه بقوله إن السيرورة التاريخية التي أدت إلى تشكل الأغلبية، وصلابة موقف السیادات التي تدعمها بالقياس مع الأقليات المسفهة لم تتعرض لأية دراسة نقدية ترتفع إلى مستوى

¹ - ينظر: إتقان البرهان، 381-380/2.

² - المرجع نفسه، 385-34/2.

إعادة تركيب الصياغة اللغوية الصحيحة لكلام الله.

ثم أكمل كلامه على (بورز) الذي قال عنه أنه لا يتخلى عن القواعد ولا يتجاوز المنهجية، فهو يستنفر عن وعي كل المصادر اللغوية التي تقدمها اللغات السامية الأساسية من أجل الوصول إلى المعنى الحقيقي للجذر اللغوي (كلل) ليفهم معناها في الآيتين... وفي الأخير قرر أن الطبري يتلاعب بالمعطيات.¹

بدأ الشيخ فضل حسن عباس رده على هذين المفترين بالحديث عن ماهية أركون ونشأته على أيدي المستشرقين... ثم عاد إلى الرد على افتراءاته هو و(بورز)، فبدأ ببيان الوجه الحقيقي في شأن الكلاله ومذاهب العلماء فيها... وهل كان الطبري يتلاعب بالروايات كما يقول، وقال إن هذا غير صحيح، ثم جاء بخلاصة تجمع ما قيل منذ عهد النبوة إلى عهدنا هذا، جاء بعشرة نقاط تدلل على أن علماء المسلمين على اختلاف مذاهبهم لم يختلفوا في تحديد معنى (الكلالة)، وقد كان الصحابة متفقون على هذا المعنى، كما أن (الطبري) لم يترك القارئ في حيرة في تحديد معنى (الكلالة)، وأن ما ذكر من تفسيرات في معناها ليس اختلافا في الجوهر فمؤدى الأقوال واحد... ثم جاء بكلام عبد البر في المسألة، وهي في الحديث عن قصة عمر بن الخطاب حينما سأل رسول الله عن معنى (الكلالة)، وإجابته له وقد فهم مقصوده، وهذا إن دل على شيء فهو دليل على فطنة عمر وذكائه، وهو الذي كان يسبق التنزيل بفطنته، وكأن الشيخ هنا يرد على افتراءات أولئك الخراصين، ومنهج أركون وبورز، وختتم كلامه أن العلماء قد أجمعوا على أن الكلالة من مات وليس له ولد ولا والد.²

وهذا التأصيل للشيخ فضل للمسألة يمكن أن نعتبره منهج دفاع بالنقل؛ لأنه اعتمد على إجماع علماء المسلمين في القضية، إضافة إلى الاستناد إلى أقوال الصحابة بما فيهم سيدنا عمر.

يوصل الشيخ فضل رده بأن نزه العلماء والأئمة من التلاعب المزعوم، وقال إن التاريخ يشهد لهم بعقب أنفسهم الطاهرة...، وفي هذه المرة يستعمل الشيخ المنهج العقلي المنطقي في الرد على باقي افتراءات أركون وبورز، مع تحليل راق ينم على نفس الشيخ في الدفاع عن القرآن الكريم.

¹ - ينظر: إتقان البرهان، 386/2-387.

² - ينظر: المرجع نفسه، 384/2-385.

يقول فضل حسن عباس أن كلام هذين ينم على قضيتين: الأولى الجهل، وهذا في قول (بورز) أنه رجع إلى اللغات السامية ووجد أن (الكلاثة) و(الكنة) نفس الشيء، فإجماع العلماء المنصفين يقول إن العربية هي سيدة اللغات السامية والأوسع انتشاراً، فجعل هؤلاء إذا جاهلين بقضايا اللغة عامة، وباللغة العربية خاصة حيث لا يلزم أن تتلاقى اللغات في أصول الكلمة...، إضافة إلى السقم المنهجي الذي لا يقبل أن يرد معنى كلمة أجمع عليها أعلام اللغة منذ أن تأسست اللغة ولم يخالفها أحد منهم، فذلك أمر لا يقوله إلا أحمق.

أما القضية الثانية فهي الكذب في قولهم عن الإمام الطبري أنه ترك مفهوم (الكلاثة) غامضاً...¹ يعود الشيخ فضل حسن عباس ليناقد الآن موازنة أركون بين القراءة المتواترة (يُورث) وبين القراءة التي اخترعها (بورز)، وربطه بين الفعلين يُورث ويُوصي.

وهنا مزج بين المنهج العقلي المنطقي والمنهج النقلية، حيث تساءل عن قول أركون أن القراءة المعتمدة عند الطبري اعتمدت بعد طول نقاش، والقراءات أثبتت منذ عصر رسول الله ﷺ، كما رد قوله بأن قال بأن من يقرأ القرآن دون حفظ يقرؤون على قواعد اللغة مقارنة بمن يحفظ القرآن عن ظهر قلب، حيث فسدت سلاقتهم، فتساءل عن كون القرآن هو الذي يفسد السلائق، وقد عرف عند غير المسلمين أنه من أراد تقوية لسانه وتثقيفه يجب عليه أن يحفظ القرآن؟، أما عن كون القراءة المتواترة مخالفة للذوق، فقد رد عليها بأبيات شعرية تعبر عن فساد سليقته هو لا القرآن، ثم راح يشرح لنا عمل الفعل المبني للمجهول في اللغة...، كما رد القول بأن الكلاثة هي (الكنة) مع ورود لفظ المرأة في الآية...، وقال بأن تفسير الآية هكذا لا يستقيم...

ليختم الشيخ رده هذا برده عن (بورز) الذي أنكر معرفة حكم عدم جواز الوصية للوارث قبل القرن الثامن، وأنها من اختراع الفقهاء، فجاء فضل حسن عباس بمجموعة من الأحاديث التي وردت في كتب ألفت في القرن الثاني، وقال بأن هذا موجه إلى غير المسلمين.²

هكذا قد ظهر لنا منهج فضل حسن عباس في الرد على افتراءات أركون و (بورز) بإيراد مجموعة

¹ - ينظر: إتقان البرهان، 2/386-388.

² - ينظر: المرجع نفسه، 2/388-390.

من الأحاديث، والاستدلال بأبيات شعرية، وشرح لنا بعض قواعد اللغة فيما يخص الفعل المبني للمجهول، والجذور اللغوية للكلمات... مع تحليل منطقي علمي متناهي الدقة، لن يُخلف في ذهن القارئ أي شبهة في موضوع (الكلافة) وهل معناها (الكنة)، كما رد الاعتبار للعلماء والأئمة الذي وُصفوا بالتلاعب تارة، وبالاختراع تارة أخرى، وهم براء براءة الذئب من دم سيدنا يوسف عليه السلام.

الفرع الرابع: العقيدة.

بعد أن أكملت أهم الأحكام القرآنية التي طالتها الشبه، أرجع إلى موضوع العقيدة، هذا الجانب المهم من الإسلام، والركن المتين الذي يقوم عليه الدين كله، فمن صلحت عقيدته فهو المؤمن حقا، أما من فسدت فيا ويله من عذاب النار. والمؤمن الحق يتبع عقيدة السلف الصالح من زمن النبوة.

لقد نقل فضل حسن عباس عن شحور مثلا في جانب العقيدة أقوالا خطيرة - سأنقلها مختصرة- حيث قال إنه لا يتأدب مع الله تعالى فينزله منزلة البشر، ويصفه بالعبث والهوى وعدم الحكمة، وبأنه ليس ديمقراطيا؛ لأنه لم يحاور إبليس وأخرج آدم من الجنة، كما تعرض لليوم الآخر ونشأة الكون، وقال بأنه لم ينشأ من عدم بل من مواد طبيعية...، وادعى أن علم الآخرة عالم مادي جديد ينشأ عن صراع مستمر في المادة، مما يؤدي إلى فناء هذا الكون فيحل محله عالم مادي آخر، كما يصور الربوبية بأنها القوانين الموضوعية العاملة في هذا الكون...

ليس هذا فقط فهو أيضا لا يلتزم الأدب مع رسول الله ﷺ وصحابته رضي الله عنهم، حيث يقول بأنهم ليسوا قدوتنا، وله مقالات سوء عليهم.

أما النبوة عنده فهي عبارة عن علوم كونية وطبيعية وتاريخ...، والرسالة عبارة عن تشريعات وأحكام، كما يقول بالمساواة بين أهل الأديان بل بين المسلمين والشيوعيين فهم سيدخلون الجنة كلهم، أما الآجال فهي غير محددة سلفا عند الله، وهي ليست بيده سبحانه وتعالى؛ لأن الموت يحدث عندما تجتمع شروطها الموضوعية...¹ وأطال شيخنا في النقل عنه بما يمثل عصارة فكره وآرائه الخبيثة.

يتعقب فضل حسن عباس هذا الموقف المخزي من هذا الماركسي الشيوعي بأن وصف كلامه السابق أنه يجمع بين الخلط والخبث والتي لا تجمعها صبغة علم، حيث يدرك القارئ لأول وهلة أنها من وضع زمرة

¹ - ينظر: إتقان البرهان، 408/2 - 415-417.

عابثة، ويعتبر الشيخ فضل أن الكتاب ليس جهده وحده بل هو من وضع مجموعة من أولئك الذين يحملون فكراً معادياً لدين الله، أرادت أن تعبت بعقول الناس، كما عمدت أن تزور حوادث التاريخ.

كما أن ادعائه بالاستعانة بأحد المتخصصين في بعض القضايا لم يظهر أبداً، وقد جاء الشيخ فضل ببعض المسائل اللغوية وناقشه فيها خاصة فيما استشهد به من الآيات والذي يدل على سوء تذوقه للغة.

وأشار الشيخ فضل حسن عباس لمجموعة من الكتب والدراسات التي ردت على الكتاب، رغم أنه قال بأن الكتاب على ضخامته لم يخرج من الترهات، وعن النهج المحرف.

لقد تسأول فضل حسن عباس عن تلك المقولات السيئة التي قيلت في حق الله تعالى ورسوله والصحابة، عن الديكتاتورية هل كان (ستالين) و(خرتشوف) و(بريجينيف) الذي يدين لهم الكاتب بالولاء ديمقراطيين؟...¹

بعد عرض رد الشيخ فضل حسن عباس على تلك الشبهات؛ يمكن أن أستنتج منهج الدفاع الذي استعمله للرد على الشبهات الكثيرة التي طرحها شحورور في مجال العقيدة، وقد كان المنهج العقلي المنطقي هو المنهج الدفاعي الذي يصلح لمثل هذه الموضوعات الحساسة التي تمس عقيدة المسلم وإيمانه، ولما كان الرد لا يكفي طبعاً للرد على السموم التي بثها شحورور، أحال الشيخ القارئ على مصادر اختصت بالرد على هذا الكتاب تبرئه من أي نقص في الرد والتفنيد.

الفرع الخامس: تجريحهم للعلماء وانتقاداتهم خاصة المفسرين والفقهاء.

عُرف الحداثيون بتجريحهم للعلماء والأئمة خاصة الحداثيين العرب منهم، فقد صبوا كل حقدهم الدفين على العلماء، وحاولوا تليفيق التهم لهم، والافتراء عليهم والكذب عليهم حتى؛ وهذا من أجل أن يشوهوا صورتهم عند العوام خاصة، فيدعون أتباعهم وينساقون خلف أفكارهم التجديدية المزعومة، كيف لا يُجرحونهم وقد سبقوا بتجريح خير خلق الله محمد ﷺ وصحابته الكرام.

نقل لنا فضل حسن عباس في كتابه (إتقان البرهان في علوم القرآن) أبرز مواقف الحداثيين العرب

¹ - ينظر: إتقان البرهان في علوم القرآن، 421-404/2.

تجاه العلماء والفقهاء والمفسرين، وما نطقت به ألسنتهم من تجريح ونقد طال كتبهم ومؤلفاتهم، وها هو أركون رئيسهم الذي علمهم السحر يتفنن في تجريح العلماء والفقهاء في كتبه، وقبل أن يبدأ الشيخ فضل في بيان افتراءاته، ذكر لنا أهم الأسباب التي أدت بأركون لتجريح علماء هذه الأمة.

أحد هذه الأسباب سيطرة الإعلام العالمي الذي كان سببا لمثل هذه المغالطات، بالإضافة إلى ضعف هذه الأمة التي لا تملك حتى حق الدفاع عن نفسها، وشعورها بالهزيمة ووقوعها تحت تأثيرات الإغراءات والتهديدات، فيحق لهم قول أي شيء وفعل أي شيء، أما نحن فلا وإلا وصفنا بالإرهاب على أقل تقدير...، ثم تأسف الشيخ وتحسر على هذا الوضع الذي آلت إليه الأمة الإسلامية.¹

ثم راح الشيخ فضل ينقل لنا بعض ما قاله أركون من كلمات سوقية حول علمائنا الأفاضل، فقال عنهم أنهم علماء مسجونين داخل سياج غوغمائي مغلق، كما قال إن كل التركيبات الثيولوجية الإسلامية من صنع البشر؛ لهذا يجب إخضاعها للبحث التاريخي وأن مسألة الاجتهاد كانت حكرا على الفقهاء، ووصفهم بالتبجح والغرور في ادعائهم أنهم قادرون على التماس المباشر بالقرآن، دون أن ننسى وصفه للفقهاء بأنهم انتهازيون؛ ويظهر ذلك في تعيينهم للآيات المنسوخة، وما يقوله الفقهاء يصبح في النهاية من كلام الله...، ليس هذا فقط بل زعم أن المفسرين والفقهاء راحوا يحتالون عن الآيات ليبقي النظام السابق كما كان..

كما أن قال الحداثيون بأن من معاني النسخ استبدال نص بنص كان نتاجا عن مناقشات الأصوليين الذين وجدوا أنفسهم أمام نصوص متعارضة، فاحتجوا به لوضع ما يتناسب مع مقاصدهم؛ لأنهم لم يستطيعوا نزعها بعدما ثبتت في المصاحف، ونفس الشيء يقال عن الإجماع، وبالتالي يمكن القول بأن التراث الفقهي والتفسيري من صنع البشر، والذي أصبح مع مرور الزمن من التراث الديني المقدس...²

اكتفى الشيخ فضل بما عرضه، ولم يتعقبه بنقد ولا رد، إلا أنه قال بأن بعضا من تلك الشبه قد ناقشها من قبل، أما البعض الآخر فلا يحتاج إلى رد...، ليختم كلامه هذا أن أرجع كل ما قيل إلى

¹ - ينظر: إتيقان البرهان، 375/2.

² - ينظر: المرجع نفسه، 376/2-377.

الحقد أكثر من الجهل لهذا لم يجهد نفسه في الرد.

في مقابل طعن أركون في أئمتنا وفقهائنا نجده يدافع عن (فاطمة المرينسي) التي خرجت عن حدود اللياقة والأدب والمنطق والأخلاق باختلاقها كثيراً من الأخبار، واعتمادها على أقوال لا أساس لها في واقع التاريخ، بل تجنيها عن سيدنا رسول الله ﷺ ونسائه الطاهرات أمهات المؤمنين بكل فجور وقبح... ووقوف أركون مع آرائها تلك بالدفاع عنها وتعنيف علماء الحق؟

ففضل حسن عباس يتساءل عن المنطقية العلمانية المزعومة عند أركون التي تجعلك تفرض ما تريد على غيرك، وتحرمه هو حق المناظرة والمحاورة؟ على الرغم من ادعائه مخالفة المستشرقين في منهجهم، لكن في الواقع هو أحد تلامذتهم الذي يقر لهم بصحة المنهج والطريق وسلامة النتائج.¹

أما ما يخص موقف أركون من التفاسير القرآنية، فقد ذكر الشيخ فضل أنه يقول بأن التفاسير لم تصل حتى الآن إلى تاريخ شامل للتفسير القرآني الذي يحقق تحديد منشأ أو أدبيات التفسير وتطوراتها، أو يبين دراسة شروط ممارسة العقل الإسلامي لنفسه من خلال التفاسير... كما أنه يتهم التفاسير بالموقف الثابت العاجز المتمثل في رفضها لفكرة الأسطورة ونفيها عن القرآن، فالتفاسير عنده تشكل وجهة المفسر أكثر من الدلالة الحقيقية للنص... إضافة إلى أنه عاب عن التفسير الكلاسيكي جهله بالدراسات الألسنية الحديثة التحليلية للنص...²

أعود لتعقيب الشيخ فضل على هذه الافتراءات، فقد بين أولاً مقصد أركون من كلامه، وهو اعتبار التفاسير عبارة عن أعمال فكرية، ومنتوجات ثقافية مرتبطة باللحظة التاريخية التي أنتجتها، وبالبيئة الاجتماعية أو المدرسة الثيولوجية التي تنتمي إليها أكثر مما هي مرتبطة بلحظة القرآن، ثم نفى الشيخ صحة هذا الكلام، وأكد أن هذه التفاسير مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالنص القرآني، لكن النص القرآني الذي يتمتع بقيمة كثيرة -بيانية وعقدية واجتماعية- هو الذي كان له اتجاهات كثيرة فكل مفسر عرض له من جهة...³ هذا يعني أن كل ما في التفاسير القرآنية من أحكام وقيم وشروحات يرجع إلى القرآن الكريم ويرتبط به، لهذا يمكن القول بأن هذه التفاسير تستمد شرعيتها من القرآن الكريم، وتلقى القبول والرواج

¹ - اتقان البرهان في علوم القرآن، 378/2.

² - ينظر: المرجع نفسه، 373-372/2.

³ - ينظر: المرجع نفسه، 373-372/2.

عند المسلمين، مع فارق بسيط ألا وهو عدم تقديس كل ما فيها، فمن كتبوها هم بشر يخطئون ويصيبون، والعلماء هم من يحددون ذلك لا من هب ودب.

هكذا نقل لنا الشيخ فضل موقف أركون من التفاسير القرآنية بشكل عام، لكن هذا الأخير لا يأبه أن يوجه أصابع الاتهام لمفسر ما بعينه ويتهمه بالتلاعب بالروايات والوقائع، فقد نقل عنه الشيخ فضل أنه يتهم الطبري بالتلاعب بالروايات والوقائع حتى يتوصل إلى ما يريد، وأن محاولاته في الإبقاء على كلمة (الكلالة) دون معنى كانت مستبسلة وضارية...¹ كما أنه يصف السيوطي بأن له عقلية دينية في كتابه (الإتقان)، ويفرض يقينيات مسبقة على البحث، ويهمل البعد التاريخي، وتحويل الحديث عن نزول الوحي وجمع القرآن إلى ملحوظات مشتتة، كما عاب عليه أيضا استشهاده بأحاديث مزورة، وإغفاله عددا من الانقطاعات كالانقطاع التاريخي واللغوي والثقافي والعقلي والعلمي، وكلها اتهام للسيوطي بالقصور.²

إن كل ما افتراه أركون على التفسير والمفسرين يشير إلى نقطة مهمة وخطيرة ألا وهي محاولته للزج بكل التراث التفسيري في مزبلة التاريخ، والإتيان بتفاسير جديدة تكون خاضعة للمنهجية الحديثة التي تقوم على العقلانية والمناهج الغربية، لكن هذا لن يحصل ما دام في الأمة علماء كالشيخ فضل وغيره من العلماء الربانيين اللذين سخرُوا حياتهم للدفاع عن القرآن والإسلام.

أختتم هذا الموضوع بما قاله نصر أبو زيد عن العلماء والمفسرين، حيث ينقل فضل حسن عباس افتراءاته من خلال كتابه (مفهوم النص)، فقد اتهم العلماء بالرجعية أمثال محمد عبده³ ومحمد رشيد

¹ - ينظر: إتقان البرهان، 373/2-376.

² - ينظر: المرجع نفسه، 370/2.

³ - محمد عبده: ولد بمحصة شبشير من قرى إقليم الغربية سنة 1849م، تعلم بالجامع الأحدي بطنطا بالأزهر بالقاهرة، حيث اتجه إلى دراسة العلوم الطبيعية والتاريخية إلى جانب العلوم الإسلامية، لازم جمال الدين الأفغاني وأخذ عنه الفلسفة والمنطق، نال الشهادة العالمية سنة 1877م، اشتغل بالتدريس وكان ينشر في الصحف براءه التي أثارته عليه حقد الحاقدين... أصدر مع جمال الدين الأفغاني مجلة "العروة الوثقى" لمحاربة الاستعمار والطغيان في البلاد الإسلامية، من آثاره " تفسير جزء عم" ... توفي سنة 1905م. ينظر: معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، ط3، 1409هـ/1988م، ص 566.

رضا¹... ويطعن فيهم كما فعل مع الإمام الغزالي، وقال بأن العلماء قد باركوا الصلح مع اليهود، وأيدوا أشد الأنظمة الرجعية وتحالفوا مع أعداء الإسلام والمسلمين.

كما اتهم المذهب الأشعري بأنه مذهب تلفيقي تبريري، وهاجم أهل السنة بحجة أن قصارى التفسير عندهم هو المأثور، وهذا بزعمه يحول الدين إلى خزعبلات وخرافات، ويصفهم أيضا أنهم يساندون التخلف...²

كل هذا يعرضه الشيخ فضل حسن عباس دون أي تعليق أو رد، فهو كما يقول في صدد عرض أهم الأفكار التي وردت في كتابهم لا غير، فطعنهم للعلماء واضح، وحقدهم الدفين يلوح هاهنا في الأفق. وليس على القارئ أن يكلف نفسه عناء البحث عليها؛ لأنها واضحة في جل ما يكتبونه، فكلامهم كله عبارة عن نقد وهدم واتهام دون الاستناد إلى الدلائل والبراهين، المهم أن يشفوا غليلهم لا غير.

وهذا والله أعلم فعل عدوٍ لدودٍ يبحث عن أدنى ثغرة يدخل من خلالها ليطعن ويسب ويشتم، وهذا ليس من الأمانة العلمية ولا الموضوعية، فهم ليسوا أهل علم، ولا علاقة لهم بالبحث العلمي المتين.

¹ - محمد رشيد رضا: ولد سنة 1865م، نشأ بالقلمون وتعلم فيها، بغدادي الأصل حسيني النسب، السيد الإمام حجة الإسلام في هذا العصر، عالم بالحديث والتفسير والأدب والتاريخ، ومن كبار دعاة التجديد والإصلاح في العالم الإسلامي، لازم الشيخ محمد عبدع وتلمذ له، أصدر مجلة " المنار" لبث آرائه الإصلاحية الدينية الاجتماعية، فكانت في طليعة المجالات العربية الإسلامية... وكانت من أشهر مؤلفاته، مع "تفسير القرآن" الذي لم يكمله، توفي في حادث سيارة عندما كان راجعا من السويس إلى القاهرة سنة 1935م. ينظر: معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ص 529م.

² - ينظر: إتقان البرهان في علوم القرآن، 395-394/2—398/2.

خلاصة الفصل:

المطلع على منهج فضل حسن عباس في الدفاع عن القرآن الكريم من خلال الرد على الشبهات التي طرحها الحداثيون، يلحظ تميزا من خلال مجموعة من النقاط، أذكر منها:

أولا - لم يتطرق الشيخ فضل إلى عد أهم الشبهات التي مست مباحث علوم القرآن أو التفسير القرآني عند الحداثيين، فمن عادة الشيخ أن يحصي أهم الشبهات التي تدور في الساحة العلمية قديما أو حديثا، ثم ينكب على ردها وبيان فسادها، عبر منهج دفاع قوي ينم على الاطلاع الواسع للشيخ، والقدرات العلمية الفائقة التي يتمتع بها في مجال الدفاع عن القرآن الكريم والسنة النبوية، إلا أنه في هذا لم يقوم بإحصاء مختلف الشبهات التي أثارها الحداثيون الحاقدون على الإسلام والقرآن الكريم، إنما اكتفى بإيراد بعض الشبهات في مختلف مباحث علوم القرآن التي طالتها الشبهات من قبل هؤلاء، فهو عندما يفرد في آخر الفصل المدروس عنوانا منفردا للشبهات التي وردت في ذلك الفصل، مثلما فعل مع فصل (جمع القرآن الكريم) في كتابه (إتقان البرهان في علوم القرآن)، حيث أورد بعده فصلا منفردا بعنوان (الشبهات التي وردت على الفصل الثامن وردها)، ومثلما فعل أيضا مع فصل (المكي والمدني)، حيث خصص للشبهات الواردة فيه عنوانا منفصلا (شبهات حول المكي والمدني)، عرض فيها مختلف الشبهات المطروحة ورد عليها، فأغلب الشبهات هنا، وفي فصل الجمع كانت من طرح المستشرقين، كما خصص أيضا الفصل ما قبل الأخير من الكتاب نفسه لشبهات المحدثين ويقصد به شبهات المستشرقين...، وهذا ما أثار بعض التساؤلات حول سبب هذا الاختلاف في المنهج، هل هذه الخطوة مقصودة من الشيخ في عدم ذكر شبهات هؤلاء القوم، أم أنه مجرد سهو وعدم قصد، ولعل القارئ يستفسر عن سبب إلزام الشيخ بعمل لم يلزم نفسه به، ولم يتوعد بالبحث فيه والكتابة حوله، أقول والله أعلم أن قريحة الشيخ العلمية، وغريزته المعروفة عنه في الدفاع عن الإسلام والذب عن حرماته، والوقوف عند معظم الثغرات التي يقصدها العدو، هذا ما جعلني أتساءل عن إغفاله لهذه المواضيع المهمة والحساسة التي يتعرض لها القرآن الكريم والسنة النبوية في الآونة الأخيرة، والأدهى والأمر في هذا أن من يتناولون على حمى الإسلام هم من بني جلدتنا يدعون الإسلام ونصرته، ويزعمون حبه وحب دينهم، وغايتهم الوحيدة هي التخلص من الأرثوذكسية التي مارسها العلماء والقيود التي فرضوها عليه -على حد

تعبيرهم-، كما جعلوه سببا في التخلف عن الركب الحضاري، واعتبروا أنفسهم منقذوا الأمة ومن يقودها نحو الرقي والتحضر، والتطور لتصل إلى ما وصل إليه الغرب -على حد تعبيرهم-.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يفرد فضل حسن عباس الفصل الأخير من نفس الكتاب تحت عنوان (الحداثيون والعلمانيون أمام النص القرآني)، وقد خصص هذا الفصل في الغالب للحديث عن فكر هذا التيار التغريبي بامتياز، وقد عرض فيه لثلاث رموز تمثل هذا الاتجاه في حقل الدراسات القرآنية وهو: محمد أركون، و نصر حامد أبو زيد، و محمد شحرور، هؤلاء الثلاثة حاول فضل حسن عباس تلخيص أهم الأفكار التي جاءت في مؤلفاتهم أو أحداها، فأركون مثلا لم يذكر الكتاب الذي لخص منه أفكاره، أما نصر أبو زيد فاختار الشيخ كتاب (مفهوم النص)، أما شحرور ففي كتاب (الكتاب والقرآن دراسة معاصرة)، لخص لنا الشيخ فضل أهم الأفكار أو بالأحرى الشبهات التي وردت فيها بشكل عام، حيث ركز على ما يخص الدراسات القرآنية، أما الردود والمناقشة المعروفة عند الشيخ فلم تبرز غالبا في هذا الفصل.

هذا ما يقودني للحديث عن النقطة الثانية التي تميز هذا المبحث: وهي منهج فضل حسن عباس في الدفاع عن القرآن الكريم من خلال الرد على شبهات الحداثيين، هذا هو لب البحث وجوهره، حيث يكمن في استخراج منهج دفاع الشيخ مع تحليله، وبيان درجة قوته، ورجحانه بحسب أقوال العلماء والمتخصصين في المجال.

وكما قلنا في النقطة السابقة أن الشيخ فضل حسن عباس هنا لم يركز على بيان هذا الشبهات والرد عليها، إنما كانت نظرتة عامة وسطحية، مقارنة بعرضه لشبهات غيرهم من المستشرقين والفرق الإسلامية الأخرى.

هنا أيضا أقول أن منهج الشيخ في الدفاع عن القرآن الكريم لم ترسم معالمه جيدا في الأذهان، إلى جانب عدم تركيزه على إيراد الشبهات لم يركز أيضا على الرد عليها وبيان موطن الغلط والشطط فيها، وهذا ما يظهر لنا جليا أثناء عرضه للنماذج الحداثية الثلاثة، أركون ونصر أبو زيد، وشحرور، فهو قد قدم لنا تلخيصا لأهم أفكارهم لا غير، أما الرد والتعقيب على فحوى تلك الشبهات، فقد كانت عامة فقط، فهو يكذبهم ويشنع أقوالهم كأن يقول على أركون مثلا: "ما أشنعها من مغالطات وما أجزأها من

قيلة..."، ويقول أيضا: "أرأيتم إلى هذا الادعاء الظالم...؟"¹ ويقول عن نصر أبو زيد مثلا: "ومن مغالطاته... ويقحم نفسه في مباحث قرآنية وأصولية ويبيني عليها نتائج غير صحيحة..."².....

لا أقول إنه لا يرد على هذه الافتراءات، نعم يرد عليها لكن بأسلوب عام فقط، أو بالإحالة إلى أنه قد درس هذا الموضوع من قبل، ورد على مثل هذه الشبه، فمعالم منهجه إذا لا تتضح إلى العيان بل بشكل عام فقط، مع الإشارة إلى أن هناك شبهات كان من المفروض الرد عليها ومناقشتها وتفنيدها، وقد فعل الشيخ فضل حسن عباس ذلك مثلا في موضوع "الكلاله" فقد رده بشكل لا يترك في ذهن القارئ أي شك.

ولما لم تظهر لنا معالم منهج الدفاع عند فضل حسن عباس في هذا المبحث ارتأيت - والله أعلم - أن أثري هذا المبحث بزيادات في أهم المواضيع التي تطرق إليها فضل حسن عباس في هذا المبحث، فتذكر مثلا شبهات وردت في تلك النقطة لم يوردها الشيخ وأوردها العلماء، وردوا عليها لتكون النظرة شاملة في النقطة المدروسة، كما أنني حاولت أيضا شرح أهم المصطلحات التي ترد في المبحث وبيان المقصود منها، لعدم وضوحها للقارئ، فالمعروف على مصطلحات الحدائين الغموض والتعقيد...، حاولت وضع لمسة شخصية تثري المبحث وتزيده فائدة عندما وجدت أن معالم المنهج لم تكن واضحة للعيان.

وإن كان لدي وجهة نظر قد تكون صحيحة، وقد لا ترتقي إلى مرتبة الصحة أبدا، فأنا في حضرة عالم رباني وموسوعة علمية شامخة، كان في الإمكان أن يُورد الشيخ فضل أهم مباحث علوم القرآن والتفسير التي تطرق إليها الحدائون في فصل: "الحدائون والعلمانيون أمام النص القرآني"، فيدرس فيه أهم المباحث التي ركز عليها القوم، ومن ثم دراستها دراسة شافية وافية كما يعرف على الشيخ، وبيان أهم النتائج التي يرمي إليها القوم، والتحذير منها، أو إدراجها ضمن فصول علوم القرآن كما فعل مع بعضها، فو الله إن خطر هؤلاء على الأمة وشبابها أعظم من أي مصيبة تدور حول الأمة الإسلامية ومستقبلها، كيف لا وهم محسوبون على الإسلام، ويدعون حبه وحب أمتهم، وهم يجفرون تحتها الخنادق والأفخاخ... هذا والله أعلم نظرة قاصرة مني حاولت من خلالها بيان وجهة نظر قد تصيب وقد تخطئ. والله أعلى وأعلم.

¹ - إتيان البرهان، 371/2 - 373/2.

² - المرجع نفسه، 397/2 - 399/2.

الفصل الثاني:

منهج فضل حسن عباس في الدفاع عن القرآن الكريم
من خلال الرو على شبهات بعض الفرق الإسلامية.

المبحث الأول:

مدخل إلى التعريف بالفرق الإسلامية.

المبحث الثاني:

منهج فضل حسن عباس في الرو على شبهات بعض الفرق
الإسلامية.

كل جهد بشري يعتريه الخطأ والنقص، وهذا من سمات البشر، فهم غير معصومين، ومن ذلك ما وقوع فيه علماءنا من الغلط في مؤلفاتهم، ومع ذلك لا يُتسامح معهم؛ إذا تعلق الأمر بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، خاصة ما يتعلق بالجانب العقدي، وهذا ما وقعت فيه بعض الفرق الإسلامية، ومع حسن الظن بهم وبنياتهم، لا بد من تبين زللهم، والشيخ فضل رحمه الله أحد هؤلاء العلماء الذين أرادوا تصويب أخطاء إخوانهم العلماء، مع الحفاظ على مكانتهم وقدرهم... وهذا ما سيتم بيانه في هذا الفصل.

المبحث الأول: مدخل إلى التعريف بالفرق الإسلامية.

ذكر القرآن الكريم مجموعة كثيرة من الآيات تنهى المسلمين عن الاختلاف والتفرق، وهذا خلال حديثه عن الأمم السابقة ومعارضتها لأنبيائها ومُرسلِيها، حيث عصوا أوامرهم وكذبوا رسلهم، فالنهي عن الاختلاف إذا كان صريحاً مباشراً، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ - آل عمران: 104-، كما أنه لم يترك هذا النهي مجرداً، بل أرفقه في الآية التي تليه بمصير من يدعو إلى التفرقة والاختلاف، قال الله تعالى تَقَانِهِ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ - آل عمران: 106- فمصيرهم النار.

كما نجد في السنة المطهرة أحاديث لرسول الله ﷺ تنهى عن التفرق والتشتت بعده، يقول رسول الله ﷺ: (ليأتين على أمتي ما أتى بني إسرائيل حذو النعل بالنعل...، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي)¹.

والذي نفهمه من الحديث السابق أن مصير كل الفرق هي النار، إلا واحدة اتبعت الجماعة فنجت، وهذا فعلاً ما نشهده، فهناك العديد من الفرق الإسلامية تختلف معنا في أصول الدين وفروعه اختلافاً شديداً.

¹ - سنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، 1998م، أبواب الإيمان، باب ما جا فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، ح 2641، 323/4.

سأقوم بإيراد مفهوم الفرق الإسلامية في اللغة والاصطلاح أولاً، ثم أبين الأصول التي اختلفوا فيها حتى نتج هذا العدد من الفرق، وأختتم المبحث بآثار التعصب المنهجي على التفسير.

المطلب الأول: الفرق الإسلامية تعريفها، نشأتها، أصولها، أنواعها.

الفرع الأول: تعريفها.

لغة: فرق الفاء والراء والقاف أصل صحيح يدل على التميز بين الشيئين¹، أما ابن منظور فيقول: إن الفرق خلاف الجمع².

وهذا التعريف الأخير هو الذي يرجح المعنى الاصطلاحي كما سيأتي معنا.

اصطلاحاً: بالرغم من اهتمام العلماء بموضوع الفرق الإسلامية والكتابة فيه، إلا أنهم لم يضعوا له تعريفاً مضبوطاً يتداوله الكتاب فيما بينهم، وهناك محاولات لرسم حدوده، ومن بينها:

• هي الخروج عن السنة والجماعة في أصل أو أكثر من أصول الدين الاعتقادية أو العملية أو المتعلقة بالمصالح العظمى للأمة، كالخروج على أئمة المسلمين وجماعتهم بالسيف³.

والذي أفهمه من التعريف السابق أن أهل السنة والجماعة -بمعناها العام- لا يندرج ضمن هذه الفرق الإسلامية؛ وهذا لأن الفرق لم يسلكوا طريقة السلف الصالح، وكان لهم توجه معين في مسائل معينة.

والفرقة من أعظم سمات أهل البدع والأهواء، وهذا رأي نحترمه ونجله رغم وجود الاختلاف فيه. - عدم إدراج أهل السنة والجماعة ضمن الفرق-.

• الفرق الإسلامية: هي تميز جماعة بعقيدة معينة لا يخرجها إلى درجة الكفر؛ تمييزاً لا يخرجها إلى الكفر، ومنه فرقة الشيعة وفرقة الخوارج...⁴.

¹ - معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فاس القزويني، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ / 1979م، 4/493.

² - لسان العرب، ابن منظور، دار صادر - بيروت، ط1، 10/299.

³ - مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع، ناصر عبد الكريم العقل، دار الوطن الرياض، ص 2.

⁴ - معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلجعي - حامد صادق قنبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1408هـ / 1988م، 1/344.

وهذا التعريف لا يخرج أصحابها من الإسلام، فهو يشمل كل الفرق بما فيها أهل السنة والجماعة بمفهومه العام كالسلفية والأشاعرة...

واعتمادا على المعنى اللغوي يتبين أن الفرقة معناها مفارقة جماعة المسلمين، وهم أمة سيدنا محمد ﷺ في الاعتقاد، أو المنهج الذي رسمه رسول الله ﷺ، وهذا بالاستناد إلى حديث رسول الله ﷺ: (من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية...).¹ لكن هذا لا يخرج من دائرة الإسلام فلا يعتبر كافرا.

الفرع الثاني: نشأة الفرق الإسلامية.

أول شبهة وقعت في تاريخ البشر هي شبهة إبليس لعنة الله عليه، وكان سببها استبداده بالرأي في مقابلة النص، واختيار الهوى في معارضته الأمر، واستكبارا بالمادة التي خلق منها على مادة آدم عليه السلام وهي الطين، ثم اتسعت هذه الشبهة وسرت في الخليقة، وفي أذهان الناس حتى صارت مذاهب بدعة وضلالة، لهذا يمكن أن نقول إنه لكل نبي خصوما يثيرون شبهات، وهذا ما حصل لرسول الله ﷺ مع ذي الخويصرة التميمي، واعتراضه عليه حيث أمره بالعدل...، بالإضافة إلى حوادث أخرى مع المنافقين وفي مرض موته، وفي دفنه والخلافة...ختاما بالخلاف الذي حدث بين علي وطلحة والزبير ﷺ في موقعة الجمل.²

هذا هو ملخص ظهور الاختلاف والتفرقة منذ بدأ الخليقة إلى الخلاف الواقع بين الصحابة رضي الله عنهما.

الفرع الثالث: أهم الأصول التي يُستند عليها في تقسيم الفرق الإسلامية.

سطر العلماء مجموعة من الأصول والقواعد التي اختلفت الفرق الإسلامية فيها، وتعددت مسالكها في تصورها وطرق الاستدلال لها، ومن ثم اعتقادها وهي:

¹ - صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1476/3.

² - الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - بيروت، 15/1-24. - بتصرف.

أولاً: الأسماء والصفات والتوحيد فيها.

قرأ صحابة رسول الله ﷺ آيات الأسماء والصفات الموجودة في القرآن في حياته ﷺ وبعد موته، ولم يثبت أنهم اختلفوا في معناها، مع أنهم اختلفوا في العديد من الأمور الفقهية والتفسيرية وغيرها، ورغم اختلافهم في وجهات النظر، وفي اجتهاداتهم، إلا أنهم لم ينفروا ولم يتنازعا مثلما وجدنا الفرق الإسلامية التي اختلفت بعدهم أيما خلاف، يقول ابن القيم في هذا الصدد: "...وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام، وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة إيماناً، ولكن بحمد الله لم يتنازعا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال..."¹.

والمتأمل في تراث الفرق الإسلامية وكتبهم، يلحظ أنهم أولوا أسماء الله عز وجل وصفاته وأفعاله اهتماماً بالغاً، فهناك من يؤولها، وهناك من ينكرها وهناك من يزيد فيها أو ينقص، ومن ذلك: الصفات الأزلية إثباتاً عند جماعة ونفياً عند جماعة أخرى، وبيان صفات الذات وصفات الفعل، وما يجب الله تعالى، وما يجوز عليه وما يستحيل، وهذا الخلاف وقع بين الأشعرية والكرامية والمجسمة والمعتزلة.²

وقد يجر هذا الخلاف إلى تكفير بعض غلات المذاهب والفرق، فالموضوع يتعلق بذات المولى عز وجل، ولا مجال للتسامح في بعض المواضيع التي تقدر في ذاته سبحانه وتعالى.

ثانياً: القضاء والقدر والعدل فيه.

اختلفت الفرق الإسلامية في موضوع القضاء والقدر أيما خلاف، وراحوا يكفرون بعضهم بعضاً، فمنهم من يقول بأن الإنسان مجبر على أفعاله وليس له دخل فيها، قدرها الله عليه، وآخرون يقولون إن الإنسان مخير في ذلك، وهو الخالق لأفعاله وأقواله ليس مجبراً على أي شيء، وبين هذا وذاك تتخبط أغلب الفرق الإسلامية.

ويشمل مسائل القضاء والقدر، عدم التسليم بهما أو إنكارهما أو التشكيك بهما، أو الجدل والمرء فيهما، ومنه القول بالجبر، وإنكار العلم السابق والكتابة، أو أن الإنسان خالق لأفعاله أو بعضها ...

¹ - إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1411هـ / 1991م، 39/1.

² - الملل والنحل، 12/1.

وهذا الخلاف بين القدرية، والنجارية والجبرية والأشعرية والكرامية.¹

لقد اشترط رسول الله ﷺ على المؤمن أن يؤمن بأركان الإيمان، وعدَّ الإيمان بالقضاء والقدر أحد أركانه، حيث يقول رسول الله ﷺ: (لن يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يؤمن بالله وأن الله بعثني بالحق، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر خيره وشره).²

فالخير والشر بتقدير الله تعالى وإيجاده، وخالف في ذلك القدرية والجبرية، فالأولى تقول بأن أفعال الإنسان من نفسه...، أما الجبرية فتقول أن الكل فعل الله وليس للمخلوق فيه تأثير أصلاً، أما أهل السنة فتوسطت بينهما...³ ولقد رصد لنا الإمام ابن القيم مناظرة بين الجبري والسني، وبين القدري والسني كذلك، ووضح لنا من خلالها موقف الجبرين والقدرين من هذه المسألة، والمناظرة على طولها مثبتة كاملة في كتابه.⁴

ثالثاً: الوعد والوعيد.

والوعد يدل على حق العباد على الله عز وجل حين يلتزمون بفعل ما أمرهم من الخير، أما الوعيد فهو جزاء من يتملص من أوامر المولى عز وجل، فيعدهم بالعذاب والعقاب جزاء عدم انقيادهم، وهو حر في تطبيق الوعيد إن شاء غفر له، وإن شاء عذبهم، قال رسول الله ﷺ: (من وعده الله على عمل ثواب فهو منجزه له، ومن وعده على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار).⁵

ويندرج تحت هذا الأصل مرتكب الكبيرة الذي يعد من أهم الأصول التي فرقت بين الخوارج حيث قالوا بأنه مخلد في النار، والمعتزلة القائلين بأنه في منزلة بين منزلتين، وهو مخلد في النار، وقد تبعتهم

¹ - مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع، 116/ الملل والنحل، 13/1.

² - مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، - عادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ/ 2001م، مسند العشرة المبشرون بالجنة، مسند علي بن أبي طالب، ح 758، 2/340.

³ - فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ، 11/490.

⁴ - شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن قيم الجوزية، دار المعرفة بيروت - لبنان، 1398هـ/ 1978م، 1/139-177.

⁵ - السنة، أحمد بن عمر بن الصحاك الشيباني، المكتب الإسلامي، ط1، 1400هـ/ 1980م، باب في الوعد والوعيد، وإن الله فيه خيار ومشيفة، ح 960، 2/466.

الشيعة في ذلك...

يقول عبد الرحمن بن ناصر البراك في هذا المقام: "فالأمن هو سبيل المرجئة الغلاة، والإياس سبيل الوعيدية يُقنطون مرتكب الكبيرة دخول الجنة... وهذا تبييس الموحدين من أهل الكبائر في دين الله بين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل، وبين الجبر والقدر.."¹.

والأصح في هذا الموضوع أن نترك المشيئة لله عز وجل إن شاء عفا، وإن شاء عذب فهم عباده.

رابعا: السمع والعقل والرسالة والإمامة.

وهي تشمل على مسائل التحسين والتقبيح، والصلاح والأصلح، واللطف والعصمة في النبوة وشروط الإمامة... والخلاف فيها بين الشيعة والخوارج والمعتزلة والكرامية والأشعرية.²

أما السماعيات، فقد أنكروا بعضها أو أولوها: كالصراط والميزان والحوض وعذاب القبر ونعيمه، والملائكة وأشراط الساعة، ونحو ذلك.³

وهذا المسائل وأمثالها مما جاء به السمع ثابت بالنص لا نقاش فيه البتة عند أهل السنة والجماعة. أما العقل فلا مجال له أن يحكم في أفعال الله تعالى بالتحسين والتقبيح، كونه متعاليا عن ذلك، وهذا ما وقعت فيه أغلب الفرق فقد أعطت للعقل سلطة مطلقة، ولو كانت تلك الحرية على حساب النصوص الشرعية إثباتا ونفيا، وهذا وجه بطلان مذاهبهم.

ومذهب أهل السنة أن العقل لا يوجب شيئا على أحد، ولا يرفع شيئا عنه، ولا حظ له في التحليل والتحريم، ولا تقبيح ولو لم يرد السمع ما وجب على أحد شيء، ولا دخلوا في ثواب وعقاب وهذا هو المتعارف عليه.⁴

أختم بمسألة الرسالة والإمامة عند الشيعة الذين يقولون بانتقال الرسالة والنبوة من رسول الله إلى

¹ - شرح العقيدة الطحاوية، عبد الرحمن بن ناصر بن براك، دار التدمرية، ط2، 1429هـ / 2008م، 417/1.

² - الملل والنحل: 13/1.

³ - مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع، 116/1.

⁴ - فصول من كتاب الانتصار لأصحاب أهل الحديث، أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني، مكتبة أضواء المنار - المدينة المنورة، ط1، 1996م، 75/1.

علي وتسليمه له، ومن ثم أصبحت الإمامة من حقه؛ فتولاها أولاد علي من بعده.

المطلب الثاني: أنواع الفرق الإسلامية.

اختلف العلماء في عد الفرق الإسلامية بين مقل ومكثر، وبين مفصل ومحمل، فالشهرستاني مثلاً عدّها أربعة فقط: القدرية والصفائية والخوارج والشيعة.¹

أما الشاطبي فيقول إن الفرق الإسلامية ثمانية: المعتزلة، الشيعة، الخوارج، المرجئة، النجارية، الجبرية، المشبهة، الناجية، وكل فرقة تتفرق إلى فرق أخرى...²

أما البغدادي فقد حاول أن يعد الفرق الواردة في حديث رسول الله ﷺ والتي عددها اثني وسبعين فرقة...³ لكن العلماء قالوا أن هؤلاء لم يعدوا كل الفرق فالأشعرية والماتوريدية لم تذكر هنا، بالإضافة إلى الفرق الباطنية والصفوية، كما يمكن أن تظهر فرق أخرى لم تكن معروفة من قبل، لهذا نجد ناصر العقل قد لخصها في اثني عشرة فرقة كلها هالكة إلا جماعة واحدة وهي المتمسكة بالكتاب والسنة وهي: الخوارج، الشيعة، القدرية، المعتزلة، الجهمية، الجبرية، المرجئة، الباطنية والزنادقة، الكلابية، الصفوية، الفلاسفة، أهل الكلام (الأشاعرة والماتوريدية)⁴.

وسأقوم بتعريف مختصر لأهم الفرق الإسلامية التي وقع عليها الاتفاق بين العلماء، وهي المشهورة وهي: الخوارج، الشيعة، المعتزلة، القدرية، المرجئة، الجبرية، الجهمية، تعريفًا مختصرًا مع التركيز على مفهومها ونشأتها وأهم الأصول التي تقوم عليها... لأن المقام لا يتسع للتوسع.

الفرع الأول: الخوارج.

لقد ظهرت فرقة الخوارج في عهد علي رضي الله عنه عند قتاله مع معاوية بن أبي سفيان، والحادثة مبثوثة في كتب السير والتاريخ.

أما الخوارج فكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه فيسمى خارجياً، سواء كان

¹ - الملل والنحل، 14/1.

² - الاعتصام، الشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان - السعودية، ط1، 1412هـ / 1992م، 718/2.

³ - الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط2، 1977م، 19/1.

⁴ - دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، 138-139.

الخروج أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان، وسموا خوارج؛ لأنهم خرجوا على علي بن أبي طالب عليه السلام، وصار اصطلاحاً إلى يومنا هذا.

أما أهم عقائدهم أنهم متفوقون على أن العبد يصير كافراً بالذنب... كما أنهم يكفرون بعض الصحابة كعثمان وعلي...، ضف إلى ذلك أن الإمامة عندهم تجوز أن تكون في غير قريش، ويجوز الخروج عنهم، كما يجوز أن لا يكون عندهم إمام أصلاً إلا في وقت الحاجة...¹

وهذه الفرقة من أشد الفرق دفاعاً عن مذهبها وأفكارها، ودينهم هو لا حكم إلا لله.

أما أهم الفرق فهي سبعة: المحكمة الأولى، الأزارقة، النجدات، الثعالبة، العجاردة، الإباضية، الصفرية، والباقون تفرعوا عنهم...²

والإباضية من أشهر فرقها في عصرنا الحالي، لها أفكارها وكتبها وتفسيرها، ولها علماء يدافعون عنها وعن موروثهم الثقافي، وهي الفرقة الأقرب إلى مذهب السنة مقارنة بغيرها من الفرق.

الفرع الثاني: الشيعة والروافض.

هي أقدم المذاهب الإسلامية حيث نشأت في عهد عثمان، ونمت وترعرعت في عهد علي بن أبي طالب، وهي من أخطر الفرق على المسلمين وعلى أئمتهم بالتحديد.

والشيعة هم الذين شايعوا علياً عليه السلام، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، كما اعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده...³

من أهم الأصول التي تفرّد بها الشيعة، الإمامية وعصمتهم: التقية، المهديّة والغيبية، الرجعة، الظهور، البداء...⁴ وهذه أصول الشيعة الإمامية، وهي الفرقة الأكثر رواجاً وإنتاجاً معرفياً، وهي قائمة

¹ - الفرق بين الفرق، 23/1. / الملل والنحل، 114/1. / مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط3، 86/1.

² - الفرق بين الفرق، 27/1. / موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، عبد المنعم الحنفي، دار الرشد، ط1، 1413هـ / 1993م، ص 219

³ - موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ص 365.

⁴ - أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية - عرض ونقد - ناصر بن عبد الله بن علي القافري، ط1، 1414هـ، ص25.

حتى عصرنا الحاضر.

عدد فرقهم على رأي الشهرستاني خمس: كيسانية، زيدية، إمامية، غلاة، وإسماعيلية، بعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال، وبعضهم إلى السنة، وبعضهم إلى التشبيه.¹

الفرع الثالث: القدرية.

حذر رسول الله ﷺ من الخوض في القدر ومسائله، وسماهم بمجوس الأمة، فعن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ قال: (إن لكل أمة مجوسا، وإن مجوس أمتي الذين يقولون: لا قدر، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم)²، والفرقة نشأت في آخر عصر الصحابة رضي الله عنهم، وكان أول من تكلم فيه معبد الجهني، فعن محمد بن شعيب قال: سمعت الأوزاعي يقول: (أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن كان نصاريا فأسلم، ثم تنصر، فأخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان عن معبد)³.

يقولون أن كل فعل للإنسان هو من إرادته المستقلة عن إرادة الله تعالى، وبالتالي فهم قد سموا بهذا الاسم لنفيهم القدر عن الله تعالى وأثبتوه للعبد.⁴

من أهم الأمور التي تجتمع عليها القدرية أنه ليس لله عز وجل علم، ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا صفة أزلية، وزادوا على هذا بقولهم أن الله تعالى لم يكن له في الأزل اسم ولا صفة...، والناس هم الذين يقدرون أكسابهم، وأنه ليس لله تعالى في أكسابهم، ولا في أعمال الحيوانات صنع ولا تقدير...، كما أن الفاسق عندهم في المنزلة بين المنزلتين...⁵

الفرع الرابع: المعتزلة.

اختلفوا في نشأة المعتزلة، والراجح أنه يعود إلى اعتزال واصل بن عطاء لمجلس حسن البصري

¹ - الملل والنحل، 147/1.

² - مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، ح 5584، 415/9.

³ - أخرجه ابن بطة، ينظر: الإبانة الكبرى، ابن بطة العكبري، تحقيق: عثمان الأثيوبي وآخرون، دار الراجعية للنشر والتوزيع، ط1، 1415هـ، باب جامع في القدر وما روي في أهله، ذكر الأئمة المضلين الذين أحدثوا الكلام في القدر وأول من ابتدعه وأنشأه ودعا إليه، ح 1954، 298/4.

⁴ - تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 106.

⁵ - الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، 95/1.

بسبب مسألة مرتكب الكبيرة، حيث قال عطاء بأن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن بإطلاق، ولا هو كافر بإطلاق، بل هو في منزلة بين المنزلتين.¹

فالمعتزلة في أول الأمر كان جل اهتمامها بحكم الفاسق في الدنيا والآخرة، وهذا ما يعرف بالمنزلة بين المنزلين، والشفاعة، ثم اهتمت بمسألة القدر، ثم انكرت سائر الأسماء والصفات... وبالتالي فهي قد انصهرت بمناهجها وأصولها في قوالب أخرى في أصول علم الكلام ومناهجهم.²

من أهم أصولها: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا اجتمعت هذه الأصول فنقول عن الشخص أنه معتزلي.³

والمعتزلة افرقوا إلى عشرين فرقة منهم الواصلية والعمرية، والجعفرية، والهشامية، والخطابية الجاحظية، الجبائية...⁴ والمشهور عن المعتزلة أنهم غالوا في استعمال العقل، وأعطوه سلطة مطلقة ولو كانت على حساب النص، وقد كان لها تأثير كبير على الفرق الأخرى حتى يومنا الحالي.

الفرع الخامس: المرجئة.

حذر رسول الله ﷺ من المرجئة والقدرية؛ وهذا بسبب خوضهما في أمور خطيرة منهي الخوض فيها، قال رسول الله ﷺ: (صنغان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب: القدرية والمرجئة).⁵

والإرجاء هنا بمعنى تأخير حكم مرتكب الكبيرة إلى يوم القيامة، فلا يقضي عليه بحكم في الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار.⁶

نشأت هذه الفرقة في وسط شاع فيه الكلام في مرتكب الكبيرة أهو مؤمن أم غير مؤمن؟ فالخوارج قالوا كافر، والمعتزلة قالوا غير مؤمن، وقد يسمى مؤمن... وفي وسط هذا الاختلاف جهرت هذه الفرقة بأنه لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وقد كانت البذرة الأولى للفرقة في آخر عهد

¹ - تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 118.

² - دراسات في الأهواء ص 183-184.

³ - تاريخ المذاهب الإسلامية: ص 119.

⁴ - الإعتصام، 2/ 219.

⁵ - سنن الترمذي، أبواب القدر، باب ما جاء في القدرية، ح 2149، 22/4.

⁶ - الملل والنحل، 1/ 138.

عثمان رضي الله عنه...، حيث امتنعت عن الخوض في الفتنة... ثم امتنعوا أن يخوضوا في أمر مرتكب الكبيرة.¹

بعدها أصبح المرجئة يقولون إن الإيمان مجرد تصديق، وأن الناس والملائكة والأنبياء لا يتفاضلون في الإيمان، فالإيمان لا يزيد ولا ينقص، حيث يكفي الإيمان باللسان دون العمل، وهذا أحبث آرائهم.²

من خلال ما سبق ذكره نخلص أن فرقة المرجئة تقوم على القول بأن الإيمان قول لا غير، وأنه إيمان واحد عند كل الناس والأنبياء والملائكة، وهذا لا يصدق فعلا.

أما عن فرقتها فهي: اليونسية، العبيدية، الغسانية، الثوبانية، التومنية، الصالحية.³

الفرع السادس: الجبرية والجهمية.

هم الذين يزعمون أن العبد مجبور على أفعاله، ويسندون الأفعال لله تعالى، وهم في مقابل القدرية الذين يقولون إن الإنسان مخير في أفعاله، وهو مذهب تابع للجهمية التي لا تثبت لله عز وجل الأفعال، وهي الجبرية الخالصة الغالية، ثم صار الجبر في الصوفية وأهل الكلام.

فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا، وهؤلاء هم الجهمية، والجبرية المتوسطة هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلا وهذا تمثله الأشاعرة، فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثرا ما في الفعل وسمي ذلك كسبا، فليس بجبري...⁴

والجبرية هم أصحاب جهم بن صفوان الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال وأنكر الاستطاعات كلها...، وقد وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية...، و كانت أغلب مسائلهم تدور حول نفي الأسماء والصفات، وإنكار السمعيات أو تأويلها، وإنكار الكلام والخلة والرؤية.⁵

ويجدر الإشارة أن هذه التقسيمات مختلفة بين العلماء بحسب الاعتبارات، فالجبرية والمرجئة يدجها أغلب أصحاب الفرق للعلاقة الوطيدة بينهما.

¹ - تاريخ المذاهب الإسلامية، 113-114.

² - إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملامح وأشراف الساعة، حمود بن عبد الله التوجيري، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط2، 1414هـ، 314/1.

³ - الملل والنحل، 145/1.

⁴ - الملل والنحل، 84/1 / دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، ص 185. / موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ص 135-156.

⁵ - الملل والنحل، 86/1 / دراسات في الأهواء والفرق والبدع، 184. / الفرق بين الفرق، 199.

المطلب الثالث: أثر الفرق الإسلامية في التفسير.

تعد الكتب الميراث الحقيقي الذي يخلفه العلماء، فهي تعد المرآة العاكسة لأفكارهم وتوجهاتهم الفكرية والثقافية والسياسية والعقائدية...، وهذا يشمل كل العلوم والفنون.

وهذا ما نجده عند الفرق الإسلامية أيضا، والتي خلفت لنا ثروة ضخمة من المؤلفات في شتى العلوم منها التفسير وعلوم القرآن، فمن خلال هذه الكتب والتفاسير نستطيع أن نستشف أهم الأصول والمعتقدات التي يقوم عليها المذهب ونحكم عليها.

والذي يهمنا هي الفرق الإسلامية المنحرفة، والتي عرفناها فيما سبق؛ لأن ذكرها كلها ليس مقصودا هنا، لهذا سأحاول التركيز على أهم مؤلفات الفرق في هذا العلم.

والملاحظة الأولى والأهم في هذا الباب، والتي أستهل بها هذا الموضوع أن أغلب الفرق الإسلامية قد عملت على إخضاع النص القرآني إلى آرائها ومذاهبها، فما كان من الآيات يوافق مذهبهم استدلو به واعتمده لتقويته، أما الآيات التي تعارضهم وتختلف مذهبهم فيقومون بليّ أعناقها وتوجيهها وفق ما يخدم مذهبهم، وهذا جرم عظيم في حق القرآن الكريم.

الفرع الأول: تفسير القرآن الكريم عند الشيعة.

استقل الشيعة بمنهج مستقل عن أهل السنة والجماعة، وعن باقي الفرق الإسلامية في تفسير القرآن الكريم، حيث كان لهم منهج فريد في ذلك، فهم يفسرون القرآن الكريم بالقرآن الكريم، ثم بأقوال الرسول ﷺ، ثم أقوال أئمتهم التي تعد حجة، فقول الصحابة عندهم لا حجة له إلا ما ثبت أنه حديث نبوي، أما الإجماع فليس حجة عندهم، إلا إذا كان الإمام المعصوم من المجمعين، وأخيرا العقل الذي لا يدخل فيه القياس والمصالح المرسلة والاستحسان.¹

فمن المنطقي أن تأتي تفاسيرهم مختلفة عن تفاسير أهل السنة خاصة؛ وهذا لأنهم أولوا أئمتهم أهمية بالغة وفضلوا آراءهم على آراء الصحابة، واستغنوا عن الإجماع والقياس وغير ذلك.

¹ - اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد الرومي، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ط1، 1407هـ/1986م، 193/1.

وهذا المسلك ينعكس على تفسير الآيات الفقهية والعقدية التي تخدم مذهبهم بطبيعة الحال. والذي يجدر الإشارة إليه أن الشيعة قد فسرت القرآن تفسيراً سياسياً، فقد غالوا في تفسير بعض الآيات ففسبوا كل طيب حسن لأئمتهم، وكل ما هو سيء للمخالفين كالصحابة وبني أمية مثلاً... كما تفردت الإمامية الإثنا عشرية في تفسير القرآن الكريم عن باقي طوائف الشيعة، وهذا من خلال إضفاء هالة التقديس والعظمة على أئمتهم، حيث يعتقدون أن لهم صلة روحية بالله تعالى كتلك الصلة التي كانت للأنبياء والرسل، كما أن الإمام عندهم عبارة عن مُشرع يزيد وينقص في الأحكام... فالأئمة معصومون عندهم، وقولهم بالمهدي المنتظر والرجعة والتقية، كل هذا انعكس على تفسيرهم للقرآن الكريم ففسروه على هواهم وتأولوا النصوص تبعاً لذلك.¹

ومن تفاسيرهم الحديثة:

- تفسير الميزان في تفسير القرآن للسيد محمد حسين الطباطبائي.
- التفسير الكاشف لمحمد جواد مغنية.
- التفسير المبين لمحمد جواد مغنية.
- البيان في تفسير القرآن للسيد أبو القاسم الخوئي.
- بيان السعادة في مقامات العبادة للجنابذي.

الفرع الثاني: تفسير القرآن الكريم عند المعتزلة.

أقامت المعتزلة تفاسيرها على الأصول الخمسة: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فما كان موافقاً لأحد هذه الأصول شرحوه وبينوه، وما كان مخالفاً لهم من الآيات حاولوا لي أعناقها بما يتناسب ومذهبهم، وهم في هذا يعتمدون على الحجج العقلية، حتى لو كان ذلك يؤدي إلى رد الأحاديث الصحيحة، فهم قد أعطوا العقل السلطة المطلقة ولو كان ذلك على حساب النقل والأثر.

كما أن المعتزلة قد ادعت أن كل محاولاتهم التفسيرية هي مراد الله تعالى، ضف إلى ذلك أنهم

¹ - ينظر: التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة القاهرة، 19/2 - 20.

حرصوا على الطريقة اللغوية التي تعد المبدأ الأعلى للتفسير عندهم...¹

ومن المعلوم أن الاستدلال بمجرد اللغة تؤدي إلى الوقوع في الخطأ في التفسير، فالمعتزلة قد أخطأت في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۚ ٢١ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۚ﴾ - القيامة: 22-23، وفي قوله أيضا: ﴿عَلَىٰ الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ - المطففين: 23- وسبب الخطأ هنا هو الفرار من إثبات الرؤية معتمدين على اللغة، ومتجاهلين الأحاديث والآثار الصحيحة، ومحاولين بكل ما استطاعوا أن يطبقوا مبدأهم اللغوي، حتى يتخلصوا من الورطة التي أوقعتهم فيها ظاهر لفظ القرآن...²

لقد أفرط المعتزلة في استعمال العقل كثيرا، حتى أنهم في تفسيرهم لكلام الله تعالى قد غالوا في ذلك، فهم قد توسعوا في تفسير القرآن تفسيراً عقلياً محضاً تبعاً لمنهج الفلاسفة القائم على تفسير الغيبات تفسيراً عقلياً...، وأخذوا يخضعون الكثير من الآيات القرآنية إلى مقتضى مذهبهم، وكلما صادفوا نصاً يتعارض مع مذهبهم أعملوا فيه التأويل ليصرفوه عن معناه المراد إلى معاني تخدم أفكارهم، وبالتالي فالمعتزلة انحرفت انحرافاً شنيعاً في التفسير من أجل خدمة آرائها.³

ومن أشهر مؤلفاتهم:

- تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار.
- أمالي الشريف المرتضى.
- الكشاف للزمخشري.

الفرع الثالث: تفسير القرآن الكريم عند الخوارج.

الخوارج عندما ينظرون إلى القرآن لا يتعمقون في التأويل، ولا يغوصون وراء المعاني الدقيقة، ولا يكلفون أنفسهم عناء البحث عن أهداف القرآن وأسراره، بل يقفون عند حرفية ألفاظه، وينظرون إلى الآيات نظرة سطحية... كما أنهم لم يلتفتوا إلى ما جاء من أحاديث نبوية ناسخة أو مخصصة لبعض

¹ - التفسير والمفسرون أساسياته وأجهاته ومناهجه في العصر الحديث، 1/ 260-267.

² - أسباب الخطأ في التفسير دراسة تأصيلية، طاهر محمود محمد يعقوب، دار ابن الجوزي، ط1، 1425هـ، ص 230.

³ - أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، ط2، 1406هـ-1986م، ص 245.

الآيات، ولم يلتفتوا أيضا إلى إجماع الأمة... كل هذا كان له الأثر البالغ في تفسيرهم للقرآن الكريم.¹

بالنسبة لمؤلفات الخوارج لم يصل لنا منها شيء؛ وهذا بسبب اندثار المذهب وزواله، فلم يبقى منه إلا الإباضية التي مازالت إلى وقتنا الحالي لها مؤلفات في التفسير وغيره، ولعل السبب وراء ذلك هو أنهم كانوا سكان بادية، لم تترك لهم الحرب متسعا من الوقت للتأليف، ضف إلى ذلك أنهم كانوا يعتبرون الكذب من أكبر الجرائم، هذا ما دعاهم إلى عدم الخوض في تفسير القرآن.

لهذا سأذكر بعض تفاسير الإباضية المطبوعة؛ لأن أغلبها ضاع، أو بقي مخطوطا لم يعثر عليه بعد، ومن أهم كتب الإباضية الموجودة إلى يومنا هذا:

- تفسير هود بن محكم.
- تفسير داعي العمل ليوم الأمل لمحمد بن يوسف اطفيش.
- هميان الزان إلى دار المعاد لاطفيش.
- تيسير التفسير لاطفيش.²

الفرع الرابع: من آثار التعصب المذهبي في التفسير.

تسبب التعصب المذهبي لدى الفرق الإسلامية إلى مخلفات فكرية لا يحمد عقباه، ولقد كان لعلم التفسير نصيب وافر من هذه الآثار السلبية، حيث إن المفسر منهم لا يكثر أن يبين مراد الله تعالى من الآيات بقدر ما يهمله أن ينتصر لمذهبه، وينصر أصوله، المهم أن ينتشر مذهبه ويلقى رواجاً بين القراء، وبهذا ضاعت القيمة العلمية التفسيرية لكتبهم، وصنفت من قبيل التفاسير المنحرفة التي يجذر منها العلماء.

ومن أهم آثار التعصب العقدي في التفاسير نجد السمات التالية:

أولاً: ظهور الاختلاف الشديد في الآراء التفسيرية وتشعبها.

وقع علم التفسير في دوامة كبيرة جراء تعدد المذاهب واختلافها، والذي زاد الطين بلة أن كل واحد من هؤلاء يتعصب لمذهبه ويدافع عنه بكل ما أوتي من قوة، ولو كان ذلك على حساب كلام الله

¹ - التفسير والمفسرون أساسياته وأجهاته ومناهجه في العصر الحديث، 2/ 225-231.

² - التفسير والمفسرون أساسياته وأجهاته ومناهجه في العصر الحديث، 2/ 233-234.

تعالى ودينه، وهذا ما حصل فعلا.

فلتأمل لفساد العالم وما وقع فيه من التفرق والاختلاف، يجده ناشئا من جهة التأويلات المختلفة المستعملة في آيات القرآن الكريم...، فأوجبت ما أوجبت من التباين والتحارب وتفرقة الكلمة وتشتت الأهواء.¹

وبالقاء نظرة على واقع تفاسير الفرق الإسلامية مقارنة بتفاسير أهل السنة والجماعة، يلحظ البون الشاسع بينها، وهذا من خلال تعدد الآراء التفسيرية للآية الواحدة إلى درجة اختلاف التضاد، فكل واحد يفسرها وفق ما يتناسب مع مذهبه الفكري أو العقدي أو السياسي، وهذا ما يظهر كثيرا عند الشيعة الإمامية، فكل موضوع يربطونه بالإمامة والعصمة.

ثانيا: ظهور النزعة العقلية والإفراط في التأويل.

وضع أهل العلوم العقلية قاعدة عامة يُرجع إليها في جميع أمور الدين ومسائله، ومنها علم التفسير، هذه القاعدة تقتضي تقديم العقل على النقل، وجعله وسيلة لرد النصوص القرآنية وتأويل معانيها تأويلا باطلا.²

وكان للمعتزلة الحظ الأوفر من هذا القانون الكلي، فقد جعلوا العقل هو السلطان في المذهب والحكم فيه، حتى وإن كان معارضا للنصوص القرآنية، وهذا ما نراه في أغلب تفاسيرهم، فقد اتسمت بالنزعة العقلية.

ليست المعتزلة فقط من تأثرت بالعقل، بل هناك من قدمه على النقل كالمدرسة العقلية الحديثة بقيادة محمد عبده ورشيد رضا، حيث اعتبر محمد عبده أن الأصل الأول للإسلام هو النظر العقلي الذي يجب تقديمه على ظاهر الشرع في حالة التعارض...³

أما رشيد رضا فقد اعتبر أن دين الإسلام دين عقل، ونفى أن يكون الإسلام كسائر الأديان

¹ - الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعتلة، ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، ط1، 1408هـ، 349/1.

² - أسباب الخطأ في التفسير، ص 305.

³ - الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، محمد عبده، دار الحدائث، ط3، 1988م، ص 69-70.

التقليدية التي تعتبر العقل عدوا لها... فالإسلام يأخذ بالأدلة العقلية والنقلية من كتاب ربنا، لا عن المخالفين المشككين.¹

كما أن المدرسة العقلية قد وقعت في فخ التأويل خاصة في مجال القصص القرآني والغيبات، فراحت تأول بعض الآيات القرآنية وفقا لأهوائها وتوجهاتها، دون أدنى اعتبار لما ثبت في النقل الصحيح في تفسير هذه الآيات، فخرجوا بالنص القرآني عن الهدف الذي نزل من أجله.

لهذا يمكن القول بأن التأويل الفاسد من أهم عوامل الاختلاف بين المسلمين، وتشتت كلمتهم وتمزقهم وتفرقهم في الدين، فهم لا يخضعون لظاهر النصوص، ولا يحتكمون لضوابط علمية معينة، وليس لهم قانون ثابت في تفسير النصوص، لهذا نجدهم قد اختلفوا كثيرا في التفسير؛ خاصة في آيات الأسماء والصفات، وفي الآيات الفقهية والعقائدية.²

فالتأويل الفاسد قد وقعت فيه أغلب الفرق الإسلامية حتى بعض من ينتسب إلى أهل السنة والجماعة، وهذا ما نلاحظه في تفاسيرهم.

ثالثا: الإكثار من رواية الإسرائيليات، والمرويات الضعيفة في مقابل إهدار الهدايات القرآنية والأوجه الإعجازية للآيات.

كانت للإسرائيليات التي أخذها المسلمون عن أهل الكتاب أثر سيء في التفسير، حيث إن ما نقل بعد عصر الصحابة أغلبه كذب...، لهذا يمكن القول أن الكثيرين من هذه الروايات قد وضعوا الشوك في طريق المشتغلين بالتفسير، هذا ما أدى إلى زرع الشك والريبة حول من آمن بأهل الكتاب، أما بالنسبة للوضع فقد نشأ حين اختلف المسلمون سياسيا، وتفرقوا إلى شيعة وخوارج وجمهور، فوجد من أهل البدع والأهواء من روجوا لبدعهم، وتعصبوا لأهوائهم، فوضعوا ما وضعوا ليصلوا إلى أغراضهم السيئة ورغباتهم الخبيثة.³

فكل فرقة روجت لمذهبها برواية الإسرائيليات والموضوعات التي تخدم مذهبها فاختلفت الحابل

¹ - شبهات النصارى وحجج الإسلام، محمد رشيد رضا، دار المنار، ط2، 1367هـ، ص 70.

² - أسباب الخطأ في التفسير، ص 453-455.

³ - ينظر: التفسير والمفسرون أساسياته وأجهاته ومناهجه في العصر الحديث، 115/1-130. -بتصرف-

بالتابل، وهذا مما أدى إلى حدوث ضعف في التفسير.

وفي مقابل نشر الإسرائيليات والموضوعات، والتوسع فيها أهمل هؤلاء المفسرون الهدايات العظيمة التي جاء القرآن الكريم يدعو إليها، والأوجه الإعجازية للسور والآيات القرآنية، فمن المفروض أن تكون التفاسير زاخرة بالهدايات القرآنية، وبال دعوة إلى التدبر والتفكر في خلق الله، وفي الآيات الكونية العظيمة، وإلى الوجوه الإعجازية المختلفة خاصة البيانية منها، فوجدناها مملوءة بالخلافات والصراعات المذهبية، كل يحشد من الروايات الضعيفة والواهية ما يقوي به مذهبه، وينصر رأيه دون أن يأبه للطائفة الموجودة والهدايات الربانية والأوجه الإعجازية، فأصبحت تفاسير الفرق المتعصبة وغيرها مستودعا للروايات الضعيفة والمكذوبة.

رابعا: فتح المجال أمام الأعداء للطعن في التراث الإسلامي والتقليل من قيمته.

لقد احتفى المستشرقون وغيرهم من أعداء الإسلام بالفرق الإسلامية المنحرفة، واهتموا بها أيما اهتمام، حيث راحوا يروجون لأفكارهم ويحققون مؤلفاتهم، وينشرونها بين العوام؛ ليسود فكرهم ومذهبهم الذي يخدم مصالح الاستشراق في مقابل مؤلفات أهل السنة والجماعة.

فكان اهتمام المستشرقين بالفرق المنشقة عن الإسلام ظاهرا، حيث عملوا على تعميق الخلاف بين السنة والشيعة، كما أنهم يعدون الفرق المنشقة عن الإسلام على الدوام أصحاب فكري ثوري تحرري عقلي، ودائما يهتمون بكل غريب وشاذ، كما يقيسون ما في العالم الإسلامي على ما لديهم من قوالب مصبورة جامدة.¹

فهم يحاولون أن يظهروا الإسلام في صورة أدنى إلى الغريزة البشرية، وأنه يصلح لإشباع النزعات الدينية السطحية دون التعمق في تهذيب الروح والخلق، وأنه دين يدعو إلى الخمول والاستسلام لأحكام وتصرفات القدر.²

وها هو جولد تسيهر في كتابه مذاهب التفسير الإسلامي يتناول بعض الفرق الإسلامية التي اهتمت بالتفسير كالمعتزلة والشيعة، ويقرر بأنه قد وقع اختلاف شديد في تفسير القرآن الكريم حيث يقول: " فلا

¹ - الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود حمدي زقزوق، دار المعارف، ص 123.

² - الإستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، أحمد عبد الرحيم السايح، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1417هـ / 1996م، ص 39-40. -

بتصرف-

يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافا عقديا على أنه نص منزل أو موحي به، يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد في نص القرآن، وفي جميع الشوط القديم للتاريخ الإسلامي لم يحرز الميل إلى التوحيد العقدي للنص إلا انتصارات طفيفة".¹

إن جولد تسيهر هنا قد وجد الاضطراب في تفاسير الفرق الإسلامية المختلفة في التفسير، لما بينها من تباين واختلاف، ما شجعه ليقر بهذا الافتراء الذي ينقصه الاستقصاء والبحث الموضوعي.

وها هو يصرح في موضع آخر أن ما وقع من خلافات بين المذاهب والفرق الإسلامية قد أثر سلبا على نظرة الغرب للإسلام حيث يقول: " هذا الفهم الخاطئ للحديث الإسلامي الخاص بفصائل الإسلام الثلاث والسبعين، وتخريجها على أنها فروع أو فرق قد أثر أحيانا على آراء الغربيين وتصوراتهم، فلم يقتصروا على اعتبار المذاهب الإسلامية الأربعة فرقا دينية...".²

لهذا يمكن القول بأن التناحر بين الفرق الإسلامية وتكفير بعضها بعضا قد أسهم بشكل كبير في إثراء دراسات المستشرقين السلبية حول القرآن الكريم وعلومه، فلقد وجد هؤلاء المدخل إلى الطعن في الدين من نتاج الفرق الإسلامية أنفسهم، هذا ما يعطيهم الشرعية في ميزانهم، لكن هيهات فلو تحلوا بقواعد البحث العلمي وبالموضوعية لوصلوا إلى نتائج صحيحة.

¹ - مذاهب التفسير الإسلامي، ص4.

² - العقيدة والشريعة في الإسلام تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الديانة الإسلامية، اجناس جولد تسيهر، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد يوسف موسى وآخرون، دار الكاتب المصري، ط1، 1946م، ص167.

المبحث الثاني: منهج فضل حسن عباس في الرد على شبهات بعض الفرق الإسلامية.

طال القرآن الكريم مجموعة من الشبه والافتراءات من قبل المسلمين أنفسهم، وأغلب هذه الشبهات قد طرحت تحت اسم الفرق الإسلامية، وأقلها طرحت باسم أهل السنة والجماعة بمفهومه العام، فقد وُجدت طرحت بعض الشبهات تحت اسم الاجتهاد، فأنحرفوا عن الجادة والطريق القويم.

والشيخ فضل حسن عباس رحمه الله قد جمع لنا مجموعة من هاته الشبهات، والتي صدرت إما عن أشخاص أو جماعات، ثم رد عليها وفق مناهج دفاعية مختلفة.

المطلب الأول: شبهات حول القرآن الكريم باعتباره كتابا سماويا.

الشبهة الأولى: فرية القول بنزول القرآن بالمعنى.

ابتدأ الشيخ فضل رحمه الله هذا بالحديث عن بعض العلماء الذين نقلوا في كتبهم عن حسن النية الغث والسمين، ولم يعلم هؤلاء أن هناك متربصين بالدين يبحثون عن ثغرات للكيد بهذا الدين، ويستشهد الشيخ فضل بالإمام الزركشي¹ والذي تبعه في ذلك السيوطي، وهذا عندما تحدثا عن نزول القرآن الكريم، حيث ذكرا أقوالا عديدة منها ما يُعتبر شبهة، من بين هذه الأقوال نزول القرآن بالمعنى...، حيث نقل الشيخ عن الزركشي قوله عن لفظ القرآن أن هناك من ذهب إلى القول أن الذي صاغ ألفاظ القرآن هو جبريل عليه السلام، وذهب آخرون أن النبي ﷺ هو من صاغها.

ومصدر الشبهة هنا الفهم الخاطيء لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ

بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝﴾ - الشعراء: 192-195-²

آتي الآن لتفصيل هذه الشبهة، وهي أن الله سبحانه وتعالى بين لنبيه ﷺ أن الروح الأمين جبريل عليه السلام نزل بالقرآن على قلب النبي ﷺ، والذي يناسب النزول على القلب هو المعنى، أما اللفظ فإنما يخص به السمع، ثم قال سبحانه: ﴿ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ۝﴾ أي تنذر الناس بلسان عربي فقلوه ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ ۝﴾ متعلق بقوله: ﴿ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝﴾ أي من المنذرين بلسان عربي، وأقر الشيخ أن هذا الفهم للآية الكريمة مردود من جوانب كثيرة.³

هنا نجد الشيخ فضل نقل لنا فرية نزول القرآن بالمعنى عن الزركشي والسيوطي، وقد ابتدأ الشيخ فضل رحمه الله كلامه بالإقرار أنه يحسن بهما وبغيرهما النية فيما نقلوه في هذا الموضوع، أو في غيره من المواضيع، والمعروف أن الإمامين قد نقلتا في كتابيهما مجموعة من الروايات التي لا تصح، أو الضعيفة

¹ - بدر الدين الزركشي: ولد سنة 1344م، بمصر، فقيه شافعي، أصولي، مفسر، أديب، تركي الأصل مصري المولد والوفاء، سمع بجلب ودمشق، ودرس وأفتى، وولي مشيخة خانقاه كريم الدين بالقرافة الصغرى، من مصنفاته " البرهان في علوم القرآن " " تفسير القرآن العظيم " وصل فيه إلى سورة مريم، توفي سنة 1392م. ينظر: معجم المفسرين من صدر الاسلام الحاضر، ص 505.

² - اتقان البرهان، 104/1.

³ - اتقان البرهان، 104/1. -بتصرف-

هذا ما أدى بالمشككين إلى انتقائها والاستشهاد بها في دراساتهم المغرضة.

أما فيما يخص رد الشيخ على ذلك، فقد شرع أولاً في بيان أدلة الرد على هذه الشبهة، وخلاصة هذه الأخيرة أنه لا مانع من أن ينزل اللفظ والمعنى على القلب، ونحن نرى اليوم ما وصل إليه العلم الحديث من تحويل الإشارات إلى ألفاظ...، والله المثل الأعلى.

أما القول بتعلق اللسان العربي المبين بالإنداز فليس بكبير فائدة، فليس النبي ﷺ وحده الذي ينذر بلسان عربي، بل إن غيره من الأنبياء العرب كانوا ينذرون بلسان عربي، ثم إن هذا الإنداز ليس للعرب وحدهم، وبالتالي تقدير الآية نزل به الروح الأمين بلسان عربي مبين... وجاء الشيخ بكلام رائع للمخشري ليدلل على صحة كلامه، ثم أردف قائلاً أن هذه الفرية تتناقض مع بديهيات الدين، بكون هذا القرآن معجز، فلو كان هذا صحيحاً لما وُجد فرق بينه وبين الأحاديث، ناهيك عن تعارضها مع آيات قرآنية مثل قوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ - القيامة: 16-19، وذكر آيات أخرى في الموضوع تعذر إحصاؤها...، ثم جاء بأحاديث صحيحة ترد هذه الفرية، مثل قول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: (وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرؤه نائماً ويقظان)¹.

ومسلك الشيخ فضل في الرد على فرية نزول القرآن بالمعنى، أنه مزج بين منهجين دفاعيين مهمين: المنهج العقلي المنطقي، وهذا من خلال الاستنجاد ببديهيات منطقية لنزول القرآن باللفظ والمعنى معاً، ونتائج العلم الحديثة، إضافة إلى المنهج النقلية المتمثل في الاستشهاد بآيات وأحاديث نبوية تعارض فرية النزول بالمعنى.

ثم ترحم الشيخ على الإمامين، وقال إنه كان ينبغي عليهما أن لا يذكرنا مثل هذه الأقوال، ومع هذا أنصف الإمام السيوطي حيث ذكر نص إمام الحرمين الجويني في هذا الباب، وهو كلام نفيس يرد على ما ذكر قبل، ثم جاء بكلام ابن عبد البر وهو يشرح حديث بدأ الوحي، والذي أخذه عن أبي شهاب الزهري...³.

¹ - صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يعرف بها أهل الجنة وأهل النار، ح 2865، 2197/4.

² - إتيقان البرهان، 106-105-104/1. - بتصرف -

³ - إتيقان البرهان، 109-108/1. - بتصرف -

وهكذا ندرك أن فرية نزول القرآن في المعنى يردها العقل والنقل والمنطق والواقع.

ولمحمد عزت دروزة تعقيب على كلام السيوطي السابق الذي اقترح أربع أقوال حول نزول القرآن، فقد قال دروزة أن هذه الأقوال تخمينية، ولم يورد قائلها أسانيد موثوقة لها، في حين أن الموضوع متصل بسر وحي الله وسر النبوة كذلك، فهو أمر غيبي إيماني لا يصح قول شيء فيه إلا بنص صريح من القرآن أو حديث ثابت عن النبي، ومادام أنه لم يرد شيء من ذلك، وإن النبي قد بلغ القرآن الموحى به إليه بألفاظه العربية التي دونت وحفظت عنه بالتواتر اليقيني، فليس من محل للقول إن القرآن أوحى إليه بالمعنى كما أنه ليس من ورائه طائل...¹

لكن الذي أود أن أنبه إليه فيما يخص هذه الشبهة أن السيوطي والزرکشي قد نقلوا العديد من الروايات التي لا تصح في عدة مباحث من علوم القرآن، خاصة السيوطي، فهو وغيره لم يلزموا أنفسهم بإيراد الروايات الصحيحة، هذا هو منهجهم في كتبهم، وهذا منهج أغلب المتقدمين من المفسرين، عكس المتأخرين الذين حرصوا كثيرا على موضوع الروايات من حيث الصحة والضعف، ومن حيث الأسانيد وغيرها من الأمور التي قررها المحدثون، فلا نستطيع أن نأخذ عليه المتقدمين، فهم نقلوا لنا هذه الروايات، وعلى من يأتي بعدهم أن يهتم بدراسة الأسانيد والمتون.

ويمكن أن أدرج هنا شبهة ترتبط بالموضوع، وهي شبهة قراءة القرآن بالمعنى، وهي من طرح مصطفى مندور تلميذ "بلاشير"، حيث أخذ مندور عن شيخه فرية جواز قراءة القرآن بالمعنى.

يقول الشيخ فضل أن هذه الشبهة وإن قبلت من هذا المستشرق، لكن لا يمكن أن يقبل طرحها من بني جلدتنا، وهو الذي يعلم بقدسية كلام الله تعالى، وقد رد الشيخ على هذين المفتريين، فنقل كلاما ثمينا عن عبد الصبور شاهين حيث رد على هذين، وأقر أنهما قد اعتمدا على روايات ضعيفة وباطلة، بالإضافة إلى نقلهما على كتب غير متخصصة ككتاب الأغاني مثلا، فقراءة القرآن بالمعنى مخالف لإجماع المسلمين، والمنهج العلمي الصحيح يقتضي نقد المتن والسند لبلوغ الحق...، ثم ختم الشيخ بكلام ابن عطية الذي يصلح لرد أغلب الشبهات المطروحة في هذا الباب.²

¹ - التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، دار إحياء الكتب العربية، 1383م، 1/263-264. -بتصرف.-

² - إتقان البرهان، 178/2-180.

ومن خلال ما سبق يمكن أن أستشف منهج الدفاع عند شيخنا فضل رحمه الله حيث استعمل المنهج النقلي، وهذا من خلال الإقرار أن الروايات التي استند إليها ضعيفة وباطلة، والإقرار بإجماع الأمة بعدم جواز القراءة بالمعنى، بالإضافة إلى المنهج العقلي المنطقي، وهذا من خلال الاستدلال بقواعد المنهج العلمي وغيرها... مع الإشارة إلى نقطة مهمة وهي عدم ذكر الشيخ فضل للأدلة والروايات التي يستند عليها هؤلاء لنتمكن من دراستها متنا وسندا، ونحكم على درجتها، لكن هنا حكم على الروايات دون إيرادها، وهذا نوع من الخلل والله أعلم.

لقد نقل لنا عبد الصبور شاهين شبهة مصطفى مندور حيث يقول هذا الأخير أن هناك نقطة على الأخص وقع عليها اتفاق كثيرين وهي أن القرآن ربما قرئ بأوجه كثيرة، ولكن الأساس هو أن يحترم المعنى، وقد أيدت نصوص كثيرة هذه الفكرة، فينسب إلى عمر قوله: (القرآن كله صواب، ما لم تجعل المغفرة عذابا، أو عذابا مغفرة)¹، وقد دافع ابن مسعود عن تعدد القراءات، مؤكدا أنه بعد أن نظر في اختلاف القراءة لم يجد سوى مترادفات...²

كما يمكن أن نزيد رواية عبد الله ابن مسعود إلى الروايات التي استند إليها هؤلاء، فعن شفيق قال: قال عبد الله: (إني قد سمعت القراء فوجدتهم متقاربين، فاقروا كما علمتم وإياكم والتنع، وإنما هو كقول أحدكم: هلم وتعال).³ والذي يلاحظ هنا أن هذه الروايات وغيرها تتحدث عن موضوع القراءات والأحرف السبعة، وما ورد فيها من الروايات المختلفة والمتنوعة، والذي يهمنا هنا أنها لم يكن يحكمها الهوى والتشهي، إنما التلقي والسمع.

وخير ما أحتم به هذا الموضوع المهم أن نزول القرآن بالمعنى وجواز قراءته بالمعنى أيضا يردده قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝ الشُّعْرَاءُ: 192- فهي حجة قاطعة مؤكدة للحجج الأخرى على أن القرآن كان مفهوما مألوف اللغة من العرب الذين يسمعون، كما أن فيها دليلا على أن الوحي كان ينزل على قلب النبي ﷺ كان ينزل بالألفاظ التي دونت، وليست بالمعنى

¹ - مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ/2001م، مسند المدنين، حديث أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري عن النبي ﷺ، ح: 16366، 26/285.

² - تاريخ القرآن، عبد الصبور شاهين، نخضة مصر، ط3، 2007م، ص 126-127.

³ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1422هـ/2001م، 46/1.

كما ذهب إليه بعض العلماء، كما أن فيها دليل مؤيد لما ذهب إليه جمهور العلماء من عدم إجازة قراءة القرآن في الصلاة مترجماً بلغة أخرى؛ لأن ذلك لا يمكن أن يبقى على صفة القرآن الواجب قراءته كركن من أركان الصلاة، خلافاً لبعض من قال بجواز ذلك، فالعبارة هنا قوية الدلالة على صحة الرأي الأول إلى درجة تكاد أن تكون حاسمة فيما نعتقد والله أعلم - رأي "دروزة"¹.

الشبهة الثانية: حفظ القرآن الكريم من قبل أربعة من الصحابة.

قرر الشيخ فضل رحمه الله أن هذه الشبهة قد أثارها المستشرقون، وغيرهم من المستغربين حول عدد حفظة القرآن الكريم في عهد رسول الله ﷺ، ونقلها عنهم عبد المنعم نمر² وكيل الأزهر السابق وأقر بها، لكن الشيخ أحسن الظن به، ونقل لنا كلامه بالحرف، حيث يقول: "إن من الحقائق التي يجب أن نضعها أمام أعيننا أن الصحابة لم يحفظ منهم القرآن كله إلا يسير، قيل: أربعة وقيل أكثر من ذلك بقليل وحصر بعضهم الحفاظ بسبعة"³.

وقبل عرض رد الشيخ على هذه الشبهة، نلمس حسن ظنه بعبد المنعم، وهذا ما يدل على سماحة الشيخ ووسعة صدره لمن يشاركهم الدين والمعتقد، وهذا ما يحتسب للشيخ بارك الله فيه.

ويشير الشيخ فضل رحمه الله إلى خطورة هذه الشبهة على الإسلام، وما لها من آثار سلبية خطيرة، حيث إنها تقود إلى القول بعدم تواتر القرآن الكريم... ويواصل الشيخ دفاعه عن عبد المنعم ليجد له مبررات وأعدار على كلامه السابق، وذكر أن عبد المنعم أراد أن يستدل بما أخرج الإمام البخاري عن أنس رضي الله عنه، وقد سئل عن جمع⁴ القرآن في عهد النبي ﷺ فقال إنهم أربعة كلهم من الأنصار: "أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد"⁵.

¹ - التفسير الحديث، 261/3.

² - عبد المنعم نمر: الأستاذ الدكتور عبد المنعم النمر من مواليد قرية الخرزاني مركز دسوق عام 1913م. تخرج في كلية أصول الدين سنة 1939م، ثم حصل علي العالمية وعين مدرسا بكلية اللغة العربية، وحصل علي الدكتوراة عام 1972م. عين وزيرا للأوقاف سنة 1979م. له عدة مؤلفات منها "تاريخ الإسلام في الهند"، "حضارتنا وحضارتهم"، "الإجتهد". توفي عام 1991م. ينظر: <https://ar.m.wikipedia.org>، تاريخ الاطلاع: 2023-06-02.

³ - إتقان البرهان، 286/1.

خطأ في النسخة الصواب - جمع -⁴.

⁵ - حدثنا حفص بن عمر حدثنا همام حدثنا قتادة قال: سألت أنس بن مالك رضي الله عنه: من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ؟ قال: (أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد). صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر

بعد أن جاء الشيخ بمبررات هذا الرأي، وحاول بيان وجهة نظر عبد المنعم، استهل الشيخ رده، فجاء أولاً بمصدر الشبهة حيث يقر أن هذه الشبهة قد أثرت قديماً من قبل الملاحدة، ورد عليها علماءنا أمثال ابن حجر...، لكن الشيخ أشار قبل الرد إلى قضية مهمة في علم الحديث، وهي بمثابة قواعد لفهم الحديث الشريف فهما صحيحا، مثله مثل التعامل مع القرآن الكريم من سياق وأسباب ورود، وما يتصل بها... ألا وهو سبب ورود الحديث.

ثم ذكر لنا سبب ورود الحديث السابق، وهو مجال تنافس بين الأوس والخزرج -الذي فيهم أربعة حفظوا القرآن- في أعمال الخير والتسابق في خدمة الدين، فمعنى هذا أنه لا مانع أن يجمع القرآن غيرهم من المهاجرين ومن غير المهاجرين.¹

هذا الرد الأول الذي جاء به الشيخ حيث وضح لنا سبب ورود الحديث، ألا وهو تنافس الأوس والخزرج في حفظ القرآن، وهذا أدرجه ضمن المنهج النقلي في الرد على شبهة حفظ القرآن الكريم من قبل أربعة من الصحابة.

يكمل الشيخ رده على هذه الشبهة من خلال نقله لكلام الحافظ ابن حجر أيضا الذي رد على هذه الشبهة، فقد ذكر أجوبة متعددة للشبهة وإن لم يرتض بعضها، ونقل عن المازري أن هذا ما علمه أنس، ولا يلزم منه أن يكون الواقع كذلك؛ لأن الصحابة تفرقوا في البلاد، ولكي يكون الحصر حقيقيا لا بد أن يكون أنس رضي الله عنه قد لقي كل واحد من الصحابة رضي الله عنهم... ثم يذكر الحافظ كثيرا ممن حفظوا القرآن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم...².

ثم ختم كلام الحافظ في الفتح³ بقوله: "وقد تمسك بقول أنس هذا جماعة من الملاحدة، ولا متمسك لهم فيه فإننا لا نسلم حمله على ظاهره".⁴

ومفاد كلام ابن حجر الذي استدل به الشيخ فضل هنا لمتابعة الرد على هذه الشبهة أدرجه

الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب المغازي، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ح 5003، 187/6.

¹ - ينظر: إتيان البرهان، 288/1.

² - إتيان البرهان، 288/1.

³ - فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت-لبنان، 98/25.

⁴ - إتيان البرهان، 287/1.

ضمن المنهج العقلي المنطقي، فمن غير المعقول أن يكون الحصر هنا حقيقياً والصحابة قد تفرقوا، كما أنه لا يلزم أن يحفظ القرآن من الأول إلى الآخر من قبل شخص واحد لنقول بالتواتر، فهذا أمر غير منطقي كما يقول الحافظ.

فالشيخ فضل قد برع في رد هذه الشبهة، نقلاً ومنطقاً، على الرغم من أنها من طرح عالم مسلم لكن هذا لم يشفع له، فهو قد أحسن الظن به، لكن الشبهة رد عليها رداً علمياً محكماً، هذا ما يقودني إلى القول بأن الشيخ يناقش الأفكار والأطروحات لا الأفراد والأشخاص.

الشبهة الثالثة: سلامة القرآن الكريم من التحريف.

ذكر الشيخ فضل رحمه الله في بداية هذا الموضوع عن المسلمين باختلاف طوائفهم، وأنهم مجمعون على سلامة القرآن الكريم من التحريف، والزيادة والنقصان، وحتى المنصفون من غير المسلمين يرون أن هذا القرآن هو نفسه الذي أنزل على سيدنا محمد ﷺ.

ثم جاء بكلام الطبرسي صاحب مجمع البيان الذي نفى وجود الزيادة في القرآن باتفاق، أما عن نقصانه فقال إن هناك مجموعة من الحشوية العامة قالت بذلك، ولكن الصحيح من مذهبهم - الشيعي - خلافه، ثم عرض لطربرسي آخر وهو الحسين بن محمد تقي النور الطبرسي، وهو من متأخري الشيعة قد كتب كتاباً بعنوان: "فصل الخطاب في إثبات تحريف كلام رب الأرباب"، والذي ذكر فيه روايات ساقطة تذهب بقدسية القرآن، وأراد أن يبين أن هذا هو رأي الشيعة الإمامية.¹

غير أن الكتاب والكاتب قوبلا بالنقد، كما أنه لا يعبر عن رأي الشيعة في القرآن، ثم عرض لقول محمد الهادي معرفة في رده على هذا الكتاب بأن الروايات التي استند إليها عبارة عن مراسيل...، ثم نقل قول شرف الدين العاملي التي جاء بخلاصة قول الشيعة في القضية، وهو أن من نسب إليهم القول بالتحريف فهو مفتر ظالم لهم.²

ومما سبق يتضح أن الشيخ دفاع عن موقف الشيعة من قضية التحريف، فهو مع الرأي الذي يقول إن الشيعة تقول بسلامة القرآن من الزيادة والنقصان، وبالتالي فالقول بالتحريف منسوب إليهم

¹ - إتقان البرهان، 2/346-347.

² - إتقان البرهان، 2/346-348.

زورا، وقد استثنى منهم الحشوية، وبعضا منهم كصاحب كتاب "فصل الخطاب في تحريف كلام رب الأرباب"، وقد قال إن الشيعة قابلت هذا بالرد، لهذا لا يمكن أن أستخرج منهج الدفاع عن القرآن الذي سلكه الشيخ هنا، بل سأبحث عن مدى صحة وجهة نظر الشيخ فضل في قضية التحريف عند الشيعة.

إن مسألة تحريف القرآن الكريم عند الشيعة ليست بالمسألة الهينة، والشيخ قد نقل عنهم رأيا واحدا وهو قولهم بعدم تحريف القرآن الكريم، لكن هذه المسألة فيها عدة أقوال عند العلماء وفيها كلام كثير...، والشيخ قد اقتصر على قول واحد فقط ودافع عنه، فلو أنه قد ذكر أقوال العلماء فيها، ثم رجح رأيه الخاص لكان أحسن، أو بالأحرى ما ترجح عنده بالأدلة، لهذا سأحاول أن أنقل باختصار رأي العلماء في قضية التحريف عند الشيعة لأن المقام لا يتسع لذلك.

يقول محمد إبراهيم عسال حول تحريف القرآن الكريم عند الشيعة الإمامية: "جمهور المفسرين من الشيعة الاثني عشرية أن القرآن الذي بين أيدينا اليوم ليس هو كما أنزله الله تعالى، والقرآن الصحيح هو الذي جمعه علي بن أبي طالب بإملاء النبي ﷺ، وتوارثه الأئمة من بعده إلى أن استقر عند القائم محمد بن الحسن العسكري الغائب في السرداب الذي سيخرج ويظهره للناس، وهو لم يتطرق إليه تحريف ولا تبديل..."¹

وتعمدت نقل كلام المتأخرين في الموضوع؛ لأن المقام لا يتسع لعرض أقوال سلفنا، فالقول الذي نقلته آنفا هو الأشهر عند العلماء، وهذا ما ثبت في كتبهم الأصيلة التي يعتمدون عليها ك"الأصول الكافي" و"الطبرسي" وتفسير "القمي"

أما فيما يخص الرأي الذي يقول أن الشيعة لم تقل بتحريف القرآن خاصة الإمامية منهم، فهناك من ينكر تحريف القرآن الكريم من الشيعة، وهذا يمكن أن يكون تقية من بعضهم، فإن التقية من مبادئهم وهي تعني إظهار شيء وإخفاء ضده، وليس من الممكن أن نعلم ما في قلوبهم لنحكم عليهم...، وهنا تقصير من هؤلاء في عدم كشف الحقيقة كاملة، فهم لم ينكروا على الغلاة منهم كالطبرسي مثلا، ولم يتبرؤوا ممن قال بتحريف القرآن، وما زالوا يأخذون من كتبهم وأقوالهم...، فالواجب

¹ - الشيعة الاثني عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن الكريم، محمد محمد إبراهيم عسال، ط1، 1427هـ، د د، ص 275.

عليهم مقاطعة كل ما كتبوه؛ والواقع عكس ذلك، كان من المفروض أن يعلنوا كفرهم وخروجهم عن الإسلام، ويمنعوا تداول كتبهم، ويقاطعوا طبعها وشراءها، ويضعوا هؤلاء المؤلفين في القائمة السوداء...¹.

فالشيخ فضل يرى أن الشيعة لا تقول بتحريف القرآن، فأنساه هذا الرد على هذه الشبهة الخطيرة، ولم يفصل فيها كما هي عادته في نقل الأقوال ثم الترجيح، وإنما عمد مباشرة إلى ترجيح الرأي الذي يراه هو، دون الالتفات إلى الرأي المخالف والذي يُعد المعتمد عند الشيعة.

الشبهة الرابعة: العرضة الأخيرة.

أثناء حديث الشيخ فضل عن قضية القراءات القرآنية تطرق إلى موضوع مهم وهو موضوع العرضة الأخيرة والقراءة الشاذة، حيث ركز فيها على موضوع العرضة الأخيرة وموضوع النسخ، وأشار إلى خطورة القول بأن العرضة الأخيرة قد أتت لنسخ بعض الآيات، واعتبر أن هذا الأمر خطير جداً، فهذه الأخيرة كانت عرضة خاتمة بين أمين السماء وأمين الأرض تأنيساً وتثبيتاً وجباً، حيث أدرك رسول الله قرب أجله.²

والشيخ فضل قرر أن العرضة الأخيرة لم تكن بهدف نسخ آيات وترك قراءتها، بل هي لقاء بين أمينين ولم يحضرها غيرهما، ويمكن أن نعتبر هذه المقدمة بمثابة تأصيل للمسألة قبل عرض الشبهة كي لا يلتبس على القارئ الموضوع.

ثم شرع الشيخ في عرض شبهة طرحت في الموضوع، وهي شبهة "عبد السلام مقبل المجيدي"³ الذي قال إن العرضة الأخيرة كان هدفها العام هو مقابلة ما حفظه الرسول ﷺ على ما أوحاه إليه جبريل عليه السلام، ليبقى ما يبقى ويذهب ما نسخ توكيدا واستثباتا وحفظا.

¹ - الموالاة والمعادة في الشريعة الإسلامية، محماس بن عبد الله بن محمد الجلعود، دار اليقين للنشر والتوزيع، ط1، 1407هـ/ 1987م، 548-545/2. -بتصرف-

² - إتيان البرهان، 155-154/2.

³ - عبد السلام مقبل المجيدي: أستاذ الدراسات الإسلامية (القرآن والتفسير وعلوم القرآن) في جامعة حضرموت سابقاً، مستشار وزير الأوقاف - عضو لجنة مراجعة المصحف والإشراف على طباعته - وزارة الأوقاف، عضو لجنة المسابقات الدولية للقرآن الكريم - وزارة الأوقاف، ولد باليمن سنة 1973 م. له العديد من المؤلفات منها "تلقي النبي ﷺ ألفاظ القرآن الكريم"، "المنهج النبوي في التعليم القرآني"... ينظر: <https://ar.m.wikipedia.org>، تاريخ الاطلاع: 2023-06-02.

ضف إلى ذلك أنه استشهد بنصين على حضور ابن مسعود¹ للعرضة الأخيرة هو وصحابة آخرون، ودعم ذلك أيضا بحديث عائشة في موضوع الرضاع²، وقال إن معنى قولها على سبيل التأكيد البالغ على التحريم بالرضاع بهذا العدد دون نسخه، وعندما أرادت تأكيده عزته إلى القرآن، وقال إن هذا من خواص لغة الصحابة، وجاء بمثال آخر كذلك عن ابن مسعود في الوشم³ ومثال عن عمر بن الخطاب في الرجم⁴... وهذه من أدلة رد الشبهة كما ذكرها الشيخ⁵.

يتعقب الشيخ فضل هذا الكلام الخطير، ويقر أنه يعوز إلى دليل، فكيف والله تعالى قد تكفل بحفظ كتابه من النسيان، ويأتي هذا ويقول إن هدف العرضة الأخيرة عام، واستدل الشيخ فضل بآيات قرآنية تتحدث عن تكفل الله عز وجل بحفظ القرآن من الضياع والنسيان قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ٣٢ ﴾ الفرقان: 32- وقوله: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى ٦ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ٧ ﴾ -الأعلى 06-07-.

أما ما استشهد به عبد السلام عن حضور ابن مسعود وغيره للعرضة، وأنها قراءة وليست لابن مسعود فقط، فيقول الشيخ أن ما استشهد به يدل على حفظه القرآن هو وغيره، لا حضورهم العرضة الأخيرة.

كما أكد أن هذا لم يقل به أحد غير الكاتب⁶.

¹ - عن أبي ظبيان قال: قال لنا بن عباس: (أي القراءتين تقرؤون، قلنا قراءة عبد الله، قال: إن رسول الله ﷺ كان يعرض القرآن في كل عام مرة، وإنه عرض عليه في العام الذي قبض فيه مرتبة فشهد عبد الله ما نسخ)، سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1411هـ/1991م، كتاب فضائل القرآن، باب عرض جبريل القرآن، ح: 7994، 7/5.

² - عن عائشة رضي الله عنها: (كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ وهن يقرأ من القرآن). ينظر: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب التحريم بخمس رضعات، ح: 1452، 1075/2..

³ - عن ابن مسعود ﷺ (لعن الله الواشمات والمستوشمات، النامصات والمتمصصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله)..... ينظر: صحيح مسلم، كتاب الزينة واللباس، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة...، ح: 2125، 1678/3..

⁴ - عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: (قال عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر رسول الله ﷺ: إن الله قد بعث محمدا ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما نزل عليه آية الرجم، قرأناها ووعيناها وعقلناها، فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده...) صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب رجم الثيب في الزنى، ح: 1691، 1317/3.

⁵ - إتيان البرهان، 155/2-157.

⁶ - ينظر: المرجع نفسه، 157/2-158.

ثم راح الشيخ يتساءل عن حال جبريل عليه السلام ورسول الله ﷺ وهما يتدارسان القرآن وجم من الصحابة يسمعون؟ كيف كان شكل جبريل على صورة ملائكية أم بشرية؟..... ليس هذا فقط بل هناك أمر أخطر من هذا، وهو قوله عن عائشة رضي الله عنها أنها أرادت أن تؤكد كلامها فعزته إلى القرآن؟؟؟ هذا لا يجوز لا عن عائشة ولا عن غيرها، بل هناك قضايا أولى من الرضاة لكي تنسبها إلى رسول الله أو القرآن الكريم لكنها لم تفعل...¹.

ومسلك الشيخ فضل يتجلى في طرح مجموعة من التساؤلات المنطقية التي تنفي حضور أحد من الصحابة للعرضة الأخيرة، وقال بأنه لقاء بين أمينين أمين السماء وأمين الأرض لا غير.

يواصل الشيخ رده على هذه الشبهة المغرضة، فيقول إن الاستدلال بحديث ابن مسعود بعيد كل البعد، فهو قياس مع الفارق كما يقال...، ولو ثبت الكاتب على كلامه أن هناك ما نسخ من القرآن في العرضة الأخيرة، وأن الرضاة والرجم مما نسخ لكان خير له.²

بعد أن عرضت موقف الشيخ فضل من آراء عبد السلام مقبل المجيدي، وبعد أن أحسن الظن به فيما يخص موضوع العرضة الأخيرة، يمكن الوصول إلى نتيجة مفادها أن الشيخ فضل رد على مختلف الشبهات التي عرضها آنفا وفق منهجين دفاعيين:

الأول: المنهج النقلي، وهذا قد تمثل في الاستشهاد ببعض الآيات القرآنية فيما يخص حفظ القرآن الكريم من الله تعالى.....

الثاني: المنهج العقلي المنطقي الذي غلب على أسلوب الشيخ، فالكاتب كما يقول الشيخ قد طرح أفكار خطيرة جدا يمكن أن يستعملها أعداء الإسلام ضده، وهذه مصيبة كبيرة جدا، لهذا وجب التنبيه على مثل هذه الأفكار والتحذير منها خاصة ما يتعلق بنسبة الصحابة للقرآن ما ليس فيه، فهذا من الخطورة بمكان على الإسلام والمسلمين، جزا الله الشيخ فضل الذي يقف عند كل ثغرة تمس الإسلام ويدافع عليها وينصرها.

¹ - ينظر: إتيان البرهان، 157/2-158.

² - ينظر: المرجع نفسه، 159/2.

ومما يجدر الإشارة إليه قول الشيخ فضل أن عبد السلام قد تفرد بالقول أن العرضة الأخير هي قراءة العامة، وأن هناك من حضر العرضة الأخيرة... فالذي يظهر والله أعلم أنه هناك مجموعة من العلماء قالت أن العرضة الأخيرة جاءت لمقابلة ما حفظه رسول الله على ما أوحاه جبريل عليه السلام ليبقى ما بقي، ويذهب ما ذهب، وأن هناك من حضر العرضة الأخيرة كزيد بن ثابت مثلاً، منهم البغوي¹ وابن كثير² والطاهر بن عاشور³... فمن المستغرب أن يطلق الشيخ هذا الحكم، وهو الذي يطلع على المصادر والمراجع قبل إطلاق حكمه، لكن من الممكن أنه يقصد شيئاً آخر لم أنتبه إليه هنا.

أما بخصوص حديث عائشة الذي استدل به عبد السلام سابقاً، فقد أردت أن أشرح معناه، والذي استشهد به للتدليل على أن هناك من حضر العرضة الأخيرة، فمعناه أن النسخ بخمس رضعات تأخر إنزاله جداً حتى إنه ﷺ توفي وبعض الناس يقرأ خمس رضعات ويجعلها قرآناً متلوا لكونه لم يبلغه النسخ لقرب عهده، فلما بلغهم النسخ رجعوا عن ذلك.⁴

هذا معنى الحديث لا أنها نسبتها إلى القرآن للتأكيد عليه كما يفترى بعضهم.

الشبهة الخامسة: فرية الحشو وقضية الزوائد في كتاب الله تعالى.

ألف فضل حسن عباس كتاب "لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن"، وقد عُدَّ هذا الكتاب فريداً في بابهِ، حيث يبين الشيخ مفهوم الزوائد، فقال بأنها كلمات ادعى بعض اللغويين زيادتها في كتاب الله تعالى، لكنه يرى عكس ذلك، فهذه الزوائد المدعاة لها دلالات لا يتم دونها المعنى، وراح يعدد من الآيات القرآنية ما قيل بوجود الزوائد فيها، ليتعقب كل كلمة قيل بزيادتها، وأنها جاءت لتؤدي معنى ذا شأن، وهذا ما جاء الكتاب لتأكيدهِ.⁵

هذا الموضوع لم يشتغل عليه الشيخ فضل وحده بل تجند له علماء عدة، راحوا يدرسون الآيات التي

¹ - شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي دمشق - بيروت، ط2، 1403هـ/1983م، 4/525.

² - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ/1999م، 1/51.

³ - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984م، 1/52.

⁴ - المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط2، 1392هـ، 10/29.

⁵ - لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن، فضل حسن عباس، دار النور للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1410هـ/1989م، ص5-6.

أدعي فيها الزيادة، فاستغلوا الفرصة وبينوا الوجه الإعجازي عكس ما قاله هؤلاء، والمفسرون منذ القدم كانوا يشيرون إلى هذه الأمور أثناء تفسيرهم لهذه الآيات، فيبينون أن تلك الحروف ليست زائدة إنما لها دور لغوي وبلاغي مهم في هذه الآية بالضبط، وبتصريحهم هذا فهم يردون على شبهة وفرية الحشو.

يقر فضل حسن عباس أن كثيرا من المتكلمين وبعض الفقهاء، والنحويين واللغويين والمفسرين قد كانت لهم آراء متكلفة في بعض النصوص القرآنية، فحملوها مالا تحتمل، لينصروا مذاهبهم وفهمهم الخاص، ورغم أن الشيخ قد أحسن الظن بهم، إلا أنه صرح بحقد وجهل -يقصد غير المسلمين كالمستشرقين مثلا- أصحاب هذه الأقوال التي تطعن في القرآن الكريم، فراح الشيخ يعدد مجموعة من الآيات التي ادعي فيها وقوع حشو، فيرد على الفرية بالشرح والبيان، ويبين الوجه الإعجازي فجراه الله كل خير.¹

وقضية الزوائد ظهرت عند الأئمة الذين هيمن عليهم المذهب النحوي، أما المفسرون فقد شددوا على القائلين بالزوائد، وإن كان أكثرها حروفا، وراح الشيخ يعددها، ثم درسها دراسة تفصيلية... ليصل الشيخ في الأخير إلى نتيجة مفادها أن سبب القول بوجود الزيادة هي النظرة الجزئية للنصوص القرآنية، مع التقليد، فلو أنهم تركوا هذه الثقة العمياء لوقفوا على أسرار هذه الحروف.²

إن ما يمكن أن يُختم به هي الإقرار أن أغلب ما طرح من شبهات حول الحشو هي شبهات للمستشرقين الحاقدين وغيرهم، ولا ينكر أن بعض النحويين قالوا بها مع حسن نياتهم، فقام الشيخ فضل ببيان بطلانها، فجراه الله خير الجزاء.

المطلب الثاني: شبهات حول مباحث علوم القرآن.

الشبهة الأولى: أمية الرسول ﷺ.

موضوع أمية رسول الله ﷺ من أهم المواضيع التي سالت فيها أقلام أعداء الإسلام، فما تركوا فرصة إلا وحاولوا فيها إثبات عدم أمية الرسول ﷺ، وهذا لكي يثبتوا أن القرآن الكريم نقله رسول الله عن مصادر أخرى، ولم تكن هذه الشبهات قد طرحت من قبل المستشرقين الحاسدين أو الحداثيين

¹ - ينظر: لطائف المنان، ص 25-38.

² - ينظر: لطائف المنان، ص 290.

المغرضين فحسب، بل انتقلت العدوى إلى بعض المسلمين، فبتنوا هذا الرأي، وراحوا يبحثون عن أدلة ليثبتوا ذلك، رغم أن القرآن الكريم الذي يؤمنون به، والسنة النبوية المطهرة أثبتا أمية الرسول صلى الله عليه وسلم، فسولت لهم أنفسهم مخالفة ذلك.

نقل الشيخ فضل في حديثه عن مصادر القرآن الكريم التي اقترحها المستشرقون، شبهة لأحد تلاميذ "بلاشير"، الذي لم يُثبت اسمه، بل ذُكر في الهامش فقط، ألا وهو "مصطفى مندور"، حيث قال الشيخ بأن هذا الأخير قد أيد شيخه في قوله بأن رسول الله ﷺ يعرف القراءة والكتابة، واستدل على ذلك بأن أول ما نزل على محمد تمتدح القلم والقراءة، وهو أمر لا يتوقعه أميٌّ.

وأجابه الشيخ فضل بأن كلامه الأخير حول مدح القلم والقراءة يناقض فيه ما أقره شيخه "بلاشير"، الذي قال بأن معنى اقرأ هو أنذر أو ادع.

فمصطفى مندور احتج بما ترك شيخه الاحتجاج به...وكان الوحي عنده كان مشروطا بتوقع الرسول، حتى يلتزم حدود معرفته ولا يتجاوزها.¹

وأسلوب شيخنا فضل رحمه الله في الرد على الشبهة يمكن أن يُدرج ضمن المنهج العقلي المنطقي في مجال الدفاع عن رسول الله ﷺ ورسالته، وهذا حين استدل الشيخ فضل بأن التلميذ وضمف حجة أعرض عنها شيخه وكأنه أقحمه وألزمه نقض مذهب شيخه دون أن يشعر.

يواصل الشيخ فضل رده على المفتري وغيره، حيث يستدل بسيرة الصحابة ﷺ الذين يعرفون أحوال رسول الله وصفاته، وكل تفاصيل حياته، وهذا ما أثبت في كتب السيرة الكثيرة، فمن غير المعقول أن نقلوا لنا كل تفاصيل حياته البسيطة، ويغفلون أن ينقلوا لنا أنه ﷺ يعرف القراءة والكتابة؟؟؟ أليس هذا دليل على عدم معرفة رسول الله ﷺ للقراءة والكتابة؟²

وإلى جانب المنهج العقلي المنطقي السابق؛ استعان الشيخ بالمنهج التاريخي الذي دلل فيه أن صحابة رسول الله ﷺ لم ينقلوا لنا هذه الأخبار المزيفة.

¹ - ينظر: إتيقان البرهان، 88/1.

² - ينظر: المرجع نفسه، 88/1.

ثم يختم الشيخ فضل رده بأن أورد لنا مجموعة من الأحاديث النبوية التي تدلل على أمية رسول الله ﷺ، وبيننا شعريا للبوصيري في برده حول أمية رسول الله ﷺ، وهذا يمثل المنهج النقلي في سبيل الرد على هذه الشبهة المغرضة.

ورجح شيخنا آخرا إلى أن رسول الله ﷺ في آخر حياته اطلع على أحوال القراءة والكتابة بحكم لزومه لمجالس كتابة الوحي والرسائل، فلا مانع أن يكون كتب الكلمة والكلمتين.¹

واختصر هنا بما ورد عن الشيخ فضل في رد هذه الشبهة؛ وقد سبق أن ناقشت شبهة الأمية عند المستشرق "بلاشير" فيما سبق؛ لأنه صاحب الشبهة الأصلي، فهنا زدت الجزء الزائد من الشبهة والتي أضافها تلميذه مندور فقط، حين امتداح القلم والقراءة وجعلها دليلا على عدم أمية نبينا صلى الله عليه وسلم، وقد ردها الشيخ أن احتجاجه هذا يخالف ما أقره أستاذه "بلاشير"، فما يهمنا هو بيان منهج رد هذه الشبهة أكثر من إيراد الردود حولها.

والحق أن القلم والكتابة لا ترفع الأمية المطلقة على الأمة، وهذا ما نشاهده في القرن الواحد والعشرين، وقد أصبح الناس أغلبهم يقرؤون ويكتبون، لكن الأمية باقية فيهم، فالأمة من جهل الشرع وخالف تطبيقه، وهذا من علامات قيام الساعة والله أعلم.

الشبهة الثانية: جمع القرآن الكريم.

حين تعرض الشيخ فضل لموضوع جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أورد شبهة للمستشرق "بلاشير" في ادعائه أن أبا بكر لم يتم عملية جمع القرآن الكريم، كما اعتبر مسألة الجمع مسألة شخصية.

وقد تبعه في افتراءه هذا مصطفى مندور، وزاد عليه أن اعتبر أن عملية الجمع ذات ذمة مالية لأبي بكر، وقد ركز الشيخ على الجزء الزائد من شبهة "بلاشير"، وهي القيمة المالية للنسخة المجموعة، فتساءل الشيخ فضل عن هذه القيمة المالية؟ وعن القيمة الحقيقية لنسخة من القرآن عند رجل كان في عصر المحفوظ فيه أوثق من المكتوب؟ ... فما هذا التفكير اللامنطقي الذي لا يرتقي إلى درجة المعقول؟²

¹ - ينظر: إتقان البرهان، 88-90.

² - المرجع نفسه، 294/1.

وهذا الرد في مجال الدفاع عن القرآن الكريم اصطلاحنا على تسميته بالمنهج العقلي المنطقي، وقد أبدع وأجاد فيه الشيخ فضل رحمه الله.

أما مرحلة الجمع في عهد عثمان بن عفان، فقد نقل لنا الشيخ فضل الشبهة على شكل سؤال قد يتبادر لأذهان بعض الناس، ألا وهو عدم اشتراك عبد الله بن مسعود في كتابة القرآن الكريم؟ وقال إن هذه الشبهة أثارها بعض الحاقدين من المحدثين، ومن قبلهم بعض أصحاب الأهواء، فقد ادعو أن ابن مسعود اضطهد من قبل عثمان واعتُدي عليه، وهذه فرية يكذبها التاريخ والواقع كما يقول الشيخ.

يكمل الشيخ رده على هذه الفرية بأن قال إن ابن مسعود حين كتبت المصاحف لم يكن في المدينة بل كان في مكة، ثم يُقال لما لم يشرك في جمع أبي بكر للقرآن، فيُجيب أن زيدا اختير؛ لأنه شاب جلد يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، أما ابن مسعود لم يكن كذلك، فقد كان ضعيف البنية رقيق الجسم، كما أن الكثير من الصحابة كان لهم الشرف في الإسهام في جمع أبي بكر فبالضرورة كان ابن مسعود من بينهم، ثم جاء بكلام الذهبي في الموضوع، ومفاده أن زيدا كان أحدث القوم بالعرضة الأخيرة، أما مصحف ابن مسعود فكان فيه ما نسخ.¹

فالشيخ فضل قد استخدم المنهج التاريخي في الرد على هذه الشبهة المغرضة.

ثم إن قول ابن مسعود لا يدل على عدم جواز جمع القرآن، ولا على أنه مخالف لذلك، إنما كان يرى أنه أحق من زيد، فما قاله كان في حالة غضب، فلما سكت عنه الغضب أدرك حسن اختيار عثمان ومن معه من الصحابة لزيد بن ثابت، وقد ندم على ما قال واستحس منه... وهذه الخصائص التي توفرت في زيد لا تقتضي أفضليته على ابن مسعود، ولا على أبي بكر، وعمر وعثمان، وعلي؛ وإنما تقتضي أهليته لما عهد إليه به.²

ادعى إمام من أئمة الشيعة وهو "عبد الهادي بن الشيخ ميرزا"³ أن القرآن الكريم لم يجمع في

¹ - المرجع نفسه، 297/1.

² - المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد محمد أبو شهبه، دار اللواء، ط3، 1407هـ/1987م، ص286.

³ - عبد الهادي بن الشيخ ميرزا: هو الشيخ الدكتور عبد الهادي بن الشيخ ميرزا، واشتهر بالعلامة الفضلي والدكتور الفضلي، رجل دين وأكاديمي عراقي من أصل سعودي. ولد سنة 1935م، له عدة نشاطات ومشاركات أدبية وثقافية كثيرة كما أنه من مؤسسي الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية في لندن، وقد أُلّف ما يزيد على 15 مقرّراً دراسياً في علوم اللغة العربية والمنطق والفقه والأصول وغيرها، توفي في 2013م. ينظر: <https://ar.m.wikipedia.org>، تاريخ الاطلاع: 2023-06-02.

عهد أبي بكر وإنما جمع في عهد رسول الله ﷺ.¹

يستهل الشيخ فضل رده على هذه الشبهة أن أبدى استغرابه حول قول " عبد الهادي"، فهو لا يخالف قول أهل السنة فقط، وإنما يخالف قول الشيعة أيضا، فأكثر الشيعة الإمامية يدعون أن القرآن الكريم إنما جمعه علي بن أبي طالب، أما آخرون فيدعون أن القرآن الكريم قد ذهب منه أشياء كثيرة...، لكن هذا الرأي الأخير لم تجتمع عليه الشيعة كما يروج له في الفضائيات... وبالتالي فالشيخ فضل يقر أن الأقوال التي أُستند عليها في موضوع التحريف لا تصلح حججا فلم يطل فيها.

ثم أشار إلى بحث² ناقش فيها صاحبه شبهة " عبد الهادي" في الجمع، وبين بطلانها؛ لأنها تتعارض مع ما ثبت من أن القرآن متواتر، وأن الصواب ما أطبق عليه المسلمون من أن القرآن جمع في عهد الصديق ﷺ.³

لهذا يمكن القول بأن الشيخ فضل رد على شبهة جمع القرآن من قبل رسول الله ﷺ بالمنهج العقلي المنطقي، وهذا حين أقر أن هذا القول يُعارض ما اتفقت عليه الأمة من أهل السنة ومن الشيعة كذلك، فهو قد خالف الشيعة أيضا، قد عرض الشيخ في خضم هذا إلى موضوع التحريف الذي أولاه اهتماما زائدا كما رأينا من قبل، فاغتنم الفرصة وبين أن أغلب الشيعة لا تقول بتحريف القرآن الكريم، فهي تقر أن القرآن الكريم كامل ليس فيه نقص ولا زيادة، وأشار أن هذا البحث الذي رد على الشبهة الأولى محل الدراسة قد ردت شبهة التحريف عن أغلب علماء الشيعة، وقد رأينا فيما سبق رأيه في موضوع التحريف، جزاه الله عنا وعن الأمة خير الجزاء فكل هذا لا يصدر إلا من قلب ينبض حبا وغيرة على دينه وقرآنه.

الشبهة الثالثة: القراءات القرآنية.

عندما تطرق الشيخ فضل إلى موضوع القراءات القرآنية، عرض لشبهة المستشرق "جولد تسيهر" الذي أرجع سبب اختلاف القراءات القرآنية إلى طبيعة المصحف والخط العربي، وحينها أشار الشيخ إلى قضية مهمة، وهي أن هناك من العلماء المسلمين المعاصرين من تبع هذا المستشرق في قوله، كأبي القاسم

¹ - إتيان البرهان، 1/298.

² - بحث "شبهات الفضلي حول جمع القرآن".

³ - إتيان البرهان، 1/298-299.

الخوئي وطه حسين¹ وإبراهيم الأبياري وعلي عبد الواحد وافي²، ليؤكد بعدها الشيخ أن ما قيل مخالف لإجماع أهل العلم في مختلف العصور، كما اعتبار أن الرد الذي وجه لجولد تسيهر يُعد أيضا ردا عليهم ما داموا يسرون وراء قافلته، هذا الكلام ذكره الشيخ في كتاب (إتقان البرهان)³، أما في كتاب (القراءات القرآنية) فقد نقل لنا الشيخ فضل ما افتراه الدكتور علي عبد الواحد وافي في هذا الشأن، حيث قال إن بعض مظاهر اختلاف القراءة ترجع إلى اختلاف في فهم المعنى ووجوه التأويل وجاء بالأمثلة التوضيحية...، ويرجع أيضا الاختلاف على حسب رسمه في المصحف، فلقد كان الرسم مجردا من الإعجام والشكل.

ونفس الشيء قاله الشيخ فضل هنا، فقد اعتبر أن الرد على جولد تسيهر يغينا على الرد عليهم، مع التنبيه إلى نقطة مهمة، وهي أن الأمثلة التي جاء بها جولد تسيهر أو علي عبد الواحد أو غيره لا تصح عند العلماء.⁴

هكذا نجد الشيخ فضل قد امتنع على الرد على شبهة هؤلاء المحسوبين على الإسلام، واعتبر أن الرد الذي وجه للمستشرق نفسه يوجه إلى هؤلاء أيضا ما داموا قد أخذوا عنه، لكن الذي يظهر والله أعلم، أنه من المفروض إيراد الرد على هؤلاء المفترين في نفس الموضوع الذي طرحت فيه الشبهة، لكي يسهل على القارئ الاطلاع على الرد، ولا يتكبد عناء البحث عن الرد الموجه إلى جولد تسيهر، ومن الممكن أن يترك القارئ عملية البحث لصعوبتها، لهذا كان من المستحسن إيراد الرد ولو مجملا، مع الإشارة أن الرد المفصل يوجد على شبهة المستشرق هذا أولا.

¹ - طه حسين: ولد في قرية " الكيلو " بمغاغة من محافظة " المنيا " سنة 1889م، أصيب بالجدري في الثالثة من عمره فكف بصره، وبدأ حياته في الأزهر سنة 1902م، ثم بالجامعة المصرية القديمة، وهو أول من نال شهادة " الدكتوراه " ...، الدكتور في الأدب، من كبار المحاضرين، جدد المناهج وأحدث ضجة في عالم الأدب العربي، من مؤلفاته المطبوعة " في الأدب الجاهلي " و " في الشعر الجاهلي " ...، وقد ترجم الكثير من كتبه إلى عدة لغات، توفي بالقاهرة سنة 1952م. ينظر: الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، ط15، 2002م 231/3-232.

² - علي عبد الواحد وافي: كاتب ورائد من رواد علم الاجتماع العربي، مصري الجنسية ولد سنة 1901م، تلقى العلم في بلده ثم حصل على البكالوريوس والدكتوراه بجامعة السوربون، عمل مدرسا بالعديد من الجامعات منها جامعة قسنطينة وتقلد عدة مناصب أكاديمية له العديد من المؤلفات منها "علم اللغة"، "فقه اللغة"، "عقريات ابن خلدون" ... توفي سنة 1991م. ينظر: <https://ar.m.wikipedia.org>، تاريخ الاطلاع: 02-06-2023.

³ - ينظر: إتقان البرهان، 170-169/2.

⁴ - القراءات القرآنية وما يتعلق بها، ص 376.

مع أن نوعية الرد على الشبهة تختلف بين مستشرق وآخر فما بالكم بالرد على من هم من بني جلدتنا، فمناهج الدفاع تختلف بين هذا وغيره، فيمكن أن يكون هناك منهج دفاعي يصلح للرد به على المستشرقين ويكون أنجع، وهناك منهج دفاعي يتناسب مع المسلمين، في هذه الشبهة أو في غيرها، لهذا لو قام الشيخ فضل بالرد على هؤلاء، فمن المؤكد أنه سيوجه ردا مخالفا نوعا ما للرد الموجه لهذا المستشرق، خاصة من الشيخ الذي يعرف بمسوعيته وحلمه وعلمه ولغته، جزاه الله عنا كل خير.

وإذا رجعنا إلى موضوع القراءات؛ حيث نقل لنا الشيخ فضل شبهة لظه حسين، والذي نقلها عن المستشرق نولدكه كما يقول، حيث أرجع اختلاف القراءات إلى تعدد اللهجات واللغات بين القبائل العربية، فكانت كل قبيلة تقرأ كما يسهل عليها، فالاختلاف ليس ناتجا عن التلقي من رسول الله.

كما يقول إن القراء لم يتناولوا القرآن على لغة قريش فكثرت قراءته، وتعددت اللهجات وتباينت تباينا كثيرا... هذا ملخص الشبهة التي ذكرها طه حسين هنا، ولكن الشيخ فضل تعقبها بقوله أنها شبهة ضعيفة لا تستند إلى أساس، وراح يناقشها، فقال إن القول بأن القراءات كثرت وتعددت قبل أن يتناولها القراء بلغة قريش كلام باطل، حيث إن الواقع التاريخي يثبت العكس، فلا أحد يستطيع القراءة إلا إذا تلقاها عن رسول الله ﷺ، أو ممن تلقاها عنه، وأحاديث الأحرف السبعة دليل على ذلك، إضافة إلى حادثة¹ عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم.²

هكذا رد الشيخ فضل على نص الشبهة بالمنهج النقلي الذي استدل فيها بأحاديث الأحرف السبعة، بالإضافة إلى المنهج التاريخي، وهذا من خلال الاستشهاد بحادثة عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم، كما أنه قال بأن الواقع يبطل ادعاء هذا المفتري.

هذا ما ذكره الشيخ فضل من الشبهات في كتابه إتقان البرهان رغم أنه واصل الرد على باقي أجزاء الشبهة التي لم يوردها هنا، وإذا ما رجعت إلى كتابه الخاص بالقراءات القرآنية أجده قد عرض لنص الشبهة كاملا، وقد كان الرد مفصلا وطويلا على ما كان عليه في الكتاب السابق؛ وهذا لأن الثاني

¹ - عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال: (سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأها، وكان رسول الله ﷺ أقرأها...)، صحيح البخاري، كتاب الخصومات، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض، ح2419، 122/3.

إتقان البرهان، 173/2-174.²

متخصص في القراءات على خلاف الأول الخاص بعلوم القرآن عموماً، وزاد شبهات أخرى رد عليه أيضاً.

وسأعرض لرد الشيخ في هذا الكتاب على الشبهات التي ذكرها من قبل، فقد قال إن رسول الله كان يبعث القراء ليس لشرح معاني القرآن فحسب، بل لإقراء الناس وتعليمهم النطق الصحيح وذكر أثره في ذلك، كما أنه كان لا يرضى أن يغير أصحابه بعض الكلمات في غير القرآن فكيف إن كانت قرآناً؟ وجاء بحديث في هذا.

كما أن لغة قريش التي نزل بها القرآن لم تكن غريبة على أي قبيلة من القبائل العربية، وهذا لعدة اعتبارات...¹ راح الشيخ يعددها، وهذا ما يعرف بالمنهج النقلي في مجال الدفاع عن القرآن الكريم.

يكمل الشيخ رده على شبهة طه حسين الذي خلط بين القراءات الجائزة وغير الجائزة في الأمثلة التي ساقها أثناء حديثه عن اختلاف القراءات، فناقشه فيها خاصة في ادعائه أن رجال الدين - كما يقول - فهموا أن القراءات السبع المتواترة قد نزلت عن النبي ﷺ، وأن منكرها كافر، وقال إنه لم يعرف أحد من المسلمين كَفَّرَ أحداً لهذا الشيء، فقد تساءل الشيخ عن مقصود الكاتب بقوله رجال الدين، فما يقوله هنا بعيد كل البعد عن الحقيقة، فالقول بقراءة القراءات السبع بديهية عند العلماء، ولا أحد ممن له أدنى معرفة بدينه يقول بهذا، ثم جاء بأقوال العلماء قديماً وحديثاً في هذا الموضوع، فجاء بقول عمرو بن العاص وأبو جعفر النحاس والطحاوي والسيوطي وابن الجزري فكلهم مجمعون على قرآنتها.²

فارتأ الشيخ أن يستعمل المنهج العقلي المنطقي للرد على هذا المفترى فيما يخص القراءات السبعة، وقد قرر أن القراءات السبعة نزلت على رسول الله ﷺ، وليس هناك أي شك في ذلك، فهذه من البديهيات التي يعتقدها كل المسلمين في بقاع الأرض.

أما عن الأحرف السبعة ومتى بدأ نزولها، حيث قال بأنه لما فرغ من كتابة هذه الأسطر، وقع بين يديه كتاب (من قضايا القرآن) لإسماعيل أحمد الطحان، حيث قال هذا الأخير أن الأحرف السبعة لم

¹ -القراءات القرآنية، ص 358-359.

² - المرجع نفسه، ص 361-364.

تكن إلا في المدينة، فأما ما كان من القرآن المكي فلا يعد من الأحرف السبعة، ثم جاء بأمثلة من قراءات في القرآن المكي ليُذلل على التناقض الذي يدعون أنها من الأحرف السبعة... ثم قال الطحان بأنه قد يذهب الخيال أو تستبد المغالطة ببعض الناس، فيدعى أن القرآن المكي قد تكرر نزوله في المدينة، وجاء وعزا ذلك للسيوطي رحمه الله.

يتعقب الشيخ فضل كلام هذا الكاتب بما وصف به العلماء بالتناقض وعدم التحري، واتباعهم الخيال واستبداد المغالطة عليهم..، وتساءل هل يدري الكاتب أيهم أولى بهذه الأوصاف؟¹ بعد أن استنكر الشيخ كلام الطحان عن العلماء وظلمه لهم، ابتداء بالرد عليه، فقال الشيخ:

أولاً: السيوطي لم يرد القول بالتكرار بل رد قول المخالفين.

ثانياً: أن الأحاديث التي نقلها صريحة وواضحة بأن الأحرف السبعة ليست في القرآن المدني فحسب، فالسورة التي سمع عمر بن الخطاب هشام يقرأها هي سورة الفرقان وهي مكية باتفاق....

ثم قال الشيخ أن الكاتب لا يفرق بين اللهجة واللغة، ليلوم العلماء بعدها الذين أطلقوا على اللهجة لغة، مع أن الشيخ لم يستعمل في كتابه إلا كلمة اللغة... فادعاء الكاتب إذا بأن الخلاف في الأحرف السبعة كان في اللهجات فحسب، ووصفه العلماء بالتظليل تعوزه اللياقة والذوق، فاختلاف الأحرف السبعة يرجع أكثر ما يرجع إلى اختلاف اللغات، واختلاف القراءات يرجع أكثر ما يرجع إلى اختلاف اللهجات، كما أن ادعاءه بأنه مهما كانت لهجة المسلم أو بيئته يستطيع أن يقرأ القرآن بالقدر الذي تعودته عضلات صوته في النطق فغير صحيح.

رد الشيخ فضل على صاحب هذا الافتراء بعد أن شنع كلامه على العلماء ووصف قوله هذا بالظالم، آتى للحديث عن منهج الشيخ في الرد على هذه الشبهة، والذي يظهر والله أعلم أن الشيخ قد استعان بالمنهج النقلي وهذا من خلال الاستشهاد بأية مكية...، بالإضافة إلى المنهج العقلي المنطقي، وهذا من خلال طرحه لمجموعة من التساؤلات المنطقية، والتنبيه إلى أن استخدامه لكلام السيوطي هنا لدعم رأيه كان خاطئاً، فبين لنا الشيخ مراد السيوطي من كلامه.

¹ - القراءات القرآنية، ص 28-29.

ووجب عليا كباحثة أن أعود إلى كلام السيوطي في الموضوع فأثبته، ثم أحاول فهم المقصود منه لتكون الصورة واضحة، فنحن نتحدث عن مجهول أحدهم يثبت له معنى، وآخر يبين أن معناه شيء آخر، والفيصل هنا أن نحضر الكلام لنراه.

يقول السيوطي: "وفي جمال القراءة للسخاوي بعد أن حكى القول بنزول الفاتحة مرتين، إن قيل: فما فائدة نزولها مرة ثانية؟ قلت يجوز أن يكون نزلت أول مرة على حرف واحد، ونزلت في الثانية ببقية وجوهها..."¹.

ثم يكمل السيوطي كلامه فيقول: "أنكر بعضهم كون شيء من القرآن يتكرر نزوله كذا رأيت في كتاب (الكفيل بمعاني التنزيل) وعلله بأنه تحصيل ما هو حاصل لا فائدة فيه، وهو مردود بما تقدم من فوائده، وبأنه يلزم منه أن يكون كل ما نزل بمكة نزل بالمدينة مرة أخرى..."².

هذا هو كلام السيوطي في الموضوع، ويتضح لنا من خلاله أن الشيخ فضل هو الذي على حق في الموضوع فالطحان قد قول السيوطي ما لم يقله، وهذا يخالف قواعد البحث العلمي والأمانة العلمية.

وفي موضوع الأحرف السبعة، نقل لنا الشيخ فضل شبهة أخرى للخوري حداد، حيث عمد هذا الأخير إلى كلام الطبري في تفسيره للأحرف السبعة، والذي أقر فيه أن المصاحف العثمانية قد اقتضرت على حرف واحد من الأحرف السبعة...، ليبنى مغالطته التي يقول فيها أن عثمان قد أتلّف ستة نصوص من القرآن واحتفظ بواحد فقط، وأن لجانه قد قامت باختيار النص الأفضل، وعاب عليهم ذلك، وقال إن أصحاب المسيح كانوا أوفى من أصحاب محمد حيث حفظوا النسخ الأربعة للإنجيل، كما قال أن الآية ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ -الحجر: 09- تنطبق على المسيحيين أكثر من المسلمين.³

يشرع الشيخ فضل في الرد على هذه الفرية، فيقرر أولاً أن محتوى هذه الشبهة لا تتفق مع العقل ولا مع النقل، فباشر في الرد عليها، حيث قال بأن جمهور العلماء على خلاف ما قاله الطبري، كما أن

¹ - الإقتان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1394هـ/1974م، 1/131.

² - المرجع نفسه، 1/131.

³ - إقتان البرهان، 2/175.

الطبري لم يقل بوجود نصوص متعددة للقرآن، بل قال بوجود نص واحد كانت فيه بعض الكلمات تقرأ فيه على صور متعددة، أما قوله عن اللجان أنها اختارت النص الأفضل، فكيف كان ذلك والقرآن محفوظ في الصدور قبل السطور.

أما هذا المفتري الخوري الحداد الذي قال إن الآية السابقة تصدق على المسيحيين أكثر من المسلمين، فقال الشيخ فضل أن الواقع والتاريخ يشهد صدقها على القرآن لا غير، كما ثبت تاريخياً عدالة الصحابة التي لم تثبت لأصحاب المسيح، ودلّل الشيخ على كلامه بأن أورد نصوص من كتاب "أظهار الحق"، والتي تحدث فيها عن أسانيد الأناجيل من قبل علماء متخصصين في الأناجيل، والتي تثبت تحريفها وزيفها بالنص، وليختم الشيخ كلامه بإنكار ما أقره هذا المفترى حول القرآن والأحرف السبعة.¹

في هذه الشبهة الخطيرة والمعرضة، استنجد الشيخ بعدة مناهج دفاعية في سبيل الرد عليهما، سواء كلام الطبري، أو على أفضلية أصحاب المسيح على صحابة رسول الله، فقد استعمل أولاً المنهج العقلي والمنطقي، بالإضافة إلى المنهج النقلي، وخاتمتها بالمنهج التاريخي، كل هذا يدحض افتراء هذا الجاني؛ فجزا الله الشيخ خير الجزاء.

واستنجد هذا المفترى بالمنهج الانتقائي، حيث إنه اختار الطبري هنا قصداً، واستشهد بنصه الذي خالف فيه العلماء وردوا عليه، حيث إنه انتقى ما يخدم أفكاره وتوجهه، وهذا صنيع ليس ببعيد عنا، فإنه صنيع المستشرقين والمستغربين، لكن الله تعالى هيء لهم من العلماء من يرد عليهم، ويبين كذبهم وهشاشة حججهم.

أما فيما يخص موضوع توجيه القراءات القرآنية، فقد قرر الشيخ فضل أن بعض العلماء قد زلت أقدامهم في التوجيه النحوي، كما خاض فيه أيضاً المستشرقون والمستغربون والنحاة المتعصبون، وضرب لنا الشيخ مثالا في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصِرِيُّ مَنْ أَمَّنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ عَمِلَ صَالِحًا﴾ -المائدة:69- حيث قال بعض في رفع (الصابئون) والظاهر أن

¹ - إتيان البرهان، 175/2-178.

تكون منصوبة لأنها معطوفة على اسم (إن) لكن هذه قراءة مجمع عليها من قبل العلماء...¹.

وها هو إبراهيم السامرائي² والذي يحسن الشيخ فضل الظن به يقع في هذا الخطأ، ففي محاضرة له عن بعض القضايا اللغوية، حاول التشكيك في صحة هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصْرِيَّ وَالصَّبِيْنَ مَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ -البقرة:62-، لكن الشيخ نبه السامرائي عقب المحاضرة، واستغرب أن يصدر منه مثل هذا.

ثم جاء الشيخ ببعض الآيات من هذا القبيل، وقرر أن هذه الآيات جاءت لأمر بياني وراح يشرح ذلك... فهذه القراءات مجمع عليها بين القراء، ولم نجد من يعترض عليها أو يشكك فيها.

ويختتم الشيخ موضوع التوجيه برأي الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ﴾ -الأنبياء: 88- حيث قرأها ابن عامر وشعبة (جُبي) بنون واحدة، وقد شكلت هذه القراءة إشكالا عند بعض الأئمة، فردها بعضهم وتكلف البعض الآخر فيها، و الزمخشري رد هذه القراءة بالرغم من أنه قارئ أكثر من كونه نحوي ساعه الله، لكن الشيخ بين لنا صحة هذه القراءة، وقد استشهد بكلام محمد سالم محسن وغيره في الموضوع.³

أما فيما يخص منهج الدفاع عن صحة هذه القراءات، فقد استعان الشيخ بالمنهج النقلي حين أثبت لنا صحة هذه القراءات، وأنها مجمع عليها من قبل القراء ولم يعترضوا عليها.

هناك مجموعة من الملاحظات يمكن أن أسجلها في هذا الموضوع، وهي أن الشيخ فضل قد أكثر لنا في تعداد الأمثلة التي وردت حولها الشبهة، خاصة التي وقع فيها الاشكال عند " السامرائي"، والتي جاءت مخالفة لقواعد اللغة، كما أنه استشهد بحوالي ستة آيات في الموضوع، لكنه لم يأت لنا بشرح بياني مفصل لسبب مخالفة هذا الكلمات القرآنية لقواعد اللغة؛ ليظهر لنا الإعجاز القرآني، إنما اكتفى

¹ - القراءات القرآنية، ص 255-256.

² - إبراهيم السامرائي: إبراهيم بن أحمد الراشد السامرائي عالم لغوي وأديب، وشاعر عراقي ولد سنة 1923م، عمل في كلية الملك فيصل إلى أن فاز ببعثة علمية إلى جامعة السوربون بباريس عام، 1948 وتنقل بين المعهد الإسلامي ومكتبة اللغات الشرقية والمعهد الكاثوليكي ومعهد اللوفر والمكتبة الوطنية، تحصل على الدكتوراة عام 1956م تقلد عدة مناصب علمية وله العديد من المؤلفات منها "نصوص ودراسات عربية وإفريقية"، "دراسات في اللغة"، "الفاعل زمانه وأبنيته"... توفي سنة 2001م. ينظر: <https://ar.m.wikipedia.org>، تاريخ الاطلاع: 02-06-2023.

³ - القراءات القرآنية، ص 256-259.

بقوله بأنها قراءات مجمع عليها من قبل القراء، باستثناء قوله تعالى: ﴿ وَالصُّبْرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَآءِ ﴾ - البقرة: 177- حيث قال إن ذلك يعود بأمر بياني وهو بيان أهمية الصبر، والآية الأخير: ﴿ وَنَجِّنِيهِ مِنَ الْغَمِّ ﴾ - الأنبياء: 88- التي شرح فيها سبب حذف النون فيها عند العلماء، أما نوع الإعجاز فيها فلم يذكره، وهذا يدخل في منهج الرد على هذه الشبهة، ويبقى الرد المخرس لهؤلاء، وغيرهم من المستشرقين والمستغربين أن القراءات سنة متبعة لا تخضع لقواعد النحو واللغة التي وضعها البشر، والتي جاءت متأخرة عن القرآن الكريم، فقواعد هؤلاء تنطبق على كلام بني جلدتهم، ولا يمكن إخضاعها لكلام الباري عز وجل المملوء بالإعجاز بمختلف أشكاله.

سأحاول أن أبين التوجيه اللغوي للآية التي شكك في صحتها السامرائي، وهذا من خلال أقوال المفسرين وتوجيهاتهم التي ملأت كتب التفسير، وسأنقل ما قاله " طاهر بن عاشور" حول توجيه هذه القراءة حيث يقول: "...وجمهور المفسرين جعلوا قوله" والصابئون" مبتدأ، وجعلوه مقداً ومؤخراً وقدروا له خبراً محذوفاً لدلالة خبر(إن) عليه...وبعد فما يجب أن يوقن به أن هذا اللفظ كذلك نزل، وكذلك نطق به النبي ﷺ، وكذلك تلقاه المسلمون منه وقرؤوه، وكتب في المصاحف، وهم عرب خلص... وإن كان استعمالاً غير شائع لكنه من الفصاحة والإيجاز بمكان، وذلك أن من الشائع في الكلام أنه إذا أتى بكلام مؤكد بحرف (إن) وأُتي باسم إنَّ وخبرها، وأريد أن يعطفوا على اسمها معطوفاً هو غريب في ذلك الحكم، جيء بالمعطوف الغريب مرفوعاً ليدلوا بذلك على أنهم أرادوا عطف الجمل لا عطف المفردات..."¹.

فابن عاشور بين لنا السبب البياني من وراء رفع كلمة (الصابئون)، وهي أن غرابة رفعها تتناسب مع غرابة دخول هؤلاء الكفرة الذين لا يدينون بالكتب السماوية في الوعد بالمغفرة، وهذا الأمر غريب حقاً، هذا توجيه الإمام هنا جزاه الله كل خير.

الشبهة الرابعة: القصة القرآنية.

موضوع القصص القرآني من المواضيع الأساسية التي ركز عليها الشيخ فضل رحمه الله، حيث ألف كتابين في الموضوع، الأول عنوانه: القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، ركز فيه على موضوع تكرار

¹ - التحرير والتنوير، 6/ 270-271.

القصص...، كما ألف بعده كتابا آخر تحت عنوان: قصص القرآن الكريم صدق حدث وسمو هدف، إرهاف حس وتهذيب نفس، تعرض فيه للقصص القرآني من حيث أسلوبها وأهدافها، كما رد فيه مجموعة من الشبهات التي طرحت حول الموضوع، وهذا ما سأتناوله لاستخراج منهج الشيخ فضل في الدفاع عن القصص القرآني، والرد على الشبهات المطروحة حولها.

ختم الشيخ فضل كتابه قصص القرآن إبحاؤه ونفحاته، بفصل كامل عرض فيه الشبهات الموجهة للقصص القرآنية، حيث قال بأن هذه الشبهات لا تقوم على أساس من المنهجية والبحث العلمي الذي تدعيه هذه الفئة، والتي لبست خداعا ثوب الوطنية، بل كان القصد من بث هذه الشبهات حول القصص القرآنية اعتقادهم أنه من خلالها سيتسربون إلى الموضوعات الأخرى، كما ظنوا بأن هذا سيسهل لهم الطعن في باقي الموضوعات، وهناك عوامل مشتركة بين القصص القرآنية والقصص الحديثة، ومن خلالها يمكنهم دس سمومهم وافتراءاتهم، وهم بهذا الصنيع يدعون أن ذلك لا يتنافى مع إعجاز القرآن بل يصدقه ويؤكداه.

أشعر في بيان أهم الشبهات التي طرحها الشيخ فضل، وقد استهل بعرض شبهات محمد خلف الله¹ الذي يعد القصص القرآني عبارة عن خيال، وهذا من خلال رسالته (الفن القصصي في القرآن) وقبل استعراض الشبهات أكد الشيخ أن أفكار خلف الله وآراءه خطيرة جدا.

لخص الشيخ فضل شبهة محمد خلف الله وهي: أن القصص القرآني لا ينبغي أن نفهمها على أنها حقائق ثابتة قصد القرآن إلى تقريرها، وإنما هي نمط من أنماط الخيال الخصب، والفن المدبج لما تعارف عليه الناس في عصر نزول القرآن، أو جاءت تحكي ما عرفه السابقون...²

ابتدأ الشيخ فضل رده على هذه الافتراءات باستخراج أهم الشبهات التي طرحها هذا المفتري،

¹ - محمد خلف الله: حمد أحمد خلف الله هو مفكر وكاتب مصري في حركة الحداثية الإسلامية. ولد سنة 1916م، رفضت جامعة القاهرة في 1947 الأطروحة التي قدمها لتقسم اللغة العربية؛ لأنها أشارت إلى أن النصوص القرآنية تمثيلية ولا ينبغي أن تعتبر ثابتة، بل توجيهات أخلاقية. بعد ذلك قدم موضوعا آخر، وحصل على الدكتوراه 1952م، من مؤلفاته "مفاهيم قرآنية". توفي سنة 1991م. ينظر: <https://ar.m.wikipedia.org>، تاريخ الاطلاع: 2023-06-02.

² - ينظر: قصص القرآن الكريم صدق حدث إرهاف حس وسمو هدف وتهذيب نفس، فضل حسن عباس، دار النفائس، ط3، 1430هـ/2010م، ص55.

وهذا من خلال قوله عن القصة القرآنية أنها عمل متخيل يسوق حوادث... كما قال إن الأقدمين أخطؤوا في عد القصص القرآنية تاريخاً، فالقرآن عنده قد عالج القصة أدبياً، وهذا بخلق الصور والابتكار، لهذا لا مانع في وجود الاختلاف في تصور شخصية واحدة، ولم يكتف بهذا فقط، بل أقر بوجود الأساطير في القرآن الكريم، وأن القرآن لم ينفها عن نفسه، بل نفى أن تكون من رسول الله ﷺ...¹.

وبعد تتبع ما قاله الشيخ فضل سأل الشبهة؛ لأنها ليست المقصود من الدراسة بل المقصود منهج الرد على محتوى هذه الشبهات.

يقول الشيخ فضل أن محمد خلف الله يصف القصة القرآنية بالأسطورة التي معناها ما سطره الأولون وكتبوه من أخبار الأمم، كما يقر هذا الأخير أن رسول الله لم يلتزم الصدق التاريخي في القصة، وهذا نفس ما قرره المستشرقون الذين قالوا إن رسول الله يجهل التاريخ؛ وهذا بسبب مخالفة بعض القصص للوقائع التاريخية التي ذكرت في التوراة والانجيل...، ولكي يرد (خلف الله) على هؤلاء وقع في أكثر ما وقعوا فيه، فقد سلم بصحة أقوالهم، وزاد عليهم وصفه لرسول الله بالتدليس، كل هذا ليجذب الناس إلى الإسلام ولو بالباطل-عجبا-، وقد علل عدم مطابقة القرآن للتاريخ بأن القصة هي عمل الفنان -يعني صنيع رسول الله في القصص- الذي تلزمه الحرية النفسية، والذي لا يعنيه الواقع التاريخي ولا الصدق العقلي، إنما ينتج عمله ويبرز صورته حسب ملكته وموهبته الفنية وقدرته على الابتكار والاختراع... كل هذا ليخلص القرآن من تهمة التناقض في قصصه...²، وهذا في زعمه.

هكذا عرض لنا الشيخ فضل اتهام "خلف الله" للقرآن بالأسطورة مع بيان أمثلة من القصص في هذا الصدد.

ليس هذا فحسب فقد اتهم هذا وغيره القرآن بالخلط والكذب، كما أنهم تناسوا عصمة الأنبياء، والتهوين من شأن المعجزات، وعلاقتها بإثبات النبوة والرسالة...³.

وليت الشيخ فضل لم يحل القارئ إلى مواضع رد هذه الشبهات الخطيرة، والتي ليست كلها من نفس الكتاب؟

¹ - ينظر: قصص القرآن، ص 55-56.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 56-57.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 58-59.

إن أول ما بدأ به الشيخ استنكاره لما ذهب إليه (خلف الله)، فقد كان أكثر نكارة مما قاله المستشرقون، والذي زاد الطين بلة أن المشرف على الرسالة أحد علماء المسلمين (أمين الخولي)¹ الذي يرى أن القرآن هو كتاب العربية الأكبر.

لقد استعمل الشيخ فضل منهجين دفاعيين قويين للرد على هذه الافتراءات المتعلقة بالقصص القرآني: الأول المنهج النقلي، حيث استشهد بآيات قرآنية تبين صدق القرآن الكريم، وأن القرآن الكريم كله نزل على قلب رسول الله ﷺ، وليس لأحد من الخلق دخل فيه، فهو حق كله لا فرق في ذلك بين قصصه وحكمه، وأحكامه ووعدته ووعيدته، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ - البقرة: 02- وقوله: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ - الإسراء: 105-، وقوله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآءِيَةً لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ﴾ - الأنعام: 25-².

وهذا يكفي ما دمنا نتحدث مع مسلمين يؤمنون بقدسية القرآن الكريم، ولكن الشيخ أدرك أن هذا لم يكن كافيا لهما؛ فزاد منهجا دفاعيا آخر يمكن أن يشفي غليل كل من دبت في عقله هذه الشبه مثل صاحبينا، فاستعمل منهجا ثانيا وهو المنهج العقلي المنطقي، وهذا في نفي صدق شبهة الأسطورة التي نسبت لأئمة الإسلام ك الرازي ومحمد عبده...، فقد كذب الشيخ هذه التهمة عن هؤلاء، كما دعا الشيخ القارئ إلى تدبر القرآن الكريم ليكشف حقيقة الموضوع، فدعوى التناقض مثلا عجيبة، وهي تتناقض مع مسلمات المنطق، فإن قلنا أن الشيئين متناقضان معناها في الكم والكيف حيث لا يجتمعان أبدا، أما ما جاء به هذان من الأمثلة في القصص القرآني فلا تناقض فيها البتة...إنما هو لب الإعجاز.

أما موضوع الاحتكام إلى التوراة والإنجيل لمعرفة صحة القصة من كذبها، ووجودها فعلا أو غيابها، فقد تساءل الشيخ عن سبب تحكيم التوراة في هذه القضية، وصحة ذلك عند المسلمين.

ثم يختتم الشيخ هذا الموضوع بمجموعة من الردود وإيراد رسالة تجمع على تكفير (محمد خلف الله

¹ - أمين الخولي: ولد في قرية شوشاي بالمنوفية سنة 1895م، تعلم بالأزهر وتخرج بمدرسة القضاء الشرعي، عين للشؤون الدينية في السفارة المثرية برومة فأحدث أزمة حملت حكومة إيطاليا على طلب نقله فنقل إلى برلين... من أعضاء المجمع اللغوي...، تقلد العديد من المناصب المهمة، من مؤلفاته "البلاغة العربية" و"كناش في الفلسفة"، توفي سنة 1966م بالقاهرة. ينظر: الأعلام، 16/2.

² - ينظر: قصص القرآن، 60-61.

و أمين حولي) بعد تأليف هذه الرسالة.¹

هكذا رد الشيخ فضل على إجمالي الشبهات التي طرحها محمد خلف الله في رسالته (القصص القرآني) حيث استخدم المنهج النقلي، بالإضافة إلى المنهج العقلي المنطقي في سبيل الرد على الشبهات، وذكر الشيخ أنه سيرد على بعض الشبه فقط؛ لأن بعضها قد ردها في كتاب آخر، والبعض الآخر سيتناوله أثناء حديثه عن قصص القرآن، وهذا والله أعلم يخل بإجمالي الرد على مختلف الشبهات التي وردت في تلك الرسالة المنكرة، ولخطورتها ووصول الحد إلى تكفير صاحبها ومشرفه من قبل العلماء، كان من الأولى أن يرد على كل الشبهات الواردة ولو باختصار غير مخل، ولا أقول هنا أن المقام لا يتسع، بل يتسع لموضوع مثل هذا، وبهذه الخطوة؛ لأن الكتاب خاص بموضوع القصص القرآني ورد الشبهات التي وردت فيها، فكان من باب التقديم الرد على كل ما ورد فيها؛ ليستفيد من يبحث في موضوع الرسالة والرد عليها، فالمعروف على الشيخ فضل الموسوعية والموضوعية خاصة في مواضيع مثل هذه.

ومع ذلك بارك الله في الشيخ وفي علمه، وما دمت أطلت فيما سبق فلا يسعني أن أضيف أي زيادة هنا من مصادر أخرى؛ لأن الموضوع طويل جدا، كيف لا وهو يتحدث عن شبهات في رسالة دكتوراه كاملة، والتي تصلح أن تكون موضوعا مستقلا للبحث.

وعلى غير المؤلف قدم لنا الشيخ فضل نموذجا من القصص القرآني وهي قصة سيدنا آدم عليه السلام، تحت عنوان مهم جدا: خلق آدم عليه السلام والنظريات الحديثة، حيث ذكر أن الله تعالى هيئ لآدم عليه السلام كل ما يصلح له حياته على هذه الأرض، قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ عَخْلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ -السجدة: 07-، وأن كل النظريات التي يتغنى بها أصحابها؛ خاصة نظرية التطور ما هي إلا ظن لا تغني من الحق شيئا، لكن الذي ألم الشيخ أن هناك من المسلمين من يحسنون الظن بهذه النظريات كعبد الوهاب النجار، وكمحمد عبده الذي ذهب إلى أن آباء البشر متعددون، خوفا أن يثبت العلم غير ما يثبت القرآن من كون آدم أبا البشر جميعا.²

وكعادته أحسن الشيخ فضل ظنه بمحمد عبده وغيره، وأقر أن إيمانه بالقرآن وجعل حقائقه ثابتة

¹ - ينظر: قصص القرآني، ص 61-64.

² - ينظر: قصص القرآن، ص 136.

هي التي حملته وغيره بإحسان الظن بهذه النظريات، لكن هيهات فخطأها قد لاح في الأفق، وأصبح ظاهراً كفلق الصبح.

أما فيما يخص منهج الشيخ في الدفاع عن قصة آدم عليه السلام وقضية التطور التي أقرها بعض المسلمين، فقد أحسن الظن بهم، وجاء لهم بتبريرات حول سبب تبني مثل هذه النظريات الهدامة، وهذا من حسن خلق الشيخ.

ولحسن ظن الشيخ بهم لم يتجلى لنا منهج الشيخ في الرد عليهم.

استكمالا مع قصة آدم عليه السلام، طرح الشيخ فضل سؤالاً حول كون البشر لهم أبا واحدا فقط، وأقر بعدها أن هذا الأمر البديهي، وهذا ما ترشد إليه الآيات القرآنية والسنة النبوية، إلا أن الشيخ ذكر لنا أحد علماء الإسلام الذي كان له بصمة في التجديد والدعوة إلى الله تعالى، ألا هو محمد عبده، وهذا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ﴾ النساء: 01- حيث قال بأن الآية لا تدل على أن النفس الواحدة المقصود بها آدم، وقد استدل بأوجه كثيرة لا تسلم من المناقشة والاعتراض جميعها...¹

ونقل شيخنا كلام رشيد رضا الذي وافق شيخة محمد عبده؛ حين ما قال أن شيخه لا ينبغي الاعتقاد بأن آدم أبو البشر كلهم، بل يقول بأن القرآن لا يثبت هذا الاعتقاد إثباتاً قطعياً يحتمل التأويل،... وقال أيضاً بأنه لا فرق في هذا بين أن تكون هذه الحقيقة بدأت بآدم كما عليه أهل الكتاب وجمهور المسلمين، أو بدأت بغيره وانقرضوا كما قاله أهل الشيعة والصوفية، أو بدأت بعدة أصول انبث منها عدة أصناف كما عليه بعض الباحثين، ولا بين أن تكون هذه الأصول أو الأصل مما ارتقى عن بعض الحيوانات، أو خلقاً مستقلاً على ما عليه الخلاف بين الناس في هذا العصر.

وختم الشيخ كلامه بأنه كان يتمنى أن لا يصدر مثل هذا الكلام عن هذين العالمين الجليلين اللذين قدما كل خير للإسلام المسلمين.²

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 144-145.

² - قصص القرآن، ص 144-146.

وللأسف الشديد فالشيخ فضل لم يرد عليه هذه الشبهة، فلم يتضح لنا منهج الدفاع المستعمل، بل نجده يحسن الظن بمؤلاء العلماء الفضلاء الذين خدموا الإسلام والمسلمين، وحبد لو جاء الشيخ بأقوال المفسرين على أن آدم عليه السلام هو أبو البشرية جمعاء، لكان هذا كافياً شافياً دون أن ينتقص من قيمتهم، فلكل جواد كبوة والله أعلم.

وفي هذا الموضوع نجد الطاهر بن عاشور قد نقل لنا اتفاق جميع الأديان أن آدم عليه السلام هو أبو البشرية جمعاء، وأن من خالف هذا الإجماع هم شواذ من أصحاب النزعة الإلحادية المتأثرة بنظريات الغرب حيث يقول: "فأما آدم فهو أبو البشر باتفاق الأمم كلها، إلا شذوذاً من أصحاب النزعات الإلحادية الذين ظهوروا في أوروبا، واخترعوا نظرية تسلسل الحيوان بعضها من بعض، وهي نظرية فائلة..."¹

هذا الإجماع الذي نقله الشيخ الطاهر بن عاشور يُرد على رشيد رضا ومحمد عبده، وكل من تتبادر له شبهة حول كون آدم عليه السلام ليس أباً للبشرية.

يزيدنا الشيخ طاهر بن عاشور الحجة بحجة أبلغ منها، حين ينقل لنا من سفر التكوين بوجود "آدم" على الأرض في وقت يوافق سنة 3942 قبل الميلاد... لكن المحققين الناظرين في شواهد الحضارة البشرية تقول أن وجوده متقادم في أزمنة مترامية البعد هي أكثر بكثير مما حدده سفر التكوين.²

ثم عاد الشيخ للحديث عن تأويل محمد عبده لقصة آدم عليه السلام كلها، وصرح أن كلامه يحمل في طياته إنكار وجود الملائكة، ووسوسة الشيطان، وغير ذلك من تفاصيل قصة خلق (آدم) حيث أولها كلياً، ثم قال الشيخ بأن تلميذه دافع عنه بنقل مقال له يبين فيه عدم إنكاره لوجود الملائكة، وإنما قصده تقريب الصورة لمن لا يؤمن بهذا الدين لا غير...³.

ثم جاء الشيخ فضل لمناقشة تأويل محمد عبده، غير سالك لأسلوب التهجم، محسناً الظن به؛ لكن مع هذا لا يُسلم لتأويله المنبعث من الرغبة في تقريب البعيدين عن الدين؛ فجعله يقدم تنازلات كثيرة فتحت باب التأويل، والتي كانت لها آثار سيئة فيما بعد، وقد تمنى الشيخ لو أن محمد عبده

¹ - التحرير والتنوير، 229/3.

² - المصدر نفسه، 230/3. - بتصرف..-

³ - ينظر: قصص القرآن، ص 146-147/ التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، 68/1-74.

أكتفى بما جاء عن السلف والخلف في تفسير الآيات، ولا يشتط في التأويل وهو أعلم بسنن الله، فهذه الآيات لا تحمل التأويل، كما أنها قطعية الثبوت وقطعية الدلالة... وبسبب مسلكه هذا يتعدى على آيات البعث ومعجزات الأنبياء وغيرها من الآيات.¹

ومنهج الشيخ في الدفاع عن قصة آدم عليه السلام هو المنهج العقلي المنطقي، وهذا من خلال بيان سبب تبني الإمام لهذا الرأي، وبيان أهم النتائج والآثار السلبية لتأويلهم الفاسد.

ومن جهة أخرى فإن قوله إن الذي لا يقول بالتوقيف يسميها قوى طبيعية، وبأنها حقيقة واحدة، وبأنه يحظى بما يحظى به المؤمنون قول خطير عجيب، وأعجب منه أن يصدر من إمام مثله، ثم بدأ الشيخ بالرد فشرح أن ألفاظ القرآن عربية واضحة محددة المفاهيم، وتعم الفوضى حينما تفقد الألفاظ مفاهيمها ودلالاتها، واستشهد الشيخ ب(سقراط) الذي قام أولاً بتحديد مفاهيم الألفاظ بعد ما حدث عند السفسطائيين من تخبط في ذلك.

والقرآن لا يعتبر الشكليات، إلا أنه راعى تمام مفاهيم الألفاظ، قال تعالى: ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ عَرَبٍ ﴾ - فصلت: 02- كما استشهد أيضاً بحديث البخاري في هذا الموضوع.

وقال بأن إطلاق الألفاظ هكذا كأن يسمى الخالق طبيعة، والرسول فيلسوفاً أو عبقرياً، والملائكة حواطر حسان، وهذا هدام لأصالة الدين.²

فمنهج الشيخ في الدفاع عن هذه القضية واضح جداً؛ فقد استعان بالمنهج النقلي من خلال الاستعانة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية في الموضوع، كما وظفهما فيما سيأتي من رده.

فيقول بأنه فضلاً على أن هذا الباب يفتح باب التأويل، وعلى الرغم من التكلف الظاهر، فإنه مخالف لصريح النصوص، وجاء بأمثلة قرآنية وأحاديث نبوية توضح أن الملائكة وإبليس حقيقة وليس تمثيلاً.

فالشيخ رحمه الله لا يسمح بأن يحظى منكرو الملائكة بما يحظى به المسلمون فضلاً عن المؤمنين...، يحتم الشيخ فضل كلامه المطول بأن محمد عبده كان تأويله بدعا من القول؛ لما فيه خروج

¹ - ينظر: قصص القرآن، ص 148-149.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 149-150.

عن ظاهر الألفاظ، وكان خيرا له لو وقف عند حدوده، واستخرج لنا العبر الكثيرة من الآيات، فما فعله دليل على شدة تأثره بالحضارة الغربية التي لا تؤمن بالحس...¹.

هكذا رد الشيخ على هذه القضية الجوهرية، والتي استعان فيها بمناهج دفاعية أهمها المنهج النقلي كون الشبهة منصبة على اللفظ القرآني، فاستعان الشيخ بالقرآن نفسه في عدة مواضع ليبين خطأ وبدعيته المحرفة، فغفر الله لمحمد عبده وغيره ممن تحامل على ألفاظ القرآن الكريم.

لازلت مع نظريات الغرب البراقة التي سحرت بعض علمائنا الأجلاء، وهي نظرية (داروين)، وهي من النظريات الوافدة من الغرب على المسلمين خاصة المثقفين، والتي راح بريقها منذ النصف الثاني من هذا القرن- كما يقول الشيخ- وفند باطلها الكثير من أساطين الغرب والشرق، لكن وجدنا من افتتن بهذه النظرية، وحاول التوفيق بينها وبين القرآن الكريم، وكلام صاحب المنار قد سبق أن ذكرناه.

فذكر الشيخ فضل مجموعة من العلماء اغتروا بهذه النظرية، سأحاول ذكرهم باختصار، لأنني أطلت في الموضوع كثيرا، منهم (عبد الوهاب النجار) حيث يقول إنه لو أثبت علميا أن أصل الإنسان هو القرد وتحول بعد ذلك، وجب علينا أن نؤول ظاهر القرآن تأويلا يتوافق مع ما أثبت العلم وقطع العقل الحق بأنه حق.

ولم يمنع ترحم الشيخ فضل على صاحب هذه الشبهة من الرد عليه، فأبان أن هذه النظرية مخالفة لما أقره القرآن، فهي نظرية أبطلتها نهايتها فهي قول لا مضمون له.²

وصور الشيخ فضل رأي (عبد الوهاب النجار) حول النظرية، حيث قال بأنها لاتزال محل دراسة، وأن القرآن الكريم يدل بنصوصه الظاهرة على أن أصل الإنسان آدم، ولم يتحول من قرد، إلا أن أصحاب هذه النظرية لو توصلوا إلى أدلة قطعية بديهية كان لزاما علينا أن نؤول القرآن ليوافق الواقع...، ثم تعقب الشيخ فضل قوله بأن ترحم على الشيخ ودعا له بالعفو والسماح، فالقرآن قطعي الثبوت والدلالة، وهذه النظرية مخالفة لما يقره القرآن من حقائق، ويجعل من المحال تأويل أي القرآن ليتفق مع

¹ - ينظر: قصص القرآن، ص 150-151.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 152-153.

نظرية كانت نهايتها أنها قول لا مضمون له.¹

ثم عرض لرأي عبد الكريم الخطيب² وهو يتحدث عن مراحل الخلق، فبدأ بمرحلة كونه من طين فصلصال فحماً مسنون، وأن التعفن الذي أصاب الطين هو بشائر الحياة إذ هو بكتيريا نضجت في خمائر الحياة وظهرت بها جرثمتها، ثم تعقبه الشيخ مباشرة بأنه قد ظل في فهم الآيات فقد أخطأ في ترتيبها، والمتدبر في الآيات يجد يظهر له ذلك قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ - الحجر: 26- فالترتيب الصحيح الطين أولاً ثم الحمأ المسنون، ثم الصلصال .

وتعجب شيخنا من فهمه للآية، وخاصة قوله: " إن هذا التعفن هو بشائر... " ليس للعلم فيه نصيب، وليس للحق فيه وجه، ثم ادعى بأن داروين من كبار المؤمنين ومقولاته تقوم على العلم والتجربة، وهذا ما يستدعي احترامها...، وقال أيقاً بأن (داروين) كان من أشد الناس إيماناً به وشهوداً لله في آياته،... فمعنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَّةٍ مِنْ طِينٍ﴾ - المؤمنون: 12-، أن الإنسان لم ينجى مباشرة، إنما جاء بعد سلسلة من التطورات، وبعد عمليات طويلة من التصفية والانتخاب انتهت بظهور الإنسان...³

وصف شيخنا ترهات (عبد الكريم) بالإسراف في تحريف الآيات القرآنية عن مسارها جراء تأويلات بعيدة، فالنظرية لم تقم على التجربة وتحكيم العقل، كما أن (داروين) لم يكن من كبار المؤمنين بالله، أما الأخذ من كلمة سلالة من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَّةٍ مِنْ طِينٍ﴾ بأن البداية بكتيريا ثم الأمبيا ثم تطورت إلى ذوات الخلايا المتعددة مروراً بأجناس مختلفة، فهذا انحراف عن جميع قوانين التأويل فمعناها أنها قطعة من الطين، ولا تحتل ما ذكره الكاتب.⁴

لما أسرف هذا الأخير في افتراءاته وترهاته رد عليه الشيخ فضل، بالمنهج العقلي المنطقي، وحصر أخطائه التي كان من أسبابها أنه أطلق العنان لأفكاره ومخيلته في التأويل، وخطأه أيضاً في ترتيب المراحل

¹ - قصص القرآن، ص 151-153.

² - عبد الكريم الخطيب: هو سياسي وطبيب وجراح مغربي، كان من رجال المقاومة والتحرير ضد الاستعمار الفرنسي للمغرب. ولد بالمغرب سنة 1921م، تسلم عدة مناصب كوزير التشغيل والشؤون الاجتماعية وناصر قضايا التحرر، له مذكرات تحت عنوان "مسار حياة"، توفي بالرباط سنة 2008م. ينظر: <https://ar.m.wikipedia.org>، تاريخ الاطلاع: 02-05-2023م، آخر تعديل 09 يونيو 2023م.

³ - ينظر: قصص القرآن، ص 153-154.

⁴ - المرجع نفسه، ص 153-155.

وفي تفسير الآيات، وكذا في القول بأن (داروين) كان من كبار المؤمنين...، ليختم قوله بأنه مخالف لجميع قوانين التأويل كلها، جزا الله الشيخ خير الجزاء.

أما عن قصة آدم عليه السلام والتي أطلنا فيها عند شبهة مصطفى محمود¹ الذي كان أكثر جرأة على الباطل، فعند حديثه عن آدم عليه السلام، قال بأن آدم لما أخرجه الله من الجنة رده إلى المستنقعات وبدأ الرحلة هناك... إلى أن وصل إلى أعلى رتبة آدمية بفضل الله وهديه، وقد استمرت الرحلة خمسة آلاف مليون سنة،... وبالتالي هناك آدمان، آدم الذي كان في الجنة، وآدم الذي في الأرض، وقد حشد لهذا القول الكثير من النصوص ليوافق ما يقرره، وقد ذكر لنا هذا الأخير خمس آيات ليعلن أن لنا وجودا سابقا، أما الشجرة فهي رمز الجنس والموت اللذان تلازما في قصة البيولوجيا.²

يشرح الشيخ فضل للرد على هذه الافتراءات المزيفة، فأصل أولا أن هذه النظرية التي جعلها (مصطفى محمود) أصلا ليطابق القرآن إنما هي نظرية أبي العلم أن يمنحها هويته لتدخل في نطاقه، كما أن الآيات التي ذكرها حينما نعم النظر فيها نجدها بعيدة عن المعنى الذي أراده وقصده، ثم جاء الشيخ بالرد على كل الآيات التي جاء بها ردا وافيا شافيا في الموضوع، وأن مقصود الآيات لا يصب في المصب الذي ساقه (مصطفى محمود) في الاستدلال لما يريد أن يقره، وبعد أن فرغ منها جاء لتأويل الشجرة بأنها رمز للجنس، وأستدل بنص الآية التي تدل على أن حواء كانت زوجا لآدم فما معنى أن يكون المقصود منها اللقاء الجنسي قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا نَادِمُ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ -البقرة: 35- وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ -النساء: 01-³

فاعتماد الشيخ هنا على المنهج العقلي المنطقي واضح، بالإضافة إلى المنهج النقلي، وهذا من خلال دراسة الآيات التي استند عليها (مصطفى محمود) في الموضوع، ورد عليها، وأنه مغايرة لما استدل

¹ - مصطفى محمود: هو فيلسوف وطبيب وكاتب مصري، ولد سنة 1921م. ألف 89 كتاباً منها الكتب العلمية والدينية والفلسفية والاجتماعية والسياسية، إضافة إلى الحكايات والمسرحيات. درس الطب ثم تفرغ للكتابة والبحث، له عدة منشآت. اهتم في أفكاره وآراءه السياسية، من مؤلفاته "حوار مع صديقي الملحد"، وله العديد من المقالات في مجلات مختلفة، توفي سنة 2009م. ينظر: <https://ar.m.wikipedia.org>، تاريخ الاطلاع: 02-04-2023م، آخر تعديل 16 ماي 2023م.

² - ينظر: قصص القرآن، ص 155-156.

³ - المرجع نفسه، 155-159.

به، فجزاه الله خير الجزاء.

بعد هذه الجولة الطويلة يختم الشيخ فضل مناقشته بالاستشهاد بكلام الشيخ (محمد محمد السماحي) حيث يلخص هذا الأخير النظرية ويرد عليها، ويجوي كلاما علميا مدعما بأدلة علمية وأقوال لعلماء غير مسلمين مثل (جولين) و(هارفي) مستكشف دوران الدم في البدن، و(كريس موريسون)، هذا من جهة رد النظرية.

أما من جهة نفي الصلة بين ما جاء في القرآن وما جاءت به النظرية فقد نقل الشيخ كلام السيد قطب وقال بأنه الأجل والأسد في هذا.¹

واستعمل الشيخ في خاتمته منهجا جديدا في الرد على هذه الشبهة، وهو منهج الرد بأقوال المنصفين من القوم فجزا الله الشيخ هذا الرد المفحم.

بعدما أوردت ما ذكر حول قصة آدم عليه السلام من شبهات طرحت من قبل بعض المسلمين الذين وقعوا في فخ النظرية الغربية، أذكر هنا على سبيل الاختصار ما ورد من شبهات حول قصة (إبراهيم و لوط) عليهما السلام، حيث نقل لنا الشيخ فضل أثناء تناوله لقصة (إبراهيم) عليه السلام شبهة لأحد الكاتبين، ولم يذكر من هو وإن نص عليه غيره وهو عبد الكريم الخطيب، حيث أساء هذا الأخير الذي فهم قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۗ﴾ - البقرة:259- حيث تعجب الشيخ من فهم عبد الكريم الخطيب الذي قال بأن إبراهيم عليه السلام كان شاكا، فأراد أن يذهب هذا الشك، بل ورفض الشيخ مثل هذا الكلام، وقد كان مصدر عجب الشيخ أن هذا الكاتب ليس غريبا على أسلوب القرآن، وهو من كتب الكثير حوله... وراح الشيخ يبحث عن مبرر لقوله هذا، فقال إنه بسبب قوله: ﴿وَلاَ كِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۗ﴾ ، لكنه قد غفل عن أشياء كثيرة.²

ونجد الشيخ كعادته يحسن الظن بمن يشاركونهم الدين والملة، فهو يبحث لهم عن مبررات لأقوالهم الشاذة، ثم يبين الصحيح من القول دون تجريح أو تكفير، وهذا من سعة صدر الشيخ، والأخلاق

¹ - قصص القرآن، 161-169.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 322.

العلمية العالية التي يتحلى بها.

يواصل الشيخ رده لهذه الشبهة، فيقر أن طمأنينة القلب لا تعني الشك والارتياب، وجاء بأمثلة من القرآن الكريم تبين أن الطمأنينة فيها لا تدل أن أصحابها شاكين أبداً، إبراهيم عليه السلام أراد أن يقوي إيمانه لا غير...، ليختم الشيخ رده بأن القرآن الكريم خير شهادة لإبراهيم على عدم شكه، حيث ساق لنا مجموعة من الآيات تدل على يقين إبراهيم ورشده، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَكُوتًا أَسْمَوَاتٍ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ - الأنعام: 76 - وقوله: ﴿ وَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَلِيمِينَ ﴾ - الأنبياء: 51 - بالإضافة إلى حديث لرسول الله ﷺ ينفي فيها شك إبراهيم عليه السلام...¹.

هكذا يكون منهج الشيخ فضل في الدفاع عن سيدنا إبراهيم عليه السلام واضحاً، فقد استنجد الشيخ بالمنهج العقلي المنطقي، بالإضافة إلى المنهج النقلي، فلا أقوى من أن يدافع القرآن على نفسه وقصصه من شك مرتاب أو منكر، دون أن ننسى أن حسن ظن الشيخ بمن طرح الشبهة وأثارها، لم يمنعه من مناقشة أفكارهم لا أفرادهم.

وأما عن قصة لوط عليه السلام، فذكر الشيخ فضل أن البهائي الهالك (محمد رشاد خليفة)² يرجع السر في ذكر إخوان لوط في قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودٌ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴾ ق: 12-13 - لكي يستقيم نظام التسعة عشر الذي ابتدعه، فإن القافات في السورة الكريمة تنقسم على تسعة عشرة، فلو أنه قيل في هذه السورة (وقوم لوط) لاختل هذا النظام بوجود قاف زائدة. وقد افتتن كثير من الناس بمقولاته هذه قبل أن تظهر حقيقته.³

يأتي رد الشيخ فضل مباشرة على هذه الفرية، حيث بين جانب الصواب من هذه الشبهة، فقال

¹ - ينظر: قصص القرآن، ص 322-324.

² - محمد رشاد خليفة: مصري هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية للدراسة وتخصص في الكيمياء الحيوية، اشتهر ببحثه في الإعجاز العددي في القرآن الكريم. ولد سنة 1935م نبذ منهج الحديث والسنة واكتفى بالقرآن كمصدر للتشريع، وادعى الرسالة، له عدة أبحاث في الإعجاز العددي في القرآن توفي مقتولاً سنة 1990م. ينظر: <https://ar.m.wikipedia.org>، تاريخ الاطلاع: 02-06-2023، آخر تعديل 29 جانفي 2023م.

³ - ينظر: قصص القرآن، ص 354. / إعجاز القرآن الكريم، فضل حسن عباس - سناء فضل حسن عباس، ص 355-356.

إن كل كلمة من كتاب الله منتقاة ومختارة لها سرها وبيانها، يحاول العلماء الاطلاع عليها، فهناك من يوفق وهناك من لا يوفق ليبقى سرا مكنونا إلا أن يشاء الله إظهاره.

ليحاول الشيخ أن يبين سبب ذكر إخوان لوط بدلا من قومه كما هو في غير هذا الموضع، فيقول إن لوط عليه السلام هو الوحيد الذي لم يرسل إلى عشيرته، ولما كانت هذه السورة أول سورة يذكر فيها هؤلاء الناس ذكروا بلفظ (الإخوان) للدلالة على الأخوة الإنسانية... ونفى الشيخ أن يكون وُزودها هنا بسبب نظام التسعة عشر الذي افتراه هذا والله أعلم.¹

ومن هنا أستنتج أن الشيخ استعمل المنهج العقلي المنطقي، وهو التدبر للوصول إلى سبب ذكر (إخوان) بدل (القوم) الذي ورد في كل القرآن الكريم.

بعد أن أبطل الشيخ فضل قول هذا البهائي عن نظام التسعة عشر، جاء للحديث عن السر وراء توظيف كلمة (الإخوان) هنا بدل (القوم) حيث أقر أن الصواب يتمثل في كون كل كلمة من كتاب الله تعالى مختارة منتقاة، لها سرها وبيانها، يُطلع الله من شاء عليها ومتى يشاء، حيث يحاول البعض في ذلك، فمنهم يوفق في ذلك، ومنهم من لا يوفق. إلى أن يشاء الله أن يظهر السر المكنون.

أما بخصوص سبب ذكر (الإخوان) بدل (القوم)؛ فقد وجهها الشيخ بأن الأنبياء أرسلوا كلهم إلى أقوامهم إلا (لوط) عليه السلام، ومعلوم أنه أرسل مع سيدنا (إبراهيم) عليه السلام، فاستعملت كلمة (إخوان) للدلالة على الأخوة الإنسانية، ولم يوجد هذا الوصف إلا في هذه السورة فهو أول ذكر لهم.

أما باقي السور فيذكر (قوم لوط)، وختم الشيخ توجيهه هذا بقوله أن كلمة (خوان) هنا جاءت لحكمة كان لا بد منها لا من أجل نظام التسعة عشر.²

هذا من وجهة نظره، وللعلماء توجيهات مختلفة لسبب ذكر (إخوان) بدل (القوم)، منها جواب حسام النعيمي على هذه المسألة حيث يقول: "التنوع ليس مع لفظ "لوط" فقط، وإنما مع أنبياء آخرين مثل مع هود، عندنا قوم هود وأخاهم هود وأخوهم هود، قوم صالح وأخاهم صالح وأخوهم صالح

¹ - ينظر: قصص القرآن، ص 354.

² - المرجع نفسه، ص 345.

بحسب مواضعها، لكن لما نأتي إلى الآية: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودٌ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنٌ وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾ - ق:12- هناك نوع من التناسق في هذه الآية تناسق المواضع: عندنا كلمة "قوم" تكررت مرتين وكلمة "أصحاب" تكررت مرتين، وجاءت كلمة "إخوان" كأها مرحلة وسط بين هذه وهذه... فجاءت "إخوان" كأها توازن من حيث الموازنة اللفظية... إضافة إلى الجانب الصوتي...¹ فتوجيهه هذا كان لفظيا صوتيا، وهي اجتهادات وفتحات للعلماء الربانيين الذين لا يخرجون عن صريح القرآن الكريم لفظا ومعنى.

المطلب الثالث: شبهات حول قضايا تفسيرية.

الشبهة الأولى: شبهات حول الصحابة رضوان الله عليهم وتفسيرهم.

تعددت الشبهات التي أوردها الشيخ حول الصحابة رضوان الله عليهم وتفسيرهم، وفيما يلي مجمل الشبهات التي طرحت في مؤلفاته.

أولا: عدم النضوج الفكري لدى الصحابة.

في الفصل الخاص من (كتاب التفسير والمفسرون)، تناول الشيخ موضوع أقسام التفسير بنوعيه، حيث تطرق في موضوع التفسير بالمأثور لموضوع دفع الشبه عن الصحابة رضي الله عنهم، فنقل الشيخ عن (الخولي) أن سبب نشأة التفسير هو عدم نضوج العقلية عند المسلمين، وقد تابعه في هذا (سيد أحمد خليل).

يستنكر الشيخ فضل مثل هذا الكلام، فالمعلوم أن نشأة التفسير قد ابتدأت وتكاملت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يطرح الشيخ سؤالا منطقيا في مقصود هؤلاء بالنضوج العقلي، وقد صار من بعدهم عالة عليهم في الفهم والاستنباط والاجتهاد؟ أم يُقصد بقولهم هنا عدم معرفة الصحابة بما حدث من تطورات الحياة فيما بعد؟ ثم ألزمهم على القول الثاني ب: (أرسطو طاليس) فهو مثلا لم يعرف تطور الحياة بعده، رغم ذلك لم يُقل عنه أنه غير ناضج العقل؟.

استعراض الشيخ فضل مقارنة (سيد أحمد خليل) بين القرآن الكريم وبين بعض الكتب الدينية حتى غير السماوية، وكثرة الشروح التي كتبت حولها، ليدحض الشيخ هذا القول بالتأكيد أن القرآن

¹ - لمسات بيانية في نصوص التنزيل، فاضل السامرائي، دار عمان للنشر والتوزيع، ط3، 1423هـ/2003م، 5/1.

الكريم كتاب عربي نزل للتدبر، واضح المعنى يسير اللفظ للجميع، ولكونه سماويا احتيج إلى بيان بعض الألفاظ المبهمة عكس الكتب الأخرى، وبالتالي فالمقارنة باطلة من أساسها ذاتا وموضوعا.¹

لهذا يمكن القول بأن منهج الشيخ في الرد على محتوى هذه الشبهة المغرضة تمثل في المنهج العقلي المنطقي، حيث إنه قد جاء بحجج منطقية تفند محتوى الشبهة وتدحضها عن بكرة أبيها، فكيف يمكن أن يتهم صحابة رسول الله وخير خلق الله بعدم النضوج الفكري من قبل ناس يمكن وصفهم بما وصفوا به غيرهم؟ وما أظن أن سبب قولهم هذا إلا الزج بتراث الأمة وأغلب علمها في مزيلة التاريخ، وتعويض ذلك بفكرهم وتراثهم المزعوم.

ولعل شهادة "الحسن" رضي الله عنه في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خير ما يمكن أن أختتم وأرد بها على هذه الشبهة المغرضة التي تطعن في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول: (كان الحسن في مجلس فذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا، قوم اختارهم الله عز وجل لصحبه نبيه صلى الله عليه وسلم فتشبهوا بأخلاقه وطرائقهم فإنهم ورب الكعبة على الهدى المستقيم).² وكل ما قيل ويقال لا يوفي حق صحابة خير خلق الله تعالى وخاتم الأنبياء والمرسلين، صلى الله عليه وسلم وأرضاهم، ثم يأتي من يقدر فيهم، وفي قدراتهم العقلية والعلمية وهم من حفظوا القرآن والسنة النبوية، ومن جاء بعدهم لتبقى الرسالة خالدة على مر العصور.

ثانيا: ضرورة ارتباط حفظ القرآن بفهمه عن الصحابة رضي الله عنهم:

وهذه الجزئية مرتبطة بشبهة (عبد المنعم نمر) الذي قال بأن الصحابة رضي الله عنهم لم يحفظ القرآن منهم إلا عدد يسير جدا، وبالتالي الذي لم يحفظ القرآن كله لا يستطيع أن يدعي إحاطته بفهم ما لم يحفظه...³

ولخطورة هذه الشبهة وأهميتها في نفس الوقت، خصص الشيخ عنوان منفردا لمناقشة هذه الشبهة فقسمها هي والشبهة التي تليها ليرد على كل جزئية.

¹ - إتقان البرهان، 195/2-196.

² - جامع بيان العلم وفضله، ابن عبر البر، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية، ط1، 1414هـ/1994م، ح 1807، 946/2.

³ - التفسير والمفسرون أساسياته وأجهاتة ومناهجه في العصر الحديث، 149/1-150.

أما الشبهة الأولى الخاصة بحفظ القرآن وفهمه، فذكر الشيخ بأن عبد المنعم قد استدلال بما أخرجه البخاري في أن حفظة القرآن أربعة وذكرهم، لكن العلماء من القديم تصدوا لما أثاره الملاحظة حول هذا الحديث منهم ابن حجر ...¹ وقد رد الشيخ على هذا الشبهة فيما سبق.²

ادعى عبد المنعم أن الفهم مرتب على الحفظ، وما دام الصحابة لم يحفظوه فهم لم يفهموه، لكن الشيخ فضل قال إن عكس هذه القضية من البديهيات - يعني بما أنه أثبت أن الصحابة رضي الله عنهم حفظوا القرآن كله يعني أنهم فهموه -، كما قال بأن القواعد التربوية وغيرها لا ترتب الفهم على الحفظ، بل العكس هو الصحيح، فالفهم هو الذي يسهل الحفظ ويسره.

ثم جاء بمثال للتوضيح، لينقل لنا بعد هذا كله كلام للحارث المحاسبي عن ابن عيينة أن أول العلم الاستماع ثم الفهم ثم، الحفظ ثم العمل ثم النشر...³

نجد الشيخ أنه لم يدخر أي جهد في الرد على شبهة عبد المنعم، بل رصد أغلب الأدلة العقلية المنطقية للرد على هذا الافتراء، فقد استعان بالمنطق في موضوع بديهية الفهم لمن يحفظ القرآن الذي أثبت حفظه من قبل أغلب الصحابة رضي الله عنهم، كما أنه استعان بالقواعد التربوية في عدم اشتراط الفهم لمن لا يحفظ شيئاً، ولم يكتف بهذا بل جاء بمثال توضيحي في الموضوع... ليستشهد بكلام العلماء في الموضوع، كي لا يترك أي شك أو شبهة في هذا الموضوع الحساس الذي يمس خير خلق الله بعد الأنبياء والرسل.

يختم الشيخ فضل كلامه بأن الله عز وجل أنزل القرآن على رسوله ليبين للناس ما أنزل إليهم، وأن أول من وعى هذا البيان الصحابة رضي الله عنهم فحفظوه وعضوا عليه بالنواجذ، فكانوا أعلم الناس.⁴

ثالثاً: عدم سؤال الصحابة رضوان الله عليهم عن المتشابه، والتشديد على من يسأل عن شيء من كتاب الله تعالى.

نقل الشيخ فضل في حديث عبد المنعم النمر عن الآيات المتشابهات، قوله: ما دمنا لم نعثر على حديث صحيح من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو على رأي للصحابة رضي الله عنهم موثوق بنسبته إليهم، فالمعقول أنهم

¹ - التفسير والمفسرون أساسياته وأجهاته ومناهجه في العصر الحديث، 1/149-152.

² - إتقان البرهان، ص 326-327.

³ - التفسير والمفسرون أساسياته وأجهاته ومناهجه في العصر الحديث، 1/152-153.

⁴ - المرجع نفسه، 1/152-153.

لم يفهموها ولم يسألوا عنها، والمانع لهم من السؤال آيتين إحداهما قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلَةٍ﴾ - آل عمران: 07- والثانية قوله تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَّ لَكُمْ تَسْوُكُمُ﴾ - المائدة: 101- ويستدل أيضا لذلك بما يروى عن عمر بن الخطاب مع أصبغ التميمي حين ضربه لأنه سأل عن شيء في كتاب الله...¹

هكذا نص الشبهة التي نقلها لنا الشيخ فضل في الموضوع.

أما منهج الشيخ في الدفاع عن القرآن الكريم وتفسيره فيما يتعلق بموضوع السؤال عن المتشابه أو غيره، فقد تنوع واختلف تبعا لخطورة الموضوع وأهميته، ويمكن أن أحصره فيما يلي:

المنهج النقلي: حيث استدل بوجود آيات قرآنية خاصة مدنية منها بعنوان "يسألونك"، بالإضافة إلى أحاديث نبوية تنقل لنا سؤال الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله حتى "جبريل" عليه السلام ليعلم الناس أمور دينهم، كما كان رسول الله يشدد على الذين لا يسألون.

أما عن سبب نزول الآيتين اللتين استدل بهما عبد المنعم، حيث إن الأولى نزلت لسبب خاص، أما الثانية فقد نصت على من يسأل عن المتشابه ابتغاء الفتنة والتأويل، والصحابة مرؤون من هذا... هذا فيما يخص السؤال عن المتشابه.

أما التشديد عن السؤال عن شيء من كتاب الله فقد بين لنا بطلان الحديث الذي استشده به عبد المنعم في جلد عمر بن الخطاب لأصبغ التميمي متنا وسندا، كما استشده بحديث مطول لرجل سأل ابن عباس عن أشياء تختلف عليه في القرآن، والحديث معروف في صحيح البخاري.²

المنهج العقلي المنطقي: ويتجلى ذلك في افتراض الشيخ كون الآيتين مانعتين للسؤال، ألم يسأل الصحابة قبل نزولهما وتدور هذه التساؤلات، أم أن هذه الأخيرة كذلك حذفت؟ هذا لا يعقل ولا يمكن أن يقبل، فالصحابة لم يسألوا عن المتشابه؛ لأن ذلك كان لا يعنيه كثيرا، فهم يفهمون المراد منه من غير تكلف أو تعقيد...، أما الشق الثاني الخاص بالسؤال عن شيء في كتاب الله عموما فقوله إن سؤال التميمي كان عن الذاريات وأحواتها، وهذه لا تحمل إشارة إلى الانحراف، وليست من المتشابه،

¹ - ينظر: التفسير والمفسرون أساسياته وأجهااته ومناهجه في العصر الحديث، 1/149-150.

² - ينظر: المرجع نفسه، 1/153-155.

خاصة وأن عمر بن الخطاب قال بأنه سمع تفسيرها من رسول الله، فكيف يجلدده مئة جلدة ثم مئة أخرى تبعهما نفي وحبس؟ وهو المعروف برحابة صدره ومبادرته للسؤال؟¹

لهذا يمكن القول بأن صنيع عمر بن الخطاب مع صبيغ ليس لأنه سأل عن المتشابه، أو أن السؤال ممنوع في التفسير، بل كان قصده إثارة مشكل في الآيات والبحث عن متشابهها، فأدبه عمر بن الخطاب، ومنع الناس من مجالسته حتى يتوب ويرجع، وهذا لم يقع إلا بعد أن شرح له المعنى وبينه له أولاً، يقول سيد قطب: "جاء صبيغ بن عسل التميمي إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسأله عنها-الذاريات- فأجابه بما روي عن علي بن أبي طالب، وقد أحس عمر رضي الله عنه أنه يسأل عنها تعنتاً وعناداً، فعاقبه ومنعه من مجالسة الناس حتى تاب وحلف بالأيمان المغلظة ما يجد في نفسه مما كان يجد شيئاً".²

إذا فالصحابه رضي الله عنهم كانوا يعظمون التفسير ويعلون من شأنه وقيمته، كما أنهم لم يتساحوا مع من يتلاعب بالتفسير، أو يشكك في مدلولات القرآن، ويتستر وراءها ليث سمومه وأحقاده فيها، وهذا هو حال الكثيرين.

الشبهة الثانية: إنكار التفسير الأثري.

تحت هذا العنوان ناقش الشيخ فضل شبهة لأحمد أمين³ وغيره، حيث أقر هذا الأخير أنه ينكر ثبوت شيء من التفسير بالمأثور، بالاستناد إلى كثرة الروايات المزوجة بالإسرائيليات، مستدلاً بعبارة الإمام أحمد رضي الله عنه عندما تكلم عن الوضع في الحديث: (ثلاثة ليس لها أصل: المغازي والملاحم والتفسير)، ويضرب مثالا لذلك بأحاديث التفسير، وكأنه يريد نفي ثبوت شيء منها...⁴ هكذا فهم أحمد أمين كلام الإمام أحمد بخصوص التفسير الأثري، وسنرى موقف الشيخ فضل من هذا الرأي، وصحة الاستدلال بالحديث.

¹ - ينظر: التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، 154/1-156.

² - في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق-بيروت-القاهرة، ط17، 1412هـ، 3374/6.

³ - أحمد أمين: أحمد أمين ابن الشيخ ابراهيم الطباخ، ولد سنة 1878م في مصر، قرأ مدة قصيرة في الأزهر، وتخرج بمدرسة القضاء الشرعي، تولى القضاء ببعض المحاكم الشرعية... عالم بالأدب، غزير الاطلاع على التاريخ، من كبار الكتاب... وهو من أكثر كتاب مصر تصنيفاً وإفاضة، منحته جامعة القاهرة لقب "دكتور" فخري سنة 1948م، من أعماله إشرافه على لجنة التأليف والترجمة والنشر مدة ثلاثين سنة وكان رئيساً لها... توفي سنة 1954م بالقاهرة. ينظر: الأعلام، ص101.

⁴ - ينظر: التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، 191/1.

يتعقب الشيخ فضل هذا بقوله أن الحق الذي لا مرية فيه هو ثبوت أحاديث تفسير بعض آيات القرآن، وهذا أمر مجمع عليه من قبل الأمة، واستشهد بقوله تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ - النحل: 44- كما أن من شروط من يتصدى التفسير أن يكون ملما بما ثبت عن الرسول ﷺ...¹، لكن هذا لا يكفي للرد على هذه الشبهة الخطيرة، فهو قد ربط ذلك بكثرة الإسرائيليات التي لم يشر إليها الشيخ فضل، ومما لا خلاف فيه هو ثبوت أحاديث مرفوعة في التفسير مبثوثة في كتب السنة كالبخاري ومسلم، وغيرها من الكتب التي احتوت على أحاديث مرفوعة صحيحة، عُربت أحاديثها فبينوا الصحيح منها والضعيف والمكذوب، ليأتي هؤلاء ويضربوا بالأحاديث عرض الحائط بسبب وجود الإسرائيليات، فهي شبهة أوهمى من بيت العنكبوت.

ثم جاء الشيخ لشرح عبارة الإمام أحمد، وأن علماءنا فسروها تفسيراً شافياً، فقال قوم أن قصده غالب ما ذكر في هذه الموضوعات وليس كله، أما آخرون فقالوا بأن عبارة الإمام أحمد تنفي كتباً خاصة عرفت بهذا الاسم بدليل الرواية التي تقول: (ثلاثة كتب...)، وذهب آخرون إلى أن هذا مصطلح خاص بالإمام أحمد فلا يلزم من نفي الصحة ثبوت الوضع، وقد عرف عنه هذا في الحديث... والشيخ فضل يرجح القول الأخير.

وختم الشيخ المسألة بقوله أن ثبوت أحاديث التفسير من القضايا التي لا ينبغي أن يشك فيها أحد...².

هكذا كان رد الشيخ فضل على شبهة أحمد أمين، والتي من خلالها يمكن أن أستشف منهج الدفاع عن القرآن الكريم وعلومه وكل ما يتعلق به عند شيخنا، فقد استعان بالمنهج النقلي، وهذا من خلال استشهاده بالآية القرآنية السابقة، وشرحه لحديث الإمام أحمد، مستعينا بالمنهج العقلي المنطقي، وهذا ما تجلّى أثناء شرحه للحديث وجمع آراء العلماء فيه، والاستعانة بأقوال العلماء في الموضوع.

أخرج الخطيب البغدادي كلام الإمام أحمد في جامع، وشرحه شرحاً يدحض هذه الشبهة عن بكرة أبيها، حيث يقول: "...سمعت أحمد بن حنبل يقول: ثلاثة كتب ليس لها أصول: المغازي والملاحم

¹ - التفسير والمفسرون أساسياته وأجهاته ومناهجه في العصر الحديث، 190/1.

² - المرجع نفسه، 190/1-192.

والتفسير"، وهذا الكلام محمول على وجه، وهو أن المراد به كتب مخصوصة في هذه المعاني الثلاثة غير معتمدة عليها ولا موثوق... وأما الكتب المصنفة في تفسير القرآن فمن أشهرها كتابا (الكلي ومقاتل بن سليمان)¹.

فهذا الشرح يرد على صاحب الشبهة بعينه، ولو ذكرت لنا هذه الرواية في كتبنا لما تطاولت الألسنة للتشكيك بثبوت التفسير بالمأثور.

الشبهة الثالثة: تأويلات المدرسة العقلية برئاسة محمد عبده.

وكونها سببا في وقوع الانحراف في التفسير فيمن جاء بعدها، ويجمل بي أن أبيان ذلك فيما يلي:

أولا: بعض تأويلات مدرسة الإمام محمد عبده في التفسير:

أثناء حديث الشيخ فضل عن مدرسة الإمام في التفسير، تحدث عن تأثيره الشديد بالحضارة الغربية، بحكم أنه عاش في حقبة زمنية خطيرة شهدت صراعا بين الكنيسة والعلماء، حيث ابتدأت فتنة الناس مع العلم - خاصة نظرية التطور -، فلا يؤمنون إلا بما تثبته التجارب العلمية.

تأثر محمد عبده بالحضارة الغربية بحكم سفره للغرب والاختلاط بعلمائها، فسعى أن يوفق بين ما وصل إليه العلم الحديث وبين الدين، لكن ذلك أدى إلى تضيقه لنطاق الخوارق، وفي تفسيره لبعض الغيبات، وأصل الإنسان، وتأويله لبعض المعجزات، مثل قصة آدم التي مرت معنا، وقضية إحياء الموتى، وخلق عيسى عليه السلام ونزوله، وتأويل قصة الفيل وبعض المعجزات...²

أما فيما يخص منهج الشيخ في رد هذه الشبهات الخطيرة، فقد ركز كثيرا عن المنهج النقلي، حيث استعان بالآيات القرآنية التي تتحدث عن الموضوع وتفسرها، بحيث يبين أن المراد منها الحقيقة وليس التأويل والجاز، فألفاظ القرآن الكريم تحمل في الغالب على الحقيقة، إلا في بعض حالات نبه عليها العلماء، فلا يجب فتح باب التأويل على مصرعيه، ولي أعناق الآيات لتتفق مع العلم واكتشافاته، بالإضافة إلى الاستشهاد بالأحاديث في الموضوع وشرحها، هذا كله يعرضه لنا الشيخ بأسلوب منطقي

¹ - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف - الرياض، 162/2.

² - ينظر: التفسير والمفسرون أساسياته وأجهاته ومناهجه في العصر الحديث، 67/2-86.

علمي رصين ينم عن ثقافة الشيخ ورسائله، مع حسن ظن بالإمام وعدم القدح فيه، هذا ما يمكن أن نطلق عليه المنهج العقلي المنطقي.

ويبين الشيخ فضل أن تأويلات الإمام في هذه المواضيع وغيرها كانت بدعا من التأويل، فهو قد أخرج الآيات القرآنية عن ظاهرها الجلي، كما أنه أسرف كثيرا في استعمال العقل فيما يخص الأمور الغيبية ومعجزات الأنبياء، وهو في هذا متأثر بالحضارة الغربية التي تؤمن بالمحسوس فقط، رغم كل هذا لا يمكن أن يضرب بعلم الإمام عرض الحائط، فيشفع له خدمته لدينه والدفاع عنه، والذب عن حرماته، فكما يقال لكل جواد كبوة، فرحم الله محمد عبده والشيخ فضل وموتى المسلمين.

ثانيا: مدرسة الإمام محمد عبده والانحرافات في التفسير:

في هذا الموضوع حاول الشيخ فضل أن يبين لنا بعض مظاهر الانحراف التفسيرية التي خلفتها مدرسة الإمام، بعد أن أكد وأشار إلى الأثر العظيم للمدرسة في تقريب فهم القرآن للقلوب، وتنقيته من الشوائب...، لكن هذه المدرسة كان لها هفوات وكبوات خرجت بالنص القرآني عن معناه الظاهر إلى تأويلات بعيدة وتفسيرات غريبة، وراح الشيخ يضرب أمثلة لتأويلات بعض أصحاب المدرسة وشذوذها، حتى صاحب (الفن القصصي) قد أخذ من الإمام بعضا من عباراته.¹

قبل أن يعرض الشيخ فضل لنماذج من هؤلاء المنحرفين الذين يستترون بآراء المدرسة، أشار إلى نقطة مهمة جدا، وهي أن الانحراف لم يكن هدف المدرسة، وهي التي حارب رجالها ليرفعوا راية الإسلام، لكن هناك من المنتسبين من تستروا بآراء المدرسة ليخرجوا لنا بتفاسير شاذة في القرآن الكريم، والمدرسة بريئة منهم..²

وكلامه هنا يحتاج إلى شرح وتوضيح أكثر مما قال، فيجب أن يأتي بأهم الآراء السلبية التي تبنتها المدرسة لتجعلها تقع في الانحرافات هي أو أتباعها، فيتضح لنا أين يكمن الخطأ بالضبط، ولا يترك الكلام هنا عام دون توضيح والله أعلم.

¹ - ينظر: التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، 672/1-673.

² - ينظر: المرجع نفسه، 673/1-674.

وقد أشار الشيخ إلى النزعة العقلية للإمام وتأثره بالحضارة الغربية، ولعل تحكيمة للعقل والتأثر بالحضارة الغربية سببا ما وقع فيه من انحراف، وهو الذي يعرف بغيرته على دينه، والدفاع عنه والعمل على تطبيقه والعمل به، ولما لتحكيم العقل على النصوص القرآنية والنبوية من أثر سلمي عند مدرسة الإمام وغيره، حذر العلماء من الوقوع فيه، والاعتزاز بنتائجه، فهذا هو سيد قطب يتحدث عن المقررات العقلية عند مدرسة الإمام ويحذر من نتائجهما، حيث يقول: "إن هناك قاعدة مأمونة في مواجهة النصوص القرآنية... إنه لا يجوز لنا أن نواجه النصوص القرآنية بمقررات عقلية سابقة، ولا مقررات عامة، ولا مقررات في الموضوع الذي تعالجه النصوص... فالعقل ليس هو الحكم في مقررات القرآن، ومتى كانت المدلولات التعبيرية مستقيمة واضحة فهي التي تقرر كيف تتلقاها عقولنا، وكيف تصوغ منها تصورات ومنطقها تجاه مدلولاتها، وتجاه الحقائق الكونية الأخرى".¹

هذا ما قاد الإمام ومدرسته إلى انحرافها، والسير نحو الطريق الخطأ، بإعطائهم سلطة مطلقة للعقل، وهذا نظرا لجمود النصوص الذي أدى إلى التخلف عن ركب الحضارة زعموا.

يقول مصطفى صبري: "أما النهضة الإصلاحية المنسوبة إلى محمد عبده فخلاصته أنه زرع الأزهر عن جموده على الدين، فقرب كثيرا من الأزهريين إلى اللادينيين خطوات، ولم يقرب اللادينيين إلى الدين خطوة... فالشيخ بدلا من أن يتغلب على مناظره-فرح أنطون- ويهزم جيوش المتفرنجين الكامنين وراءه، هزم جيش علماء الدين الذي هو جيشه نفسه، بطول ما رماهم به من وصمة الجمود...".²

هذا ما اصطاح عليه الشيخ فضل وجعله سببا لانحراف المدرسة العقلية بقيادة محمد عبده.

قبل أن يبدأ الشيخ في عد بعض من هؤلاء الذين أثرت فيهم مدرسة الإمام سلبا، أقر أن سبب انحراف هؤلاء ليس نتيجة انحراف هذه المدرسة فقط، فمنهم من تأثر بعوامل لم تقر بها المدرسة، وإنما كانت دوافع سبقت من الحضارة الأوروبية، أو نتيجة لشهوة الشهرة التي سيطرت عليهم، ومن هؤلاء (منصور فهمي) في رسالة الدكتوراه بعنوان (المرأة المسلمة)، فيها تعصب وحقد وجهل وغباء، اتهم

¹ - في ظلال القرآن، 6/3979.

² - موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، مصطفى صبري، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1401هـ/1981م، ص 133-134.

صاحبها رسول الله بتهم ردها علماء الغرب المنصفون، ومنهم (علي عبد الرزاق) في كتاب (الإسلام وأصول الحكم).¹

وقال الشيخ بأن أغلب هؤلاء قد شغلوا مراكز خطيرة وحساسة بعد انحرافاتهم هذه للأسف.

وها هو (رجاء النقاش)² يكتب بكل وقاحة تحت عنوان: حرروا القرآن من القيود، التي اعتبرها نوعان: شكلية، وتتمثل في كتابة المصحف بالرسم العثماني، وعدم وجود تفسير عصري، وأساسية وهي الاستفادة من المسرح والموسيقا والفن.

فيجب أن نحرر القرآن فنكتبه حسب قواعد الخط الحديثة، ونقرأه على ألحان الموسيقى، وأن نملئ مساجدنا بالصور والرسوم، حتى تكون نظرتنا للقرآن نظرة عصرية فيؤثر في نفوسنا.³

عندما جاء الشيخ فضل للرد على صاحب القيود المزعومة، عمد إلى طرح أربعة أسئلة منطقية حول صحة هذه القيود المزعومة، وهو الذي أثر في نفوس الكثيرين حتى الأميين، فلم يمنعهم جهلهم بالخط للتأثر بالقرآن، أما عن التفسير العصري فالتراث التفسيري يغني عن مثل هذا الكلام... نفس الشيء فعلة الشيخ فضل مع (إبراهيم عامر) في دعوة مشبوهة.⁴

هكذا شخّص الشيخ فضل سببي انحراف المدرسة العقلية في التفسير، وعالج شبهها وفق مسلكه المعتاد.

الشبهة الرابعة: أفضلية اللغة العربية:

قبل أن يشرع الشيخ فضل في الرد على المخالفين لأفضلية اللغة العربية على غيرها من اللغات، ذكر لنا شهادات لعلماء أمثال ابن جني وابن سنان وابن الأثير...، ثم انتقل إلى ذكر شهادات غير المسلمين لتكون شهادتهم ركيزة صدق ودليل حق، أمثال (المطران يوسف داود الموصلبي) و(رينان)

¹ - التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، 673/1-674.

² - رجاء النقاش: محمد رجاء عبد المؤمن النقاش ناقد أدبي وصحفي مصري، ولد سنة 1934م، تخرج من جامعة القاهرة وعمل محرراً بمجلة روز اليوسف، وكان رئيس تحرير لعدة مجلات، حصل على العديد من التكريات عمل بدولة قطر. كان مديراً للتحرير ثم عاد إلى الصحافة المصرية. من مؤلفاته "تأملات في الإنسان"، "أدباء ومواقف"، "هل تنتحر اللغة العربية؟"... توفي سنة 2008م. ينظر:

<https://ar.m.wikipedia.org>، تاريخ الاطلاع: 02-06-2023م، آخر تعديل 14 ديسمبر 2022م.

³ - التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، 674/1-675.

⁴ - المرجع نفسه، 675/1-681.

و(جول فرن) غير الناطق بالعربية، حيث يقول هذا الأخير أن اللغة العربية ستكون لغة المستقبل.¹ هذا الصنيع الذي قام به الشيخ فضل قبل إيراد الشبهات المطروحة حول اللغة العربية وأفضليتها، يسمى في مجال الدفاع عن القرآن الكريم ولغته بمنهج الرد بأقوال المنصفين من القوم؛ وهذا نظرا لثقل شهادة هؤلاء المستشرقين عند أقوامهم، فشهادة الواحد منهم يمكن أن تغير نظر الكثير من أتباعه، ليس ليدخل في الإسلام بالضرورة، إنما تكوين نظرة إيجابية حول الإسلام والمسلمين.

بعد هذا عرّج الشيخ للحديث عن شبهات المخالفين وردّها في مبحث خاص، حيث أن بعض الكتابين ممن يحسن الظن بهم يقفون موقف المنكر من القضية، ويرفضونها ويردون كل ما ذكر من الشهادات السابقة، لكنه مع ذلك ألزم نفسه أن يكون منصفًا معهم، ويتبع ما قاله هؤلاء باتباع قواعد البحث العلمية النزينة، ويناقشهم مناقشة هادئة، فيها الرقة، وفيها الرفق والمنطق.

يبتدأ الشيخ بعبد الرؤوف مخلوف في كتابه (الباقلاني وإعجاز القرآن) حيث يرد على الباقلاني و ابن قتيبة و ابن سنان و ابن فارس في أفضلية اللغة العربية، فقال بأن اللغات الأخرى لها نفس الخصائص الموجودة في العربية من تشبيه واستعارة ومطابقة...، وفي رأيه أن المفاضلة في اللغة هي مفاضلة بين أمة وأمة، في عقليتها ومنازع تفكيرها ومستوى حضارتها، كما أن العربية اختلفت من عصر لآخر، وخصائص اللغة لا تستأثر به واحدة على الأخرى، ولكنها تتوزع على لغات البشر كلها، وختم كلامه بأن قال بأن دعوى تفرد العربية بخصائص ومميزات لا تقوم على منطق صحيح أو درس متعمق، وإنما كان مبعثها الشعوبية...²

يشرح الشيخ فضل في الرد، حيث سجل عليه عدة نقاط، فبدأ بقوله إن أنصار العربية لم يدعوا أن اللغات الأخرى لا تعرف الاستعارة والتشبيه وغيرها، والدليل أن ما نقله من شهادة العلماء لا تحمل في طياتها هذا الكلام، كما أن هذه الخصائص معروفة حتى عند الشعوب البدائية الساذجة، بل الذين نقل الكاتب أقوالهم ورد عليهم، لم يقولوا هذا وحملهم ما لم يقولوا ورد عليهم، وهذا ليس من قواعد المناظرة.

¹ - بلاغتنا المفترى عليها بين الأصالة والتبعية، فضل حسن عباس، دار الفرقان، ط2، 1420هـ/1999م، ص 58-70.

² - المرجع نفسه، ص 71-72.

هنا الشيخ يسجل على عبد الرؤوف أنه لم يلتزم بقواعد المناظرة، فقد قول هؤلاء ما لم يقوله، وهذا غير مقبول البتة.

أما قوله بأن مفاضلة لغة بلغة ليست إلا مفاضلة بين أمة وأمة، وأن العربية اختلفت من عصر إلى عصر؛ فهذا خارج عن دائرة النقاش، فهو يتحدث عن الخصائص الذاتية للغة العربية.¹

لكنه رغم هذا سلم له في بعض أقواله، وهذا حين قال بأن رقي الأمة من شأنه أن ينعكس على اللغة، لكنه لم يوافق في كون اللغة مصدرا لرقى الأمم، حيث إننا لا نستطيع أن نحكم على تراث الأمة من أوضاعها، إن هذا غير مقبول، فهذا لا يعطينا صورة دقيقة على ما تملكه الأمة من تراث أو خامات وخيرات.

أما القول باختلاف اللغة من عصر لآخر، فغير مسلم به، فقد كانت العربية من العصر الجاهلي في أوجها ولم تفقد رونقها على مر الأعصر...²، أما قوله بأن دعوى تفرد العربية، هذه لا تقوم على منطق صحيح، فقد ردها الشيخ بأنه هو الذي لا يقوم على منطق دقيق، والدليل الشهادات المنقولة سابقا لمن لم يتفرد بمعرفة العربية، بل تعداها لمعرفة الفارسية وعبرية وهندية ولم يصدرها حكمهم إلا بعد موازنات دقيقة...³

أما النقطة الأخيرة فقد نقل الشيخ كلامه حول ثلاثية المفردات في اللغة وعدم ثلاثيتها... وقال بأن اللغة في الحقيقة عبارة عن أصوات، وليست هي الحروف التي نكتبها فهذه الأخيرة عبارة عن رموز للغة فقط...، أبدأ الشيخ فضل تعجبه واستغرابه من هذا القول، فقضية ثلاثية أكثر أصول العربية من القضايا البديهية، وكون أكثر أصول العربية من ثلاثة أحرف أمر يشهد له الحس والواقع، وهو بحق من خصائص اللغة العربية... وفي الأخير ختم الشيخ هذه القضية بأن أرجع سبب مثل هذا القول لمرارة الشعور بالهزيمة التي تهيم على كثير من النفوس، -ولعله بهذا يقصد الكاتب-.⁴

¹ - ينظر: بلاغتها المفترى عليها، ص 72-73.

² - المرجع نفسه، ص 73-74.

³ - المرجع نفسه، ص 74-75.

⁴ - المرجع نفسه، ص 75-77.

بعد أن عرضت لرد الشيخ فضل على (عبد الرؤوف مخلوف) حول أفضلية اللغة العربية، يمكن أن أستشف منهج الدفاع المستعمل هنا، مع ما صرح به الشيخ من البداية، حين قال بأنه سيناقشه مناقشة هادئة فيها الرقة والرفق والمنطق، ومع ما رأيناه من حجج منطقية وعقلية، أقول أن الشيخ قد استخدم المنهج العقلي المنطقي لتأييد فكرة أفضلية اللغة العربية، دون أن أنسى أنه استعان بمنهج الرد بأقوال المنصفين من القوم، وهذا قبل أن يشرع في إيراد الشبهة، ولقد ظهر في رد الشيخ حُبه وغيرته على دينه وعلى اللغة العربية، والاعتزاز بهما في الوقت نفسه، كيف لا وهي لغة القرآن الكريم، كما تحصر على حال الأمة التي تشعر بالهزيمة، وكان عليها أن تفتخر بما تمتلك كما يفعل غيرها.

وعندما تحدث الشيخ فضل عن نشأة البلاغة العربية وأصالتها، وأنها بعيدة كل البعد عن بلاغة (أريسطو)، زاد ذلك بيانا أن دلال بالتسلسل التاريخي بأن من ترجم كتاب (الخطابة لأريسطو) سواء كان الأب إسحاق بن حنين -260هـ- أو الابن حنين بن إسحاق -299هـ-، وأن أبو عبيدة توفي سنة 210هـ، فهو قد مات قبل أن يموت الوالد بخمسين عاما، وبالتالي فالوالد لم يخط أي حرف من الكتاب. وبالتالي ما كتب في علم البلاغة عن أبي عبيدة عربي أصيل لا نزاع فيه.¹

هنا الشيخ فضل رد على شبهة نشأة البلاغة واستمدادها بالمنهج التاريخي، حيث استنجد بتاريخ الوفاة لأحد مترجمي الكتاب وتاريخ وفاة أبي عبيدة ليبين أن هذا الأخير قد توفي قبل ترجمة الكتاب، وهذا أقوى رد مفحم.

ثم تعجب الشيخ من قول (أمين الخولي) الذي احتدل بأن الكتاب ترجم على الأقل في آخر القرن الثاني للهجرة، فرد عليه الشيخ فضل بأنه مجرد احتمال لا يصلح أن يعول عليه في مجال العلم.²

فالشيخ هنا استعان بالمنهج العقلي المنطقي، حين اعتبر أن أحمد أمين قد بنى فكرته على مجرد احتمال، وهذا لا يقبل به في المجال العلمي، فلا علم يقوم على مجرد احتمال، وإلا يصبح العلم مجرد احتمالات لا ثوابت فيه.

¹ - ينظر: بلاغتنا المفترى عليها، ص 114-115.

² - المرجع نفسه، ص 115.

ثم تعرض الشيخ للحديث عن الدعوات المشبوهة لطرح العربية قديما وحديثا، من الدعوة إلى العامية من العنصر الأجنبي الاستعماري، إضافة إلى الدعوة إلى تجريد العربية من قواعدها لأنها شاخت وهرمت، زد على ذلك الادعاء بأن العربية مدينة للغات الأخرى في أدبها ونحوها¹.

وبعد أن تحدث الشيخ عن عدة دعاوي أغلبها أجنبية، تحسر وأبدى أسى شديدا حول العالم الجليل والقاضي النزيه (عبد العزيز باشا فهمي)² الذي تابع دعوى (ولهم سبيتا) الألماني في دعوته إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية، حتى أن الدعوى طالت القرآن الكريم نفسه، وقد جرت مجادلات ومناقشات بينه وبين أدباء وعلماء غيارى على اللغة العربية والقرآن الكريم، حيث يقول أحدهم بأن القرآن الكريم سيكون قرآنا صينيا لا عربيا.³

أما الدعوى إلى تجريد العربية من قواعدها، فقد مثله أدباء المهجر مثل (جبران خليل جبران)⁴ حيث نقل عنه الشيخ مجموعة من الأقوال يطعن فيها اللغة العربية، وقد رد عليه الشيخ بكلام يشبه كلامه السابق، كما استشهد بسامي الكيالي الذي رد على أدباء المهجر الذين يريدون صفع العربية، وجعلها بلا قواعد ثابتة، ويكونوا أحرارا ويضعوا قواعد متحركة، فأدبهم مخنث، يستمد مادته من فضاء الخيال السخيف، ويقذف بالقارئ إلى وهم لا حدود له... لينتهي الكاتب بالتفريق بين التجديد المقتصد البناء، والتجديد الهدام الذي يمتله أدباء المهجر.

أما (إدوارد مرقص) الذي رد على هؤلاء المجددين مبينا أن خطرهم على اللغة أكثر من خطر

¹ - بلاغتنا المفترى عليها، ص 141-142.

² - عبد العزيز باشا فهمي: عبد العزيز فهمي حجازي عمر، المعروف باسم عبد العزيز فهمي قاضي ومحامٍ وسياسي وشاعر مصري، من أعلام الحركة الوطنية المصرية في الثلث الأول من القرن العشرين. ولد سنة 1870م درس بالأزهر ثم انتقل إلى مدارس علمانية، ثم إلى كلية الحقوق وتحصل على الليسانس . شغل عدة مناصب وترقى فيها ثم فتح مكتبا للمحاماة وكان محبا للغة والأدب. من مؤلفاته أشعار متفرقة، "هذه حياتي"، ترجمة مدونة جوستينيان في القانون الروماني... توفي سنة 1951م. ينظر: <https://ar.m.wikipedia.org>، تاريخ الاطلاع: 02-06-2023م، آخر تعديل 24 يناير 2023.

³ - بلاغتنا المفترى عليها، ص 143-149.

⁴ - جبران خليل جبران: ولد في قرية " بشري" سنة 1883م، وتعلم في بيروت، وأقام أشهرها بباريس، ثم الولايات المتحدة... نابعة الكتاب المعاصرين في المهجر الأمريكي، امتاز بسعة في خياله وعمق في تفكيره، قلبت رسومه في المعرض الدولي الرسمي بفرنسا، من مؤلفاته " دمة وابتسامه" و" عرائس المروج"، كان يجيد الأنكليزية ككتابتها وله فيها كتب منها " النبي"... ترجمت إلى العربية ونشرت بها، توفي سنة 1931م في نيويورك ثم نقل وفاته إلى مسقط رأسه " بشري". ينظر: الأعلام، 111/2.

الجامدين عليها...¹

هنا الشيخ يعرض لنا هذه الدعاوي المغرضة استهدفت لغة القرآن الكريم، يشرحها ويبين أهدافها، وينقل لنا أقوال بعض الغيورين على لغتهم وموقفهم من هؤلاء، أما بالنسبة لمنهج الدفاع فلم تتضح معالمه هنا، فالشيخ يظهر وكأنه بصدد التعريف هؤلاء الفئة وأهم أفكارها السامة والتحذير منها، كما أنه قد نقل لنا أقوال بعض العلماء الغيورين الذين ردوا عليهم.

¹ - بلاغتنا المفترى عليها، ص 159-163.

خاتمة الفصل:

بعد أن أتممت الحديث عن مختلف الشبهات التي طرحها الشيخ فضل رحمه الله حول الفرق الإسلامية عموماً، يمكن أن أصل إلى مجموعة من النتائج أبرزها:

➤ الشيخ فضل رحمه الله ركز على الشبه التي صدرت من المتأخرين، -رغم أن هناك العديد من الشبهات التي طرحها أصحاب الفرق الإسلامية على اختلاف طوائفهم وأزمانهم - ولعل ذلك يرجع إلى حداثة طرح هذه الشبه في الساحة العلمية، والشيخ من الغيورين والمدافعين عن دينه وقرآنه؛ لهذا ركز عليها كثيراً كي لا يتبناها أعداء الإسلام، ويضعوها أسساً لشبههم المستقبلية، وهذا يحسب للشيخ فصنيعه فريد ومميز جزاه الله كل خير.

➤ الشيخ فضل رحمه الله أثناء عرضه لشبههم يحرص كل الحرص على إحسان النية تجاههم، والبحث لهم عن أعذار وأسباب جعلتهم يتبنون هذه الأفكار والمغالطات، وهذا يدل على حسن خلق الشيخ ورحابة صدره لكل من تجمعه فيه رابطة الدين والأخوة، وهذا يحتسب للشيخ أيضاً.

➤ الشيخ يناقش الأفكار والمعطيات لا الأشخاص، فقد كان بالإمكان أن يتجاوز عن أخطائهم، فمسلك الشيخ أن ينبه المخطئ كما فعل مع السامرائي حيث نبهه عن خطئه بعد نهاية المحاضرة وقال له: "ما كنت أظن أن أسمع منك مثل هذا يا أستاذ ونحن نجلك ونحترمك"¹.

➤ أغلب المناهج التي استخدمت هنا هي المنهج النقلي والمنهج العقلي المنطقي، فالشيخ يحاور علماء مسلمين من المفترض أن يقفوا أمام الاستدلال بالآية القرآنية، أو الحديث النبوي الشريف، أو الإجماع وما يتبع هذا المنهج من شرح وبيان، كما يقنع أيضاً القارئ المسلم المتدين، كما استعان أيضاً بالمنهج العقلي المنطقي، وهذا المنهج يقف أمامه المسلم وغير المسلم لما فيه من أدلة عقلية منطقية مقنعة تحرس الأفواه.

➤ الشيخ في أثناء طرحه للشبهات والرد عليها، ينحاز إلى رأي يؤمن به ويدافع عنه ولو خالف رأي الجمهور، ولا شك أن هذا يضعف وجه الرد على تلك الشبهات، ومثال ذلك: موضوع تحريف القرآن عند الشيعة، فالشيخ قد دافع على الرأي الذي يقول إن الشيعة تقول بسلامة القرآن من

¹ - ينظر: القراءات القرآنية، ص 265.

الزيادة والنقصان، باستثناء جماعة قليلة منهم كالحشوية، وبعض المتأخرين كصاحب كتاب "فصل الخطاب..."، لكن الذي أجمعت عليه الأمة أنهم يقولون بتحريف القرآن كما رأينا، وبما أن المسألة فيه اختلاف، فكان على الشيخ إيراد الرأي الذي يقول بتحريف القرآن عند الشيعة، ويترك رأيه وإن كان حرا فيه لمقام آخر، والله أعلم.

الخاتمة

في ختام هذا البحث الذي عني ببيان منهج الشيخ فضل حسن عباس رحمه الله في الدفاع عن القرآن الكريم، توصلت إلى مجموعة من النتائج لعل أهمها:

➤ يعد الشيخ فضل حسن عباس رحمه الله من العلماء الربانيين، والموسوعيين في العصر الحديث، نظرا لكثرة المؤلفات في التفسير وعلوم القرآن، والفقه والعربية والرقائق، بل له عدت مقالات ومنشورات، وخصص إذاعية ومقابلات، كلها تصب في نشر الإسلام الصحيح، وتلقيه لطلاب العلم والعوام.

➤ إن موضوع الدفاع عن القرآن الكريم من المواضيع العلمية الحيوية التي يجب أن يهتم بها العلماء المعاصرون، وتتكاثر الجهود حوله من أجل تعييده والتنظير له، وفصله عن باقي علوم القرآن، من أجل صد الهجمات التي يتعرض لها الإسلام والقرآن من الداخل والخارج في كل حين.

➤ تنوعت مصادر الشبهات والافتراءات التي أوردها الشيخ في كتبه ومؤلفاته، فأورد لنا شبهات للمستشرقين وشبهات صادرت ممن ينتسبون للإسلام، وقد كان أسلوبه في عرضها وإن تنوعت مصادرها؛ مميذا مقارنة بغيره، فهو يعمد إلى الشبهة فيصورها أولا، ثم يأتي للرد عليها فيبين مصدر الشبهة إن وجد، ثم يرد عليها بأمانة وموضوعية علمية.

➤ أهم المناهج الدفاعية التي استعان بها الشيخ فضل رحمه الله في الدفاع عن القرآن الكريم وعلومه؛ المنهج النقلي الذي يمثله القرآن الكريم والسنة النبوية، وأقوال الصحابة والإجماع واللغة العربية، إضافة إلى المنهج العقلي المنطقي، وهذا يرتكز على القواعد المنطقية والحجج العقلية في الرد، ضف إلى ذلك المنهج التاريخي الذي يقوم على إبراز الأحداث التاريخية التي وقعت في الماضي، والتي تفند شبهات الخصوم وتدحضها، كما أنه استخدم منهج الرد بأقوال المنصفين من المستشرقين، وهذا من أقوى ما يُرد به على المستشرقين وغيرهم، فهي شهادة من علمائهم المنصفين، فلا سبيل لإنكارهم، ومع ذلك فالشيخ يختار منها ما يراه صائبا للرد، وقد يستعين بأكثر من منهج للرد، ومسلكتها هذا تحدده نوع الشبهة وخطورتها.

➤ كان رد الشيخ على هذه الشبه كافيًا وافيًا في أغلب ردوده، لكن لم تكن له خصلة أو ميزة انفرد بها في مجال الدفاع عن القرآن الكريم، فهو يتبع نفس مناهج الدفاع التي استعملها المتقدمون، ولم ينفرد بأمر جديد يتحكم به في الأفكار الخطيرة والشبهات التي تغزوا الساحة الفكرية، اللهم ما كان من

الاحتجاج بكلام المنصفين منهم، فقد أجاد وأفاد في مواطن كما مرَّ معنا، وكم تمنيت أن يسلك ما وصل إليه العلم من حقائق في رد بعض الشبهات التي لا مناص من ردها إلا بما أثبت العلم الحديث بطلانها.

➤ أهم ما تميز به الشيخ عن أقرانه المعاصرين في رده على الشبهات سطوع لغته وقوة بيانه في الغالب الأعم، لكن الحقيقة أن هذا لا يكف مع الحدائين، فهم أصحاب فكر هلامي ظاهره الرحمة وباطنه فيه العذاب.

وبطيب لي أن أقترح مجموعة من التوصيات أهمها:

➤ عقد ملتقيات وندوات وأيام دراسية حول علم الدفاع عن القرآن الكريم من حيث، تعريفه، مصادره، مسالك العلماء فيه...، وإنشاء فرق بحث تخدم ذلك للمساهمة بنهوض هذا العلم المعاصر في وجه أعداء الإسلام داخليا وخارجيا.

➤ تأليف كتب جماعية مشتركة بين المتخصصين في مجالات الدفاع عن القرآن الكريم ونشره على الجميع، خاصة المغتربين فهي بمثابة عاصم لهم من هذه الشبه.

➤ إقامة معارضة بين الرؤية الغربية الاستشراقية والحدائية من جهة، وبين الرؤية الإسلامية من حيث النظريات والمناهج والمدارس...، بالإضافة إلى جعل العلوم الإنسانية عموما (الفلسفة، علم الاجتماع الأدب بأنواعه) تفتح وتهتم بدراسة القرآن الكريم تحت مقياس الفكر الإسلامي والغربي تأصيلا وتصحيحا ودفاعا، ووجه ذلك أن حاضنة الحدائين هي التخصصات الأدبية نتيجة غياب الفكر الإسلامي عن هذه التخصصات البالغة الأهمية، فقد تُركت لهم يفرخون فيها صياصياهم ويطعمونهم من قشور المستشرقين، ويكبرون في جامعاتنا العريقة للأسف الشديد.

وختاما فهذا جهد بشري معرض للنقص والخطأ، فما كان منه صائب فمن توفيق الله ومِنه، وما كان من خطأ فمن تقصيري ومن الشيطان، وصلى الله على خير خلق الله محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

الفہارس:

فهرس الآيات القرآنية:

الصفحة	السورة	الآية
105	الفاتحة: 05	﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾
260	البقرة: 62	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيْنَ مَنْ ءَمَنَ بِٱللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا
264	البقرة: 02	﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾
271	البقرة: 35	﴿وَقُلْنَا ءَادَمُ ٱسْكُنْ ءَٰنْتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ ٱلسَّجْرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾
261	البقرة: 177	﴿وَالصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْءَبَٰسَآءِ وَٱلضَّرَآءِ﴾
272	البقرة: 259	﴿وَإِذْ قَالِ ٱبْرَٰهِيْمُ رَبِّ ٱرْنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ قَالِ أَوَلَمْ تُؤْمِنِ ۗ قَالِ بَلَىٰ ۗ وَ لَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي﴾
278	آل عمران: 07	﴿فَٱمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ رِيزٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَٰوِيلَةٍ﴾
76	آل عمران: 80	﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ ٱلنَّبِيِّينَ لَمَآ ءَاتَيْنَكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾
217، 204	آل عمران: 104	﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ ۗ وَأُوْلَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾
217	آل عمران: 106	﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۗ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ ٱيمَنِكُمْ﴾
272، 266	النساء: 01	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾
204	النساء: 09	﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ وَّ ٱوَامْرَأَةٌ﴾
62	النساء: 81	﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۗ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إِخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾

174	المائدة: 43	﴿ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ۗ ﴾
259	المائدة: 69	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِّينَ وَالنَّصِرِي مَنِ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً ۗ ﴾
278	المائدة: 101	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ۗ ﴾
264	الأنعام: 25	﴿ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ ۗ ﴾
273	الأنعام: 76	﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ۗ ﴾
76	الرعد: 32	﴿ بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً أَفَلَمْ يَأْتِ سِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَن لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً ۗ ﴾
173	الحجر: 01	﴿ أَلَمْ يَأْتِ تِلْكَ ءَايَاتِ الْكِتَابِ وَقُرْءَانَ مُبِينٍ ۗ ﴾
176	الحجر: 01	﴿ أَلَمْ يَأْتِ تِلْكَ ءَايَاتِ الْكِتَابِ وَقُرْءَانَ مُبِينٍ ۗ ﴾
258 ، 187	الحجر: 09	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۗ ﴾
270	الحجر: 26	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صُلْبٍ مِّن حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۗ ﴾
280	النحل: 44	﴿ بِالنَّبِيَّاتِ وَالزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ۗ ﴾
59	النحل: 89	﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِيناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرًا لِلْمُسْلِمِينَ ۗ ﴾
264	الإسراء: 105	﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلٌ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً ۗ ﴾
298	الفرقان: 32	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمُلاً وَحِدَةً كَذَٰلِكَ لَتُنْتَبِتَ بِهِ فُؤَادُكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ۗ ﴾

152	الكهف: 70	﴿ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۖ ﴾
181	الأنبياء: 18	﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۖ ﴾
273	الأنبياء: 51	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ۖ ﴾
260	الأنبياء: 88	﴿ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۖ ﴾
118	الحج: 52	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ۖ ﴾
270	المؤمنون: 12	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۖ ﴾
81 127	المؤمنون: 92	﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ إِلَهٍ ۖ ﴾
84	النور: 61	﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ۖ ﴾
134	الشعراء: 108-106	﴿ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۖ ١٠٦ إِنَّكُمْ رُسُلٌ آمِينَ ۖ ﴾
240، 237	الشعراء: 195-192	﴿ وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۖ ﴾
173	النمل: 01	﴿ طَسَّٰ تِلْكَ ءَايَاتُ الْفُرْعَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۖ ﴾
265	السجدة: 07	﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ۖ ﴾
84	الأحزاب: 53	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُودْنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ ۖ ﴾
173	الزمر: 28	﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۖ ﴾
268	فصلت: 02	﴿ كَتَبَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ ۖ ﴾

فهرس الأحاديث والآثار المخرجة:

الصفحة	الحديث
241	أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد
68	اشتك النبي ﷺ يوم الخميس فجعل، يعني ابن عباس ييكي ويقول: يوم الخميس...
246	إن الله قد بعث محمدا ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما نزل عليه آية الرجم، قرأناها ووعيناها وعقلناها، (...)
225	إن لكل أمة مجوسا وإن مجوس أمتي الذين يقولون: لا قدر، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم)
276	إنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا...
240	إني قد سمعت القراء فوجدتهم متقاربين، فاقروا كما علمتم وإياكم والتنطع، فإنما هو كقول أحدكم: هلم وتعال).
225	أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن كان أنصاريًا فأسلم، ثم تنصر، فأخذ عنه معبد...
246	أي القراءتين تقرؤون، قلنا قراءة عبد الله، قال: إن رسول الله ﷺ كان يعرض القرآن في كل عام مرة...
152	أبما شاب تزوج في حداثة سنه عجب شيطانه: يا ويلة يا ويلة عصم مني دينه...
279	ثلاثة ليس لها أصل: المغازي والملاحم والتفسير مازال واح من الأول...
255	سمعت هشام بن حكيم بن حزم يقرأ سورة الفرقان...
226	صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب: القدرية والمرجئة)
240	القرآن كله صواب، ما لم تجعل المغفرة عذابا...
246	كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرم من ثم نسحن بخمس معلومات،

	فتوفي رسول الله ﷺ ...)
76	لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم...)
246	لعن الله الواشحات والمستوشحات، النامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله).
221	لن يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يؤمن بالله وأن الله بعثني بالحق، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر خيره وشره)
152	لولا حداثة قومك بالكفر لنقضت البيت، ثم لبنيته على أساس إبراهيم عليه السلام...)
217	ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل...)
219	من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية...)
221	من وعده الله على عمل ثواب فهو منجز له، ومن وعده على عمل عقابا فهو فيه بالخيار).
238	وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظان).
183	يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا...)
184	يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان ولا تقولوا له إلا خيرا [أو قولوا له خيرا] في المصاحف وإحراق المصاحف ...)

قائمة الأعلام:

الصفحة	العلم
260	إبراهيم السامرائي
190	أبو القاسم الخوئي
279	أحمد أمين
264	أمين الخولي
	أوتولوث
237	برهان الدين الزركشي
65	بلاشير
288	جبران خليل جبران
61	جرّيم
178	جلال الدين السيوطي
62	جولد تسيهر
188	حسن حنفي
64	دوزي
284	رجاء النقاش
212	رشيد رضا
254	طه حسين
177	طيب التيزيني
245	عبد السلام مقبل المجيدي
288	عبد العزيز باشا فهمي

194	عبد المجيد شرفي
241	عبد المنعم نمر
252	عبد الهادي بن الشيخ ميرزا
177	العشماوي
254	علي عبد الواحد وافي
66	فنسنك
155	محمد أركون
262	محمد خلف الله
2273	محمد رشاد خليفة
167	محمد شحرور
211	محمد عبده
187	محمد يحيى
202	منى فياض
169	نصر حامد أبو زيد
52	نولد كه
866	وليم ولكوكس

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش.

الكتب المطبوعة:

1. الإبانة الكبرى، ابن بطة العكبري، تحقيق: عثمان الأثيوبي، دار الراجة للنشر والتوزيع، ط1، 1415هـ.
2. أبعدياء البحث في العلوم الشرعية محاولة في التأصيل المنهجي، فريد الأنصاري، منشورات الفرقان، ط1، 1417هـ/ 1997م.
3. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد الرومي، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ط1، 1407هـ/ 1986م.
4. إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراف الساعة، حمود بن عبد الله التويجري، دار الصمعي للنشر والتوزيع، ط2، 1414هـ.
5. إتحان البرهان في علوم القرآن، فضل حسن عباس، دار النفائس، ط2، 1437هـ/ 2015م.
6. الإتحان في علوم القرآن، السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1394هـ/ 1974م.
7. آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره " دراسة ونقد"، عمر بن إبراهيم رضوان، دار طيبة.
8. أسباب الخطأ في التفسير دراسة تأصيلية، طاهر محمود محمد يعقوب، دار ابن الجوزي، ط1، 1425هـ.
9. الإستشراق بين الحقيقة والتضليل مدخل علمي لدراسة الإستشراق، إسماعيل علي محمد، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط3، 1421هـ/ 2000م.
10. الإستشراق بين الموضوعية والإنفعالية، قاسم السامرائي، منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، ط1، 1403هـ/ 1983م.
11. الإستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، أحمد عبد الرحيم السايح، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1417هـ/ 1996م.
12. الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود حمدي زقزوق، دار المعارف.
13. الإستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، ط2، 1399هـ/ 1979م.
14. الإسرائيلييات في التفسير والحديث، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، ط4، 1411هـ/ 1990م.

15. الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر، عبد الرحيم بن محمد المغدوي، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط2، 1431هـ/2010م.
16. الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، نقله إلى العربية: عمر فروخ، دار العلم للملايين- بيروت، ط3، 1951م.
17. الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، محمد عبده، دار الحداثة، ط3، 1988م.
18. الإسلام، أوروبا، الغرب رهانات المعنى واردة المهيمنة، محمد أركون، ترجمة وإسهام: هاشم صالح، ط2، دار الساقى، 2001م.
19. إشكاليات الفكر العربي المعاصر، محمد عابد الجابري، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، 1990م.
20. إشكاليات القراءة وآليات التأويل، نصر حامد أبو زيد، ط1، المركز الثقافي العربي- مؤمنون بلا حدود، 2014م.
21. أصول البحث العلمي ومناهجه، أحمد بدر، المكتبة الأكاديمية.
22. أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، ط2، 1406هـ- 1986م.
23. أصول الدعوة ومناهجها دراسة تأصيلية تحليلية، رمضان محمد مطايرد وآخرون، 2019م.
24. أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية- عرض ونقد-، ناصر بن عبد الله بن علي القافري، ط1، 1414هـ.
25. الإعتصام، الشاطبي، ت: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان- السعودية، ط1، 1412هـ/ 1992م.
26. إعجاز
- ز القرآن الكريم، فضل حسن عباس- سناء فضل حسن عباس.
27. إعجاز القرآن، الكريم، فضل حسن عباس، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط2، 2007م.
28. إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1411هـ/ 1991م.
29. الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.
30. إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مالك بن نبي، دار الإرشاد، ط1، 1388هـ/ 1969م.

31. الإنتصار للقرآن، أبو بكر الباقلائي، تحقيق: محمد عصام القضاة، دار الفتح- عمان، دار ابن حزم- بيروت، ط1، 1422هـ/ 2001م.
32. الإنتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، سليمان بن عبد القوي الطوفي، تحقيق: أحمد حجازي أحمد السقا، مكتبة الناظدة- القاهرة.
33. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط1، 1418هـ.
34. أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟، محمد أركون، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، ط2، دار الساقى بيروت لبنان، 1995م.
35. بلاغتنا المفتى عليها بين الأصالة والتبعية، فضل حسن عباس، دار الفرقان، ط2، 1420هـ/ 1999م.
36. تاج العروس، الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
37. تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية والعليا، أحمد حسين الزيات، دار النهضة مصر.
38. تاريخ الدعوة إلى الإسلام، وحيد الدين خان، ط1، 1413هـ/ 1992م، القاهرة.
39. تاريخ الفلسفة في الإسلام، دي بور، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد عبد الهادي أبو رويده، دار النهضة العربية بيروت.
40. تاريخ القرآن، تيودور نولدكه، تعديل: فريدريش شفالي، نقله إلى العربية جورج تامر، دار نشر جولد ألز هيلدسهام- زوريخ- نيويورد، ط1، بيروت 2004 م.
41. تاريخ القرآن، عبد الصبور شاهين، نهضة مصر، ط3، 2007م.
42. التأويل الحدائي للتراث التقنيات والاستمدادات، إبراهيم بن عمر السكران، دار الحضارة، ط1، 1435هـ/ 2014م.
43. تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ت: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.
44. التحرير الأدبي، حسين علي محمد حسين، مكتبة العبيكان، ط5، 1425هـ/ 2004م.
45. التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر- تونس، 1984م.
46. التحريف المعاصر في الدين تسلل في الأنفاق بعد السقوط في الأعماق، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم دمشق، ط1، 1418هـ/ 1997م.

47. التراث والحداثة دراسات ومناقشات، محمد عابد الجابري، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، 1991م.
48. التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ/ 2003م.
49. التعريفات، الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1، 1403هـ/1983م.
50. التفسير أساسياته واتجاهاته، فضل حسن عباس، مكتبة دنديس، ط1، 1426هـ/2005م.
51. التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، دار إحياء الكتب العربية، 1383م.
52. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ/1999م.
53. تفسير القرآن المجيد، فضل حسن عباس، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ط1، 1438هـ/ 2017م.
54. التفسير المنهجي، فضل حسن عباس، دار المنهل، ط1، 2006م.
55. التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، فضل حسن عباس، دار النفائس، ط1، 1437هـ/ 2016م.
56. التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة القاهرة.
57. تقويم نظرية الحداثة وموقف الأدب الإسلامي منها، عدنان علي رضا النحوي، ط2، دار النحوي للنشر والتوزيع، 1414هـ/1994م.
58. الثابت والمتحول بحث في الإبداع والاتباع عند العرب، أدونيس، ط7، دار الساقي، 1994م.
59. الثابت والمتحول بحث في الاتباع والابتداع عند العرب - صدمة الحداثة، ط1، دار العودة، بيروت، 1978م.
60. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار حجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1422هـ/ 2001م.
61. جامع بيان العلم وفضله، ابن عبر البر، ت: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية، ط1، 1414هـ/ 1994م.
62. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف -

- الرياض.
63. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم بن محمد ابن تيمية، تحقيق علي بن الحسن وآخرون، دار العاصمة السعودية، ط2، 1419هـ/1999م.
64. الحداثة الفكرية في التأليف الفلسفي العربي المعاصر (محمد أركون- محمد الجابري- هشام جعيط)، عبد الرحمن اليعقوبي، ط1، مركز نهاء للبحوث والدراسات، 2014م.
65. الحداثة في منظور إيماني، رضا محمود فرحان، ط3، دار النحوي للنشر والتوزيع، 1410هـ/1989م.
66. الحداثة في ميزان الإسلام نظرات إسلامية في أدب الحداثة، عوض بن محمد القرني، ط1، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1408هـ/1988م.
67. الحداثة وموقفها من السنة النبوية، الحارث فخري عيسى عبد الله، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، 1434هـ/2013م.
68. دائرة المعارف الإسلامية الإستشراقية، أضاليل وأباطيل، إبراهيم عوض، مكتبة البلد الأمين، ط1، 1419هـ/1998م.
69. دراسات إسلامية وعربية مهداة إلى العلامة الدكتور فضل حسن عباس بمناسبة بلوغه السبعين، د جمال أبو حسان، دار الرازي.
70. دراسات في علم الانتصار للقرآن الكريم، محمد بن زين العابدين رستم، دار الخزانة الأزهرية، ط1، 1440هـ/2019م.
71. دعاوي الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع الهجري والرد عليها، عبد المحسن بن زين بن متعب المطيري، دار البشائر الإسلامية بيروت- لبنان، ط1، 1427هـ/2006م.
72. دفاع عن القرآن ضد منتقديه، عبد الرحمن بدوي، ترجمة: كمال جاد الله، الدار العالمية للكتب والنشر.
73. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود محمد شاكر، مكتبة الأسرة، 1997م.
74. روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة العربية الإسلامية، طه عبد الرحمن، ط1، المركز الثقافي العربي، 2006م.
75. سقوط الغلو العلماني، محمد عمارة، دار الشروق، ط2، 1422هـ/2002م.
76. سلسلة تراجم علماء الأردن 2، الدكتور فضل حسن عباس، د جمال محمود أبو حسان، الجامعة

الإسلامية العالمية.

77. السنة، أحمد بن عمر بن الضحاك الشيباني، المكتب الإسلامي، ط1، 1400هـ/1980م.
78. سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، 1414هـ/1994م.
79. سنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، 1998م.
80. سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، ت: عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1411هـ/1991م.
81. السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية دراسة تحليلية لما كتب تحت مادة: محمد: النبي ورسالته، وليد بلهيش العمري، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
82. الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم في دائرتي المعارف الإسلامية والبريطانية، محمد السعيد جمال الدين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
83. شبهات النصارى وحجج الإسلام، محمد رشيد رضا، دار المنار، ط2، 1367هـ.
84. الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي، هشام جعيط، ط3، دار الطليعة بيروت، 2008م.
85. شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، ت: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي دمشق - بيروت، ط2، 1403هـ/1983م.
86. شرح العقيدة الطحاوية، عبد الرحمن بن ناصر بن براك، دار التدمرية، ط2، 1429هـ/2008م.
87. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن قيم الجوزية، دار المعرفة بيروت - لبنان، 1398هـ/1978م.
88. الشيعة الإثني عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن الكريم، محمد إبراهيم العسال، ط1، 1427هـ.
89. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين - بيروت، 1407هـ/1987م.
90. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، 1422هـ.
91. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.

92. الصراع من أجل الإيمان، جفري لانغ، ترجمة: منذر العبسي، دار الفكر دمشق سورية، ط2، 1421هـ/2000.
93. الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعتلة، ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، ط1، 1408هـ.
94. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد أبو عبد الله البصري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر-بيروت، ط1، 1968م.
95. العقل والنقل عند ابن رشد، أبو محمد أمان بن علي جامي علي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط11، 1398هـ/1978م.
96. العقيدة والشريعة في الإسلام تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الديانة الإسلامية، اجناس جولد تسيهر، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد يوسف موسى وآخرون، دار الكاتب المصري، ط1، 1946م.
97. العلامة الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس كيف عرفته، د جمال محمود أبو حسان.
98. علم التفسير في كتابات المستشرقين، عبد الرزاق بن اسماعيل هرماس، كلية الآداب جامعة القاضي عياض، المغرب.
99. العلمانيون والقرآن الكريم تاريخية النص، أحمد إدريس الطحان، ط1، مكتبة ودار ابن حزم للنشر والتوزيع، 1428هـ/2007م.
100. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1401هـ/1981م.
101. الغارة على التراث الإسلامي، جمال سلطان، ط1، مكتبة السنة، 1410هـ/1990م.
102. فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة-بيروت، 1379هـ.
103. فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت-لبنان.
104. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، دار الآفاق الجديدة-بيروت، ط2، 1977م.
105. فصول من كتاب الانتصار لأصحاب أهل الحديث، أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني، مكتبة أضواء المنار- المدينة المنورة، ط1، 1996م.
106. الفكر الإسلامي قراءة علمية، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، ط2، مركز الانماء القومي-المركز

- الثقافي العربي، 1996م.
107. الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر، 1993م.
108. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق بيروت-القاهرة، ط17، 1412هـ.
109. قالوا عن الإسلام، عماد الدين خليل، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ط1، 1412هـ/1992م.
110. القراءات القرآنية وما يتعلق بها، د فضل حسن عباس، دار النفائس، ط1، 1428هـ/2008م.
111. القرآن الكريم في دراسات المستشرقين دراسة في تاريخ القرآن: نزوله وتدوينه وجمعه، مشتاق الغزالي، دار النفائس، ط1، 1429هـ/2008م.
112. القرآن الكريم من المنظور الإستشراقي-دراسة تحليلية نقدية-، محمد أبو ليلة، دار النشر للجامعات، ط1، 1423هـ/2002م.
113. القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، محمد أركون، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، ط2، دار الطليعة للطباعة والنشر، 2005م.
114. قصص القرآن الكريم صدق حدث إرهاف حس وسمو هدف وتهذيب نفس، فضل حسن عباس، دار النفائس، ط3، 1430هـ/2010م.
115. القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته، فضل حسن عباس، دار الفرقان، ط1، 1407هـ/1987م.
116. قضايا في نقد العقل الديني كيف نفهم الاسلام اليوم؟، محمد أركون، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، ط2، دار الطليعة بيروت، 2000م.
117. قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية نقد مطاعن ورد شبهات، فضل حسن عباس، دار الفتح عمان-الأردن، ط1، 1421هـ/2000م.
118. قمة الأعلام، محمد خير رمضان يوسف، - فريز/ محمد روميث، دار الوفاق للدراسات والنشر.
119. لآلئ مضيئة من حياة العلامة أ.د فضل حسن عباس رحمه الله، د محمد بن يوسف الجوراني العسقلاني، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ط1، 1434هـ/2013م.
120. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر- بيروت، ط3، 1414هـ.
121. لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن، فضل حسن عباس، دار النور للطباعة والنشر

- والتوزيع، ط1، 1410هـ/ 1989م.
122. لمسات بيانية في نصوص التنزيل، فاضل السامرائي، دار عمان للنشر والتوزيع، ط3، 1423هـ/ 2003م.
123. الماركسلامية والقرآن، محمد صياح المعراوي، ط1، المكتب الإسلامي، 1421هـ/ 2000م.
124. محمد في التوراة والانجيل والقرآن، إبراهيم خليل أحمد، دار المنار، 1409هـ/ 1989م.
125. المحيط في اللغة، ابن عباد بن عباس الطالقاني، عالم الكتب بيروت- لبنان، ط1، 1414هـ/ 1994م.
126. مدارات الحداثة، محمد سيلا، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2009م.
127. المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوي، مؤسسة الرسالة، ط3، 1415هـ/ 1995م.
128. المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد أبو شهبه، دار اللواء، ط3، 1407هـ/ 1987م.
129. المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، شكري محمد عياد، سلسلة عالم المعرفة، سبتمبر 1993م.
130. مذاهب التفسير الإسلامي، إجنسس جولدتسيهر، ترجمة: عبد الحلیم النجار، مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثني ببغداد، 1374هـ/ 1955م.
131. المستشرقون والقرآن الكريم، محمد أمين حسن محمد بني عامر، دار الأمل للنشر والتوزيع الأردن، ط1، 2004م.
132. المستشرقون والقرآن، عمر لطفي العالم، مركز دراسات العالم الاسلامي، ط1، 1991م.
133. المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي، طارق سري، مطبعة النافذة، ط1، 2006م.
134. المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف، ط5، 2006م.
135. مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثني الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، ط1، دار المأمون للتراث-دمشق، 1404هـ/ 1984م.
136. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، - عادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ/ 2001م.

137. المصاحف، أبو بكر بن أبي داود، ت: محمد بن عبده، الفاروق الحديثة، ط1، 1423هـ/2002م.
138. مع الجاحظ في رسالة الرد على النصارى، إبراهيم عوض، مكتبة زهراء الشرق - القاهرة.
139. معجم المفسرين من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، ط3، 1409هـ/1988م.
140. معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة، مكتبة المثني - بيروت/ دار إحياء التراث العربي بيروت.
141. معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1408هـ/1988م.
142. معجم مقالات العلوم في الحدود والرسوم، جلال الدين السيوطي، ت: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب - القاهرة، 1424هـ/2004م.
143. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ/1979م.
144. مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ.
145. مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995م.
146. مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط3.
147. مقدمات العلوم والمناهج محاولة لبناء منهج علمي متكامل، أنور الجندي، دار الأنصار.
148. مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع، ناصر عبد الكريم العقل، دار الوطن الرياض.
149. الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - بيروت.
150. من النص إلى الفعل أبحاث التأويل، بول ريكور، ترجمة: محمد برادة - حسان بورقية، ط1، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، 2001م.
151. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط3.
152. المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط2، 1392هـ.
153. الموالات والمعاداة في الشريعة الإسلامية، محماس بن عبد الله بن محمد الجلعود، دار اليقين للنشر والتوزيع، ط1، 1407هـ/1987م.

154. موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، عبد المنعم الحنفي، دار الرشد، ط1، 1413هـ/1993م.

155. موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين بيروت، ط3، 1993م.

156. موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، مصطفى صبري، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1401هـ/1981م.

157. نحن والتراث قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، محمد عابد الجابري، ط6، المركز الثقافي العربي، 1993م.

158.

لنص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، طيب تيزيني، دار الينايع، 1997م.

159. النص القرآني من تماهت القراءة إلى أفق التدبر - مدخل إلى نقد القراءات وتأصيل التدبر القرآني، قطب الريسوني، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية، 1431هـ/2010م.

160. نقد الحدائث، ألان تورين، ترجمة: أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، 1997م.

161. نقد النص علي حرب، ط4، المركز الثقافي العربي، 2005م.

162. نقض دعوى عالمية النصرانية، فرج الله عبد الباري، دار الآفاق العربية، ط1، 2004م.

163. الوحي القرآني من المنظور الاستشراقي ونقده، محمد ماضي، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ط1، 1416هـ/1996م.

الرسائل الجامعية:

1. البلاغة القرآنية عند العلامة الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس وأثرها في الاعجاز والتفسير دراسة تحليل ونقد، عبد الله حماد عبد الله العوايصة، رسالة دكتوراه في التفسير، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، كلية الدراسات العليا، قسم أصول الدين، 2014م.

2. فضل حسن عباس وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، محمد بن يوسف بن اسماعيل الهبيل الجوراني، رسالة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، كلية الدراسات العليا، قسم أصول الدين، 2011م/2012م.

3. الفهم الإستشراقي لتفسير القرآن الكريم، عادل ماجد محمد، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، كلية الفقه، 1428هـ/2007م.

4. منهج الدعوة الإسلامية في الرد على الشبهات دراسة منهجية تأصيلية، شميم أحمد بن عبد الحكيم، إشراف: بدر بن ناصر البدر، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية السعودية، كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب الرياض، 1429هـ/ 2008م

المجلات العلمية:

1. الإستشراق بين الإنصاف والتحامل، إياد إبراهيم الباوي، مجلة الفتح، العدد31، 2007م.
2. الإسلام والحداثة وما بعد الحداثة، زكي ميلاد، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، العدد21، 1431هـ/ 2010م، م7.
3. إشكالية القراءات الحداثية للنص الديني دراسة نقدية، إبراهيم طلبة حسين، مجلة المعيار عدد خاص بالملتقى الدولي: فهم القرآن بين النص والواقع، العدد33، 1435هـ/ 2013م.
4. الإنتصار للقرآن الكريم (دراسة تأصيلية)، سهاد أحمد قنبر، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد41، ملحق2، 2014م.
5. الحداثة، السلطة، النص، كمال أبو ديب، مجلة فصول الحداثة العربية والأدب، المجلد4، العدد3، 1984هـ.
6. علم الانتصار للقرآن الكريم وموقعه من بين مباحث علوم القرآن الكريم، عبد الرحيم خير الله عمر الشريف، مجلة تبيان للدراسات القرآنية، العدد13، 1434هـ.
7. قضايا قرآنية دعوية في الموسوعة البريطانية نقد مطاعن ورد شبهات، حمزة حسن سليمان، مجلة كلية الدعوة والإعلام، العدد3، 2016م.
8. اللغة العربية ومواكبة العصر: الكونية والبقاء وضرورة تعزيز المحتوى الرقمي -أضواء وملاحظات-، محمد سيف الإسلام بوفلاقة، مجلة روافد، العدد2، 2019م، م3.
9. مجلة مواقف، أدونيس، دار الساقين لبنان.
10. مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة، علي وطفة، مجلة الفكر ونقد، عدد43.
11. نقض منهجية القراءة المعاصرة للنص القرآني عند المهندس محمد شحور، عباس شريفة، مجلة مقاربات أبحاث ومقالات في الشريعة والفكر والحضارة، المجلس الإسلامي السوري، العدد4، 1440هـ/ 2018م.
12. النهضة العربية وأسئلة التأسيس بين المرجعية السلفية والليبرالية قراءة في النموذجين المشرقي

والمغربي، إدريس جنداري، مجلة لباب للدراسات الإستراتيجية والإعلامية، العدد 2-مايو 2019م.

المواقع الإلكترونية:

1. الإنتصار للقرآن الكريم، إسهام في التقعيد، أحمد بوعود، المؤتمر الدولي الأول لتطوير الدراسات القرآنية،
www.tafsir.net
2. الحداثة... (لغة واصطلاحا ونشأة وضمين)، دهان حسن، www.zamanalwsl.net
3. حوار منير الباحثين مع الدكتور سناء، العالم الرباني وعلامة التفسير الشيخ فضل حسن عباس، مع
ماجدة العولقي.
4. فهم الدين، mail.fahmaldin.net
5. القراءات الحداثية للسنة النبوية "عرض ونقد"، محمد بن عبد الفتاح الخطيب، موقع الدرر السنية، <https://dorar.net>
6. مشهور ضامن، مجلة المجتمع، 11-11-2006، موقع ويكيبيديا الاخوان المسلمين.
7. ويكيبيديا [.https://ar.m.wikipedia.org](https://ar.m.wikipedia.org)

فهرس المحتويات:

الصفحة	المحتويات.
أ	المقدمة.
المدخل التمهيدي: التعريف بحدود البحث.	
3	المبحث الأول: ترجمة فضل حسن عباس رحمه الله وأهم مؤلفاته.
3	المطلب الأول: ترجمة فضل حسن عباس رحمه الله.
3	الفرع الأول: اسمه ونسبه ومولده وأهله.
4	الفرع الثاني: نشأته.
7	الفرع الثالث: شيوخه وتلاميذه ومؤلفاته.
7	أولاً: شيوخه.
9	ثانياً: تلاميذه.
10	ثالثاً: مؤلفاته.
12	الفرع الرابع: ثناء العلماء عليه ووفاته.
12	أولاً: ثناء العلماء عليه.
13	ثانياً: وفاته.
13	المطلب الثاني: مؤلفات الشيخ فضل حسن عباس.
13	الفرع الأول: كتبه في مجال علوم القرآن
13	أولاً: كتاب "إتقان البرهان في علوم القرآن".
15	ثانياً: كتاب "قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية نقد مطاعن ورد شبهات".
16	ثالثاً: كتابي "قصص القرآن الكريم إبحاؤه ونفحاته"، و"قصص القرآن الكريم صدق حدث وسمو هدف، وإرهاق حس وتهذيب نفس".

17	الفرع الثاني: كتبه في التفسير
17	أولاً: كتاب "تفسير القرآن المجيد".
18	ثانياً: كتاب "التفسير المنهجي للقرآن الكريم".
18	ثالثاً: كتاب "التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث".
20	المبحث الثاني: الدفاع عن القرآن الكريم وأهم مناهجه.
21	المطلب الأول: الدفاع عن القرآن الكريم.
21	الفرع الأول: تعريف علم الدفاع عن القرآن الكريم.
22	الفرع الثاني: التأصيل لعلم الدفاع عن القرآن الكريم.
23	الفرع الثالث: جهود العلماء في الدفاع عن القرآن الكريم.
23	أولاً: جهود القدامى في الدفاع عن القرآن الكريم.
25	ثانياً: جهود المحدثين في الدفاع عن القرآن الكريم.
27	المطلب الثاني: محاضن الشبهات المثارة عن القرآن الكريم وآليات طرحها.
27	الفرع الأول: محاضن الشبهات المثارة حول القرآن الكريم.
27	أولاً: التراث.
28	ثانياً: الفكر الاستشراقي
29	ثالثاً: الفكر الحديث.
29	الفرع الثاني: آليات طرح علم الدفاع عن القرآن الكريم.
30	أولاً: الوصف.
30	ثانياً: التحليل.
31	ثالثاً: النقد.
32	المطلب الثالث: مناهج علم الدفاع عن القرآن الكريم.

32	الفرع الأول: المنهج النقلي.
34	الفرع الثاني: المنهج العقلي المنطقي.
35	الفرع الثالث: المنهج الحسي التجريبي - المنهج العلمي -.
36	الفرع الرابع: المنهج التاريخي.
36	الفرع الخامس: منهج الرد بأقوال المنصفين من المخالفين.
الباب الأول: منهج فضل حسن عباس في الدفاع عن القرآن الكريم من خلال الرد على شبهات غير المسلمين.	
الفصل الأول: منهج فضل حسن عباس في الدفاع عن القرآن الكريم من خلال الرد على شبهات المستشرقين	
41	المبحث الأول: تعريف علم الاستشراق.
42	المطلب الأول: مفهوم الاستشراق.
43	المطلب الثاني: تاريخ الاستشراق.
44	المطلب الثالث: دوافع الاستشراق.
44	الفرع الأول: الدافع الديني أو المذهبي ضد الإسلام والمسلمين.
45	الفرع الثاني: الدافع العلمي.
46	الفرع الثالث: الدافع الاستعماري والسياسي.
47	المطلب الرابع: وسائل المستشرقين لتحقيق أهدافهم.
47	الفرع الأول: حركة التأليف.
47	الفرع الثاني: المؤتمرات والندوات واللقاءات.
48	الفرع الثالث: الكراسي العلمية والمدارس والجامعات.
48	المطلب الخامس: الآثار المترتبة عن الدراسات الاستشراقية

49	الفرع الأول: الآثار الإيجابية.
50	الفرع الثاني: الآثار السلبية.
51	المطلب السادس: مناهج دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين.
51	الفرع الأول: منهج النقد الأعلى والأدنى وأهم قواعد المستشرقين في تطبيق ذلك.
51	الفرع الثاني: القرآن الكريم وتطبيق قواعد النقد الأعلى والأدنى.
53	المطلب السابع: مدى تطبيق المنهج العلمي عند المستشرقين..
53	الفرع الأول: وضع الفكرة ابتداءً وتكوين آراء وافتراضات حولها، ثم البحث عن الأدلة التي تؤيدها.
54	الفرع الثاني: تحكيم الهوى ونزعات العداة للإسلام والمسلمين، والتعصب الأعمى للنصرانية.
55	الفرع الثالث: الكذب وعدم تحري الأمانة في النقل.
55	الفرع الرابع: الاعتماد على منهج الانتقاء في المصادر وفي المرويّات، والاهتمام بالفرق والأقليات.
56	الفرع الخامس: دراسة الإسلام بعقلية أوروبية مسيحية.
57	المبحث الثاني: منهج فضل حسن عباس في الرد على شبهات المستشرقين.
57	المطلب الأول: شبهات المستشرقين حول القرآن الكريم باعتباره كتاباً سماوياً.
59	الشبهة الأولى: اعتبار أن القرآن الكريم قد جاء بدين، ولم يأت بنظريات، وأنه قد جاء بأحكام ولم يأت بعقائد
61	الشبهة الثانية: وقوع التناقض في القرآن الكريم.
63	الشبهة الثالثة: القول بأن القرآن الكريم ذو ذوق رديء للغاية، وأنه لا جديد فيه، مع وجود إطناب ممل.
66	الشبهة الرابعة: القول بأن القرآن الكريم موجه للعرب وحدهم.

68	المطلب الثاني: شبهات حول مباحث علوم القرآن.
68	الشبهة الأولى: أمية النبي ﷺ.
71	الشبهة الثانية: جمع القرآن الكريم.
72	الشبهة الثالثة: القراءات القرآنية. 70
76	المطلب الثالث: شبهات حول تفسير القرآن الكريم.
76	الشبهة الأولى: الإسرائيليات.
81	الشبهة الثانية: التفسيرات المنحرفة - الاتجاه البياني -.
82	الشبهة الثالثة: إعجاز القرآن - الإعجاز التشريعي -
84	الشبهة الرابعة: أسباب اختلاف المفسرين.
85	الشبهة الخامسة: لغة القرآن اللغة العربية.
88	خلاصة الفصل
<p>الفصل الثاني:</p> <p>منهج فضل حسن عباس في الدفاع عن القرآن الكريم من خلال الرد على الشبهات التي طرحت حول مادة (القرآن الكريم) في الموسوعة البريطانية من خلال كتابه - قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية -</p>	
91	المبحث الأول: التعريف بالموسوعة البريطانية وسياستها التحريرية، ومحتويات مادة (القرآن الكريم) الموجودة فيها.
92	المطلب الأول: تعريف الموسوعة البريطانية وسياستها التحريرية.
92	الفرع الأول: تعريف الموسوعة البريطانية
93	الفرع الثاني: السياسة التحريرية للموسوعة البريطانية.
93	أولاً: كيفية اختيار المعلومات المثبتة في الموسوعة.
94	ثانياً: مدى اتصاف الموسوعة البريطانية بالموضوعية.

94	المطلب الثاني: مادة (القرآن الكريم) في الموسوعة البريطانية.
95	الفرع الأول: الترجمة الأولى حول القرآن لغة وجمعا وإعجازا.
96	الفرع الثاني: الترجمة الثانية حول شكل القرآن ومضمونه.
98	الفرع الثالث: الترجمة الثالثة حول محتويات القرآن.
98	الفرع الرابع: الترجمة الرابعة حول مصير الإنسان.
99	الفرع الخامس: الترجمة الخامسة حول أصول القرآن طبقا للمسلمين.
100	الفرع السادس: الترجمة السادسة حول أصول القرآن في رأي المستشرقين.
101	الفرع السابع: الترجمة السابعة حول التفسير.
102	الفرع الثامن: الترجمة الثامنة حول التراجم.
103	المبحث الثاني: منهج فضل حسن عباس في الرد على الشبهات التي طرحت حول مادة (القرآن الكريم) في الموسوعة البريطانية.
104	المطلب الأول: شبهات حول القرآن الكريم في الموسوعة البريطانية.
104	الشبهة الأولى: حول أصل كلمة (قرآن).
105	الشبهة الثانية: حول ترتيب سور وآيات القرآن الكريم.
108	الشبهة الثالثة: حول الآيات القرآنية وأسلوبها.
110	الشبهة الرابعة: حول أسلوب القرآن وموضوعاته.
112	المطلب الثاني: شبهات حول مباحث علوم القرآن في الموسوعة البريطانية.
112	الشبهة الأولى: حول الوحي.
114	الشبهة الثانية: حول جمع القرآن الكريم.
115	الشبهة الثالثة: حول القصص القرآني.
118	الشبهة الرابعة: حول القراءات القرآنية.

120	المطلب الثالث: شبهات حول التفسير والعقيدة في الموسوعة البريطانية.
120	الشبهة الأولى: عناصر عملية التفسير ومراحله.
122	الشبهة الثانية: الثواب والعقاب.
123	الشبهة الثالثة: حرية الإرادة.
125	الشبهة الرابعة: قضية خلق القرآن.
126	المطلب الرابع: معارضة المناهج التي سلكها الشيخ فضل في الدفاع عن القرآن الكريم بالمناهج التي سلكها غيره.
126	الفرع الأول: منهج الدفاع عن القرآن الكريم من خلال كتاب (القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي دراسة تحليلية نقدية).
126	أولاً: مقدمة الكتاب.
127	ثانياً: منهج محمد أبو ليلة في الدفاع عن القرآن من خلال الرد على الشبهات.
136	الفرع الثاني: منهج الدفاع عن القرآن الكريم من خلال كتاب (دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية أضاليل وأباطيل) لإبراهيم عوض.
136	أولاً: مقدمة الكتاب.
137	ثانياً: منهج إبراهيم عوض في الدفاع عن القرآن الكريم من خلال الرد على الشبهات.
146	خلاصة الفصل
	الباب الثاني: منهج فضل حسن عباس في الدفاع عن القرآن الكريم من خلال الرد على شبهات بعض المنتسبين للإسلام.
	الفصل الأول: منهج فضل حسن عباس في الدفاع عن القرآن الكريم من خلال الرد على شبهات الحدائين.
151	المبحث الأول: الحدائنة في العالم العربي الإسلامي.

152	المطلب الأول: تعريف الحداثة (لغة، اصطلاحاً، في العالم الغربي، في العالم العربي).
152	الفرع الأول: تعريف الحداثة لغة واصطلاحاً.
153	الفرع الثاني: الحداثة في العالم الغربي.
154	الفرع الثالث: الحداثة في عالمنا العربي.
156	المطلب الثاني: نشأة الحداثة العربية وعلاقتها بالحداثة في الغرب.
158	المطلب الثالث: أهم القضايا الحداثية المطروحة في العالم العربي.
159	الفرع الأول: قضية إعادة قراءة التراث.
161	الفرع الثاني: قضية الإصلاح والنهضة.
162	الفرع الثالث: علاقتنا بالآخر.
164	الفرع الرابع: فكرة الحداثة والتحديث.
166	المطلب الرابع: القراءة الحداثية للنص الديني ونقده.
167	الفرع الأول: القراءة التاريخية للنص الديني - محمد أركون أنموذجاً -.
168	الفرع الثاني: القراءة الهرمنيوطيقية للنص الديني - نصر حامد أبو زيد أنموذجاً -.
170	الفرع الثالث: القراءة اللغوية التشطيرية - التليفقية - للنص القرآني - محمد شحرور أنموذجاً -
173	المبحث الثاني: منهج الشيخ فضل في الرد على شبهات الحداثيين.
173	المطلب الأول: شبهات حول مباحث علوم القرآن.
173	الشبهة الأولى: حول أسماء القرآن الكريم.
176	الشبهة الثانية: حول أسباب النزول.
180	الشبهة الثالثة: حول جمع القرآن الكريم.
185	الشبهة الرابعة: حول النسخ.
188	الشبهة الخامسة: حول الإعجاز القرآني.
190	الشبهة السادسة: حول القراءات القرآنية.
192	المطلب الثاني: شبهات حول مباحث تفسير.

192	الفرع الأول: موقف الحدائين من التراث ومناهجه.
197	الفرع الثاني: اللغة العربية.
202	الفرع الثالث: الأحكام القرآنية.
207	الفرع الرابع: العقيدة.
208	الفرع الخامس: تجريحهم للعلماء وانتقاداتهم خاصة المفسرين والفقهاء.
213	خلاصة الفصل
الفصل الثاني: منهج فضل حسن عباس في الدفاع عن القرآن الكريم من خلال الرد على شبهات بعض الفرق الإسلامية.	
217	المبحث الأول: مدخل إلى التعريف بالفرق الإسلامية..
218	المطلب الأول: الفرق الإسلامية تعريفها، نشأتها، أصولها، أنواعها.
218	الفرع الأول: تعريفها.
219	الفرع الثاني: نشأة الفرق الإسلامية.
219	الفرع الثالث: أهم الأصول التي يُستند عليها في تقسيم الفرق الإسلامية.
220	أولاً: الأسماء والصفات والتوحيد فيها.
220	ثانياً: القضاء والقدر والعدل فيه.
221	ثالثاً: الوعد والوعيد.
22	رابعاً: السمع والعقل والرسالة والإمامة.
223	المطلب الثاني: أنواع الفرق الإسلامية.
223	الفرع الأول: الخوارج.
224	الفرع الثاني: الشيعة والروافض.
225	الفرع الثالث: القدرية.
225	الفرع الرابع: المعتزلة.
226	الفرع الخامس: المرجئة.

227	الفرع السادس: الجبرية والجهمية.
228	المطلب الثالث: أثر الفرق الإسلامية في التفسير.
228	الفرع الأول: تفسير القرآن الكريم عند الشيعة.
229	الفرع الثاني: تفسير القرآن الكريم عند المعتزلة.
230	الفرع الثالث: تفسير القرآن الكريم عند الخوارج.
231	الفرع الرابع: من آثار التعصب المذهبي في التفسير.
231	أولاً: ظهور الاختلاف الشديد في الآراء التفسيرية وتشعبها.
232	ثانياً: ظهور النزعة العقلية والإفراط في التأويل
233	ثالثاً: الإكثار من رواية الإسرائيليات، والمرويات الضعيفة في مقابل إهدار الهدايات القرآنية والأوجه الإعجازية للآيات.
234	رابعاً: فتح المجال أمام الأعداء للطعن في التراث الإسلامي والتقليل من قيمته.
236	المبحث الثاني: منهج فضل حسن عباس في الرد على شبهات بعض الفرق الإسلامية.
237	المطلب الأول: شبهات حول القرآن الكريم باعتباره كتاباً سماوياً.
237	الشبهة الأولى: فرية القول بنزول القرآن بالمعنى.
241	الشبهة الثانية: حفظ القرآن الكريم من قبل أربعة من الصحابة.
243	الشبهة الثالثة: سلامة القرآن الكريم من التحريف.
245	الشبهة الرابعة: العرضة الأخيرة.
248	الشبهة الخامسة: فرية الحشو وقضية الزوائد في كتاب الله تعالى.
429	المطلب الثاني: شبهات حول مباحث علوم القرآن.
429	الشبهة الأولى: أمية الرسول ﷺ.
251	الشبهة الثانية: جمع القرآن الكريم.
253	الشبهة الثالثة: القراءات القرآنية.

261	الشبهة الرابعة: القصة القرآنية.
275	المطلب الثالث: شبهات حول قضايا تفسيرية.
275	الشبهة الأولى: شبهات حول الصحابة رضوان الله عليهم وتفسيرهم.
279	الشبهة الثانية: إنكار التفسير الأثري.
281	الشبهة الثالثة: تأويلات المدرسة العقلية برئاسة محمد عبده.
284	الشبهة الرابعة: أفضلية اللغة العربية.
290	خاتمة الفصل
293	الخاتمة
الفهارس	
296	فهرس الآيات القرآنية
300	فهرس الأحاديث النبوية
302	فهرس الأعلام المترجم لهم
304	فهرس المصادر والمراجع
317	فهرس المحتويات
	الملخص بالعربية
	الملخص بالإنجليزية
	الملخص بالفرنسية.

الملخص:

تعرض القرآن الكريم داخليا وخارجيا لهجمات شرسة؛ فتجند علماؤنا قديما وحديثا لرد الشبهات التي تطرح حوله، ومن هؤلاء الأفاضل المعاصرين الشيخ الهمام فضل حسن عباس رحمه الله، الذي تتمحور إشكالية بحثنا حول بيان منهجه في الدفاع عن القرآن الكريم، من خلال إنتاجه العلمي.

وقد اعتمدت غالبا على المنهج الوصفي التحليلي؛ وهذا في جمع الشبهات التي ناقشها الشيخ فضل رحمه الله، ثم تحليل رد الشيخ عليها، واستخراج أهم المناهج التي اعتمد عليها، مع معارضة المناهج التي سلكها غيره في رد تلك الشبهات للوصول إلى تقييم عمل الشيخ من خلال موافقته للعلماء سلبا وإيجابا.

لأصل إلى نتائج جمة مفادها أن الشيخ فضل حسن عباس رحمه الله قد وُصف مناهج متعددة للدفاع عن القرآن الكريم وإن لم يصرح بذلك، وقد كانت كافية لرد تلك الشبهة ودحضها في مجملها إلى حد كبير، ورغم تميز أسلوبه اللغوي وقوة حجته البيانية لم يخرج عما هو متعارف لدى أقرانه وإن تميز عنهم من حيث التصور الصحيح للشبهات وردّها إجمالا وتفصيلا، غير أنه لم تكن له نظرة تجديدية في مجال الدفاع عن القرآن الكريم فيما بدى لي من صنيعه رحمه الله وأكرم مثواه.

الكلمات المفتاحية: منهج، فضل حسن عباس، دفاع، القرآن الكريم، تحليلية، نقدية.

An Analytical Critical Study of Fadl Hasan Abbas' Methodology in Defense of the Holy Quran

Abstract:

. The Holy Quran has been subjected to both internal and external fierce attacks. In response, our scholars, both ancient and modern, have mobilized to refute the doubts raised about it. Among these distinguished contemporary figures is Sheikh Fadl Hassan Abbas, may God have mercy on him, whose research problem revolves around elucidating his methodology in defending the Holy Quran through his academic output.

Predominantly, this research relies on the descriptive analytical approach, involving the collection of doubts discussed by Sheikh Fadl, analyzing his responses, and identifying the primary methodologies he employed. This is contrasted with the approaches taken by others in refuting these doubts to evaluate Sheikh Fadl's work through both positive and negative comparisons with his peers.

The findings suggest that Sheikh Fadl Hassan Abbas employed multiple methodologies to defend the Holy Quran, even if not explicitly stated. His approaches were largely sufficient to refute and debunk these doubts comprehensively. Despite his distinguished linguistic style and the strength of his rhetorical argument, he did not deviate from what is conventional among his peers, though he stood out in his accurate understanding of the doubts and their refutation in both broad and detailed manners. Moreover, he utilized modern scientific achievements to address the doubts pervading the intellectual arena. This is evident from his contributions, may God have mercy on him and honor his resting place.

Keywords: Methodology -Fadl Hasan Abbas- Defense- Quran- Analytical-Critical

La méthode de Fadl Hasan Abbas dans la défense du Saint Coran - Une étude analytique et critique-

Résumé:

Le Saint Coran a été soumis à des attaques féroces, tant internes qu'externes. En réponse, nos savants, tant anciens que modernes, se sont mobilisés pour réfuter les doutes soulevés à son sujet. Parmi ces figures contemporaines distinguées figure Cheikh Fadl Hassan Abbas, que Dieu ait pitié de lui, dont le problème de recherche tourne autour de l'élucidation de sa méthodologie dans la défense du Saint Coran à travers sa production académique.

Principalement, cette recherche repose sur l'approche descriptive et analytique, impliquant la collecte des doutes discutés par Cheikh Fadl, l'analyse de ses réponses et l'identification des principales méthodologies qu'il a employées. Ceci est contrasté avec les approches adoptées par d'autres dans la réfutation de ces doutes pour évaluer l'œuvre de Cheikh Fadl à travers des comparaisons positives et négatives avec ses pairs.

Les résultats suggèrent que Cheikh Fadl Hassan Abbas a employé de multiples méthodologies pour défendre le Saint Coran, même s'il ne l'a pas explicitement déclaré. Ses approches étaient largement suffisantes pour réfuter et démentir ces doutes de manière complète. Malgré son style linguistique distingué et la force de son argument rhétorique, il n'a pas dévié de ce qui est conventionnel parmi ses pairs, bien qu'il se soit distingué par sa compréhension précise des doutes et leur réfutation de manière générale et détaillée. De plus, il a utilisé les réalisations scientifiques modernes pour répondre aux doutes qui envahissent l'arène intellectuelle. Cela est évident à partir de ses contributions, que Dieu ait pitié de lui et honore son lieu de repos.

Mots cle's: La method- Fadl Hasan Abbas- la defense- Coran - analytique – critique.

DEMOCRATIC AND POPULAR REPUBLIC OF ALGERIA
MINISTRY OF HIGHER EDUCATION AND SCIENTIFIC RESEARCH
AMIR-ABD-EL-KADER UNIVERSITY OF ISLAMIC SCIENCE
CONSTANTINE

FACULTY OF USUL AL-DIN
ORDINAL NUMBER.....
IDENTIFICATION NUMBER...



DEPARTMENT OF KITAB AND
SUNNAH

SPECIALTY: TEFSSIR' AND
OULOUM AL QURAN

**An Analytical Critical Study of Fadl
Hasan Abbas' Methodology in Defense of the
Holy Quran**

Thesis submitted for academic doctoral sciences LMD

In: TEFSSIR' AND OULOUM AL QURAN

Elaborated By The Student:

Naima Belferroum

Supervised by:

Dr hadda sabek

MEMBERS OF THE JURY

NAME AND FIRST NAME	SCIENTIFIC RANG	ORIGINAL UNIVERSITY	FUNCTION
Pr.Houda Harak	Prof	Amir-abd-el-kader university of islamic science	President
Pr hadda sabek	Prof	Amir-abd-el-kader university of islamic science	Supervisor and reporter
D.Nabile Msalti	MCA	Amir-abd-el-kader university of islamic science	Member
Mohieddine ben Ammar	Prof	Hajj Lakhdar University – Batna01-	Member
Abbas Munser	MCA	Hajj Lakhdar University – Batna01	Member
Muhammad Laqraïz	MCA	Université Mohamed Boudiaf, M'sila	MEMBER

UNIVERSITY YEARS: 1444-1445h/2023-2024.